

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة فاطر' وتسمى الملائكة

هى ختام السور^١ المفتحة باسم الحمد ، التى^٢ تقدم عن الشيخ سعد الدين التفتازانى أنه فصلت فيها النعم الأربع التى هى أمهات النعم المجموعة فى الفاتحة ، وهى الإيجاد الأول ، ثم الإبقاء الأول ، ثم الإيجاد الثانى المشار إليه بسورة سبا ، ثم الإبقاء الثانى الذى هو أنهاها وأحكامها ، هـ وهو الختام^٣ المشار إليه بهذه السورة المفتحة بالابتداء الدال عليه بأنهى القدرة وأحكامها ، المفصل أمره فيها فى فريق السعادة والشقاوة تفصيلا شافيا على أنه استوفى فى هذه السورة النعم الأربع كما يأتى يانسه فى محالّه ، فمقصودها إثبات القدرة الكاملة لله تعالى اللازم منها تمام القدرة^٤ على البعث الذى عنه يكون آتم الإبقاءين الإبقاء بالفعل دائما أبدا ١٠ بلا انقطاع ولا زوال ولا اندفاع فى دار المقامة التى أذهب عنها الحزن والنصب واللغوب ، ودار الشقاوة الجامعة لجميع الانكاد والهموم ،

(١) الخامسة والثلاثون من سور القرآن ، مكية ، وآياتها ست وأربعون فى المدنى الأخير والشامى ، ونحس وأربعون فى الباقيين - راجع روح الطائى ١٥٧/٧ (٢) فى ظ : السورة (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الذى . (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : ختام (هـ) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : المقدرة .

ولاسم السورة آتم مناسبة لمقصودها لأنه لا شيء يعدل ما في الجنة من
تجدد الخلق فانه لا يؤكل منها شيء إلا عاد كما كان في الحال، ولا يراد
شيء إلا وجد في أسرع وقت، فهي دار الإبداع والاختراع بالحقيقة
وكذا النار "كلما نضجت جلودهم بدلنهم جلودا غيرها"؛ وكذا تسميتها
بالملائكة فانهم يدعون خلقا جديدا كل واحد منهم على صورته التي
أراد الله كونه عليها، لا يزداد فيها ولا ينقص، كلما أراد الله ذلك من
غير سبب أصلا غير إرادته المطابقة لقدرته سبحانه وعز شأنه، وهم
من الكثرة على وجه لا يحاط به "وما يعلم جنود ربك إلا هو"
(بسم الله) الذي أحاط دائرة قدرته بالممكنات (الرحمن) الذي
١٠. آتم بالبعث عموم الرحمة (الرحيم) الذي شرف أهل الكرامة بدوام
الإقامة في دار المقامة.

ولما أثبت سبحانه في التي قبلها الحشر الذي هو الإيجاد الثاني،
ودل عليه بجزئيات من القدرة على أشياء في الكون، إلى أن ختم بأخذ
الكفار أخذا اضطرم إلى الإيمان بظهور الحمد لهم آتم ظهور. وبالحيولة
١٥ / ٣١١ بينهم وبين جمع ما يشتهون^٢ / كما كانوا متعوا^٣ في الدنيا باغلب ما
يشتهون من كثرة الأموال والأولاد. وما مع ذلك من الراحة من
أكثر الانكاد، وكان الحمد يكون بالمنع والإعدام، كما يكون بالإعطاء
والإنعام، قال تعالى ما هو نتيجة ذلك: (الحمد) أي الإحاطة بأوصاف

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فيها (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م
ومد، وفي الأصل: يشتهونه (٤) من م و مد، وفي الأصل وظ: سقوا.

الكمال إعداما و إيجادا ﴿الله﴾ أى وحده .

و لما كان الإيجاد من العدم أدل دليل على ذلك ، قال دالا على استحقاقه للحامد : ﴿فاطر﴾ أى مبتدئ و مبتدع ﴿السّموات و الارض﴾ أى المتقدم أن له ما فيها بأن شق العدم باخراجهما منه ابتداء 'على غير' مثال سبق [كما تشاهدون . و لما كانت الملائكة أفرادا و جمعا مثل الخاقين هـ فى أن كلا منهم مبدع من العدم على غير مثال سبق - ٢] من غير مادة ، و كان قد تقدم أنهم يتبرّون من عبادة الكفرة يوم القيامة ، و كان لا طريق لعامة الناس إلى معرفتهم إلا الخبر ، أخبر عنهم بعد ما أخبر عما طريقه المشاهدة بما هو الحق من شأنهم ، فقال مبينا بتفاوتهم فى الهيئات تمام قدرته و أنها بالاختيار : ﴿جاعل الملائكة رسلا﴾ أى ١٠ لما شاء من مراده [و - ٢] إلى ما شاء من عبادة ظاهرين للأنبياء منهم و من لحق بهم و غير ظاهرين ﴿اولى اجنحة﴾ أى تهوّم لما يراد منهم ؛ ثم وصف الاجنحة فقال : ﴿مثنى﴾ أى جناحين جناحين لكل واحد لمن لا يحتاج فيما صرف فيه إلى أكثر من ذلك ، ولعل ذكره للتنبية على أن ذاك أقل ما يكون بمنزلة اليمين . و لما كان ذلك ١٥ زوجا نبه على أنه لا يتقيد بالزوج فقال : ﴿و ثلث﴾ أى ثلاثة ثلاثة لآخرين منهم . و لما كان لو اقتصر على ذلك لظن الحصر فيه ، نبه

(١-١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا على (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : لا (هـ) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لعه (٦-٦) - سقط ما بين الرقين من ظ .

بذكر زوج الزوج على أن الزيادة لا تنحصر فقال : ﴿ و زبج ﴾ أي أربعة أربعة لكل واحد من صنف آخر منهم .

ولما ثبت بهذا أنه فاعل بالاختيار دون الطبيعة وغيرها ، وإلا لوجب

كون الأشياء غير مختلفة مع اتحاد النسبة إلى الفاعل ، كانت نتيجة ذلك :

• ﴿ يزيد في الخلق ﴾ أي المخلوقات من أشياء مستقلة ومن هبات لللائكة

وغيرهم ، ومعاني لا تدخل تحت حصر من الفزوات و الألوان و المقادير

و الأشكال و خفة الروح و اللطافة و الثقل و الكثافة و حسن الصوت

و الصيت و الفصاحة و السذاجة و المكر و السخاوة و البخل و علو الهمة

و سفولها - و غير ذلك مما يرجع إلى الكم و الكيف مما لا يقدر على

١٠ الإحاطة به غيره سبحانه ، فبطل قول من قال : إنه فرغ من الخلق في

اليوم السابع عند ما أتم خلق آدم فلم يبق هناك زيادة ، كاليهود و غيرهم

على أن لهذا المذهب من الضعف و الوهم ما لا يخفى غير أنه سبحانه

أوضح جميع السبل ، ولم يدع بشيء منها لبساً : ﴿ ما يشاء ﴾ فلا بدع

في أن يوجد داراً أخرى تكون لدينونة العباد ، ثم علل ذلك كله بقوله

١٥ مؤكداً لأجل إنكارهم البعث : ﴿ ان الله ﴾ أي الجامع لجميع أوصاف

الكمال ﴿ على كل شيء قدير ﴾ فهو قادر على البعث فاعل له لا محالة .

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لللائكة (٢) من ظ و م و مد ، وفي

الأصل : الساذجة (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : الشجاعة (٤) من ظ

و م و مد ، وفي الأصل : الهوى (٥) زيد في الأصل : له ، ولم تكن الزيادة

في ظ و م و مد فحذفناها .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أوضحت سورة^١ سبا أنه سبحانه مالك السماوات والأرض، ومستحق^٢ الحمد في الدنيا والآخرة، أوضحت هذه السورة أن ذلك خلقه كما هو ملكه. وأنه الأهل للحمد والمستحق، إذ الكل خلقه وملكه. ولأن السورة [الاولى - ٣] تجردت لتعريف العباد بأن الكل ملكه و خلقه دارت أيها على تعريف عظيم^٥ ملكه، فقد أعطى داود وسليمان عليهما السلام ما هو كالنقطة من البحار الزاخرة، فلان الحديد واقتادت الرياح والوحوش والطير / والجن والانس مذلة خاضعة " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير " - تعالى ربنا عن الظهير^٦ والشريك والند، وتقدس^{١٠} ملكه عن أن تحصره العقول أو نحيط به الأفهام، فتجردت [سورة - ٣] سبا لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه، وتجردت هذه الأخرى لتعريف بالاختراع والخلق. ويشهد لهذا استمرار آي سورة فاطر على هذا الغرض من التعريف وتنديهها^٧ على الابتداءات كقوله تعالى " جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة ثمثنى " الآية، وقوله " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا^{١٥} ممسك لها هل من خالق غير الله يرزقكم " وقوله " افمن زين له سوء عمله فرأه حسنا " الآية، وقوله " الله الذي أرسل^٨ الرياح فتثير سحابا "

- (١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يستحق (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: له - خطأ (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: انظير (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تنبيهها. (٧) من م و مد و القرآن الكريم، وفي الأصل و ظ: يرسل.

الآية " والله خلقكم من تراب يوجل الليل في النهار و يوجل النهار في الليل "، " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا [الوانها - ١] "، " هو الذي جعلكم خلائف في الارض " " ان الله يمسك السموات و الارض ان تزولا لو ان تزولا لكانا " فهذه عدة آيات ٥
معرفة بابتداء الخلق، و الاختراع أو مشيرة ولم يتقع من ذلك في سورة سبا آية واحدة، ثم إن سورة سبا جرت أياها على نهج تعريف الملك و التصرف فيه و الاستعداد بذلك و الإبداع، و تأمل افتتاحها وقصة داود و سليمان عليهما السلام، و قوله سبحانه " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة " الآيات يتضح لك ما ذكرناه وما انجز ١٠
في السورتين مما ظاهره الخروج عن هذين الغرضين فلتحم و مستدعي بحكم الانجرار بحسب استدعاء مقاصد الآي - رزقنا الله الفهم عنه بمنه و كرمه - انتهى.

ولما وصف سبحانه نفسه بالمقدس بالقدره الكامله . دل على ذلك بما يشاهده كل أحد في نفسه من السعة و الضيق مع العجز عن دفع ١٥
شيء من ذلك أو اقتناصه . فقال " مستأنفا أو معللا مستنجبا : (ما)
أى مهما (يفتح الله) أى الذى لا يكافئه شيء . ولما كان كل شيء من الوجود يذل الناس قال : (للناس) ولما كان الإنعام مقصودا

(١) زيد من ظ وم ومد والقرآن الكريم (٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل :
الابتداء (٣) زيدت الواو في الأصل ، ولم تكن في ظ وم ومد فخذناها .
(٤-٤) سقط ما بين الرقین من ظ وم ومد (٥) تكرر في الأصل فقط (٦) في
بالذات
ظ : مستفتحا .

بالذات محبوباً، و كانت رحمته سبحانه قد غلبت غضبه، صرح به. فقال
 مبيناً للشرط في موضع الحال من ضميره [أى يفتحه كأننا - ^١] :
 ﴿ من رحمة ﴾ أى من الأرزاق الحسية و المعنوية من اللطائف و المعارف
 التى لا تدخل تحت حصر دقت أو جلت فيرسلها ﴿ فلا يمسك لها ع ﴾ أى
 الرحمة بعد فتحه كما يعلمه كل أحد في نفسه من ^٢ أنه إذا حصل له خير ه
 لا يعدم من يود أنه لم يحصل، و لو قدر على إزالته لأزاله، و لا يقدر
 على تأثير ما فيه .

و لما كان حبس النعمة مكروها لم يصرح به ^٣، و ترك الشرط على
 عمومته بعد أن فسر الشرط الأول بالرحمة دلالة على مزيد الاعتناء بها
 إيدانا بأن رحمته سبقت غضبه فقال : ﴿ و ما يمسك لا ﴾ أى من رحمة ١٠
 أو نعمة باغلاق باب الخلق عنه ﴿ فلا مرسل له ﴾ أى الذى أمسكه
 بمثل البرهان الماضى في الرحمة .

و لما كان ربما ادعى أحد فجورا حال إمساك الرحمة أو النعمة أنه
 هو الممسك قال : ﴿ من بعده ^٤ ﴾ أى بعد إمساكه ^٥، فمن كان في يده
 شيء فليمسك ما آتى به الله حال إيجاده بأن يعدمه . و لما كان هذا ١٥
 ظاهراً في العزة في أمر الناس و الحكمة في تدبيرهم ععم فقال : ﴿ و هو ﴾
 أى ^٦ هو فاعل ^٦ ذلك و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ أى ^٢ القادر على

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد . و في الأصل : في (٣) سقط
 من ظ (٤) في ظ « و » (٥) زيد في الأصل : أو إرساله، و لم تكن الزيادة في
 ظ و م و مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : الفاعل .

الإمساك و الإرسال الغالب لكل شيء ولا غالب له (الحكيم) الذى
يفعل فى كل من الإمساك و الإرسال و غيرهما ما يقتضيه علمه به
و يتقن ما أراد على قوانين الحكمة، فلا يستطيع نقض شيء منه .
ولما بين بما يشاهده كل أحد فى نفسه أنه المنعم وحده . أمر
بذكر نعمته بالاعتراف أنها منه ، فان الذكر يقود إلى الشكر ، وهو قيد
الموجود . وصيد المعدوم المفقود ، فقال : (يأيها الناس) أى الذين
فيهم أهلية الاضطراب عامة (اذكروا) بالقلب و اللسان (نعمت الله)
أى الذى لا منعم فى الحقيقة سواه . ولما كانت نعمه عامة غامرة من
كل جانب قال : (عليكم) أى فى دفع ما دفع من المحر^٢ ، و صنع ما
١٠ صنع من المن ، على ما تقدم فى الفتح و الإمساك لشكروه ولا تكفروه ،
والذى يخص أهل مكة - بعد ما شاركوا به الناس - إسكانهم الحرم ،
وحفظهم من جميع الأمم ، و تشریفهم بالبيت . وذلك موجب لأن
يكونوا أشكر الناس .

ولما أمر بذكر نعمته ، أكد التعريف بأنها منه وحده على وجه
١٥ بين عزته و حكمته ، فقال منها لمن غفل ، و موبخا لمن جحد ، و رادا
على أهل القدر الذين ادعوا أنهم يخلقون أفعالهم . و منها على نعمة
الإيجاد الأول : (هل) ولما كان الاستفهام بمعنى النفي أكد به "من"
فقال : (من خالق) [أى للنعم و غيرها - ٢] ، ولما كانت "من"

(١) من ظ وم ومد . وفى الأصل : الذى من (٢) من ظ وم ومد . وفى
الأصل : المحض (٣) زيد من ظ وم مد .

للتأكيد ، فكان "خالق" فى موضع رفع ، قرأ الجمهور قوله : (غير الله) بالرفع ، و جره حمزة و الكسائى على اللفظ ، و عبر بالجلالة إشارة إلى أنه المختص بصفات الكمال .

و لما كان الجواب قطعاً : لا ، بل هو الخالق وحده ، قال منها على نعمة الإبقاء^١ الأول : (يرزقكم) أى وحده . و لما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع وحدة المنبع أدل على العظمة قال : (من السماء و الأرض) بالمطر و النبات و غيرها . و لما بين أنه الرزاق^٢ وحده انقطع أمل كل أحد من غيره حتى من نفسه فحصل^٣ الإخلاص فتعين^٤ أنه سبحانه الإله وحده فقال : (لا اله الا هو) فتسبب الإنكار على من عبد غيره ظاهراً أو باطناً فقال : (فانى) أى فمن أى وجه [و كيف - ٧] (توفكونه) ١٠ أى تصرفون و تقلبون عن وجه السداد فى التوحيد بهذه الوجوه الظاهرة [إلى - ٧] الشرك الذى لا وجه له .

و لما قررهم على ما تقدم و ختم بالتوحيد الذى هو الأصل الأول من أصول الدين ، نبه^٥ على أنه المقصود بالذات بذكر ما يعقبه فى الأصل الثانى ، و هو الرسالة من تصديق و تكذيب ، فقال ناعياً على قريش ١٥ سوء تلقيهم لآياته ، و طعنهم فى بيناته ، مسلياً له صلى الله عليه و سلم .

- (١) راجع نثر المرجان ٥/٢٠٠ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خالق .
(٣) فى ظ : الإيجاد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرزاق (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بفعل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتبين (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) سقط من ظ .

عاطفا على ما تقديره : فان صدقوك فهم جديرون [بالتصديق - ^١]
 لما قام على ذلك من الدلائل ، وشهد به من المقاصد و الوسائل :
 (وان يكذبوك) أى عنادا وقلة اكتراث بالعواقب فتأس باخوانك
 (فقد) أى بسبب أنه قد (كذبت رسل) أى بإلهم من رسل
 ٥ وبنى الفعل للجهول لأن التسلية عطلها وقوع التكذيب لاتعيين المكذب ،
 ونفى أن يرسل غيره بعد وجوده بقوله : (من قبلك) وأفرد التكذيب
 بالذكر اهتماما بالتسلية تنبها على أن الاكثر يكذب ، قال القشيري : وفي
 هذا إشارة للحكماء وأرباب القلوب مع العوام والأجانب من هذه
 الطريقة فانهم لا يقبلون منهم إلا القليل ، وأهل الحقائق أبدا منهم في
 ١٠ مقاسة الأذية ، والعوام أقرب إلى هذه الطريقة من القراء المتكشفين .

ولما كان التقدير نفيا للتعجب ^٢ من التكذيب الجارى على غير

قياس صحيح / : فمن الله الذى لا أمر لاحد معه تصدره الأمور ، عطف
 ٣١٤ عليه قوله مهددا لمن خالف أمره : (والى الله) أى وحده لأن له
 الأمور كلها (ترجع الأمور) أى خسا ومعنى ، فاصبر ورد الأمر
 ١٥ إلينا بترك الأسباب إلا ما أمرك به كما فعل إخوانك من الرسل .

ولما أشعر هذا الختام باليوم الموعود ، وهو الأصل الثابت قال
 مهددا [به - ^١] محذرا منه : (يتأياها الناس) أى الذين عندهم أهلية

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : والندية .
 (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الفقراء (٤) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : للتعجب (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نفتدر (٦) فى ظ
 و مد : الثالث .

للتحرك إلى النظر . و لما كانوا ينكرون البعث أكد قوله : (ان وعد الله)
 أى الذى له صفات الكمال و هو منزّه عن كل شائبة نقص ، فهو لا يجوز
 عليه فى مجارى العادات للغنى المطلق أن يخلف الميعاد (حق) أى بكل
 ما وعد به من البعث و غيره وقد وعد أنه يردكم إليه فى يوم تنقطع
 فيه الأسباب ، و يعرض عن الأحساب و الأنساب ، ليحكم بينكم بالعدل ، هـ
 ثم سبب عن كونه حقا قوله على وجه التأكيد لأجل الإنكار أيضا :
 (فلا تفرنكم) أى بأنواع الخدع من اللهو و الزينة غرورا مستمر
 التجدد (الحياة الدنيا) فانه لا يلبق بذى همة عليه اتباع الدنى ، و الرضى
 بالدون الزائل عن العالى الدائم (ولا يفرنكم بالله) أى الذى لا يخلف
 الميعاد و هو الكبير المتعالى (الفرور) أى الذى لا يصدق فى شيء ١٠
 و هو الشيطان العدو ، و لذلك استأنف قوله مظهرا فى موضع الإضمار
 للتفسير بمدلول الوصف قبل التذكير بالعداوة و وخامة العاقبة فيما يدعو
 إليه مؤكدا لأن أفعال المشايخين^١ له بما يمنهم به من نحو : إن ربكم
 حلیم ، لا يتعاضمه ذنب ، مع الإصرار على المعصية أفعال المتعدين
 لمصادقته : (ان الشيطان) أى المحترق بالغضب البعيد من الخير ١٥
 (لكم) أى خاصة فهو فى غاية الفراغ لآذاكم ، فاجتهدوا فى الهرب منه
 (عدو) بتصويب مكايده كلها إليكم و بما سبق له مع أيكم آدم عليه
 السلام بما وصل أذاه إليكم^٢ و أيضا و من عادى أباك فقد عاداك ،
 (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الشائعين (٢) من ظ و م و مد .
 وفى الأصل : لكم .

ولما كانت عداوته تحتاج إلى مجاهدة لأنه يأتي الإنسان من قبل الشهوات ،
 غير بضيق الاعتقال فقال : (فاتخذوه) أى بقاية جهدهم (عدواً)
 والله لكم ولي فاتخذوه ولياً بأن تحروا ، ما يعيظ الشيطان بأن تحالفوه
 في كل ما يريد به ويأمر به ، وتعمدوا ما يرضاه الرحمن ونهجه لكم
 ٥ . وأمركم به قتلزموه ، قال القشيري : ولا يقوى على عداوته إلا بدوام
 الاستماعة بالرب فإنه لا يفقل عن عداوتك ، فلا تفقل أنت عن مولاك
 لحظة . ثم علل ذلك بقوله : (إنما يدعوا حزبه) أى الذين يوسوس^١
 لهم فيعرضهم لاتباعه والإعراض عن الله (ليكونوا) باتباعه كونا
 رافضاً (من اصحب السعير^٢) هذا غرضه لا غرض له سواء ، ولكنه
 ١٠ . يجتهد في تعمية ذلك عنهم بأن يقرر في نفوسهم جانب الرجاء وينسبهم
 جانب الخوف ، ويريه أن التوبة في أيديهم ويسوف لهم بها بالفسحة
 في الأمل ، والإنباء في الآجل ، للافساد في العمل ، والرحمن سبحانه^٣
 إنما يدعو عباده ليكونوا من أهل النعم ” والله يدعوا إلى
 دار السلم “ .

١٥ . ولما أنهى^٤ البيان في غرض الشيطان إلى انتهاء ، نبه على ما حكم
 به هو سبحانه في أشياعه بقوله مستأنفاً : (الذين كفروا) / أى غطوا

/ ٣١٥٠

(١) من ظ ومـد ، وفي الأصل وم : تحزوا (٢) من مـد ، وفي الأصل وظ
 وم : يتعمدوا (٣) من ظ وم ومـد ، وفي الأصل : فارموه (٤) من ظ وم
 ومـد ، وفي الأصل : يسوس (٥) سقط من ظ وم ومـد (٦) من ظ وم
 ومـد ، وفي الأصل : انتهى .

بالاتباع له بالهوى ما دلتهم عليه عقولهم وكشفه لهم غاية الكشف
 هذا البيان العزيز (لهم عذاب شديد) أى فى الدنيا بفوات غالب ما
 يؤملون مع تفرقة قلوبهم وانسداد بصرهم وسفالة فهمهم حتى [أنهم -^١]
 رضوا أن يكون^٢ إلههم حجرا، وانحجاب المعارف التى لا لذاة فى
 الحقيقة غيرها عنهم، وفى الآخرة بالسعير التى دعاهم إلى صحبتها . ٥
 ولما ذكر جزاء حزبه، أتبعه حزب الله الذين عادوا عدوهم فقال:
 ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ ولما
 كان من أعظم مصادب الشيطان ما يعرض للانسان خطأ و جهلا من
 العصيان، لما له من نقصان ليجره^٣ بذلك إلى العمد و العدوان، قال تعالى
 داعيا له إلى طاعته وإزالة الحجة^٤: ﴿لهم مغفرة﴾ أى ستر لذنوبهم ١٠
 بحيث^٥ لا عقاب ولا عتاب^٦، وذلك معجل فى هذه الدار، ولولا
 ذلك لافترضوا وغدا، ولولا ذلك لهلكوا . ولما محأها عينا و أثرا،
 أثبت الإنعام فقال: ﴿واجز كبير﴾ أى يحل عن الوصف بغير هذا
 الإجمال^٧، فنه عاجل بسهولة العبادة ودوام المعرفة و ما يرويه فى القلوب
 من وراه اليقين، و آجل بتحقيق المسؤل من عظيم المنة، و نيل ما فوق ١٥
 المأمول فى الجنة .

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: سفلة (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من
 ظ و م و مد، وفى الأصل: يكونوا (٤) فى ظ و مد: بهجرة (٥) من ظ
 و مد، وفى الأصل و م: بنجمله (٦ - ٦) من ظ و مد، وفى الأصل و م:
 لا عتاب ولا عقاب (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الجمال .

و لما أبان هذا الكلام تفاوت الحزين في المآل بالهلاك و الفوز ،
و كان لا يقدم على الهلاك أحد فيه حس ، و كان الكفار يدعون أنهم
الفائزون فتاعة بالنظر إلى ما هم فيه ، و يدعون أنهم أبصر الناس و أحسنهم
أعمالا . و كذا كل عاص و مبتدع ، كان ذلك سببا في إنكار تساويهما ،
ه فأنكره مبينا السبب في ضلالهم بما فيه تسلية للحسين و نذب إلى
الشكر ' و حث على ملازمة الافتقار و الذل و سؤال العافية من الزلل
و الزبغ فقال : ﴿ افن ﴾ و لما كان الضار هو التزين من غير نظر إلى
فاعل معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ زين له سوء عمله ﴾ أى قبحه الذى من
شأنه أن يسوء صاحبه حالا أو مآلا بجمع مال ذاهب أو مذهب عنه
١٠ من غير خلة و بيع راحة الجنة المؤبدة بمتابعة شهوة منقضية و إشار
مخلوق فإن على ربه الغنى الباقي ؛ ثم سبب عنه ' ما أنهى إليه ' من الغاية
فقال : ﴿ فراه ﴾ أى السبب بسبب التزين ﴿ حسنا ﴾ أى فركبه ، بما
أشار إليه إضافة العمل إليه ، و طوى المشبه به و هو كمن أبصر الأمور
على حقائقها فاتبع الحسن و اجتنب السيئ ، لأن المقام يهدى إليه ، و تعجيلا
١٥ بكشف ما أشكل على السامع من السبب الحامل على رؤية القبيح ، مُليحا
بقوله مؤكدا ردا على من ينسب إلى غير الله فعلا من خير أو شر :
(١) من ظ و م و مد . وفى الأصل : تساويهم (٢) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : الشاكرين (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : رائحة (٤) من م
و مد ، وفى الأصل و ظ : مقتضية (هـ - هـ) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : من أنما له .

(فان) أى السبب فى رؤية الأشياء على غير ما هى عليه أن (الله)
أى ' الذى له الأمر كله (يضل من يشاء) فلا يرى شيئا على ما هو
به ، فيقدم على الهلاك البين و هو يراه عين النجاة (و يهدى من يشاء)
فلا يشكل عليه أمر و لا يفعل إلا حسنا .

و لما كان المحب من يرضى بفعل حبيبه ، سبب عن ذلك النهى لا كمل ه
خلقه عن الغم بسبب ضلالهم فى قوله : (فلا) و الأحسن أن يقدر
المشبه به هنا فيكون المعنى : أفن غر فعل القيح فاعتقده حسنا لأن
الله أضله بسبب أن الله هو المتصرف فى القلوب كمن بصره الله بالحقائق ؟
و لما كان الجواب : لا . ليس هما سواء سبب عنه قوله : فلا (تذهب)
أى بالموت أو ما يقرب منه (نفسك عليهم) أى بسبب ما هم فيه ١٠
من العمى عن الجليات (حسرت) أى لأجل حسراتك / المترادة ٣١٦/
لأجل إعراضهم ، جمع حسرة و هى شدة الحزن على ما فات من الأمر .
و لما كان كأنه قيل : إنهم يؤذون أولياءك فيشتد أذاهم ، و كان
علم الولي القادر بما يعمل عدوه كافيا فى النصرة ، قال : (ان الله) أى
المحيط بجميع أوصاف الكمال (عليم) أى ' بالغ العلم ، و أكدته تنبيها ١٥
على أن المقام صعب ، من لم يثبت نفسه بغاية جهده زل لطول إملاته
تعالى لهم ' و حلمه عنهم (بما يصنعون) أى بما مروا عليه و انطبعوا فيه
من ذلك حتى صار لهم خلقا يعد كل البعد انفكاكهم عنه .

(١) سقط من ظ م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : « و » (٣) فى
ظ و م و مد : صفات (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : حمه .

ولما أخبر تعالى أنه لا بد من إيجاد ما وعد به من البعث وغيره،
 وحذر كل التحذير من التهاون بأمره، وأنكر التسوية بين المصدق به
 والمكذب، وكان السبب في الضلال المميت للقلوب الهوى الذى يغشى
 سماء العقل و يعلوه بسحابه المظلم فيحول بينه وبين النفوذ، وكان السبب
 ٥ في السحاب المغطى لسماء الأرض المحيى لميت الحبوب^١ الهوى، و^٢ كان
 الإتيان به في وقت دون آخر دالا على القدرة بالاختيار، قال عاطفا
 على جملة "ان وعد الله حق" المبنى على النظر، وهو الإخراج من العدم
 ميثاق قدرته على ما وعد به: ﴿ والله ﴾ أى الذى له صفات الكمال
 لا شئ غيره من طبيعة ولا غيرها ﴿ الذى ﴾ ولما كان المراد الإيجاد من
 ١٠ العدم، عبر بالماضى مسندا إليه لأنه الفاعل الحقيقى فقال: ﴿ ارسل الرياح ﴾
 أى أوجدها من العدم مضطربة^٣ فيها، أهلية الاضطراب والسير
 ليصرفها كيف شاء لا ثابتة كالأرض^٤، وأسكنها ما بين الخافقين لصلاح
 مكان الأرض .

ولما كانت إثارتها تتجدد^٥ كلما أراد أن يسقى أرضا، قال مسندا
 ١٥ إلى الرياح لأنها السبب . معبرا بالمضارع حكاية للحال لتستحضر تلك
 الصورة البديعة الدالة على تمام القدرة، وهكذا تفعل العرب فيما فيه

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الجنون (٢) زيد في الأصل و ظ : لا،
 ولم تكن الزيادة في م و مد فخذناها (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
 مضربة (٤) من مد، وفي الأصل و ظ و م : كارض (٥) من ظ و م
 و مد، وفي الأصل: تجدد .

غربة تنبئها للسامع على ذلك وجثاله على تدبره وتصوره: (فتير) أى بتحريكه لما إذا أراد (سحاباً) أى أنه أجرى سبحانه سنته أن تظهر حكته بالتدريج . ولما كان المراد الاستدلال على القدرة على البعث . وكان التعبير بالمضارع يرد التعمت ، عبر بالمضارع . ولما كان سوق السحاب إلى بلد دون آخر وسقيه لمكان دون مكان من العظمة بمكان^٢ ، نفتت^٣ عن الغية وجعله فى مظهر العظمة فقال : (فسقته) أى السحاب [معبراً بالماضى تنبئها على أن كل سوق كان بعد إثارته فى الماضى والمستقبل منه وحده أو بواسطة من أقامه لذلك من جنده من الملائكة أو غيرهم ، لا من غيره - ٣] ، ودل على أنه لا فرق بين البعد والقرب بحرف الغاية فقال : (إلى بلد ميت) .

١٠

ولما كان السبب فى الحياة هو السحاب بما ينشأ عنه^٤ من الماء قال : (فاحيينا به الأرض) ولما كان المراد إرشادهم إلى القدرة على البعث الذى هم به مكذبون ، قال رافعا للجاز بكل تقدير وموضعا كل الإيضاح للتصوير : (بعد موتها^٥) ولما أوصل الأمر إلى غايته ، زاد فى التنبية على نعمة الإيجاد الثانى بقوله : (كذلك) أى مثل الإحياء لميت النبات .

١٥

(النشور) حسا للاموات ، ومعنى للقلوب والنبات ، قال القشيري :

- (١) سقط من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م ومد
- لغذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : منه .
- (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الذين .

إذا أراد إحياء قلب يرسل أولا رياح الرجاء، ويزجج بها كوا من
الإرادة، ثم ينشئ فيه 'سحاب الاهتياج'، ولوحة الانزعاج، ثم يأتي مطر
الحق فينبعث في القلب أزهار البسط و أنوار الروح، و يطيب لصاحبه
العيش إلى أن تتم لطائف الإنس .

٥ ولما قرر بهذا كله ما أثبتته سابقا من عزته و حكمته و ثبت أنه

قادر على النشور^٢ فثبت أن^٢ له العزة في الآخرة كما شوهد ذلك في

الدنيا، و كانت منافسة الناس / لاسيما الكفرة في العزة فوق منافستهم

/ ٣١٧

[في الحكمة - ٢]، و من نافس في الحكمة فانما يتنافس فيها لاكتساب

العزة، و كان الكفرة إنما عبدوا الأوثان ليعتزوا بها كما قال " واتخذوا

١٠ من دون الله الهة ليكونوا لهم عزاء^٣ " قال مستتجا من ذلك :

(من كان) أى فى وقت من الأوقات (يريد العزة) أى أن يكون

محتاجا إليه غيره و هو غنى عن غيره غالبا غير مغلوب (لله) أى

وحده (العزة جميعا) أى فليطلبها منه و لا يطلبها من غيره، فانه لاشئ

لغيره فيها، و من طلب الشئ من غير صاحبه خاب ؛ قال ابن الجوزى :

١٥ و قد روى عن أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

إن ربكم يقول كل يوم : أنا العزيز فمن أراد عزة الدارين فليطع العزيز .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيها (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل :

و ثبت أنه ، و فى ظ : ثبت أنه (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ،

و فى الأصل و ظ : ليقتروا (٥) راجع سورة ١٩ آية ٨١ .

ولما

ولما رغب في اقتناص العزة بعد ان أخبر أنه لا شيء فيها لغيره ،
دل على اختصاصه بها بشمول^١ عليه وقدرته ، وبين أنها إنما تنال بالحكمة
فقال : (إليه) أى ' لا إلى غيره (يصمد الكلم الطيب) أى الجارى
على قوانين الشرع عن نية خسة وعقيدة صحيحة سواء كان سرا أو علنا
لأنه عين الحكمة ، فيجز صاحبه ويثيبه : ٥

ولما أعلى رتبة^٢ القول الحكيم ، بين أن الفعل أعلى منه لأنه
المقصود بالذات ، والقول وسيلة إليه ، فقال دالا على علوه بتغيير السياق :
(والعمل الصالح يرفعه^٣) هو سبحانه يتولى رفعه ، ولصاحبه
عنده عز منبع ونعيم مقيم ، وعمله يفوز ، قال الرازى فى اللوامع :
[العلم -^٤] إنما يتم بالعمل كما قيل : العلم يهتف بالعمل ، فان أجاب ١٠
وإلا ارتحل - انتهى ، وقد قيل :

لا ترض من رجل حلالة قوله حتى يصدق ما يقول فعال
فاذا وزنت مقالته بفعاله فتوازننا فاخاء^٥ ذاك جمال
ولما بين ما يحصل العزة من الحكمة ، بين ما يكسب الذلة ويوجب
للنقمة من ردى الهمة فقال : (والذين يعمدون) أى يعملون على وجه ١٥

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : شمول (٢) سقط من ظ (٣) من ظ
وم ومد ، وفى الأصل : بهذا (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) زيد فى
الأصل : فى معنى ذلك ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد لحذفها (٦) من ظ
وم ومد ، وفى الأصل : فارخاء .

الستر المكرات^١ (السيات^٢) أى يسترون قصودهم بها ليقعوا بغتة^٣
 (لهم عذاب شديد^٤) كما أرادوا بغيرهم ذلك، ولا يصعد مكرم إليه
 بنفسه ولا يرفعه هو، لأنه ليس فيه أهلية ذلك لمنافاته الحكمة. ولما كان
 ما ذكر من مكرم موجبا لتعرف حاله هل أقدم شيئا؟ أخبر أنه أهلكه
 ٥ بعزته ودمره بحكمته فقال: (ومكر اولئك) أى البعداء من الفلاح
 (هو) أى وحده دون مكر من يريد بمكره الخير فان الله ينفذه
 ويعلل أمره ويجعل له العاقبة تحقيقا لقوله تعالى "ويعمرون ويمكر
 الله والله خير المكرين"، كما أخرجكم أبها الأولياء من بيوتكم لأجل
 العير فأخرج^٥ الأعداء^٦ من بيوتهم فوضعهم فى قلب بدر (يوره)
 ١٠ أى يكسد ويفسد ويهلك، فدل ذلك على شمول عليه للخير والشر من
 القول والفعل الخفى والجلي وتمام قدرته، وذلك معنى العزة، والآية
 من الاحتياك: حذف ما لصاحب العمل الصالح ودل عليه بذكر ما
 لعامل السوء، وحذف وضعه المكر السوء ودل عليه برفعه للعمل
 الصالح.

١٥ ولما ذكر سبحانه ما صيرهم إليه من المفارقة فى الأخلاق، أتبعه

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: المكريات (٢) تكرر فى الأصل: بعد
 ويمكرون (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يفتنة (٤) من ظ وم
 ومد، وفى الأصل: فاخبر (٥) زيد فى الأصل: بكم، ولم تكن الزيادة
 فى ظ وم ومد لخفاها (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: المعاونة.

ما كانوا عليه من الوحدة في جنس الاصل ، و أصله التراب المسلول
 منه [الماء - '] بعد تخميره فيه و إن اختلفت^٢ أصنافه ، فقال مينا لبعض
 آيات الأفض / عاطفا على ما عطف عليه " و الله الذى ارسل الريح "
 الذى هو من آيات الآفاق ، منها على أنه قادر على التمييز بعد^٣ شديد المزج
 و أنه قدر^٤ كل شيء من الارزاق و الأجلال و المصائب و الأفراح ، ه
 فلا ثمرة للكر إلا ما يلحق الماكر من الحرج و العقوبة من الله
 و الضرر : [(و الله) أى الذى له جميع صفات الكمال : و لما لم يدع
 حاجة إلى الحصر قال - '] : (خلقكم من تراب) أى مثلى و إن
 اختلفت^٥ أصنافه بتكوين أيكم منه فزجه مزجا لا يمكن لغيره تميزه ،
 ثم أحاله عن ذلك الجوهر أصلا و رأسا ، وإليه الإشارة بقوله : ١٠
 (ثم) أى بعد ذلك [فى - '] الزمان و الرتبة^٦ خلقكم (من نقطة)
 أى جعلها أصلا ثانيا مثليا من ذلك الأصل الترابى أشد امتزاجا منه ثم
 بعد إنهاء التدبير^٧ زمانا و رتبة^٨ إلى النطفة التى لا مناسبة بينها و بين
 التراب دلالة على كمال القدرة و الفعل بالاختيار (ثم جعلكم أزواجا^٩)
 بين ذكور و إناث ، دلالة هى أظهر مما قبلها على الاختيار و كذب أهل ١٥

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اختلف .
 (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بين (٤) زيد فى ظ : على (٥) من ظ
 و م و مد ، و فى الأصل : التربية (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن
 فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تربية .

الطبايع ، و على البعث بتمييز ما يصلح 'من التراب للذكورة' و الانوثة .
 و لما كان الحمل أيضا مكذبا لأهل الطبايع بأنه لا يكون من كل جماع ،
 أشار إليه بقوله مؤكدا ردا^٢ عليهم : إعلاما بأن ذلك إنما هو بقدرته :
 ﴿ و ما تحمل ﴾ أى فى البطن بالحبل ﴿ من انثى ﴾ دالا بالجاء على^٣
 هـ كمال الاستغراق . و لما كان الوضع أيضا كذلك بأنه لا يتم كلما حمل
 به قال : ﴿ و لا تضع ﴾ أى حملا ﴿ الا ﴾ مصحوبا ﴿ بعله^٤ ﴾ فى
 وقته و نوعه و شكله و غير ذلك من شأنه مختصا بذلك كله حتى عن
 أمه التى هى أقرب إليه ، فلا يكون إلا بقدرته ، فما شاء أمه ، و ما شاء
 أخرجه .

١٠ و لما كان ما بعد الولادة أيضا دالا على الاختيار لتفاضلهم فى
 الأعمار مع تماثلهم فى الحقيقة ، دل عليه بقوله دالا بالبناء للفعل على
 سهولة الأمر عليه سبحانه ، و أن التعمير و النقص هو المقصود بالإسناد :
 ﴿ و ما يعمر من معمر ﴾ أى يزداد فى عمر من طال عمره أى صار إلى
 طول العمر بالفعل حسا ، قال قتادة : ستين . أو معنى بزيادة الفاعل المختار
 ١٥ زيادة لولاهما لكان عمره أقصر مما وصل إليه ﴿ و لا ينقص من عمرة ﴾
 أى المعمر بالقوة و هو الذى كان قابلا فى العادة لطول العمر فلم يعمر
 بنقص الفاعل المختار نقضا لولاه لطال عمره . فالمعمر المذكور المراد به

(١-١) من ظ و م ومد . و فى الأصل : فتراب من الذكورة (٢) سقط من
 ظ (٣) زيد فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .
 (٤) فى الأصل بياض ، ملأه من ظ و م ومد .

الفعل، و الذى عاد إليه ^١ [الضمير - ^٢] المعمر بالقوة فهو من بديع الاستخدام، ولو كان التعبير بأحد لما صح هذا المعنى، وقراءة يعقوب بخلاف عن رويس بفتح الياء وضم القاف بالبناء للفاعل تشير إلى أن قصر العمر أكثر . ولما كان فى سياق العلم و كان أضبطه فى مجارى عاداتنا^٢ ما كتب قال : (^٣ الا فى كتب ^٤) مكتوب فيه « عمر فلان » كذا و عمر فلان كذا و كذا، عمر فلان كذا إن عمل كذا وعمره كذا أزيد أو أنقص إن لم يعمل .

ولما كان ذلك أمرا^٥ لا يحيط به العد، ولا يحصره الحد، [فكان - ^٦] فى عداد ما ينكره الجهلة، قال مؤكدا لسهولته : (^٧ ان ذلك)^٨ أى الأمر العظيم من كتب الآجال كلها و تقديرها ١٠ و الإحاطة بها على التفصيل^٩ (^{١٠} على الله) أى الذى له جميع العزة فهو يغلب كل ما يريده . خاصة^{١١} (^{١٢} يسيره) .

ولما ذكر سبحانه أحد أصليهم : التراب المختلف الأصناف، ذكر الأصل الآخر : الماء الذى هو أشد امتزاجا من التراب، ذا كرا اختلاف صنفيه اللذين يتفرعان إلى أصناف كثيرة، منها على فعله بالاختيار و منكرا ١٥ على^{١٣} من سوى بينه سبحانه و بين / شئ حتى أشركه به مع^{١٤} المبادعة التى ١٩/

(١) فى م و مد : عليه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل : عاداتنا (٤ - ٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الامر (ه - ه) سقط ما بين الرقيين من م (٦) سقط من م (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ : عن (٨) سقط من ظ .

لا شيء بعدها والحال أنه يفرق بين هذه الأشياء المحسوسة لمباعدة ما
 فقال: ﴿ وما يستوى البحران ﴾ ولما كانت ' الألف واللام للعهد،
 بينه بقوله مشيرا إلى الخلو: ﴿ هذا عذب ﴾ أى طيب حلوا لذيق ملائم
 للطبع ﴿ فرات ﴾ أى بالغ العذوبة ﴿ سأنتغ شرابه ﴾ أى هنى مرىء
 ٥ هو بحيث إذا شرب جاز فى الخلق ولم يتوقف بل يسهل إدخاله فيه
 وابتلاعه لما له من اللذة والملازمة للطبع ﴿ وهذا ملح اجاج ﴾ أى
 جمع إلى الملوحة المرارة، فلا يسوغ شرابه، بل لو شرب لآلم الخلق
 وأجج فى البطن ما هو كالنار، والمراد أنه ميزهما سبحانه بعد جمعهما فى
 ظاهر الأرض وباطنها، ولم يدع أحدهما ينفى على الآخر، بل إذا
 ١٠ حفر على جانب البحر الملح ظهر الماء عذبا فراتا على مقدار صلاح
 الأرض وفسادها.

ولما كان الملح متعذرا على الآدمى شربه، ذكر أنه خلق فيه ما
 حياته به مساويا فى ذلك للعذب، فقال: ﴿ ومن كل ﴾ أى من الملح
 والعذب ﴿ تاكلون ﴾ من السمك المتنوع إلى أنواع تفوت الحصر
 ١٥ وغير السمك ﴿ لحما طريا ﴾ أى شهى المطعم، ولم يضر ما بالملح ما
 تعرفون من أصله ولا زاد فى لذة ما بالخلو لملاءمته لكم. ولما ذكر

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كان (٢) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل: إلى (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: العذب.
 (٥) زيد فى ظ الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
 (٦) زيد فى الأصل: به، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

من متاعه ما هو غاية في اللين ، أتبعه من ذلك ما هو غاية في الصلابة فقال : ﴿ و تستخرجون ﴾ أى تطلبون أن تخرجوا من الملح دون العذب ' و توجدون ذلك الاخراج ' ، قال البغوى^٢ : و قيل : نسب [اللؤلؤ -^٣] إليها لأنه قد يكون في البحر الملح عيون عذبة تمتزج به فيكون اللؤلؤ من ذلك . ﴿ حلية تلبسونها ﴾ أى نساؤكم من الجواهر : الدر و المرجان ه و غيرهما ،^٤ فاقضى برخاوة^٥ ذلك و صلابة هذا مع تولدهما منه إلا العاقل المختار .

و لما كان الأكل^٦ و الاستخراج من المنافع العامة عم بالخطاب ، و لما كان استقرار شيء^٧ في البحر دون غرق أمرا غريبا ، لكنه صار لشدة إلفه لا يقوم بأدراك أنه من أكبر الآيات دلالة على ' القادر المختار ١٠ . إلا أهل البصائر ، خص بالخطاب فقال : ﴿ و ترى الفلك ﴾ ، أى السفن تسمى^٨ فلكا لدروانه و سفينة لقشره^٩ الماء ، و قدم الظرف لأنه أشد دلالة على ذلك فقال : ﴿ فيه ﴾ أى كل منهما غاطسة إلا قليلا منها . و لما تم الكلام ، ذكر حالها المثلل بالابتغاء فقال : ﴿ مواخر ﴾

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ذلك الاخراج و توجدون ، و وقعت العبارة في الأصل قل « من الملح » (٢) في معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢٤٦ (٣) زيد من المعالم (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فانصى روحاه - كذا (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الاصل (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كل شيء (٧) زيد في م : انه (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل و م : سمي (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل و م : لقهره .

أى جوارى مستدبرة الريح شاقة للماء خارقة للهواء بصدرها هذه مقبلة
وهذه مدبرة وجهها إلى ظهر هذه بريح واحدة؛ قال البخارى فى باب
التجارة فى البحر^١ : وقال مجاهد : تمخر^٢ السفن الريح ، و " لا تمخر الريح "
من السفن إلا الفلك العظيم ؛ وقال صاحب القاموس : مخرت السفينة كمنع
مخرا ومخورا^٣ : جرت أو استقبلت الريح فى جريتها ، والفلك المواخر
التي يسمع صوت جريها أو تشق الماء بمجآشها^٤ أو المقبلة و المدبرة بريح
واحدة . وفى الحديث : إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح ، وفى لفظ :
استمخروا الريح ، أى اجعلوا ظهوركم إلى الريح فانه^٥ إذا ولاها شقها
بظهره فأخذت عن يمينه و يساره ، وقد يكون استقبالها تمخرا^٦ غير أنه
١٠ فى الحديث استدبار^٧ - انتهى كلام القاموس . ثم علق بالخر معللا قوله :

(اتبتغوا) أى تطلبوا طلبا شديدا . ولما تقدم الاسم الأعظم فى
الآية قبلها ، أعاد الضمير عليه ليعلم شدة ارتباط هذه الآية / بالتي قبلها
فقال : (من فعله) أى الله بالتوصل بذلك إلى البلاد الشاسعة للتاجر
و غيرها ولو جعلها ساكنة لم يترتب عليها ذلك ، وفى سورة الجاثية
١٥ ما ينفع هنا (ولعلكم تشكرون) أى [و-] لتكون حالكم بهذه

/ ٣٢٠

(١) راحم من صحيحه ٢٧٧/١ (٢) من الصحيح ، وفى الأصول : مخر (٣-٣) من
ظ و م و مد و الصحيح ، وفى الأصل : لا يتمخر (٤) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : مخر (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، وفى الأصل : بإجاجيها .
(٦) فى القاموس : كأنه (٧) من القاموس ، وفى الأصول : مخر (٨) من م
و مد و القاموس ، وفى الأصل وظ : استدبار (٨) زيد من ظ و م و مد .

النعيم

النعم الدالة على عظيم قدرة الله و لطفه حال من يرجي شكره .
ولما ذكر سبحانه اختلاف الذوات الدال على بديع صنعه، أتبعه
تغييره المعاني آية^١ على بليغ قدرته، فقال في موضع الحال من^٢ فاعل
"خلقكم" إشارة إلى أن الله تعالى صور آدم حين خلق الأرض قبل
أن يكون ليل أو نهار^٣ ثم نفخ فيه الروح آخر يوم الجمعة بعد أن خلق^٤
النور يوم الأربعاء، فلم يأت على الإنسان حين من الدهر وهو مقدار
حركة الفلك إلا وهو شيء مذكور: ﴿يولج﴾ أى يدخل على سبيل
الجولان ﴿الليل في النهار﴾ فيصير الظلام ضياء .

١؛ ولما كان هذا الفعل في غاية الإعجاب، و كان لكثرة تكراره
قد صار مألوفا ففعل عما فيه من الدلالة على تمام القدرة: نبه عليه ١٠
بإعادة الفعل فقال: ﴿و يولج النهار في الليل﴾ فيصير ما كان ضياء
ظلاما . و تارة يكون التوالج بقصر هذا و طول هذا، فدل كل ذلك
على أنه تعالى فاعل بالاختيار .

ولما ذكر الملوين ذكر ما ينشأ عنهما فقال: ﴿وسخر الشمس والقمر زملي﴾
ثم استأنف قوله: ﴿كل﴾ أى منهم ﴿يجرى﴾ ولما كان مقصود ١٥
السورة تمام القدرة، و السياق هنا لقصر المتناورات على [ما - ١] يزيد،

(١) من م و مد، وفي الأصل و ظ: انه (٢) زيد في الأصل: موضع، ولم
تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفها (٣-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
ليلا او نهارا (٤-٤) سقط ما بين الرقيين من م (٥) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: التواع (٦) زيد من ظ و م و مد .

ولذلك ختم الآية بالملك الناظر إلى القصر والقهر لم يصلح لهذا الموضع
حرف الغاية فقال : ﴿ لاجل ﴾ أى لاجل أجل ﴿ مسمى ﴾ مضروب
له لا يقدر أن يتعداه ، فإذا جاء ذلك الاجل ' غرب ، هكذا كل يوم إلى
أن يأتى الاجل الأعظم ، فيختل جميع هذا النظام بأمر الملك العلام .
٥ و يقيم الناس ليوم الزحام ، و تكون الأمور العظام .

ولما دل سبحانه على أنه الفاعل المختار القادر على كل ما يريد
بما يشاهده كل أحد في نفسه وفي غيره ، [وختم - ٢] بما تتكرر
مشاهدته في كل يوم مرتين ، أتج ذلك قطعاً قوله معظماً بأداة البعد
وميم الجمع : ﴿ ذلكم ﴾ أى العالى المقدار الذى فعل هذه الأفعال كلها
١٠ ﴿ الله ﴾ أى الذى له كل صفة كمال : ثم نبههم على أنه لا مدبر لهم
سواه بخبر آخر بقوله : ﴿ ربكم ﴾ أى الموجد لكم من العدم المربى بجميع
النعم لا رب لكم سواه ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الملك ﴾
أى كله وهو مالك كل شيء ﴿ والذين تدعون ﴾ أى دعاء عادة ،
ثم بين منزلتهم بقوله : ﴿ من دونه ﴾ أى [من - ٢] الأصنام وغيرها
١٥ وكل شيء فهو دونه سبحانه ﴿ ما يملكون ﴾ أى فى هذا الحال الذى
تدعونهم فيه و كل حال يصح أن يقال فيه لكم هذا الكلام ؛ وأغرق فى
النفي فقال : ﴿ من قطمير ﴾ وهو كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما :
(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اليوم (٢) سقط من ظ و م و مد .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقنين من م .
(٦) فى م : الذين .

لفافة النواة^١، وهى القشرة الرقيقة الملتفة عليها، كناية عن أدنى الأشياء، فكيف بما فوقه^٢ وليس لهم شيء من الملك، فالآية من الاحتباك: ذكر الملك أولا دليلا على حذف ثانيا، والملك ثانيا دليلا على حذف أولا^٣: ثم بين ذلك بقوله: (ان تدعوم) أى المعبودات من دونه دعاء عبادة أو استغاثة (لا يسمعون) أى بحس السمع فى وقت من الاوقات (دعاهم) لأنهم جماد (ولو سمعوا) فى المستقبل (ما استجابوا لكم^٤) لأنهم إذ ذاك يعلمون أن إجابتهم لا ترضى الله، وهم بما أبى أن يحمل الأمانة ويخون فيها بالعمل بغير ما يرضى الله / سبحانه، أو يكون المعنى: ولو فرض أنه يوجد لهم سمع، أو ولو كانوا سامعين - ليدخل فيه من عبد من الأحياء - ما لزم من السماع إجابة، ١٠ لأنه لا ملازمة بين السمع والنطق، [ولا بين السمع والنطق -] مع القدرة على ما يراد من السامع^٥، فإن البهائم تسمع وتجب، والمحييون غيره^٦ يحبون ولا قدرة لهم على أكثر ما يطلب منهم .

ولما ذكر ما [هو على سبيل القرض، ذكر ما -] يصير إليه بينهم وبينهم الأمر فقال: (ويوم القيمة) أى حين ينطقهم الله^٧ ١٥

(١) نسبه البخارى إلى مجاهد - راجع ٧٠٩ / ٢ من صحيحه (٢-٢) - سقط ما بين الرقين من ظ (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: لم يوجد (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: السامع (٦-٦) من م ومد، وفى الأصل: المحنون غيرهم، وفى ظ: المحيون غيرهم (٧) زيد من ظ و م ومد . (٨) سقط من ظ .

(يكفرون بشرككم) أى يسكرونه ويتبرؤن منه . ولما كان التقدير :
 قد أنبأكم بذلك الخير ، وكانوا لا يقرون بذلك ولا يفهمونه حق فهمه
 ولا يعملون به ، صرف الخطاب عنهم إلى من له الفهم التام والطاعة
 الكاملة ، فقال عاطفا على هذا الذى هدى إلى تقديره السياق : (ولا يثبتك)
 ٥ أى إنباء بليغا عظيما على هذا الوجه بشئ من الأشياء (مثل خير)
 أى بالغ الخبر ، فلا يمكن الطعن فى شئ مما أخبر به ، وأما غيره
 فلا يخبر خبرا ' إلا يوجه إليه نقص .

ولما اختص سبحانه بالملك ونفى عن شركائهم النفع ، أتج ذلك
 قوله : (بآياها الناس) أى كافة (اتم) أى خاصة (الفقراء) أى
 ١٠ لأنكم لاتساع معارفكم وسريان أفكاركم وانتشار عقولكم تكثر
 نوازعكم وتفرق دواعيكم ، فيعظم احتياجكم لشدة ضعفكم وعجزكم عظاما يعد معه
 احتياج غيركم عدما ، ولو نكر الخبر لم يفد هذا المعنى (الى الله) أى
 الذى له جميع الملك ؛ قال القشيري : والفقر على ضربين : فقر خلقه ،
 وفقر صفة ، فالأول عام فكل حادث مفقر إلى خالقه فى أول حال
 ١٥ وجوده ليديه وينشيه ، وفى ثانيه ليدته ويقيه ، وأما فقر الصفة فهو
 التجرد . فقفر العوام التجرد من المال ، وفقر الخواص التجرد من
 (١) من ظ وم د ، وفى الأصل وم : لا يعلمون (٢) من ظ وم د ، وفى
 الأصل : مخبر (٣) من ظ وم د ، وفى الأصل : سيران (٤) من ظ
 وم وم د ، وفى الأصل : دواعيكم (٥) من ظ وم د ، وفى الأصل :
 صنعة (٦) من ظ وم د ، وفى الأصل : وجوه .

الإعلال، حقيقة الفقر انعمود تجرد السر عن المعلولات^١.

ولما ذكر العبد بوصفه الحقيقي، أتبعه ذكر [الخالق باسمه الأعظم على قرب العهد بذكر الإشارة إلى الجهة التي بها وصف بما يذكر، وهي الإحاطة بأوصاف -'] الكمال فقال: (والله هو) أي وحده (الغنى) أي^٢ الذي لا يتصور أن يحتاج [لا -'] إليكم ولا إلى عبادتكم ولا إلى هـ شيء أصلا. ولما كان الغنى من الخلق لا يبع غناه من يقصده، وإن وسعهم لم يسعهم عطاؤه لخوف الفقر أو لغير ذلك من العوارض، ولا يمكنه عموم النعمة في شيء من الأشياء، فلا ينفك عن نوع ذم، وكان الحمد كما قال الحرالي في شرح الأسماء: [حسن -'] الكلية بانهاء كل أمر و جزء، و بعض منها إلى غاية تمامه^٣، ففي نقص جزء ١٠ من كل عن غاية تمامه^٤ لم يكن ذلك الكل محمودا، ولم يكن قائمه حميدا، وكان الله قد خلق كل شيء كما ينبغي، لم يجعل شيئا عن إناه^٥ وقدره، وكان الذم استنقضا يلحق بعض الأجزاء عند من لم يرها في كلها ولا رأى كلها، فكان الذم لذلك لا يقع إلا متقيدا متى أخذ مقتطعا من كل، والحمد لا يقع إلا في كل لم يخرج عنه شيء، فلا حمد في بعض ولا ذم ١٥ في كل، ولا حمد إلا في كل. ولذلك قال الغزالي: الحميد من العباد من حمدت عوائده وأخلاقه وأعماله كلها من غير مشوية. وكان سبحانه

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: المعلومات (٢) زيد من ظ وم ومد.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تمامه (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: إياه.

قد أفاض نعمه على خلقه ، وأسبغها ظاهرة و باطنة ، وجعل لهم قدرة
على تناولها ، لا يعوق عنه إلا قدرته ” وما كان عطاء ربك محظورا “
و كان لا ينقص ما عنده ، كان إعطاؤه^١ حمدا ومنحه حمدا ، لأنه لا يكون

مانعا لغرض / بل لحكمة تدق عن الأفكار فقال : (الحميدة) أى
كل شيء بنعمته عنده والمستحق للحمد بذاته ، فأتج ذلك قطعا

تهديدا لمن عصاه وتحذيرا شديدا : (ان يشا يذهبكم) أى جميعا
(ويات بخلق جديد) أى غيركم لأنه على كل شيء قدير (وما ذلك)
أى الأمر العظيم من الإذهاب و الإتيان (على الله) المحيط بجميع
صفات الكمال [خاصة -^٢] (بعززه) أى بمتع ولا شاق ، وهو

١٠ محمود عند الإعدام كما هو محمود عند الإيجاد .

ولما أنهى سبحانه بيان الحق بالدلائل القاطعة و البراهين الساطعة
بالتهديد بالآخذ ، و كان الآخذ على وجه التهديد عقابا ، و كان العقاب
لا يكون حكمه إلا عند الذنب ، قال دالا على أنه لا ينفك أحد عما

يستحق به العقاب : (ولا) أى يذهبكم عقوبة لكم بأوزاركم و قدرة
١٥ عليكم و الحال أنه [لا -^٣] (تزر) أى تحمل يوم القيامة أو عند
الإذهاب ، و لما لم تكن نفس متأهلة للحمل تخلو عن وزر تحمله ، والمعصوم

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عطاؤه (٢) فى ظ : قال (٣) زيد فى

ظ : أى (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقعين من ظ (٦) زيد

من ظ و م و مد .

من عصم الله، قال : ﴿وازره﴾ دون نفس، أى لا تحمل حاملة من جهة الإثم ﴿وزر﴾ أى حمل و ثقل ﴿اخرى﴾ لتعذب به، بل كل واحد منكم له بما كسبت يده ما تقوم به عليه الحجة فى الاخذ مباشرة و تسيا مسع تفاوتكم فى الوزر، و لا يحمل أحد إلا ما اقترفه هو، لا تؤخذ نفس بذنب أخرى الذى يخصها كما تفعل جارية الدنيا . ٥
ولما أثبت أنه لا يؤخذ أحد إلا بوزر، و نفي أن يحمل أحد وزر غيره، و كان ربما أوم أن ذلك خاص ببعض الأحوال أو الأشخاص، و كان عظم الوزر يوجب عظم الاخذ، نفي ذلك الإيهام* و دل على القدرة على المفاوطة بينهم فى الاجر و إن كان أخذهم فى آن واحد بقوله :
﴿ و ان تدع ﴾ أى نفس ﴿مثقلة ﴾ أى بالذنوب سواء كانت كفرا ١٠
أو غيره، أحدا ﴿ الى حملها ﴾ أى الخاص بها من الذنوب التى ليست على غيرها بمباشرة و لا تسبب ليخفف عنها فيخفف عنها العذاب بسبب خفته ﴿لا يحمل﴾ [أى - ٦] من حامل ما ﴿منه شيء﴾ أى لا طوعية و لا كرها. بل لكل امرئ شأن يغنيه أصلا و تسيا ﴿ولو كان﴾
ذلك الداعى أو المدعو للحمل ﴿ذاقربى﴾ لمن دعاه، و حاصل الأولى ١٥
أنه لا يهلك أحد بذنب غيره بل بذنب نفسه، و الثانية^٢ أنه لا يحيط عن أحد ذنبه ليسلم .

(١) فى ظ : من (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لا تؤخذ (م) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لا يؤخذ (٤) فى ظ : اخرى (٥) فى م و مد : الابهام .
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الثانى .

ولما كان هذا أمرا - مع كونه جليا - خالعا للقلوب ، فكان
بحيث يشتد تعجب السامع من يسمعه ولا يخشى ، فقال مزيلا لهذا العجب
على سبيل النتيجة : ﴿ انما تنذر ﴾ أى إنذارا ' يفيد الرجوع عن الغي' ،
فلاختصاصهم بالنفع كانوا كأنهم مختصون بالإنذار ، وهو كما قال
القشيري : الإعلام بموضع المخافة . ﴿ الذين يخشون ﴾ أى يوقعون هذا
الفعل في الحال و يواظبون عليه في الاستقبال . ولما كان أعقل الناس
من خاف المحسن لأن أقل عقابه قطع إحسانه قال : ﴿ ربهم ﴾ .

ولما كان أوفى الناس عقلا وأعلام همة وأكرمهم عنصرا
من كانت غيته مثل حضوره ، وكان لا يحتاج - مع قول الداعي وما
يظهر له من سمته وحسن قوله وفعله - إلى آية * يظهرها ولاخارعة
يبرزها ، وإنما إيمانه تصديقا للداعي في إخباره بالامر المغيب من غير
كشف غطاء قال : ﴿ بالغيب ﴾ أى حال كونهم غائبين عما دعوا إليه
وخوفوا به ، أو حال كونه غائبا عنهم أو غائبين عنهم يمكن مراآته ،
فهم مخلصون في خشيتهم سواء بحيث لا يطلع عليهم إلا الله ، ولا نعلم
أحدا وازى خديجة / والصدیق رضی الله عنهما في ذلك . ولما كانت

/ ٣٢٣

(١) في ظ : انذار (م) زيد في الأصل : عقاب ، ولم تكن الزيادة في ظ و م
ومد فخذناها (م) زيد في الأصل : غيبة ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد
فخذناها (ع) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : مثال (ه) من ظ و م ومد ،
وفي الأصل : انه (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : لا يعلم .

الصلاة

الصلاة جامعة لخضوع الظاهر و الباطن . فكانت أشرف العبادات ، وكانت إقامتها بمعنى حفظ ' جميع حدودها في كل حال أدل الطاعات على الإخلاص ، قال معبرا بالماضي لأن مواقيت الصلاة مضبوطة : ﴿ واقاموا ﴾ أي دليلا على خشيتهم ^٢ ﴿ الصلوة ^{*} ﴾ ^٢ في أوقاتها الخمسة و ما يتبع ذلك من السنن ^٢ .

و لما كان التقدير : فمن كان على غير ذلك تدسى ، و من كان على هذا فقد تزكى ، و من تدسى فانما يتدسى على نفسه ، عطف عليه قوله ، مشيرا بأداة التفعّل إلى أن النفس أميل ' شيء إلى الدنس ، فلا تنقاد إلى أحسن تقويم إلا باجتهاد عظيم . ﴿ و من تزكى ﴾ أي تطهر و تكثر بهذه المحاسن . و لما كان الإنسان ليفيده بالأسباب القرينة قد يفغل عن أن ١٠ هذا تقع له و خاص به أكده فقال : ﴿ فانما يتركى لنفسه ﴾ فانه لا يضر و لا ينفع في الحقيقة غيرها ﴿ و الى الله ﴾ الذى يكشف عن جميع صفاته آم كشف محتمله العقول يوم البعث لا إلى غيره ﴿ المصير ﴾ كما كان منه المبدأ فيجازى كلا على فعله فينصف بينك و بين من خشى ^١ ربه بانذارك و من أعرض عن ذلك .

١٥

و لما كان التقدير : فما يستوى في الطبع و العقل المتدسى ^١ الذى هو أعمى بعصيانته في الطلبات و لا المتزكى الذى هو بطاعاته بصير في

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحفظ (٢-٢) سقط ما بين الرقین من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقین من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصل (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقع (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخشى (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للتدسى .

النور و إن استويا في الإنسانية، عطف عليه ما يصلح أمثلة للتدسي
و المتزكى و ما يكون به التدسية و التزكية، دلالة على تمام قدرته الذى
السياق له من أول السورة، و تقريراً لأن الخشية و القسوة بيده إبطالا
لقول من يستند الأمور إلى الطوائع قوله : ﴿ و ما يستوى ﴾ أى فى
حالة من الأحوال . و لما كان المقام لوعظ المشركين، و كان المتدسى
قبل المتزكى على ما قرر قبله، ناسب أن ينظم على هذا الترتيب قوله مثلاً
للكافر و المؤمن و الجاهل [و العالم، و قدم مثال الجاهل - '] لأن
الأصل عند الإرسال الجهل : ﴿ الاعمى و البصير ﴾ أى لا الصنفان
ولا أفرادهما . لا أفراد صنف منهما، و أغنى عن إعادة التافى ظهور المفاوطة
١٠ بين أفراد كل صنف من الصنفين، فالمعنى أن الناس غير مستويين فى العمى
و البصر^٢ بل بعضهم أعمى و بعضهم بصير، لأن افتعل هنا لمعنى تفاعل،
و لعله عبر به دلالة على النقي^٣ و لو وقع اجتهد^٤ فى أن لا يقع، أو دلالة
على [ان - '] المنفى إنما هو التساوى من كل جهة، لا فى أصل المعنى
و لو كان ذلك مستنداً إلى الطبع لكانوا على منهاج واحد [بل - ']
١٥ و أفراد كل متفاوت^٥ فتجد بعض العمى يمشى بلا قائد فى الأزقة
المشكلة، و آخر لا يقدر على المشى فى بيته إلا بقائد، و آخر يدرك
من الكتاب إذا جسده كم مسطرته من سطر، و هل خطه حسن أو لا،
(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : البصير.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المنفى (٤) فى ظ : اجتهدا (هـ) من ظ
و م و مد، و فى الأصل : متفاوت .

و آخر يدرك الدرهم الزيف من غيره ، ويميز ضرب كل بلد من غيره ،
وربما نازعه أحد مغالطة فلا يقبل التشكيك ، و آخر في غاية البعد عن
ذلك ، و أما البصراء فالأمر فيهم واضح في المفاوطة في أبصارهم وبصائرهم ،
و كل ذلك دليل واضح على أن الفاعل قادر مختار يزيد في الخلق ما
يشاء ، و إلا لتساوت الأفراد فكانوا على منهاج واحد . ٥

و لما كان هذا من أغرب الأمور و إن غفل عنه لكثرة إلفه ، نبه
على غرابته و مزيد ظهور القدرة فيه بتكرير / النافي^٢ في أشباهه^٣ و على أن
البصر لا ينفذ إلا في الظلمة ، تنبيها على أن المعاصي تظلم قلب المؤمن
و إن كان بصيرا ، و قدم الظلمة لأنها أشد إظهارا لتفاوت البصر مع
المناسبة للسياق على ما قرر ، فقال في عطف الزوج على الزوج و عطف ١٠
الفرد على الفرد جامعا تنبيها على أن طروق الضلال يتعذر حصرها :
(ولا الظلمت)^٤ التي هي مثال للأباطيل ؛ و أكد بتكرير النافي كالذي
قبله لأن المفاوطة بين أفراد الظلمة و أفراد النور خفية ، فقال منبها على
أن طريق الحق واحدة تكذيبا لمن قال من الزنادقة : الطرق^٥ إلى الله^٦
بعدد أنفاس الخلائق : (ولا النور)^٧ الذي^٨ هو مثال للحق ، فما أبدعهما ١٥
على هذا التضاد إلا الله تعالى الفاعل المختار ، و فاوت^٩ بين أفراد النور

(١) بين سطرى م : أى عدم استواء فى العمى و البصر (٢) من ظ و م
و مد ، و فى الأصل : الفاء - خطأ (٣) بين سطرى م : أى فى العمى و البصر .
(٤) زيد فى ظ : اى (هـ-هـ) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : اى (٧) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فوات .

نظم الدرر (سورة فاطر ٣٥ : ٢١ و ٢٢) ج - ١٦

و أفراد الظلة، فما يشبه نور الشمس نور القمر ولا شيء منها نور
غيرهما من النجوم^١ ولا شيء من^٢ ذلك نور السراج - إلى غير ذلك
من الأنوار، وإذا اعتبرت أفراد الظلمات وجدتها كذلك، فإن الظلمات
إنما هي ظلال، وبعض الظلال أكثف من بعض.

٥ ولما كان الظلام ينشأ عن الظلال، وهو نسخ النور، قدمه فقال
مقدما مثال الخير لأن الرحمة سبقت الغضب: ﴿ولا الظل﴾ أى ببرده^٣ الذى
هو مرجع المؤمن فى الآخرة ﴿ولا الحرور﴾ أى بوجهها، وهى مرجع
الكافر، قال البغوى^٤: قال ابن عباس رضى الله عنها: هى الرح الحارة
بالليل، وكذا قال فى القاموس وزاد: وقد يكون بالنهار وحر الشمس
١٠ و الحر الدائم و النار، فاتنقى حكم الطبائع قطعاً.

ولما كان المظهر لذلك كله الحياة، قدمها فقال مثالا آخر للمؤمنين،
ولذلك أعاد الفعل وهو فوق التمثيل بالأعمى^١ والبصير، لأن الأعمى^٢
يشارك البصير فى بعض الإدراكات، وصار للمؤمن والكافر مثالان ليفيد
الأول نقي استواء الجنس بالجنس مع القبول للحكم على الأفراد، والثانى
١٥ بالعكس وهو للنقى فى الأفراد مع القبول للجنس: ﴿وما يستوى الأحياء﴾
أى لأن منهم الناطق والأعجم، والذكى والغبي، والسهل والصعب،
(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: البحور (٢) زيد فى الأصل و م: غير،
ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل:
يبرزه (٤) راجع معالم التنزيل ٥ / ٢٤٧ (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل و م:
للمؤمن (٦-٦) سقط ما بين الرقین من ظ.

نظم المورد (الجزء الثاني والعشرون) ج - ١٦

فلا يكاد يتساوى حيان في جميع الحلال^١ (ولا الاموات^٢) أى^٣ الذين هم
مثال للكافرين في صعوبة الموت وسهولته والبلبلى وغيره مما يخفى ولا يقر
به الكفار من الشقاوة والسعادة .

ولما كان ما ذكر على هذا الوجه - من^٤ وضوح الدلالة^٥ على الفعل
بالاختيار وعلى ضلال من أشرك به شيئا لأنه لا يشابهه شيء - بمكان ه
ليس معه خفاء، ومن الأحكام بحيث لا يدانيه كلام يعجب السامع من
أبابه، فقال مزيلا بحجبه مقرا^٦ أن الخشية والقسوة إنما هما بيده،
وأن الإنذار إنما هو [لمن - °] قضى باتفاقه . مسلما إليه صلى الله
عليه وسلم ، مؤكدا ردا على من يرى لغيره سبحانه فعلا من خير أو شر :
(إن الله) أى القادر على المفاوطة بين هذه^٧ الأشياء وعلى كل شيء ١٠
بما له من الإحاطة بصفات الكمال ، وعبر بالفعل إشارة إلى^٨ القدرة على
ذلك فى كل وقت أرادته سبحانه فقال : (يسمع من يشاء ج) أى فهدية
ولو لم يكن له قابلية فى العادة كالجادات ، ويصم من يشاء فيعمي ويتركه
ويردئه من أحياء القلوب والأرواح ، وأموات المعاني والأشباح ،
والمعنى [أن - °] إسماعهم^٩ لو كان مستندا إلى الطبائع لاستووا إما بالإجابة ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الحلائق (٢) سقط من ظ و م و مد .
(٣ - ٢) من ظ و م و مد . وفى الأصل : رضوع الدلائل (٤) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : مقرا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : هذا (٧) زيد فى الأصل و ظ : أن ، ولم تكن الزيادة فى م
و مد فحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل . ولم تكن فى ظ و م
و مد فحذفناها .

أو الإعراض / لأن نسبة الدعوة وإظهار المعجزة إليهم على حد سواء،

فآية تقرير [آية ٢] "انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب"

ولما كان المعرض قد ساوى الميت في حاله التي هي عدم الانتفاع

بما يرى و يسمع من الخوارق، فكان كأنه ميت، قال معبرا بالاسمية

هـ تنيها على عدم إثبات^٢ ذلك له صلى الله عليه وسلم: ﴿وما انت﴾

أى بنفسك من غير إقدار الله لك، وأغرق في النفي فقال: ﴿بسمع﴾

أى بوجه من الوجوه^٤ ﴿من في القبور﴾ [أى - ٢] الحسية والمعنوية،

إسماعا ينفعهم بل الله يسمعهم إن شاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات،

و الآية دليل على البحث .

١٠ ولما كان هذا خاصة الإله، أشار إلى نفيه عنه مقتصرا على وصف

الندارة. إشارة إلى أن أغلب الخلق موتى للقلوب، فقال مؤكدا للرد

على من يظن أن النذير يقدر على هداية أو غيرها إلا بأقداره: ﴿ان﴾

أى ما ﴿انت الا نذره﴾ [أى - ٢] تنبه القلوب الميتة بقوارع الإنذار،

ولست بوكيل يقهرهم على الإيمان .

١٥ ولما كان صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، وكان الاختصار على

هذا الوصف ربما أوهم غير ذلك. أتبعه قوله "يانا لعظمتي صلى الله"

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفي

الأصل: نبات (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ (ه-ه) سقط ما بين الرقين

من م .

عليه

(١٠)

٤٠

عليه وسلم بالالتفات إلى مظهر العظمة لأن عظمة الرسول من عظمة المرسل فذارته رحمة: (أنا) أى بما لنا من العظمة (أرسلتك) أى إلى هذه الأمة إرسالاً مصحوباً (بالحق) أى الأمر الكامل فى الثبات الذى يطابقه الواقع، فان من نظر إلى كثرة ما أوتيته من الدلائل علم مطابقة الواقع لما تأمر به، والتقدير [بالمصدر -^٢] يفهم أن الرسالة هـ حق، وكلا من المرسل والرسول محق (بشيراً) أى لمن أطاع (ونذيراً^٤) أى لمن عصى، والعطف بالواو للدلالة على العروة فى كل من الصفتين .

ولما كان بما يسهل القياد ويضعف الجراح^٢ التأسيه، قال مؤكداً دفعا لاستبعاد الإرسال إلى جميع الأمم: (وان) أى والحال أنه ١٠ ما (من أمة) من^١ الأمم الماضية (الا خلا فيها نذير هـ) أرسلناه إليهم بشيراً ونذيراً إما بنفسه وإما بما أتى فى أعقابهم من شرائعه من أقواله وأفعاله ورسومه مع ما لهم من العقول الشاهدة بذلك، والنذارة دالة على البشارة، واقتصر عليها لأنها هى التى تقع بها التسلية لما فيها من المشقة، ولأن^١ من الانبياء الماضين عليهم السلام من تمحضت دعوته للنذارة ١٥ لأنه [لم -^٧] ينتفع أحد ببشارته لعدم اتباع أحد منهم له^{هـ} .

(١-١) سقط ما بين الرقين من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الجماع (٤) فى ظ: من (٥ - ٥) من م و مد، وفى الأصل وظ: أفعاله وأقواله (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: ان . (٧) زيد من ظ و مد (٨) العبارة من « ولأن » إلى هنا ساقطة من م .

ولما كان صلى الله عليه وسلم شديد الأسف على إibatهم رحمة لهم
و خوفاً من أن يكون ذلك لتقصير في حاله، وكان التقدير: فإن
يصدقك فهو حظهم^١ في الدنيا والآخرة، عطف عليه تأسية له وتسلية
قوله: (وان يكذبوك فقد) أى قتل لانه قد (كذب الذين) ولما
كان المكذبون بعض الناس، فلزم لذلك أن يكونوا^٢ في بعض الزمان،
دل على ذلك بالجار فقال: (من قبلهم ج) أى ما اتهم به رسلم
عن الله .

ولما كان قبول الرسل لما جاءهم عن الله ونفى التقصير في الإبلاغ
عنهم دالا على علو شأنهم وسفول أمر المكذبين من الأمم، وكل
١٠ ذلك دالا على [تمام - *] قدرة الله تعالى في المفاوطة بين الخلق، قال
دالا على أمرى العلو والسفول استثناءً جواباً لمن كأنه قال: هل كان
تكذيبهم عنادا أو لنقص في^٣ البيان: (جاءتهم) أى الأمم الخالية
(رسلم بالبينت) أى الآيات الواضحات^٤ في الدلالة على صحة الرسالة .
ولما كان التصديق بالكتاب / لازماً لكل من بلغه [أمره - '] ،
١٥ وكانت نسبة التكذيب إلى جميع الأمم أمراً معجبا، كان الأمر حريا
بالتأكيد لثلا يظن أنهم ما كذبوا إلا لعدم الكتاب، فأكد باعادة الجار

/ ٣٢٦

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: حفظهم (٢) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: لقوله (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يكون (٤) سقط من ظ .
(٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « في البيان » ساقطة من م .
(٧) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٨) في ظ : الواضحات (٩) زيد من ظ
وم و مد .

فقال : (وبالزبر) أى الأمور المكتوبة من الصحف ونحوها من السنن والأسرار (وبالكُتب) أى جنس الكتاب كالنوراة والإنجيل (المنيرة) أى الواضح فى نفسه الموضح لطريق الخير والشر كما أنك أتيت قومك بمثل ذلك وإن كان طريقك أوضح وأظهر ، وكتابك أنور وأبهر وأظهر وأشهر .

و لما سلاه ، هدد من خالفه وعصاه بما فعل فى تلك الأمم فقال ، [صارفا القول إلى الأفراد دفعا لكل إيس - ٢] ، مشيرا بأداة التراخي إلى أن طول الإمهال ينبغي أن يكون سببا للإمالة لا للاعتراض بظن الإمهال : (ثم اخذت) أى بأنواع الأخذ (الذين كفروا) أى ستروا تلك الآيات المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم ودعائهم لهم . ١٠
و لما كان أخذ من قص أخباره منهم عند العرب شهيرا ، وكان على وجوه من النكال معجبة ، سبب عنه السؤال بقوله : (فكيف كان نكيرى) أى إنكارى عليهم ، أى أنه إنكار يحجب السؤال عن كيفية لهوله وعظمه ، والمعنى كما قال القشيري : واثن أصروا على سنتهم فى الغي فلن تجد لسنننا تبديلا فى الانتقام والخزى . ١٥

و لما كان من أغرب الأشياء الدالة على تمام القدرة الدال على الوحدة أن يكون شئ واحد سببا لسمعة قوم وهدامهم ، وشقاوة قوم و ضلالهم وعمامهم* ، وكان ذلك ، أمرا دقيقا وخطبا جليلا ، لا يفهمه (١) فى ظ : كانت (٢) زيد من ظ ومد (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ ؛ الدالة (٤ - ٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : شيئا واحدا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقنين من م .

حق فهمه إلا أعلى الخلائق، ذكر المخاطب بهذا الذكر ما يشاهد من آيته، فقال على طريق الاستخبار لوصول المخاطب إلى رتبة أولى الفهم بما ساق من ذلك سبحانه على طريق الإخبار في قوله "الله الذي أرسل الرياح" [ولقت القول إلى الاسم الأعظم دلالة على عظمة ما في حيزه - ٢] : (الم تر أن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (أنزل من السماء) أى التى لا يصعد إليها الماء ولا يستمسك عن الهبوط منها فى غير أوقاته إلا بقدره باهرة لا يعجزها شيء (ماء) أى لا [شيء - ٢] يشابهه فى مائته بعضه لبعض، فلا قدرة لغيره سبحانه على تمييز شيء منه إلى ما يصلح لشيء دون آخر .

١٠ ولما كان هذا أمراً فائتاً لقوى العقول، نبه عليه بالالتفات إلى مظهر العظمة فقال : (فاخرجنا) [أى - ٢] بما لنا من العظمة (به) أى الماء من الأرض (ثمرة) أى متعددة الأنواع (مختلفا ألوانها) أى ألوان أنواعها وأصنافها وميائنها وطبائعها، فالذى قدر على المفارقة بينها وهى من ماء واحد لا يستبعد عليه أن ١٥ يجعل الدلائل بالكتاب وغيره نورا لشخص وعمى لآخر .

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : تمييزه (٥) زيد فى الأصل : شيء، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٦) زيد فى الأصل : ماء، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل : القدرة .

ولما ذكر تنوع^١ ما عن الماء وقدمه لأنه الأصل في التلوين^٢ كما
أنه الأصل في التكوين، أتبعه التلوين عن التراب الذى هو أيضا شئ
واحد، فقال ذاكرًا ما هو أصلب الأرض وأبعدها^٣ عن قابلية التأثر
وقطعه عن الأول لأن الماء لا تأثير له فيه: (ومن) ^٤ أى وما خلقنا
من (الجال جدد) أى طرائق^٥ وعلامات وخطوط متقاطعة
(بيض وحمرة) ولعله عبر عنها بذلك دون طرق إشارة إلى أن من
غرائبها أنها لا تتخلق ولا تضمحل ألوانها على طول الأزمان كما هو العادة
في غالب ما يتقدم عهده، والجد بالفتح، والجدة بالكسر، والجدد
بالتحريك: وجه الأرض، وجمعه جدد كسرر، والجددة بالضم: الطريقة
والعلامة والخط في ظهر الحمار يخالف لونه وجمعه جدد كغدة وغدد
وعدة وعدد ومدة ومدد، والجدد / محركة: ما أشرف من الرمل
وشبه السلعة بعنق البعير، والأرض الغليظة المستوية، والجدجد بالفتح:
الأرض المستوية .

ولما كان أبلغ من ذلك أن تلك الطرق في أنفسها غير متساوية
المواضع في ذلك اللون الذى تلونت به، قال تعالى دالا على^٦ أن كلا
من هذين اللونين لم يبلغ الغاية^٧ في الخلوص: (مختلف ألوانها) وهى
(١) من ظ ومد، وفى الأصل وم: نبوع (٢) فى ظ: التكوين (٣) من ظ
وم ومد، وفى الأصل: أبعدها (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من م
ومد، وفى الأصل وظ: طريق (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: عن .
(٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الغرابة .

من الأرض وهى واحدة . ولما قدم ما كان مستغربا فى ألوان الأرض
لأنه على غير لونها الأصل ، أتبعه ما هو أقرب إلى الغربة التى هى أصل
لونها . ولما كانت 'مادة' "غرب" تدور على الخفاء الذى يلزمه الغموض^١
أخذنا من غروب الشمس ، ويلزم منه السواد ، ولذلك يؤكد الأسود
هـ بغريب مبالغة الغرب كفرح أى^٢ الأسود للمبالغة فى سواده ، وكان
المقصود الوصف بغاية السواد مخالفة^٣ لغيره ، قال تعالى عاطفا على يرض :
(و غرايب) أى من الجدد^٤ أيضا (سوده) قدم التأكيد لدلالة السياق
على أن أصل العبارة^٥ "وسود غرايب سود" فأضمر الأول ليتقدم
على المؤكد لأنه تابع ، ودل عليه بالثانى ليكون مبالغا فى تأكيده غاية
١٠ المبالغة بالإظهار^٦ بعد الإضمار ، وهو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما :
[أشد -^٧] سواد الغريب - رواه عنه البخارى ، لأن السودا الخالص
فى الأرض ، مستغرب ، ومنه ما يصيغ به الثياب ليس معه غيره ،
فتصير فى غاية السواد ، وذلك فى مدينة فوة ومسيرة^٨ غيرهما مما داناها
من بلاد مصر .

١٥ 'ولما أكد هذا بما دل على خلوصه ، قدم ذكر الاختلاف عليه^٩ ،

(١) فى ظ : كان (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الغرض (٣) سقط من
ظ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مخالفا (٥) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : الجود (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : العبادة (٧) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : و الاظهار (٨) زيد من ظ و م و مد و صحیح البخارى
٧٠٩ / ٢ (٩-٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سيرد (١٠ - ١٠) سقط ما
بين الرقيين من ظ .

ولما ذكر تعالى ما الأغلب فيه الماء^١ مما استحال إلى آخر بعيد من الماء، وأتبعه التراب الصرف، ختم بما الأغلب فيه التراب مما استحال إلى ما [هو في -^٢] غاية البعد من التراب فقال: ﴿ ومن الناس ﴾ أى المتحركين بالفعل والاختيار ﴿ والدواب ﴾ ولما كانت الدابة فى الأصل لما دب على الأرض، ثم غلب إطلاقه على ما يركب قال: هـ ﴿ و الانعام ﴾ ليعم الكل صريحا ﴿ مختلف الوانه ﴾ أى ألوان ذلك [البعض -^٣] الذى أفهمته "من" ﴿ كذلك ﴾ أى مثل الثمار والأراضى فمنه ما هو ذو لون واحد، ومنه ما هو ذو ألوان مع أن كل ما ذكر فهو من^٤ الأراضى متجانس^٥ الأعيان مختلف الأوصاف، ونسبته إليها [و إلى السماء -^٦] "واحدة فأين" حكم الطبائع .

١٠

ولما ثبت بهذا البرهان أنه سبحانه فاعل بالاختيار، فهو يفعل فيما يشاء ومن يشاء ما يشاء، فيجعل الشيء الواحد لقوم نورا ولقوم عمى، وكان ذلك مرغبا فى خدمته^٧ مرهبا من سطوته^٨ سبحانه وتعالى وتقدس^٩ لكل ذى لب، وكان السياق لإنداز من يخشى بالغيب، فثبت أن الإنذار بهذا القرآن يكون لقوم أراد الله خشيتهم حشية، ولقوم أراد الله قسوتهم ١٥

- (١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فى (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مجانس (٥-هـ) من ظ و م و مد، وفى الأصل: وحدة قل من - مصحفا .
 (٦) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد لحذفها .
 (٧-٧) ليس ما بين الرقعين فى ظ و م و مد .

قسوة، التفتت النفس إلى طلب قانون يعرف به من يخشى و من لا يخشى، فقال على سبيل الاستتاج من ذلك، دفعا لظن من يحسب أنه يمكن أن يكون ولي جاهلا: ﴿انما يخشى الله﴾ أى الذى له جميع الكمال، ولا كمال لغيره إلا منه، و دل على أن كل ما سواه فى قبضته و تحت قهره بقوله: ﴿من عباده﴾ ثم ذكر محط الفائدة و هو من ينفع إنذاره فقال: ﴿الملتزموا﴾ أى لا سواهم و إن كانوا عبادا و إن بلغت عبادتهم ما عسى أن تبلغ، لأنه لا يخشى أحد أحدا إلا مع معرفته، ولا يعرفه جاهل، فصار المعنى / كأنه قيل: إنما ينفع الإنذار أهل الخشية، و إنما يخشى العلماء، و العالم هو الفقيه العامل بعلمه، [قال السهروردى فى الباب الثالث ١٠ من عوارفه: فيتنى العلم عن لا يخشى الله، كما إذا قال: إنما يدخل الدار بغدادى، فيتنى دخول غير البغدادى الدار - ٢] - هذا معنى القراءة المشهورة.

/ ٣٢٨

ولما كان سبب الخشية التعظيم و الإجلال، و كان كل أحد لا يحل إلا من أجله، و كان قد ثبت أن العلماء يحلون الله، و كان [سبب - ٢] ١٥ إجلالهم له إجلاله لهم، كان هذا معنى القراءة [الأخرى - ٢]، فكان كأنه قيل: إنما ينفع الإنذار من يحل الله فأنه يحله لعلمه، و سئل شيخنا محقق زمانه قاضى الشافعية بمصر محمد بن على القايانى عن توجيه هذه القراءة فأطرق يسيرا ثم رفع رأسه فقال:

أهابك إجلالا و ما بك قدرة على ولكن ملي عين حبيها

(١) فى ظ: فانه (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمن من ظ (٥) من ظ و مد و مد، وفى الأصل: المقاتلى (٦) من ظ و مد و مد، وفى الأصل: عن.

ولما

(١٢)

٤٨

ولما ثبت بهذا السياق أنه سبحانه فاعل هذه الأشياء المتضادة باختياره، علل ذلك ليفيد أن قدرته على كل ما يريد^١ كقدرته عليه بقوله على سبيل التأكيد تنبيها على أنه سبحانه لا يعسر عليه شيء وأنه أهل لأن يخشى [ولذلك أظهر الاسم الأعظم -^٢] : (ان الله) أى المحيط بالجلال والإكرام (عزيز) أى غالب على جميع أمره . ولما كان هذا مرهبا من سطوته موجبا لحشيته لإفهامه أنه يمنع الذين [لا-^٣] يخشون من رحمته، رغبتهم بقوله^٤ : (غفوره) فى أنه يمحو ذنوب^٥ من يريد منهم فيقبل بقلبه إليه وهو أيضا من معاني العزة .

ولما تقرر هذا، تشوف السامع إلى معرفة العلماء فكان كأنه قيل : هم [الذين -^٦] يحافظون على كتاب الله علما وعملا، فقيل : فما لهم ؟ فقال ١٠ مؤكدا تكديما لمن يظن من الكفار وغيرهم من العصاة أنهم من الخاسرين بما ضيعوا من عاجل دنياهم : (ان الذين يتلون) أى يحددون التلاوة كل وقت مستمرين على ذلك يحافظين عليه كلما نزل من القرآن شيء . وبعد كمال نزوله حتى يكون ذلك ديدنهم وشأنهم بفهم وبغير فهم (كتب الله) أى الذى لا ينبغي لمعاقل أن يقبل على غيره لما له من ١٥ صفات الجمال والجلال . ولما ذكر السبب الذى لاسبب^٧ يعادله ،

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل : ان (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل : يريد (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد من ظ و م ومد (هـ-هـ) من ظ و م ومد، وفى الأصل : رحمة ربهم (٦) فى ظ و م ومد : ذنب (٧) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفناها .

ذكر أحسن ما يربط به، فقال دالا على المداومة بالتعبير بالإقامة وعلى تحقيق الفعل بالتعبير بالماضي: ﴿ و اقاموا الصلوة ﴾ أى وهى الناهية عن الفحشاء والمنكر فاجوا الله فيها بكلامه . ولما ذكر الوصلة بينهم وبين الخالق، ذكر إحسانهم إلى الخلائق، فقال [دالا على إيقاع الفعل بالتعبير بالماضي، وعلى الدوام بالسر والعن لافنا القول إلى مظهر العظمة تنبيها على أن الرزق منه وحده، لا يحول أحد غيره ولا غيره - ١] : ﴿ و انفقوا مما رزقنهم ﴾ أى يحولنا وقوتنا لاشئ من أمرهم فى جميع ما يرضينا، ودل على مواظبتهم على الإنفاق وإن أدى إلى فساد المال^٢ بقوله: ﴿ سرا و علانية ﴾ و عبر فى الاول بالمضارع لأن إنزالها كان قبل التمام وتصريحا بتكرار التلاوة تعبدا و دراسة لأن القرآن كما قال النبى صلى الله عليه وسلم أشد تفلنا من الإبل فى عقلها^٣ - أخرجه مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، وفى الثانى والثالث بالماضى حثا على المبادرة إلى الفعل، وقد تحصل من هذا أنه جعل لفعل القلب الذى هو الخشية دليلا باللسان وآخر بالآركان وثالثا بالأموال .

١٥ ولما أحلهم بالمحل الأعلى معرفا أنهم أهل العلم الذين يخشون الله، وكان العبد لا يجب له على سيده شئ، قال منبها على نعمة الإبقاء الثانى تنبى هى أم نعم و النتيجة العظمى المقصودة^٤ بالذات: ﴿ يرجون ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ماله (٣) من ظ و م و مد و صحيح مسلم ٢٦٨/١، وفى الأصل: عقلا (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المقصود .

في الدنيا والآخرة (تجارة) أي بما عملوا (لن تبور لا) أي تكسب
وتهلك بل^١ هي باقية، لأنها دفعت إلى من لاتضيع لديه الودائع
/ وهي رابحة رابحة، لكونه تام القدرة شامل العلم له الغنى المطلق .
ولما كان المراد بعدم هلاكها حفظها و بقاءها إلى يوم لقائه، علله

٣٢٩ /

بقوله، [مقتصرا على الضمير لأن السياق للمؤمنين، ولذا لفته إلى ضمير ه
الغنية لأن إيمانهم بالغيب -^٢] (ليوفيههم) : (أي -^٣) لتفاتها عنده سبحانه
في الدنيا إن أراد^٤ أو في الآخرة أو فيهما^٥ (اجورهم) أي على تلك
الاعمال (ويزيدهم) أي على ما جعله [بمنه ويمنه حقاً لهم عليها -^٦]
(من فضله^٧) أي زيادة ليس لهم فيها تسبب أصلاً، بل هي بعد ما
منّ عليهم بما قابل أعمالهم به بما يعرفون أنه جزاؤها مضاعفاً للواحد
عشرة إلى ما فوق . ولما كانت أعمالهم لاتنفك عن شائبة ما، وإن
خلصت فلم يكن ثوابها لأنها من منه سبحانه مستحقاً، علل توفيتهم لها
بقوله مؤكداً إعلالاً بأنه^٨ لايسع الناس إلا عفوه لأنه لن يقدر الله
أحد حق قدره وإن اجتهد، ولو واخذ^٩ أعبد العباد بما يقع من^{١٠} تقصيره
أهلكه^{١١} (انه غفور) أي بمحو النقص عن العمل (شكور ه) (أي -^{١٢}) ١٥

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : بان (٢) زيد ما بين الحازرين من ظ
ومد (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ و م ومد، وفي الأصل : عنه .
(٥-٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل : وفي الأرض أو فيها (٦) زيد من
ظ و م ومد (٧) في ظ : لأنه (٨-٨) من ظ و مد، وفي الأصل : الناس ،
وفي م : أعبد الناس (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و م ومد، وفي
الأصل : تقصيرهم أهلكهم .

يقبله و يزيد عليه .

ولما كانت ترجمة الآية أن العلماء هم حملة الكتاب ، وبدأ سبحانه بأدنى درجاتهم ، وكان ذلك بما يرغب في الكتاب ، أتبعه ترغيباً هو أعلى منه ، فقال عاطفاً على قوله في تقرير الأصل الثاني الذي هو الرسالة ٥ "أنا" أرسلتك بالحق ، وأكدته دفعا لتكذيب المكذبين به : (والذي أوحيت) أي بما لنا من العظمة (إليك) وبين قدره بمظهر العظمة وقال ميّناً للوحي : (من الكتب) أي الجامع لخيري الدارين . ولما كان الكتاب لا يطرقة^٢ نوع من أنواع التغير^٣ لأنه صفة من لا يتغير قال : (هو الحق) أي الكامل في الثبات ومطابقة الواقع له لا غيره^٤ ١٠ من الكلام : وأكد حقيقته بقوله : (مصدقا لما بين يديه^٥) أي من الكتب الماضية الآتي لها الرسل الداعون إلى الله المؤيدون بالبراهين^٦ الساطعة والأدلة القاطعة .

ولما دل سبحانه على أن العلم هو الحقيقة الثابتة ، وما عداه فهو محو وباطل ، ودل على أن التالين لكتابه الذي هو العلم هم العلماء ، ١٥ وغيرهم وإن كانوا موجودين فهم بالمعدومين أشبه . ودل على أن الكتب الماضية وإن كانت حقاً^٧ لكنها ليست في كمال القرآن ، لأن الأمر

(١) ونسخة م من هنا ساقطة إلى ما سننبه عليه (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : لا يطرقة (٤) من ظ و مد ، وفي الأصل : التغير (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : غير (٦) زيد بعده في الأصل : الزاهرة ، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها .

مادام لم يحتم فالزيادة متوقعة فيه بخلاف 'ما إذا' وقع الحتم فانه لا يكون بعده
زيادة ترتقب^٢، وكان ربما تراهى لاحد في بعض المتصفين^٣ بذلك غير
ذلك^٤، قال تعالى إعلاما بأن العبرة بما عنده لا بما يظهر للعباد، وأكد
تنبيها على أن هذا المعنى مما تعقد عليه الخناصر وإن تراهى^٥ لاكثر الناس
خلافه، [أظهر الاسم الاعظم لحاجة المخبرين هنا إليه لأنهم البر والفاجر-^٦] : ه
(إن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال . ولما كان [الإنسان-^٧]
أعلم بمن^٨ يريه ولا سيما إن كان مالكا له قال : (بعباده لخير) أى
عالم أدق العلم وأتقنه يواطن أحوالهم (بصيره) أى بطواهر أمورهم
و بواطنها [أى-^٩] فهو يسكن الخشية والعلم القلوب على قدر ما أوتوا
من^{١٠} الكتاب فى علمه وتلاوته وإن تراهى لهم^{١١} خلاف ذلك، فأتت
أحقهم بالكمال لأنك أخشاهم وأتقاهم، فلذلك آتيناك هذا الكتاب،
فأخشاهم بعدك أحقهم بعلمه .

ولما كان معنى الوصفين : فتحن نيسر لتلاوة كتابنا من يكون قابلا

للعلم الذى هو عمود الخشية بما تعلمه منه بتجربنا^{١٢} وبصرنا، وكان الذى

ضم / إلى التلاوة الفهم فى الذروة العليا من العلم ، قال عطفا على هذا الذى ١٥ / ٣٠

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : ماذا (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :

ترقب (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : المتضعفين (٤) زيد فى ظ : كما (٥) من

مد ، وفى الأصل و ظ : ترى (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، وفى

الأصل : بما (٨) زيد فى الأصل : العلوم ومن ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد

لحذفها (٩) فى ظ و مد : لكم (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : بغير .

أرشد السياق إلى تقديره مشيراً بأداة الجدة إلى علو رتبة أهل هذا القسم،
 وهم هذه الأمة الامية على اختلاف مراتب إرثهم مع تراخي إرثهم
 عن قبلهم، [صارفاً القول إلى مظهر العظمة لاقتضاء الحال لها في نزع
 شيء من قوم وإثباته لآخرين -] : (ثم أورثنا) أى ملكنا بعظمتنا
 ملكاً تاماً وأعطينا عطاء لا رجوع فيه، وعبر في غير هذه الأمة
 بقوله "ورثوا الكتب" فانظر فرق ما بين العبارتين تعرف الفرق
 بين المقامين، ويجوز أن يكون التقدير بعد أوحينا إليك : وأورثناك
 ثم أورثناه، ولكنه أظهر دلالة على الوصف تنديها على تنهاى جمعه
 للكتب الماضية، وإعلاماً بأن 'من' في "أوحينا إليك من" للبيان
 ١٠ فقال: (الكتب) أى القرآن - باتفاق المفسرين، قاله الاصفهاني -
 الجامع لكل كتاب أنزلنا، فهو أم لكل خير، وقال ابن عباس كما
 نقله ابن الجوزي: إن الله أورث أمة محمد كل كتاب أنزله
 (الذين اصطفينا) أى فعلنا في اختيارهم فعل من يجتهد في ذلك
 (من عبادنا) أى أخلصناهم لنا وهم بنو إسماعيل ومن تبعهم، يعنى
 ١٥ أمة محمد صلى الله عليه وسلم - نقله البغوي^١ عن ابن عباس رضى الله عنهما،
 ونقل [عن -] ابن جرير^٢ أنه قال: الإرث: انتقال شيء من قوم
 إلى قوم، فثم هنا للترتيب، لأن إيتاء^٣ هذه^٤ الأمة متراخ^٥ عن إيتاء

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: عن (٣) زيد في ظ :
 ما (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: أورثنا (٥) سقط من ظ (٦) راجع معالم
 التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢٤٨ (٧) راجع من تفسيره ٢٢ / ٨٠ (٨) من مد،
 وفي الأصل وظ : اتيان (٩-٩) من ظ و مد، وفي الأصل: الآية متأخر.

الأمم و نقله إليهم بعد إبطال تلك الأديان، و نسخ تلك الكتب إلاثما
واقى القرآن، فغنى الإرث أنه نزع تلك الكتب من الأمم النافقة
و أعطاهما لهذه الأمة على الوجه الذي رضى لها، و هذا الإرث للجموع
لا يقتضى الاختصاص بمن يحفظ جميع القرآن بل [يشمل من ٢] يحفظ
منه جزءا ولو أنه الفاتحة فقط، فإن الصحابة رضوان الله تعالى أجمعين ه
لم يكن كل واحد منهم يحفظ جميع القرآن ونحن على القطع
بأنهم مصطفون .

و لما كان أكثر الناس لا ينفك عن تقصير كثير لما جبل الإنسان
عليه من النقصان، فكان من فيه ذلك يخرج نفسه من هذا القسم، قال
معرفة له بمقداره مؤسلا به بما فتح له من أنواره مستجلبا له إلى حضرة ١٠
قدسه و ممدن أسرارهم مقسما أهل هذا القسم و هم أهل الفهم إلى ثلاثة
أقسام مقدما الأدنى لأنهم الأكثر و ثلاثا يحصل اليأس، و يصدع القلوب
خوف اليأس : (فمنهم) أى فتسبب عن إيماننا لهم أن كان منهم كما
هو مشاهد (ظالم لنفسه ج) أى بالتفريط و التهاون في توفية الحق لما
يقتضيه حاله من العمل غير متوق للكبار، و هذا القسم هم أكثر الوراث ١٥
و هم المرجئون لأمر الله .

و لما كان ترك الإنسان للظلم في غاية الصعوبة، نه على ذلك بصيغة
الافتعال فقال : (و منهم مقتصد ج) أى متوسط في العمل غير باذل
(١) في ظ : رضيته (٢) من ظ و مد، و في الأصل : عن (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) سقط من ظ .

جميع الجهد إلا أنه مجتنب^١ للكِبَار فهو مكفر عنه الصغار، وهم الذين
 خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً (ومنهم سابق بالخير^٢) أى العبادات
 وجميع^٣ أنواع القربات، موف^٤ للاقام الذى أقيم به حقه كلما ازداد قرباً
 ازداد عملاً، لا يكون سابقاً إلا وهو هكذا، وهم السابقون الأولون من
 المهاجرين والأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان، ويؤيد هذا قول الحسن^٥ :
 السابق من رجحت حسنة^٦، ° والمقتصد من استوت حسنة^٧ / و سيئاته،
 والظالم من رجحت سيئاته . و ختم بالسابقين لأنهم الخلاصة، وليكونوا
 أقرب إلى الجنات، كما قدم الصوامع فى سورة الحج لتكون أقرب إلى
 الهدم و آخر^٨ المساجد لتقارب^٩ الذكر، و قدم فى التوبة السابقين عقيب^{١٠}
 ١٠. أهل القربات من الأعراب و آخر المرجئين و عقبهم بأهل مسجد الضرار،
 و قدم سبحانه فى الأحزاب المسلمين و رقى الخطاب درجة درجة إلى
 الذاكرين الله^{١١} كثيراً، فهو سبحانه تارة [يبدأ - '] بالآدنى و تارة
 بالأعلى بحسب ما يقتضيه الحال كما هو مذكور فى هذا الكتاب فى
 محاله، و هذا 'على تقدير' عود الضمير فى " منهم " على " الذين "
 ١٥ لا على " العباد " و هو مع تأيده بالمشاهدة و ان السياق لأن أهل العلم

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: مجتهد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط
 من ظ (٤) ذكر قوله هذا فى معالم التنزيل بهامش الباب ٢٤٩/٥ (٥-٥) سقط
 ما بين الرتئين من ظ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: اخراب (٧) من ظ
 و مد، وفى الأصل: لتقارن (٨) فى ظ و مد: عقب (٩) زيد من ظ و مد.
 (١٠-١٠) من مد، وفى الأصل: تقرير، وفى ظ: على.

- هم التالون لكتاب الله مؤيد^١ بأحاديث لا تقصر - وإن كانت ضعيفة -
 عن الصلاحية لتقوية ذلك ، فنها^٢ ما رواه البغوى^٣ بسنده عن ابن
 الخطاب رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية على المنبر وقال : قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم : سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له .
 وبسنده عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 قرأ هذه الآية وقال : أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب ،
 وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ، وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام
 حتى يدخله الله ثم يدخل^٤ الجنة - ثم قرأ ” الحمد لله الذى اذهب عنا
 الحزن “ . وروى بغير إسناد^٥ عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلهم من هذه الأمة . وقال ابن
 الجوزى بعد أن ذكر حديث عمر رضى الله عنه بغير سند : وروى
 الترمذى^٦ عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فى هذه الآية [قال - ^٧] : كلهم فى الجنة . وروى حديث
 أبي الدرداء رضى الله عنه الحافظ ابن عساكر فى الكنى من تاريخ دمشق
 فى ترجمة أخى زياد أو^٨ أبى زياد . وأما على عود الضمير على العباد ١٥
-
- (١) من مد ، وفى الأصل وظ : يريد (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل :
 ومنها (٣) راجع المعالم بهامش الباب ٥ / ٢٤٨ (٤) من مد والمعالم ، وفى
 الأصل وظ : سابق (٥) من مد والمعالم ، وفى الأصل وظ : يدخله (٦) فى
 ظ ومد : سند (٧) راجع من جامعه ١٥٥ / ٢ (٨) زيد من ظ ومد والجامع .
 (٩) من مد ، وفى الأصل وظ « و » .

فقال ابن عباس^١ رضى الله عنهما: السابق المؤمن المخلص^٢، و المقتصد المرائى، و الظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد [لها - ^٣]، و قال قتادة^٤:
الظالم أصحاب المشأمة، و المقتصد أصحاب الميمنة، و السابقون المقربون .
و لما كان هذا ليس فى قوة العبد فى مجارى العادات، و لا يؤخذ
٥ بالكسب و الاجتهادات، أشار إلى عظمتة بقوله: ﴿ باذن الله ^٥ ﴾ أى
بتمكين من له القدرة التامة و العظمة العامة و الفعل بالاختيار و جميع
صفات الكمال و تسهيله و تيسيره لثلا يأمن أحد مكره تعالى، قال الرازى
فى اللوامع: ثم من السابقين من يبلغ محل القرية فيستغرق فى وحدانيته،
و هو الفرد الذى امتز فى ذكره - انتهى . ثم زاد عظمة هذا
١٠ الامر يانا^٦، فقال مؤكدا تكذيبا لظنون الجاهلين لأن السابق كلما علا
مقامه فى السبق قل حظه من الدنيا، فرأى الجاهلون أنه مضيع لنفسه:
﴿ ذلك ﴾ أى السبق^٧ أو إراث الكتاب ﴿ هو ﴾ مشيرا بأداة [البعد - ^٨]
مخصصا بضمير الفصل ﴿ الفضل الكبير ^٩ ﴾ .

و لما ذكر تعالى أحوالهم، بين جزاءهم و مآلهم، فقال مستأنفا

١٥ / ٣٣٢ جوابا لمن سأل عن ذلك: ﴿ جنت ﴾ أى هى مسية / عن سبب^{١٠}

السبق الذى هو الفضل، و يصح كونها بدلا من الفضل لأنه سيها،

(١) ذكر قوله النبوى فى معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢٤٨ (٢) من ظ

ومد و المعالم، و فى الأصل: الخالص (٣) زيد من المعالم (٤) زيد فى ظ ومد:

و تأكيد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: السابق (٦) زيد من ظ ومد.

(٧) من ظ و مد، و فى الاصل: سبق .

فكان كأنه هو الثواب ﴿ عدن ﴾ أى إقامة بلا رحيل لأنه لا سبب للرحيل عنها ﴿ يدخلونها ﴾ أى الثلاثة أصناف، و من دخلها لم يخرج منها لأنه لا شئ يخرجها ولا هو يريد الخروج على أن الضمير له الذين، و من قال له عبادنا، خص الدخول بالمقتصد و السابق - هذا على قراءة الجماعة^١ بفتح الياء و ضم الحاء، و على قراءة أبي عمرو بالبناء للفعل^٢ يكون الضمير للسابق فقط، لأنهم يكونون^٣ فى وقت [الحساب -^٤] على كشبان المسك و منابر النور فيستطيون مكانهم، فاذا دعوا إلى الجنة أبطأوا فيساقون إليها كما فى آخر الزمر .

و لما كان الداخل إلى مكان أول ما ينظر إلى ما فيه من النفائس قال : ﴿ يحلّون فيها ﴾ أى يلبسون على سبيل التزين و التحلى^{١٠} ﴿ من اساور ﴾ و لما كان اللابهايم ثم البيان مزيد روعة للنفس، و كان مقصود السورة إثبات القدرة الكاملة لإثبات أتم الإبقاءين؛ شوق إلى الطاعة الموصلة إليه بأفضل ما نعرف من الحلية، فقال مينا لنوع الاساور : ﴿ من ذهب و لؤلؤا^{١١} ﴾ و لما كانت لا تليق إلا على اللباس الفاخر، قال^{١٢} معرفا أنهم حين الدخول يكونون لابسين : ﴿ و لباسهم فيها حرير^{١٣} ﴾ . ١٥

و لما كان المقتصد و السابق يحزنون لكآلمهم و شدة شفقتهم على الظالم إذا قوصص^{١٤}، جمع فقال معبرا بالماضى تحقيقا له^{١٥} : ﴿ وقالوا ﴾ أى

- (١) راجع نثر المرجان ٥ / ٣٠ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يكون .
 (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : إلى الإبقاء من - كذا .
 (٥) زيد فى الأصل : معمر قال ذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
 (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : قو - كذا (٧) سقط من ظ .

عند دخولهم : ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ [أى - ١]
الذى له تمام القدرة ﴿ الذى اذهب ﴾ أى بدخولنا هذا ﴿ عنا الحزن ﴾ أى
هذا النوع بكآله ، فلا نحزن على شيء كان قاتنا ، ولا يكون لنا حزن
أبدا لأننا صرنا فى دار لا يفوت فيها شيء أصلا ولا يفنى .

٥ ولما كانوا عالمين بما اجتروحوه من الزلات أو الهفوات أو الغفلات
التي لولا الكرم لادتهم إلى النار ، عللوا ما صاروا إليه معها بقولهم ،
مؤكدین إعلاما بما عندهم من السرور بالغفو عن ذنوبهم ، وأن ما
أكدوه حقيق بأن يتغالى فى تأكيده لما رأوا من صحته وجنوا من
حلو ثمرته : ﴿ ان ربنا ﴾ أى المحسن إلينا مع إساءتنا ﴿ لغفور ﴾ أى
١٠ محاء للذنوب عينا وآثرا للصنفين الأولين ﴿ شكور ﴾ أى على ما وهبه
للعبد من حسن طاعته ووقفه له من الأعمال [الحسنة - ١] لجعله به
سابقا ، ثم وصفوه بما هو شكر له فقالوا : ﴿ الذى احلنا دار المقامة ﴾
أى الإقامة ومكانها وزمانها التي لا يريد النازل [بها - ١] - على كثرة
التازلين بها - ارتحالا منها ، ولا يراد به ذلك ، ولا شيء فيها يزول
١٥ فيؤسف^١ عليه . وكان المالك المطلق لا يجب عليه شيء ، ولا استحقاق
لملوكه^٢ عليه بوجه^٣ قال : ﴿ من فضله ﴾ أى بلا عمل منا فان حسناتنا
إنما كانت منا منه سبحانه ، لو لم يبعثنا عليها وبيسرنا لنا لما كانت .

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ «و» (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : فى .
(٤ - ٤) فى ظ ومد : فيها شيء (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : فيسوف .
(٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : قوله (٧-٧) فى ظ ومد : بوجه عليه .

ولما تذكروا ما شاهدوه^١ في عرصات القيامة من تلك الكروب
والأهوال ، والانكاد والانتقال ، التي أشار إليها قوله تعالى "وان
تدع مثقلة الى حملها" الآية ، استأنفوا قولهم في وصف دار القرار :
(لا يمينا) أى فى وقت من الاوقات (فيها نصب) أى نصب
بدن ولا وجع^٢ ولا شيء^٣ (ولا يمينا فيها لغوب^٤) أى كلال وتعب^٥
و إعياء وقور نفس من شيء من الأشياء ، قال / أبوحيان : وهو
لازم عن تعب البدن . فهى الجديرة لعمري بأن يقال فيها :

علينا لاتنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

ولما بين ما هم فيه من النعمة ، بين ما لأعدائهم من النعمة ، زيادة
في سرورهم بما قاسوه في الدنيا من تكبرهم عليهم وفجورهم فقال : ١٠
(والذين كفروا) أى ستروا ما دلت عليه عقولهم من شمس الآيات
و أنوار الدلالات (لهم نار جهنم ج) أى بما تجهموا أولياء الله الدعاة
إليهم . ولما كانت عادة النار إهلاك من دخلها بسرعة ، بين أن حالها
على غير ذلك زيادة فى نكالهم وسوء مآلهم فقال مستأنفا : (لا يقضى)
أى لا يحكم وينفذ ويثبت من حاكم ما (عليهم) أى يموت (فيموتوا) ١٥
أى فيتسبب عن القضاء موتهم ، وإذا راجعت ما مضى فى سورة سبحان من

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : شاء (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل :
بقوله (٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و مد (٤) راجع البحر المحيط

نظم الدرر (سورة فاطر ٣٥: ٢٦ و ٢٧) ج - ١٦

قوله "فلا يملكون كشف الضر عنكم" وما يأتي إن شاء الله تعالى في
المرسلات من قوله "ولا يؤذن لهم فيعتذرون" علمت سر وجوب
النصب هنا لأنه لو رفع لكان المعنى أن موتهم ينبغي إن قضى عليهم
أو لم يقض، وذلك محال.

٥ ولما كانت الشدائد في الدنيا تفرج وإن طال أمدھا قال:
(ولا يخفف عنهم) وأغرق في النقي بقوله: (من عذابها) أي
جهنم. ولما كان ربما توهم متوهم أن هذا العذاب خاص بالذين كانوا
في عصره صلى الله عليه وسلم من الكفار قال: (كذلك) أي مثل
هذا الجزاء العظيم (نجزي) أي بما لنا من العظمة - على قراءة الجماعة
١٠ بالنون (كل كفور^١) أي به صلى الله عليه وسلم أو بغيره من الأنبياء
عليهم السلام وإن لم نره، لأن ثبوت المعجزة يستوى فيها السمع
والبصر، وبنى أبو عمرو الفعل للفعل^٢ إشارة إلى سهولته وتيسره
ورفع "كل".

ولما بين عذابهم بين اكسابهم فقال: (وهم) أي فعل ذلك
١٥ بهم والحال أنهم (يضطرخون فيها) أي يوجدون الصراخ فيها بقاية
ما يقدرون عليه^٣ من الجهد في الصياح بالبكاء والنواح. ولما بين ذلك
بين قولهم في اضطراخهم بقوله: (ربنا) أي يقولون: أيها المحسن
إلينا (أخرجنا) أي من النار (نعمل صالحا) ثم أكدوه وفسروه

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: وجود (٢) راجع نثر المرجان ٥/ ٣٥٠ (٣) من
ظ ومد، وفي الأصل: عليهم (٤) سقط من ظ.

و ينوه بقولهم على سبيل التحسر و الاعتراف بالخطأ او لأنهم كانوا
يظنون عملهم صالحا (غير الذى كنا) أى بغاية جهدنا (نعمل)
فتركوا الترقق و العمل على حسبه فى وقت نفعه و استعمالوه عند فواته
فلم ينفعهم ، بل قيل فى جوابهم تقريراً لهم و 'توبيخاً و تقرّيعاً: (او لم)
أى ألم تكونوا فى دار العمل متمكنين من ذلك بالعقول و القوى ؟ أو لم
(نعملكم) أى نطل أعماركم مع إعطائنا لكم العقول و لم نعاملكم بالأخذ
(ما) أى زماناً (يتذكر فيه) و ما يشمل كل عمر يتمكن فيه
المسكف من إصلاح شأنه غير أن التوبيخ فى الطويل أعظم ، [و أشار
بمظهر العظمة إلى أنه لا مطلق بغيره سبحانه فى مد العمر - ٢] .

و لما كان التفكير بعد البعث غير نافع لأنه بعد كشف الغطاء ، ١٠
عبر بالماضى فقال : (من تذكر) إعلاماً بأنه قد ختم على ديوان
المتذكرين ، فلا يزداد فيهم أحد . و الزمان المشار إليه قيل : إنه ستون
سنة - قاله ابن عباس^٢ رضى الله عنهما ، [و بوب له البخارى فى أوائل
الرقاق من غير عزو إلى أحد - ٢] ، و روى أحمد بن منيع عن أبى
هريرة^٣ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من عمره [الله - ٢] ١٥

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع معالم التنزيل
بهامش الباب ٢٠٠/٥ (٤) فى مد : أول (٥) وأخرجه أيضاً البغوى من طريق
عبد الواحد المليح عن أبى هريرة مع بعض المفارقات - راجع المعالم بهامش
الباب ٢٠٠/٥ .

ستين سنة قدداً أعذر الله^٢ إليه في^٣ العمر . و روى الترمذى^٤ و ابن ماجه^٥
و أبو يعلى عن أبي هريرة / أيضاً رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه
و سلم أنه قال : أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين . و أهلهم من
يجوز ذلك .

٥ و لما أشار إلى دليل العقل ابتداء و دواما ، أشار إلى أدلة النقل
المنته على ما قصر عنه العقل ، فقال معبرا بالماضي تصريحاً بالمقصود
عظماً على معنى : أو لم نعلمكم الذى هو قد عمرناكم : (و جاءكم النذير)
أى عنى من^٦ الرسل و الكتب تأييدا للعقول بالدليل المعقول .
و لما تسبب عن ذلك أن عذابهم لا ينفك قال : (فذوقوا) أى
١٠ ما أعددت لهم من العذاب دائما أبدا . و لما كانت العادة جارية بأن
من آيس من خصمه فزع إلى الاستغاثة عليه ، تسبب عن ذلك قوله :
(فإني) و كان الأصل : لكم ، ولكنه أظهر تعليقاً للحكم بالوصف للتعميم
فقال : (للظلمين) أى الواضعين الأشياء فى غير مواضعها (من نصير)
أى يعينهم و يقوى أيديهم ، فلا براح لكم عن^٧ هذا الذواق ، و هذا
١٥ عام فى كل ظالم . فان من ثبت له نصر عليه لأن ظلمه فى كل يوم
يضعف و يهن^٨ و الحق فى كل^٩ حين يقوى و يضحكم .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى
الأصل : إلى (٣) راجع أبواب الدعوات من جامعه (٤) راجع أبواب الزهد
من سنته (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٦) من ظ و مد ، و فى
الأصل : من (٧) من مد ، و فى الأصل : يمين (٨) العبارة من « ظالم فان » إلى
هنا ساقطة من ظ .

ولما كان سبحانه عالما بما نفي و ما أثبت ، علل ذلك مقررا سبب
دوام عذابهم وأنه بقدر كفرانهم كما قال تعالى " وجزاء سيئة سيئة
مثلها " بقوله مؤكدا إشارة إلى أنه لا يجب تمرين النفس عليه لما له من
الصعوبة لو قوف النفس مع المحسوسات : (ان الله) أى الذى أحاط
بكل شيء قدرة و علما (علم غيب) ولما كانت جهة العلو أعرق في ه
الغيب قال : (السموات والارض) فأتى ذلك قوله مؤكدا لأنه من
أعجب الغيب لأنه كثيرا ما يخفى على الإنسان ما في نفسه و الله تعالى
عالم به ، أو هو تعليل لما قبله : (انه عليم) أى بالبلغ العلم
(بذات الصدور) أى قبل أن يعلمها أربابها حين تكون غيبا محضا ،
فهو يعلم أنكم لو مدت أعماركم لم ترجعوا عن الكفر أبدا ، ولو رددتم ١٠
لعدتم لما نهيتم عنه . و أنه لا مطلق في صلاحكم ، ولذلك يأمر الملك أن
يكتب عند نفخ الروح في الولد انه إما شقي أو سعيد قبل أن يكون
له خاطر اصلا ، وربما كان في غاية ما يكون من الإقبال على الخير
فعلا ونية ، ثم يختم له بشر ، وربما كان على خلاف ذلك في [غاية - ٧]
الفساد ، لا يدع شركا ولا غيره من المعاصي حتى يرتكبها وهو عند الله ١٥
سعيد لما يعلم من نيته بعد ذلك حين يقبل بقلبه عليه فيختم له [بخير - ٧]

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : مقدر (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل :
لا يجب (٣-٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : هو أعلم (٤-٤) من ظ و مد ،
وفي الأصل : مدة (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل :
في (٧) زيد من ظ و مد .

من رايها فقال: ﴿ في الارض ﴾ أى فيما أنتم فيه منها لا غيره تصرفون فيه بما قدرتم عليه، و لو شاء لم يصرفكم فيه، فمن حقه أن يشكروه و لا تكفروه .

و لما ثبت أن ذلك نعمة منه، عمرهم فيه مدة يتذكر فيه من تذكر، تسبب عنه قوله: ﴿ فمن كفر ﴾ أى بعد علمه بأن الله هو الذى يمكنه لا غيره، و احتقر هذه النعمة السنية ﴿ فعليه ﴾ [أى خاصة - ١] ﴿ كفره ﴾ أى ضرره . و لما كان كون الشيء على الشيء محتملا لأمور، بين حاله بقوله مؤكدا لأجل من يتوهم أن بسط الدنيا على الفاجر ربح و إكرام من الله له ﴿ و لا ﴾ أى ٢ و الحال أنه لا ﴿ يزيد الكافرين ﴾ أى المغطين للحق ﴿ كفرهم ﴾ أى الذى هم متلبسون به ظانون أنه يسعدهم ١٠ [و هم راسخون فيه غير متمكنين عنه، و لذا لم يقل: لا يزيد من كفر لأنه قد يكون كفره غير راسخ فيسلم - ١] ﴿ عند ربهم ﴾ أى المحسن إليهم ﴿ الا مقتاة ﴾ أى لأنه يعاملهم معاملة من يبغض: و يحتقر أشد بغض و احتقار .

و لما كان المراد من هذه الصفات فى حق الله تعالى غاياتها، و كان ١٥ ذكرها إنما هو تصوير لها بأفطع صورها لزيادة التفسير من أسبابها، و كانوا ينكحون نساء الآباء مع أنهم يسمونه نكاح المقت، نبه على أنهم لا يبالون بالتمقت إلى المحسن، فقال ذاكرنا للغاية مينا أن محط نظرهم (١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: شيء (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يسمونه .

الخسارة المالية^١ تسفيلاً لهمهم^٢ زيادة في تويخهم^٣ : (ولا يزيد الكافرين)
 أى العريقين في صفة التغطية للحق (كفرهم الا خساراه) أى في الدنيا
 و الآخرة في المال و النفس^٤ و هو نهاية ما يفعله الماقت بالمعقوت .

و لما بين [أنه -^٥] سبحانه هو الذى استخلفهم ، أكد يان ذلك
 ٥ . عدم بأمره صلى الله عليه و سلم بما يضطرم إلى الاعتراف به فقال :
 (قل اريدتم) أى أخبروني (شركاءكم) أضافهم إليهم لأنهم و إن
 كانوا جعلوهم شركاءه^٦ لم ينالوا شيئاً من شركته لأنهم ما نقصوه شيئاً
 من ملكه ، و إنما شاركوا العابدين في أموالهم بالشوائب و غيرها و في
 أعمالهم فهم شركاؤهم بالحقيقة لا شركاؤه ، ثم بين المراد من عدم لهم
 ١٠ شركاء بقوله : (الذين تدعون) أى تدعونهم شركاء (من دون الله)
 أى الذى له جميع صفات الكمال .

و لما كان التقدير : بأى شيء جعلتموهم^٧ شركاء في العبادة ، اهتم
 شرك في الأرض ، بنى عليه قوله مكرراً لإشهادهم بحجج شركائهم و نقص
 من عبده من دونه : (اروني ماذا) أى الذى أو أى شيء
 ١٥ (خلقوا من الارض) أى لتصح^٨ لكم دعوى الشراكة فيهم ، و إلا فادعواكم
 ذلك فيهم كذب محض . و أنتم تدعون أنكم أبعد الناس منه في

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الدنيا (٢) من ظ و مد ، و في الأصل :
 لهمهم (٣) العبارة من هنا إلى « استخلفهم أكد » حاكمة من ظ (٤) زيد من
 مد (٥ - ٥) من ظ و مد ، و في الأصل : جعلوهم شركاءهم (٦) من ظ و مد ،
 و في الأصل : جعلتمو له (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : ليتضح .

الأمور الهيئية فكيف يمثل هذا، ولعل استفهامهم^١ عن رؤية شركائهم^٢ تنبيه على أنهم من الامتهان والحقارة بحيث يراهم كل من يقصد رؤيتهم ويعلم أنه لا خلق لهم، والله تعالى، بخلاف ذلك في كل من الأمرين، متردد برداء الكبر محتجب بحجاب الجلال والعز، وكل أحد يعلم أنه الخالق لكل مخلوق، فكيف يكون من لا يخلق كمن يخلق .

٥

ولما نبههم بهذا الأمر الذي ساقه هذا السياق المعلم بأنه لا ينبغي لعاقل أن يدعى شركة لشيء حتى يعلم الشركة وإن جهل عين المشارك^٣ فيه، قال مؤكداً لذلك موسعا لهم في المحال، زيادة / في تبكيثهم على ما هم فيه من الضلال: (أم لهم شرك) أي وإن كان قليلا (في السنوات ع) أي أروني ما ذا خلقوا في السماوات، فالآية من ١٠ الاحتباك: [حذف ٦] أولا الاستفهام عن الشركة في الأرض لدلالة مثله في السماء ثانيا عليه، وحذف الأمر بالإراءة ثانيا لدلالة مثله أولا عليه .

ولما أتم التبكيث بالاستفهام عن المرتى، أتبعه التوبيخ بالاستفهام عن المسموع، مؤذنا بالالتفات إلى التكلم بمظهر العظمة بشديد الغضب ١٥ فقال: (أم آتيتهم) أي الشركاء أو المشركين بهم بما لنا من العظمة (كثبا) أي دالا على أنه من عندنا بأعجازه أو غير ذلك من البراهين

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: مثل (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: استينافهم (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: المشاركة (٤) العبارة من هنا إلى « قليلا » ساقطة من ظ (٥) من مد، وفي الأصل: كانوا (٦) زيد من ظ و مد .

القاطعة ثبتت لهم شركه (فهم) أى المشركون (على بينة) أى حجة ظاهرة، و بينات - على القراءة ' الأخرى، أى دلائل واضحات بما فى ذلك الكتاب من ضروب البيان (منه ج) أى ذلك الكتاب على أنا أشركناهم فى الأمر حتى يشهدوا لهم هذه الشهادة التى لا يسوغون مثلها فى إثبات الشركه لعبد من عبيدهم فى أحقر الأشياء فكيف يسوغونها فى انتقاص الملك الذى لاخير عندهم إلا منه غير هائبين له ولا مستحيين منه. و لما كان التقدير : لم يكن شيء من ذلك فليسوا على بيان، بل على غرور، قال منها لهم على ذمهم أحوالهم و سفه آرائهم و خسة همهم و نقصان عقولهم مخبرا أنهم لا يقدرّون على الإتيان بشيء مما به يطالبون ١٠. وأنه ليس لهم جواب عما عنه يسألون، و أكدّه لأجل ظنهم أن أمورهم فى غاية الأحكام، بل : (ان) أى ما (يعد الظالمون) أى الواضعون للأشياء فى غير مواضعها (بعضهم بعضا) أى الاتباع للتبوعين بأن شركاءهم تقربهم إلى الله زلفى و أنها تشفع و تضر و لاتنفع (الا غرورا ه) .

١٥ و لما بين 'حقارة الأصنام' و كل ما أشركوا به بالنسبة إلى جلال عظمتهم، و كانوا لا يقدرّون على ادعاء الشركه فى الخلق فى شيء من ذلك،

(١) راجع نثر المرجان ه / ٤٠. (٢) من ظ و مد، وفى الأصل : له (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : غرورهم (٤) فى ظ : أنهم (ه) زيد فى الأصل : لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها (٦ - ٦) من ظ و مد، وفى الأصل : حقارهم .

وكان ربما اقدم على ادعائه معاند منهم أو من غيرهم، وكان الناس قد
توصلوا إلى معرفة شيء من التغيرات الفلكية كالشروق والغروب
والخسوف، وكانوا لا علم لهم بشيء من الزلازل^(١) والزوال، قال مينا
عظمته سبحانه بعد تحقير أمر شركائهم معجزا مهددا لهم على إقدامهم
على هذا الافتراء العظيم مينا للنعمة بعدم المعالجة بالهلاك، وأكدته لأن هـ
من الناس المكذب به وهم المعطلة، ومنهم من عمله - وإن كان مقرا -
عمل المكذب^(٢) وهو من ينكر شيئا من قدرته كالبعث: ﴿ان الله﴾
أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿يمسك السموات﴾ أى على
كبرها وعلوها ﴿والارض﴾ أى على سعتها وبعدها عن التماسك على
ما يشاهدون إمساكا مانعا من ﴿ان تزولا﴾ أى بوجه عظيمة وزلزلة ١٥
كبيرة، أو زوالا لا تماسك معه لأن ثباتها على ما هما عليه على غير
القياس لولا شامخ قدرته و باهر عزته وعظمته، فإن ادعيتهم عنادا أن
شركاءكم لا يقدرّون على الخلق لعلّة من العلل فادعواهم لإزالة ما
خلق سبحانه .

ولما كان هذا دليل على أنهما حادثان زائلتان، أتبعه ما هو ١٥
أبين منه، فقال معبرا بأداة الإمكان: ﴿ولئن زالنا﴾ أى بزلزلة أو خراب
﴿ان﴾ أى ما ﴿امسكهما﴾ وأكد استغراق النفي بقوله: ﴿من احد﴾
ولما كان المراد أن غيره سبحانه لا يقدر على إمساكهما فى زمن من

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: الزلزال (٢) من ظ و مد، وفى الأصل:
لكذب (٣-٢) فى ظ: صفات جميع.

الازمان و إن قل ، أثبت الجار فقال : (من بعده) أى بعد إزالته
لها ، بل و إذا زلزلت الأرض اضطرب كل شيء عليها و الأصنام من
جلته ، فدل ذلك قطعا على أن الشركاء مفعولة لا فاعلة .

و لما كان السياق / إلى الترهيب^٢ في الإقبال عليه وحده أميل منه

/ ٧٣٣

٥ إلى الترهيب^٢ ، وكان^١ كأنه قيل : هو جدير بأن يزيلها لعظيم ما
يرتكبه أهلها^٣ من الآثام و شديد الإجرام . قال جوابا لذلك و أكده
لأن الحكم عما يركبه المبطلون على عظمه و كثرتهم ، لا تسعه العقول :
(انه كان) أى أزلا و أبدا (حلما) أى ليس من شأنه المعالجة
بالعقوبة للعصاة لأنه لا يستعجل^٤ إلا من يخاف^٥ القوت فينتهز الفرص ،
١٠ و رغب في الإقلاع مشيرا إلى أنه ليس عنده ما^٦ عند حلما البشر^٧
من الضيق الحامل لهم على انهم^٨ إذا غضبوا بعد طول الاناة لا يغفرون
بقوله : (غفورا) أى محاء لذنوب^٩ من رجع إليه ، و أقبل بالاعتراف
عليه ، فلا يعاقبه و لا يعاتبه .

و لما كان التقدير : فقالوا : [إنا - ١٢] لا ندعى أنهم خلقوا شيئا من

(١) في ظ : زالت (٢) زيد في الأصل : إليه ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد
فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : الترتيب (٤-٥) سقط ما بين الرقين
من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : العظيم (٦) من ظ و مد ، و في
الأصل : أهلها (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يعجل (٨) في ظ و مد :
يخشى (٩-١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : عندنا حلما لبشر (١٠) من ظ و مد ،
٥ في الأصل : انه (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : لذنوب أى ذنوب .
(١٢) زيد من ظ و مد .

السموات ولامن الأرض ونحن مقرون بأنه لا يمسك السموات والأرض إلا الله، وإنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، كما كان يفعل آبائنا، ولولا أن لهم على ذلك دليلاً ما فعلوه، عطف عليه قوله مبيتا ضلالهم في تكذيبهم الرسل^١ بعد ما ظهر من ضلالهم في إشراكهم بالمرسل وهو يمهلهم ويرزقهم دليلاً على حبله مع عباده: ﴿واقسموا﴾ أى كفار مكة ﴿بأنه﴾ أى الذى لا عظيم غيره ﴿جهداً إيمانهم﴾ أى بغاية ما يقدرُونَ عليه من الإيمان، قال البغوى^٢: لما بلغهم - يعنى كفار مكة - أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى! أتتهم رسلهم فكذبوهم، لو أنا رسول! لنكونن أهدي^٣ دينا منهم^٤.

ولما أخبر عن قسمهم، حكى^٥ معنى ما أقسموا عليه دون لفظه ١٠ بقوله: ﴿إن جاءهم﴾ وعبر بالسبب الأعظم للرسالة فقال: ﴿نذير﴾ أى من عند الله ﴿ليكونن﴾ أى الكفار ﴿أهدى﴾ أى أعظم فى الهدى ﴿من إحدى﴾ أى واحدة من ﴿الأمم ج﴾ أى السالفة أو من الأمة التى لم تكن فى الأمم التى جاءتها النذر أهدى منها، قال أبو حيان^٦: كما قالوا هو أحد^٧ الأحدىن، وهى إحدى الأحدى، يريدون التفضيل ١٥

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: لو (٢) فى ظ و مد: للرسل (٣) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٢٥١/٥ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: رسولاً، وفى المعالم: رسول الله (٥-٥) من ظ و مد والمعلم، وفى الأصل: منهم ديناً. (٦) زيد فى ظ: عن (٧) راجع البحر المحيط ٣١٩/٧ (٨) من ظ و مد والبحر، وفى الأصل: إحدى.

في الدماء والعقل . لأنهم أحد أذهانا وأقوم لسانا وأعظم عقولا ،
 و ألزم لما يدعو إليه العقل ، و أطلب لما يشهد بالفضل ، و أكدوا بالقسم
 لأن الناظر لتكذيب^١ أهل العلم بالكتاب يكذبهم في دعوى التصديق
 قايما أخرويا ، و دل على إسرارهم في الكذب بالفاء فقال :
 هـ (فلما جاءهم نذير) أى على ما شرطوا وزيادة ، و هو محمد صلى الله
 عليه و سلم الذى كانوا يشهدون أنه خيرهم مع كونه خيرهم نفسا و أشرفهم
 نسبا و أكرمهم في [كل - ٢] خلق أما^٢ و أبا ، و أمتهم في كل مأثرة^٣
 سيا (ما زادم)^٤ أى مجيئه^٥ شيئا مما هم عليه [من الأحوال - ٢]
 (الا نفورا)^٦ أى لأنه كان سيا في زيادتهم في الكفر كالإبل التى
 ١٠ كانت نفرت من ربها فضلت عن الطريق فدعاها فازدادت بسبب دعائه
 نفرة ، فأعرت في الضلال فصارت بحيث يتعذر أو^٧ يتعسر ردها فبين
 أنه لا عهد لهم مع ادعائهم أنهم أوفى الناس ، و لا صدق عندهم مع
 جزمهم بأنهم أصدق الخلق . و لما^٨ كانوا قد جلبوا على الضلال ، و^٩ كان
 النفور قد يكون لأمر محمود أو مباح ، علله بقوله : (استكبارا) أى
 ١٥ طلبا لإيجاد الكبر لأنفسهم (في الارض) أى التى من شأنها السفل

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قولا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل :
 التكذيب (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انبا -
 كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما يره - كذا (٦ - ٦) سقط ما بين
 الرقین من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : « و » (٨ - ٨) سقط ما بين
 الرقین من ظ و مد .

٣٣٨ /

و التواضع و الخمول (و مكر السيئ^١) أى و لأجل مكرهم المكر الذى
من شأنه أن يسوء صاحبه و غيره، و هو إرادتهم لإيهان أمر النبي صلى
الله عليه و سلم و إطفاء نور الله /، و قراءة عبد الله^٢ "و مكرنا سيئاً"
يدل على أنه من إضافة الشيء إلى صفته، و قراءة حمزة: باسكان الهمزة
بنية الوقف إشارة إلى تدقيقهم المكر و إتقانه و إخفائه جهدهم (ولا^٥)
أى و الحال أنه لا (يحقق) أى يحيط إحاطة لازمة ضارة (المكر السيئ)
أى الذى هو عريق فى السوء (الا باهله^٣) و إن آذى غير أهله، لكنه
لا يحيط بذلك الغير، و عن الزهرى أنه قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه
و سلم قال: لا تمكروا و لا تعينوا ما كرا فان الله يقول هذه الآية،
و لا تبغوا و لا تعينوا باغياً يقول الله "انما بغيكم على انفسكم" و لا تنكثوا^{١٠}
و لا تعينوا ناكثاً قال الله "و من نكث فانما ينكث على نفسه".
و لما كان هذا سنة^٤ الله التى لا تبدل لها، قال مسيبا عن ذلك:
(فهل ينظرون) أى ينتظرون، ولعله جرد الفعل إشارة إلى سرعة
الانتقام من الماكر المتكبر^٦، و يمكن أن يكون من النظر بالعين لانه
شبه العلم بالانتقام من الاولين مع العلم بأن عادته مستمرة، لانه لا مانع^{١٥}
له منها لعظيم تحققه و شدة استيقانه و قوة استحضاره بشيء محسوس
حاضر لا ينظر شيء غيره فى ماض و لا آت لأن غيره بالنسبة إليه
عدم . و لما جعل استقبالهم لذلك انتظاراً منهم له، و كان الاستفهام
(١) راجع اندر المنثور ٥/٤٤٤ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: سنن (٣) فى
ظ: للتكبر (٤) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: انتظارهم .

إنكاريا، فكان بمعنى النبي قال: ﴿الاست الأولين﴾ أي طريقتهم في
سرعة أخذ الله لهم وإزالة العذاب بهم .

ولما كان هذا النظر يحتاج إلى صفاء في القلب وذكاء في النفس ،
عدل عن ضميرهم إلى خطاب أعلى الخلق ، تنديها على أن هذا مقام
ه لا يذوقه - حق ذوقه غيره ، فسبب عن حصر النظر أو الانتظار في ذلك
قوله ، مؤكدا لأجل اعتقاد الكفرة الجازم بأنهم لا يتغيرون عن حالهم
وأن المؤمنين لا يظهرون عليهم : ﴿فلن تجد﴾ أي أصلا في وقت من
الأوقات ﴿لست الله﴾ أي طريقة الملك الأعظم التي شرعها وحكم بها ،
وهي إهلاك العصاة وإنجاء الطائعين ﴿تبدلا﴾ أي من أحد يأتي
١٠ بسنة أخرى غيرها تكون بدلا لها لأنه لا مكافئ له ﴿ولن تجد لست الله﴾
أي الذي لا أمر لاحد معه ﴿تحويلا﴾ أي من حالة إلى أخرى منها لأنه
لا مرد لقضائه ، لأنه لا كفوء له ، وفي الآية أن أكثر حديث النفس
الكذب ، فلا ينبغي لاحد أن يظن بنفسه خيرا ولا [أن - ']
يقضى على غائب إلا أن يعلقه بالمشيئة بترؤا من الحول والقوة لعل الله
١٥ يسلمه في عاقبته .

ولما بين أن حالهم موجب ولا بد للإيقاع بهم لما ثبت من
أيام الله ، وأنكر ذلك عندهم ، وكان التقدير : ألم يسمعوا أخبار
الأوليين المرة وأحوالهم المستمرة من غير تحلف أصلا في أن من كذب

(١) من ظ و مد ، وفي الأصل : فقال (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : حتى .

(٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : احق (٤) زيد من ظ و مد .

و التواضع و الخمول (و مكر السيئ) أى و لأجل مكرهم المكر الذى
من شأنه أن يسوء صاحبه و غيره، و هو إرادتهم لإيهان أمر النبي صلى
الله عليه و سلم و إطفاء نور الله /، و قراءة عبد الله ' "و مكرًا سيئًا"
يدل على أنه من إضافة الشيء إلى صفته، و قراءة حمزة: باسكان الهمزة
بنية الوقف إشارة إلى تدقيقهم المكر و إتقانه و إخفائه جهدهم (ولا) ه
أى و الحال أنه لا (يحقق) أى يحيط إحاطة لازمة ضارة (المكر السيئ)
أى الذى هو عريق فى السوء (الاباهله) و إن آذى غير أهله، لكنه
لا يحيط بذلك الغير، و عن الزهرى أنه قال: بلغنا أن النبي صلى الله عليه
و سلم قال: لا تمكروا و لا تعينوا ما كرا فان الله يقول هذه الآية،
و لا تبغوا و لا تعينوا باغيا يقول الله "انما بغيكم على انفسكم" و لا تنكثوا ١٠
و لا تعينوا ناكثا قال الله "و من نكث فانما ينكث على نفسه".
و لما كان هذا سنة الله التى لا تبدل لها، قال مسيا عن ذلك:
(فهل ينظرون) أى ينتظرون، و لعله جرد الفعل إشارة إلى سرعة
الانتقام من الماكر المتكبر^٢، و يمكن أن يكون من النظر بالعين لأنه
شبه العلم بالانتقام من الأولين مع العلم بأن عادته مستمرة، لأنه لا مانع ١٥
له منها لعظيم تحققه و شدة استيقانه و قوة استحضاره بشئ محسوس
حاضر لا ينظر شئ غيره فى ماض و لا آت لأن غيره بالنسبة إليه
عدم. و لما جعل استقبالهم لذلك انتظاراً منهم له، و كان الاستفهام
(١) راجع اندر النثور ٥/٤٤٤ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: سنن (٣) فى
ظ: لانتكبر (٤) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: انتظارهم.

إنكاريا، فكان بمعنى النفي قال: ﴿الاستات الاولين ع﴾ أى طرقتهم فى سرعة أخذ الله لهم وإزال العذاب بهم .

ولما كان هذا النظر بحتاج إلى صفاء فى اللب و ذكاء فى النفس ، عدل عن ضميرم إلى خطاب أعلى الخلق ، تنبيهها على أن هذا مقام
 ٥ لا يذوقه -ق- ذوقه غيره ، فسبب عن حصر النظر أو الانتظار فى ذلك قوله ، مؤكدا لأجل اعتقاد الكفرة الجازم بأنهم لا يتغيرون عن حالهم وأن المؤمنين لا يظهرون عليهم : ﴿فلن تجد﴾ أى أصلا فى وقت من الأوقات ﴿لست الله﴾ أى طريقة الملك الأعظم التى شرعها وحكم بها ، وهى إهلاك العاصين وإنجاء الطائعين ﴿تبدلا﴾ أى من أحد يأتى ١٠ بسنة أخرى غيرها تكون بدلا لها لأنه لا مكافئ له ﴿ولن تجد لست الله﴾ أى الذى لا أمر لاحد معه ﴿تحويلا﴾ أى من حالة إلى أخرى منها لأنه لا مرد لقضائه ، لأنه لا كفوء له ، وفى الآية أن أكثر حديث النفس الكذب ، فلا ينبغى لأحد أن يظن بنفسه خيرا ولا [أن - '] يقضى على غائب إلا أن يعلقه بالمشيئة بترؤا من الحول والقوة لعل الله ١٥ يسلمه فى عاقبته .

ولما بين أن حالهم موجب ولا بد للإيقاع بهم لما ثبت من أيام الله ، وأنكر ذلك عليهم ، وكان التقدير : ألم يسمعوا أخبار الأولين المرة و أحوالهم المستمرة من غير تخلف أصلا فى أن من كذب

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فقال (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : حتى .

(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : احق (٤) زيد من ظ و مد .

و فك المصدر ليخص ما وجد منه بالفعل فقال -١ : ﴿ بما كسبوا ﴾
 أى من جميع أعمالهم [سواء كان حراماً أو لا -١] ﴿ ما ترك على ظهرها ﴾
 أى الأرض ﴿ من دآبته ﴾ أى بل كان يهلك الكل، أما ٢ المكلفون
 فلا ٣ه ليس فى أعمالهم شئ. يقدره سبحانه حق قدره، لما لهم من النقص
 ولما ٤ له سبحانه من العلو ٤ والارتقاء ٤ والكمال، وأما غيرهم فانما خلقوا لهم، ٥
 والمعاصى تزيل النعم وتحمل النقم، وذلك كما فعل فى زمان نوح عليه
 السلام، لم ينج بمن ٥ كان على الأرض غير من كان فى السفينة ﴿ ولكن ﴾
 لم يعاملهم معاملة المؤاخذ المناقش، بل يحلم عنهم فهو ﴿ يؤخرهم ﴾ أى
 فى الحياة الدنيا ثم فى البرزخ ﴿ الى اجل مسمى ٥ ﴾ أى سماء فى الازل
 لانقضاء أعمارهم ثم لبعثهم من قبورهم، وهو لا يبدل القول لديه لما ١٠
 له من الصفات التى هى أغرب الغريب عندكم لكونكم لا تدركونها حق
 الإدراك ﴿ فاذا جاء اجلهم ﴾ أى الفناء ٦ الإعدامى قبض كل واحد منهم
 عند أجله، أو الإيجادى ٧ الإبقاءى بعث كلا منهم فجازه بعمله من غير
 وهم ولا عجز .

ولما كانوا ينكرون ما يفهمه ذلك من البعث، أكد فقال: ١٥
 ﴿ فان ٨ الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال الموجد بتمام القدرة وكمال
 (١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من مد، وفى الأصل: المكلفين فانه، وفى ظ :
 فانه (٣) فى ظ و مد : ما (٤-٤) سقط ما بين الرقين من ظ و مد (٥) فى ظ :
 ما (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الفناء (٧) من مد، وفى الأصل و ظ :
 الإيجاد (٨) من ظ و مد و القرآن الكريم، وفى الأصل: ان .

الاختيار (كان) ولم يزل . [ولما كان السياق للكسب الذى هو
أعم من الظلم قال - ١] : (إبعاده) الذين أوجدتم ولا شريك له فى
إيجاد أحد منهم بجميع ذواتهم وأحوالهم (بصيراء) أى بالغ البصر
والعلم بمن يستحق العذاب منهم [بالكسب - ١] و من يستحق الثواب ،
ه قد انطبق آخرها كما ترى على أولها باستجماع صفات الكمال و تمام
القدرة على كل من الإيجاد والإعدام للحيوان والجماد مهما أراد بالاختيار ،
لما / شوهد له سبحانه من الآثار ، كما وقع^٢ الإرشاد إليه بالامر بالسير
وبغيره وبما ختمت به السورة من صفة العلم على وجه أبلغ من ذكره
بلفظه ، لما مضى فى سورة طه من أن إحاطة العلم تستلزم شمول القدرة ،
١٠ ولا تكون القدرة شاملة إلا إذا كانت عن اختيار ، فثبت حينئذ
استحقاقه تعالى لجميع المحامد ، فكانت عنه سبحانه الرسائل الهائلة الجامعة
للعزة والحكمة بالملائكة المجردين عن الشهوات و كل حظ إلى من ناسبهم
من البشر بما غلب من جيش عقله على عساكر شهواته ونفسه ، حتى
صار عقلا مجردا صافيا ، حاكما على الشهوات^٣ والحظوظ قاهرا كافيا .

/ ٣٤٠

* * * *

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد
لحذفها (٣) زيد فى الأصل : والشهوات ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفها .

سورة يس

[و تسمى القلب والدافعة والقاضية والمعمنة -^١]

مقصودها إثبات الرسالة التي هي روح الوجود و قلب جميع الحقائق
 و بها قوامها و صلاحها للرسول بها الذي هو خالصة^٢ المرسلين الذين هم
 قلب الموجودات كلها ذوات و معاني إلى أهل مكة أم القرى و قلب ه
 الأرض و هم قريش قلب العرب الذين هم قلب الناس ، بصلاحهم صلاحهم
 كلهم [و -^٣] بفسادهم فسادهم ، فلذلك^٤ كان من حولهم^٥ جميع أهل
 الأرض ، و جل فائدة الرسالة إثبات الوجدانية التي هي قلب الاعتقاد
 و خالصة و عموده^٦ للعزیز الرحيم ذي الجلال و الإكرام ، و إنذار يوم
 الجمع الذي به - مع ستره عن العيان الذي هو من خواص القلب - ١٠
 صلاح الخلق ، فهو قلب الآكوان ، و به الصلاح أو الفساد للإنسان ،
 و على ذلك^٧ تنطبق معاني أسمائها: يس و القلب و الدافعة و القاضية

- (١) السادس و الثلاثون من سور القرآن الكريمة ، مكية ، و عدد آياتها
 ثلاث و ثمانون في الكوفي و اثنتان و ثمانون في غيره - راجع روح المعاني
 ١٩٤/٧ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : خاصة (٤) من
 ظ و مد ، وفي الأصل : فكذلك (٥) من ظ و مد ، وفي الأصل : حالهم .
 (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : هموه - كذا (٧) في ظ : هذا .

و المعة ، و اما يس فسياتي يانه من جهة إشارته إلى سر كونها قلبا المشير إلى البعث الذي هو من أجل مقاصدها الذي 'به يكون' صلاح القلب الذي 'به يكون' قبول ما ذكر. و أما الباقي فان [من - ٢] اعتقد الرسالة كفته و دفعت عنه جميع مهمه ، و قضت له بكل خير ، و أعطته كل مراد ، و كل منها [له - ٣] آتم نظر إلى القلب كما لا يخفى ، و المعة : الشاملة بالخير و البركة ، قال في القاموس : يقال : عمهم بالعطية و هو معهم خير يعم خيره ، فقد لاح أن هذه السورة الشريفة لما كانت قلبا كان كل شيء فيها له نظر عظيم 'إلى القلبية' (بسم الله) الذي جل * ملكه عن أن يحاط بمقداره (الرحمن) الذي جعل الإنذار يوم الجمع رحمة عامة ١٠ (الرحيم) الذي أنار قلوب أوليائه بالاجتهاد ليوم لقائه .

لما كان قلب كل شيء أبطن * ما فيه و أنفس ، و كان قلب الإنسان غائبا عن الإحساس ، و كان مودعا من المعاني الجميلة و الإدراكات الخفية و الجملة [ما - ٢] يكون للبدن سيبا * [في - ٢] إصلاحه أو إفساده من إشقيائه أو إبقائه ، و كانت الساعة من عالم الغيب ، و فيها ١٥ يكون انكشاف الأمور ، و الوقوف على حقائق المقدور ، و بملاحظتها

(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : يكون به (٢-٢) في ظ : يكون به (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقنين من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : جعل (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : و لما (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : بطن (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : سبب (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : و .

- وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها ، و من حصل من القرآن هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه ، وهو التصديق الذي بالجان ، و أما الذي باللسان و الذي بالأركان ففي غير هذه السورة ، فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سمما قلبا ، ولهذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم قراءتها عند رأس من دنا منه الموت ، لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة و الأعضاء الظاهرة ساقطة المنة ، لكن القلب يكون قد أقبل على الله ، و رجع عن كل ما سواه ، فيقرأ عند رأسه ما يزداد به قوة في قلبه^١ و يشتد تصديقه بالأصول الثلاثة - انتهى . وفيه بعض تصرف ، وقوله : إن وظيفة اللسان و الأركان ليس في هذه السورة منها شيء ، ربما يعكس عليه قوله تعالى ” و ما لي لا أعبد الذي فطرني “ ١٠
- ” و اذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله “ ” و ان اعبدوني هذا صراط مستقيم “ و الحديث الذي ذكره رواه^٢ أحمد^٣ و أبو داود^٤ و النسائي و ابن ماجه^٥ و ابن حبان و الحاكم عن معقل بن يسار رضى الله عنه رفعه ” اقرأوا يس على موتاكم “ و أعله ابن القطان و ضعفه الدارقطني ، و أسند صاحب الفردوس^٦ عن أبي الدرداء و أبي ذر رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ميت يموت فيقرأ عنده^٧ يس إلا هون الله
-
- (١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يراد (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : القلب (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يفكر (٤) سقط من ظ . (٥) راجع مسنده ٥ / ٢٦ (٦) راجع أبواب الجنازة من سننه (٧) و الحديث في مخطوطتنا ص : ٢٠٩ / ب (٨) من ظ و م و مد و تلخيص مسند الفردوس ، وفي الأصل : عند رأسه .

عليه^١، ووراه أبو الشيخ ابن حبان في فضائل القرآن عن أبي ذر وحده
رضي الله عنه^٢، والإمام أحمد في مسنده^٣ عن صفوان بن عمرو قال :
كانت المشيخة يقولون : إذا قرئت^٤ يس عند الميت خفف عنه بها . قال
ابن حبان : المراد المحتضر . وقد استمد^٥ من هذا التصريح بالحشر كل ما
أنبت^٦ في القرآن من ذكر الآخرة الذي بمراعاته وإتقانه^٧ يكون صلاح
جميع الأحوال في الدارين ، وبإهماله ونسيانه يكون فسادها^٨ فيها - هذا
مع ما شاركت به غيرها مما جمعه من جميع معانيه المجموعة في الفاتحة
من الأسماء الحسنى : الله و الرب و الرحمن و الرحيم و ملك يوم الدين
الذي بيده ملكوت كل شيء و إليه ترجعون ، و الأمر بالعبادة بسلوك
١٠ الصراط^٩ المستقيم ، و تفصيل أهل النعيم و أهل الجحيم ، و إثبات الأصول
الثلاثة [التي - ١٠] يصير بها المكلف مؤمنا : الواحداية و الحشر و الرسالة
التي هي قلب الوجود ، وبها صلاحه ، و هي عمدة لكل روح يكون به
حياة هنيئة ، و هي مبدأ الصلاح كما أن البعث غايته ، و أن الخاتم لها
إنسان^{١١} عين الموجودات و قلبها ، فأنبت له ذلك على أصرح وجه و آكد .

(١) من ظ و م و مد و التلخيص ، و في الأصل : عنه (٢) راجع ٤ / ١٠٥ ،
و زيدت الواو في الأصل . و لم تكن في ظ و م و مد فخذناها (٣) من ظ
و م و مد و المسند . و في الأصل : قرأت (٤) من ظ و م و مد ، و في
الأصل : استمر (٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : أثبت (٦) من ظ و م
و مد ، و في الأصل : الآخر (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اتقانه .
(٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فساد (٩) في م : الطريق (١٠) زيد
من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : إنسان .

وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها ، و من حصل من القرآن هذا القدر فقد حصل نصيب قلبه ، وهو التصديق الذي بالجان ، و أما الذي باللسان و الذي بالأركان ففي غير هذه السورة ، فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلبا ، ولهذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم قراءتها عند رأس من دنا منه الموت ، لأن في ذلك الوقت يكون اللسان ضعيف القوة و الأعضاء الظاهرة ساقطة المنة ، لكن القلب يكون قد أقبل على الله ، و رجع عن كل ما سواه ، فيقرأ عند رأسه ما يزداد به قوة في قلبه^٩ و يشتد تصديقه بالأصول الثلاثة - انتهى . وفيه بعض تصرف ، وقوله : إن وظيفة اللسان و الأركان ليس في هذه السورة منها شيء ، ربما يعكّر عليه قوله تعالى ” و ما لي لا أعبد الذي فطرني “^{١٠} ” و اذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله “ ” و ان اعبدوني هذا صراط مستقيم “ و الحديث الذي ذكره رواه^{١١} أحمد^{١٢} و أبو داود^{١٣} و النسائي^{١٤} و ابن ماجه^{١٥} و ابن حبان^{١٦} و الحاكم عن معقل بن يسار رضى الله عنه رفعه ” اقرأوا ينس على موتاكم “ و أعله ابن القطان و ضعفه الدارقطني ، و أستند صاحب الفردوس^{١٧} عن أبي الدرداء و أبي ذر رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من ميت يموت فيقرأ عنده^{١٨} ينس إلا هون الله

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يراد (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : القلب (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يفكر (٤) سقط من ظ . (٥) راجع مسنده ٢٦ / ٥ (٦) راجع أبواب الجنازة من سنته (٧) و الحديث في مخطوطتنا ص : ٢٠٩ / ب (٨) من ظ و م و مد و تلخيص مسند الفردوس ، وفي الأصل : عند رأسه .

/ عليه^١، ووراه أبو الشيخ ابن حبان في فضائل القرآن عن أبي ذر وحده
 رضى الله عنه^٢، والإمام أحمد^٣ في مسنده^٤ عن صفوان بن عمرو قال :
 كانت المشيخة يقولون : إذا قرئت^٥ يس عند الميت خفف عنه بها . قال
 ابن حبان : المراد المحتضر . وقد استمد^٦ من هذا التصريح بالحشر كل ما
 انبث^٧ في القرآن من ذكر الآخرة الذي بمراعاته وإتقانه^٨ يكون صلاح
 جميع الأحوال في الدارين ، وبإهماله ونسيانه يكون فسادها^٩ فيها . هذا
 مع ما شاركت به غيرها بما جمعته من جميع معانيه المجموعة في الفاتحة
 من الأسماء الحسنى : الله و الرب و الرحمن و الرحيم و ملك يوم الدين
 الذى يده ملكوت كل شيء و إليه ترجعون ، و الأمر بالعبادة بسلوك
 الصراط^{١٠} المستقيم ، و تفصيل أهل النعيم و أهل الجحيم ، و إثبات الأصول
 الثلاثة [التى - ١٠] يصير بها المكلف مؤمنا : الواحدانية و الحشر و الرسالة
 التى هى قلب الوجود ، و بها صلاحه ، و هى عمدة لكل روح يكون به
 حياة هنية ، و هى مبدأ الصلاح كما أن البعث غايته ، و أن الخاتم لها
 إنسان^{١١} عين الموجودات و قلبها ، فأنبت له ذلك على أصرح وجه و آكد .

(١) من ظ و م و مد و التلخيص ، و فى الأصل : عنه (٢) راجع ٤ / ١٠٥ ،
 و زيدت الواو فى الأصل . و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ
 و م و مد و المسند . و فى الأصل : قرأت (٤) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : استمر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أثبت (٦) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : الآخر (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتقانه .
 (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فساد (٩) فى م : الطريق (١٠) زيد
 من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إنسان .

ومع جمع ما اقتحت به السورة من الحروف المقطعة المنشورة أول
السورة عمادا^١ للقرآن و شحذا للآذان لصنفي المنقوطة و العاطلة و وصفي
المجهورة و المهموسة .

ولما كان القلب من الإنسان المقصود بالذات من الآكوان في
نحو ثلث^٢ بدنه من جهة رأسه، و كانت الياء في نحو ذلك من حروف هـ
”أبجد“ فانها العاشرة منها و السين بذاك المحل من حروف اب ت
ث فانها الثانية عشر^٣ منها، و علا هذان الحرفان - بما فيهما من الجهر -
عن غاية الضعف و نزولا^٤ بما لهما من الهمس عن نهاية الشدة، إشارة
إلى أن القلب الصحيح هو الزجاجي الشفاف الجامع بين الصلابة و الرقة
الذي علا بصلابته عن رقة الماء الذي لا يثبت فيه صورة، و نزل بلطافته
عن قساوة الحجر^٥ الذي لا يكاد ينطبع فيه شيء إلا بغاية الجهد، فكان
جامعا بين الصلابة و الرقة متهيئا لأن تنطبع فيه^٦ الصور و تثبت^٧ ليكون
قابلا مفيدا، فيكون متخلفا من صفات موحدة^٨ بالقدر و الاختيار
الذين دلت عليهما سورة الملائكة، و بمعرفة الخير فيجلبه و الشر فيجتنبه
فيكون فيه شاهد من نفسه على الاعتقاد الحق في صانعه، و كانت المجهورة ١٥

(١) في ظ : السور (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : عماد (٣) من ظ
و م و مد، وفي الأصل : ثلاث (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل و م :
الثالثة عشر (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل : نزولا (٦) من م و مد،
وفي الأصل و ظ : البحر (٧-٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل : الصورة
تثبت (٨) زيد في الأصل : بالقلب، ولم تكن الزيادة في ظ و م
و مد لحذفناها .

أقوى قدمت الياء لجهرها ، وكاتا^١ - بعد اختلاف بالجهر والهمس -
 قد اتفقتا في الانفتاح و الرخاوة و الاستفال^٢ إشارة إلى أن القلب لا يصلح
 - كما تقدم - مع الصلابة التي هي في معنى الجهر إلا بالإخبات الذي هو
 في معنى الهمس ، و بالنزول عن غاية الصلابة إلى حد الرخاوة لئلا يكون
 ٥ حجريا قاسيا ، بأن يكون فيه انفتاح ليكون^٣ مفيدا وقابلا ، ويكون
 مستفلا ليكون^٤ إلى ربه بتواضعه واصلا ، وزادت السين بالصفير الذي^٥
 فيه شدة و انتشار وقوة لضعفها عن الياء بالهمس فتعادلنا ، و دل صفيها
 على النفخ في الصور الذي صرحت به هذه السورة ، و دل جهر الياء على
 قوته ، و دل كونها من حروف النداء على خروجه عن الحد في الشدة
 ١٠ حتى تبدو عنه تلك الآثار المخفية للديار ، المكنية للصغار والكبار ، ثم
 الباغية لهم من جميع الأقطار ، امثالاً لأمر الواحد القهار ، وكان
 مخرجهما / من اللسان الذي هو قلب المخارج الثلاثة لتوسطه و كثرة منافعه
 / ٣٤٣ في ذلك ، وكانت الياء من وسطه و السين من طرفه ، و كان هذان
 المخرجان ، مع كونهما وسطا ، مدارا لأكثر الحروف ، هذا مع ما لها
 ١٥ من الأبرار التي تدق عن تصور^٦ الأفكار ، قال تعالى : ﴿ يَسَّ ٥ ﴾
 و [إن - ٦] كان المعنى : يا إنسان ، فهو قلب الموجودات المخلوقات^٧ كلها

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : كانت (٢) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : الاستقبال (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : لتلايكون (٤) زيد
 في الأصل : هو ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٥) ! من ظ و م
 و مد ، في الأصل : تصوير (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) سقط من م .

و خالصها و سرها و لبابها، و إن أريد : يا سيد، فهو خلاصة من سادهم،
و إن أريد : يا رجل، فهو خلاصة البشر، و إن أريد : يا محمد، فهو خلاصة
الرجال الذين هم لباب البشر الذين هم سر الأحياء الذين هم عين الموجودات
فهو خلاصة الخلاصة و خيار الخيار و عين القلب، و كأن من قال
معناه محمد نظر^١ إلى الاتحاد في عدد اسمه صلى الله عليه وسلم بالجل ه
بالنظر إلى اليمين في المشددة و [عدد "قلب" و -^٢] عدد اسمي الحرفين،
و لا يخفى أن الهمزة في اسم الياء ألف ثانية، فبلغ عدده اثنا عشر .
و لما تقدم في الملائكة إثبات رسالة النبي صلى الله عليه وسلم
و تهديد قومه على^٣ النفرة عنه، و أن مرسله تعالى بصير بعباده، عالم بما
يصلحهم و من يصلح منهم للرسالة و غيرها، و كان مدار مادة «قرأ» ١٠ .
- كما مضى في سورة الحجر - الجمع مع الفرق، و كان ذلك أعلى مقامات
السائرين إلى الله و هو وظيفة القلب، عبر^٤ في القسم* بقوله : ﴿ و القرآن ﴾
و وصفه بصفة [القلب -^٥] العارف فقال : ﴿ الحكيم لا ﴾ أى الجامع
من الدلالة على العلم المزين بالعمل و الإرشاد إلى العمل المحكم بالعلم .
و لما كان قد ثبت في سورة الملائكة أنه سبحانه الملك الأعلى، ١٥
لما ثبت له من تمام القدرة و شمول العلم، و كان من أجل ثمرات

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل : نظرا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من إظ
و م و مد، و في الأصل : عن (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : العرف .
(٥-هـ) من ظ و م و مد، و في الأصل : بالقسم (٦) زيد من ظ و م و مد .

الملك إرسال الرسل إلى الرعايا بأوامر الملك و ردم عمام عليه بما
دعتهم إليه النفوس ، و قادتهم إليه الشهوات و الحظوظ ، إلى ما يفتحه
لهم من الكرم ، و يصرم به من الحكم .^٢ و كانت^٣ الرسالة أحد الأصول
الثلاثة التي تنقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان ، و كانت هي المنظور
إليها أولا لأنها السبب في الأصلين الآخرين ، و كانوا قد ردوا رسالته
فقورا و استكبارا ، قال مقدا لها تقديم السبب على مسببه على وجه
التأكيد البليغ مع ضمير الخطاب الذي لا يحتمل لبسا : ﴿ انك لمن المرسلين ﴾
أى الذين حكمت عقولهم على دواعي نفوسهم ، فصاروا - بما وهبهم الله
من القوة النورانية - كالملائكة الذين قدم في السورة الماضية أنهم رسله
١٠ و في عدادهم بما تخلقوا به من أوامره و نواهيه و جميع ما يرتضيه^٤ .

و لما كان الأنبياء عليهم السلام من نوره صلى الله عليه و سلم ،
لأنه أولهم خلقا و آخرهم بعثا ، فكانوا في الحقيقة إنما هم مهتدون لشرعه ،
و كان سبحانه إنما أرسله ليتمم مكارم الاخلاق ، و كان قد جعل سبحانه
من المكارم أن لا يكلم الناس إلا بما تسع عقولهم ، و كانت عدة المرسلين
١٥ كما في حديث أبي أمامة الباهلي عن أبي ذر رضى الله عنهما عند أحمد في
المستدرك ثلاثمائة و خمسة عشر ، و فيه أن الأنبياء مائة ألف و أربعة
و عشرون ألفا ، و هو في الطبراني الكبير عن أبي أمامة رضى الله عنه

(١) من ظ و م و مد . و في الأصل : بما (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و في
الأصل : فكانت (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يرضية (٤ - ٤) من ظ
و م و مد ، و في الأصل : مهتدون بشرعه (٥) راجع ٢٦٦/٥ .

٣٤٤ /

أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر عدد الرسل فقط، وكانت
 عقول العرب لاتسع بوجه قبل الإيمان أنهم منه^١، أقسم سبحانه ظاهرا
 أنه منهم ورمزا^٢ للأصفياء باطنا إلى أنهم منه، يجعلهم عدد أسماء حروف
 اسمه محمد صلى الله عليه / وسلم الذي رمز إليه بالحرفين أول السورة،
 فكأنه قال: إنك [يا - ٢] ياسين الذي تأويله محمد الذي عدد أسماء ه
 حروفه بعدد م لأصلهم، فصار رمزا في رمز، وكنزا قيسا داخل
 كنز، وسرا من سر، وبرأ إلى بر، وهو أحلى في منادمة الاحباب
 من صريح الخطاب، ثم علق باسم المفعول قوله: ﴿ على صراط ﴾
 أى طريق واسع واضح ﴿ مستقيم ﴾ أى أنت من هؤلاء الذين قد ثبت
 لهم أنهم عليه، وهو الصراط المستقيم الأكمل المتقدم فى الفاتحة لانه ١٠
 لخواص المعتم عليهم^٣ وأقوله تعالى فى حق موسى وهارون عليهما السلام
 ” وهديتهما الصراط المستقيم “ فيكون تنويته^٤ - بما أرشد إليه القسم
 والتأكيد - للتعظيم، والمعنى أنهم^٥ قد ثبت لهم هذا الوصف العظيم
 [وأنت منهم - ٢] بما شاركهم فيه من الأدلة، فليس لاحد أن
 ينقصك من بينهم بالتكذيب .

١٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أوضحت سورة سبا و سورة

(١) من مد، وفى الأصل و ظ و م : منهم (٢) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل : رمز (٣) زيد من ظ م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل :
 هذا (٥) من ظ و مد، وفى الأصل و م : الفاعل (٦) فى ظ : عليه (٧) من
 م و مد، وفى الأصل و ظ : تنويه (٨) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل : أنه .

فاطر من عظيم ملكه تعالى و توحده بذلك و انفراده بالملك و الخلق
 و الاختراع^١ ما تنقطع العقول دون تصور^٢ أدناه، و لا تحيط من ذلك
 إلا بما شاء، و أشارت من البراهين و الآيات^٣ إلى ما^٤ يرفع الشكوك
 و يوضح^٥ السلوك بما كانت الأفكار قد خمدت عن إدراكها،
 ٥ و استولت عليها الغفلة فكان قد جمدت^٦ عن معهود حراكها، ذكر
 سبحانه بنعمة التحريك إلى اعتبارها بثنائه^٧ على من^٨ اختاره ليان تلك
 الآيات، و اصطفاها لإيضاح^٩ تلك اليبات، فقال تعالى ” يس و القرآن
 الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم“ ثم قال ” لتذر قوما
 ما انذر آباؤهم فهم غفلون“ فأشار سبحانه إلى ما تشر نعمة الإنذار،
 ١٠ و يبعثه^{١١} التيقظ بالتذكار؛ ثم ذكر علة من عسى بعد تحريكه و إن كان
 مسيئا عن الطبع و شر السابقة^{١٢} ” لقد حق القول على أكثرهم“
 الآيات؛ ثم أشار بعد إلى أن بعض^{١٣} من عسى عن عظيم تلك البراهين
 لأول^{١٤} و هلة قد يهتز عند^{١٥} تحريكه لسابق^{١٦} سعادته فقال تعالى:

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اختراع (٢) في م و مد: تطور، ولكن
 كتب بهامشيها: لعله تصور (٣-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بما .
 (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يزهي (٥) من ظ و م و مد، وفي
 الأصل: حدث (٦-٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ: لمن (٧) في ظ و م
 و مد: بإيضاح (٨) من ظ و مد، وفي الأصل و م: مبعثه (٩) من ظ و م
 و مد، وفي الأصل: السابقة (١٠) من م و مد، وفي الأصل و ظ: بعد .
 (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: باول (١٢) من ظ و مد، وفي الأصل
 و م: عنه (١٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ليسابق .

”انا نحن نحي الموتى“ فكذلك^١ فعل بهؤلاء إذا شئنا هدايتهم ”او من كان ميتا فاحيئنه“ ثم ذكر دأب المعاندين وسيل المكذبين مع بيان الأمر فقال ”واضرب لهم مثلا اصحاب القرية“ - الآيات، واتبع ذلك سبحانه بما أودع في الوجود من الدلائل الواضحة والبراهين فقال ”الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون“ - الآية، ثم قال ”واية لهم“ الارض الميتة احيئنا - إلى قوله : افلا تشكرون“ ثم قال ”واية لهم الببل نسلخ منه النهار“ ”وكل في فلك يسبحون“^٢ ثم قال ”واية لهم انا حملنا ذريتهم - إلى قوله : الى حين“ ثم ذكر إعراضهم مع عظيم هذه البراهين وتكذيبهم وسوء حالهم عند ”بعثهم وندمهم“ وتوبيخهم وشهادة أعضائهم بأعمالهم، ثم تناسجت الآي جارية على ما يلائم ما تقدم إلى ١٠ آخر السورة - انتهى .

ولما كان كأنه قيل : ما هذا الذي أرسل به ؟ [كان - ٢] كأنه قيل جوابا لمن سأل : هو القرآن الذي وقع الإقسام به وهو (تنزيل) أو^١ حال كونه تنزيل (العزیز) أي^٢ المتصف بجميع صفات الكمال .
ولما كانت هذه الصفة للقهر والغلبة ، وكان ذلك لا يكون صفة كمال ١٥ إلا بالرحمة قال : (الرحيم لا) أي الحاوى لجميع صفات الإكرام الذي ينعم على من يشاء من عباده بعد الإنعام بإيجادهم بما يقيمهم على (١) في ظ و م ومد : فكذا (٢) زيد في ظ : إلى آية (٣-٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : منقلبهم (٤) زيد من م ومد (٥-٥) سقط ما بين الرقين من ظ و م ومد (٦) في ظ : أي (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : الجمال .

المنهاج الذى يرضاه / لهم ، فهو الواحد الذى لا مثل له^١ أصلا لما قهر به من عزته ، وجبر به من رحمته . نزله إليك وهو فى جلاله النظم وجزالة القول و حلاوة السبك وقوة التركيب و رصانة الوضع وحكيم المعاني وإحكام المباني فى أعلى ذرى^٢ الإعجاز ، وجعل إنزاله تدريجا بحسب المصالح مطابقا لمطابقة أعجز الخلائق عن أن يأتوا بمثلهما ، ثم نظمها على غير ترتيب النزول نظما أعجز الخلق عن أن يدركوا جميع المراد من بحور معانيه وحكيم مبانيه ، فكله إعجاز على ما له من إطناب وإيجاز .

ولما ذكر المرسل والمرسل به والمرسل ؛ ذكر المرسل له فقال :
 ﴿ لتنذر قوما ﴾ أى ذوى بأس وقوة و ذكاء و فطنة ﴿ ما أنذر ﴾
 ١٠ أى لم ينذر [أصلا - ٢] ﴿ آباؤهم ﴾ أى الذين غيروا دين 'أعظم آباؤهم' إبراهيم عليه السلام ومن أتى بعدهم عند فترة الرسل . ولما كان عدم الإنذار موجبا لاستيلاء الحظوظ والشهوات على العقل فيحصل عن ذلك الغفلة عن طريق النجاة قال : ﴿ فهم ﴾ أى بسبب زمان الفترة ﴿ غفلون ه ﴾ أى المعنى على أن « ما » مفعول ثانٍ لتنذر : أى لتنذرهم^١
 ١٥ الذى أنذره آباؤهم الذين كانوا قبل التغيير^٢ ، فان هؤلاء غافلون عن ذلك لطول الزمان و حدوث النسيان .

(١) من ظ و م و مد . وفى الأصل : لهم (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : زبد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ابهم (٥) من ظ و م و مد . وفى الأصل : عند (٦) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : العير .

إلى المتكبر^١، لم يذكر جهة السفلى وذكر جهة العلو فقال: ﴿فهي﴾
 أى الإغلال [بعرضها -^٢] وأصله بسبب^٣ هذا الجمل ﴿إلى الإذقان﴾
 جمع ذقن وهو مجتمع اللحين، فهي لذلك مانعة من مطاطة الرأس .
 ولما كان هذا من رفع الرأس فعل المتكبر، وكان تكبرهم في غير
 موضعه، بين تعالى أنهم ملجأون إليه فهو ذل في الباطن وإن كان كبرا
 في الظاهر فقال: ﴿فهم﴾ أى بسبب هذا الوصول ﴿مقمحون ه﴾
 من أقح الرجل - إذا أقحه^٤ غيره أى جعله قاحا أى رافعا رأسه غاضا
 بصره لا ينظر إلا ببعض بصره هيئة المتكبر، وأصله من قولهم: قح
 البعير - إذا رفع رأسه عند الشرب ولم يشرب الماء، قال في الجمع
 ١٠ بين العباب والمحكم: قال بشر بن أبي حازم^٥ يصف سفينة، قال أبو حيان^٦:
 [ميتة -^٧] ^٨أحدهم ليدفنها^٩:

ونحن على جوانبها فعود نفخ الطرف كالإبل القماح
 / وقال الرازى فى اللوامع: و المقمح^{١٠}: الذى يضرب رأسه إلى ظهره
 هيئة البعير، وقال القزاز: [و -^{١١}] المقمح: الشاخص بعينه الرافع
 ١٥ رأسه . أبو عمر: والقماح^{١٢} من الإبل هو الذى لا يشرب وهو عطشان

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المكب (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: سبب (٤) سقط من م (ه) من م
 و مد، وفى الأصل وظ: أقحه (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: حاتم .
 (٧) راجع البحر المحيط ٢٢٤/٧ (٨) زيد من البحر (٩-٩) من البحر، وفى
 الأصل وظ و م: اخذهم اليد فيها - إلا أن فى ظ: احدهم (١٠) من م
 و مد، وفى الأصل وظ: القمح (١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) من ظ و م
 و مد، وفى الأصل: القماح .

عطشا شديدا ولا تقبل نفسه الماء، والقمح مصدر قحت الشيء،
والاقمّاح: أخذك الشيء في راحتك ثم تقحه^١ في فيك أى تبتله،
والاسم القمحة كالقمحة والأكلة - انتهى . وكان القمح من هذا
لأن هيته عند هذا الابتلاع رفع الرأس وخص الطرف أو شخوصه إذا
عسر عليه الابتلاع - والله أعلم، فهذا تمثيل لفهمهم رؤسهم عن النظر^٥
إلى الداعى تكبرا وشماخة بحيث لو أمكنهم أن يسكنوا الجولم يتأخروا
صلاة وتبها^٢، أو لأنهم يتركون هذا الأمر العظيم الحسن الجدير بأن
يقبل عليه ويتروى منه و [هم -^٣] في غاية الحاجة إليه، فهم في ذلك
كالبير القامح^٤، إنما منعه من الماء مع^١ شدة عطشه مانع عظيم أقححه،
ولكنه خفي أمره فلم يعلم ما هو،^٢ ولذلك^٣ بنى الاسم للفعول إشارة ١٠
إلى أنهم مقهورون على تقويت حظهم من هذا الأمر الجليل .

ولما كان الرافع رأسه غير ممنوع من النظر أمامه قال: (وجعلنا)
أى بعظمتنا . ولما كان المقصود حجبهم عن خير مخصوص، وهو
المؤدى إلى السعادة الكاملة لا عن كل ما ينفعهم، أدخل الجار فقال:
(من بين أيديهم) أى الوجه الذى يمكنهم عليه (سدا) . ولما ١٥
كان الإنسان إذا انسدت^٤ عليه جهة مال إلى أخرى قال: (ومن خلفهم)

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تقتمحه (٢) زيدت الواو فى ظ .
(٣-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: اصلا - مع قدر من البياض (٤) زيد
من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المانع (٦-٦) من ظ
وم و مد، وفى الأصل: القامح (٧-٧) من ظ و م و مد، وفى
الأصل: فلذلك (٨) من م و مد، وفى الأصل و ظ: اشتدت .

نظم الدرر (سورة يس ٣٦ : ٩ - ١١) ج - ١٦

أى الوجه الذى هو خفى عنهم ، و أعاد السد تأكيدا لإنكارهم ذلك
و تحقيقا لجملة [فقال - ١] : (سدا) أى فصارت كل جهة يلتفت
إليها منسدة ، فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر إلى الحق و لا الخلوص
إليه ، فلذلك قال : (فاغشينهم) أى جعلنا على أبصارهم بما لنا من العظمة
غشاوة (فهم) أى بسبب ذلك (لا يبصرون) أى لا يتجدد لهم
هذا الوصف من إِبصار الحق و ما يفهمهم [يبصر ظاهر و بصيرة باطنة - ١]
أصلا . و لما منعوا بذلك حس البصر ، أخبر عن حس السمع فقال :
(و ساء) أى مستو و معتدل غاية الاعتدال من غير نوع فرق ؛
و زاد فى الدلالة على عدم عقولهم بالتعبير بأداة الاستعلاء إيدانا بأنهم
١٠ إذا امتنعوا مع المستعلى كانوا مع غيره أشد امتناعا فقال :
(عليهم . انذرتهم) أى ما أخبرناك به من الزواجر المانعة من الكفر
(ام لم تنذرهم) ثم بين أن الذى استوى حالهم فيه بما سبه الإغشاء
عدم الإيمان ، فقال مستأنفا : (لا يؤمنون) .

و لما بين ما كان السبب المانع لهم من الإبصار ، علم أن السبب
١٥ المانع من السمع مثله ، لأن المخبر عزيز ، فهو إذا فعل شيئا كان على
وجهه لا يمكن فيه حيلة . و لما أخبر أن الأكثر بهذه الصفة ، استشرف

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : غشاء (٣) فى
ظ : لا يحدد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حسن (٥-هـ) من ظ و م
و مد ، وفى الأصل : معتذر غاية الاعتذار (٦) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : ايدان (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الوجه .

السامع

السامع إلى أمانة يعرف بها الأقل الناجي لأنه المقصود بالذات فقال جواباً له : ﴿ انما تنذر ﴾ أى إنذاراً ينتفع به المنذر فيتأثر عنه النجاة . قالمنى : إنما يؤمن بانذارك ﴿ من اتبع الذكر ﴾ أى أجهد نفسه فى اتباع كل ما يذكر بالله من القرآن وغيره [ويذكر به صاحبه ويشرف -^١] ﴿ وخشى الرحمن ﴾ أى خاف العام الرحمة خوفاً عظيماً ، ودل لفت ه الكلام عن مظهر العظمة إلى الوصف بالرحمانية على أن أهل الخشية يكفيهم فى الاتعاظ التذكير بالإحسان^٢ ﴿ بالغيب ج ﴾ أى بسبب ما يخبر به من مقدوراته الغائبة^٣ لاسيما البعث الذى كان اختصاصها بغاية يانه بسبب كونها قلباً من غير / طلب آية كاشفة للحجاب بحيث يصير^٤ / ٤٧

الامر عن شهادة لاغيب فيه ، بل تجوز ما يجوز من انتقامه ولو بقطع ١٠ إحسانه ، لما ثبت له فى سورة فاطر من القدرة والاختيار ، ويخشاه أيضاً خشية خالصة فى حال غيبته عن رائيته^٥ من الناس ، فهؤلاء هم الذين ينفعهم الإنذار ، [وهم المتقون الذين ثبت فى البقرة أن الكتاب هدى لهم -^٦] ، وغيرهم لاسيما إلى استقامته ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فانه

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) ورد ما بين الرقيين فى الأصل قبل « ودل » س ه ، و الترتيب من ظ و م ومد (٣) العبارة من هنا إلى « قلباً » وقعت فى الأصل بعد « خوفاً عظيماً » و الترتيب من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : سبب (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : تلبساً (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : يخشى (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : يرامه .

ليس عليك إلا الإنذار، إن الله عليم بما يصنعون، فمن علم منه هذه
الخشية أقبل به، ومن علم منه ' القساوة رده على عقبه بما حال دونه
من الغشاة^٢ - والله الموفق .

و لما دل^٣ السياق على أن هذا نفع نفسه، تشوف السامع إلى معرفة
جزائه، فقال مفردا الضمير على النسق الماضي في مراعاة لفظ «من»،
دلالة على قلة هذا الصنف من الناس بأجمعهم في هذه السورة الجامعة
بكونها قلبا^٤ لما تفرق في غيرها: ﴿ فبشره ﴾ أى بسبب خشيته بالغيب
﴿ بمغفرة ﴾ أى لذنوبه و إن عظمت و إن تكررت موافقته^٥ لها و توبته
منها، فان ذلك لا يمنع الاتصاف بالخشية . و لما حصل العلم بمحو
١٠ الذنوب عنها و أثرها قال: ﴿ و اجر كريم ﴾ أى دار عظيم هنى لذيد
متواصل، لا كدر فيه بوجه .

و لما بين الأصل الثانى [الذى - ٧] هو الرسالة و أتبعها ثمرتها
المختومة بالبشارة، و كان الأصل الثالث فى الإيمان - و هو البعث - سببا عظيما
فى الترقية إلى اعتقاد الوجدانية التى هى الأصل الاول، و كان أكثر
١٥ الخائفين منه سبحانه مقترا عليهم فى دنياهم منغضة عليهم حياتهم، علل

(١) زيد فى الأصل: أيضا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القساوة (٣) من ظ و م و مد، و فى
الأصل: كان الدال على (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الأصل قلنا (٥) من
ظ و م و مد، و فى الأصل: غيره (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل:
مواقفته (٧) زيد من ظ و م و مد .

هذه البشارة إعلاما بأن [هذا - ١] الأجر في هذه الدار بالملابس
 الباطنة الفاخرة من المعارف و السكينة و البركات و الطمأنينة ، و بعد البعث
 بالملابس الطاهرة الزاهرة المسببة عن الملابس^٢ الدنيوية الباطنة الخفية عن
 غير أهلها ، بشارة لهم و نذارة للقسم الذى قبلهم بقوله ، مقدما للبعث لما
 ذكر من فائدته ، لافتا القول إلى مظهر العظمة إيدانا بعظمة^٣ هذه المقاصد ه
 و ، بأنه لا يحمى "هلولا الخالص" مع قلتهم و مبايتهم^٤ للآولين مع كثرتهم
 إلا من له العظمة الباهرة : (انا نحن) أى بما لنا من العظمة التى [لا - ١]
 تضاهى (نحمى) [أى بحسب التدرج الآن و جملة فى الساعة - ٧]
 (الموق) أى كلهم حسا بالبعث و معنى بالإنتقاذ إذا أردنا من ظلم الجهل
 (ونكتب) أى [من صالح و غيره - ٧] شيئا فشيئا [بعده فلا يتعدى ١٠
 التفصيل شيئا فى ذلك الإجمال - ٧] (ما قدموا) من جميع أفعالهم
 و أحوالهم و أقوالهم^٥ جملة عند نفخ الروح^٥ (و آثارهم) أى سنتهم
 التى تبقى من بعدهم صالحة كانت أو غير صالحة ، و نجازى كلا بما يستحق
 فى الدار الآخرة التى الجزاء فيها لا ينقطع ، فلا أكرم منه إذا كان كريما .

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ملابس .
 (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بمظهر عظمة (٤) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : او (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الا الحل - مع
 بياض يسير بعده (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ما (٧) زيد من ظ
 و مد (٨-٨) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : من صالح و غيره .

ولما كان ذلك ربما أَوْهم الاقتصار على كتابة ما ذكر من أحوال
الآدميين^١ أو^٢ الحاجة إلى الكتابة، دل على قدرته على ما لا يمكن القدرة
عليه لأحد غيره في أقل قليل بما ذكر، فكيف بما^٣ فوته، فقال [ناصبا عطفا
لفعله على فعلية وهي «تكتب» -^٤]: (وكل شيء) أي من أمر
الآحياء وغيرهم* (أحصينه) أي قبل إيجاده بعلنا القديم^٥ إحصاء
وكتبه (في إمام) أي كتاب هو أهل لأن يقصد (مبين) أي
لا يخفى فيه شيء من جميع الأحوال على أحد أراد عليه منه، فله هذه
القدرة الباهرة والعظمة الظاهرة والعزة القاهرة، فالآية من الاحتباك:
دل فعل الإحصاء على مصدره وذكر الإمام على فعل الكتابة.

١٠ ولما انتهى الكلام إلى هنا، وكان مقصود السورة كما سلف إثبات

الرسالة للإنذار يوم الجمع، وكان الإنذار غاية، وكانت الغايات هي المقاصد
بالذات، وكانت غاية / الإنذار اتباع الذكر، فكان ذلك غاية الغاية،
كان الكلام على المتبعين أولى بالتقديم على أنه يلزم من الكلام فيهم

/ ٣٤٨

الكلام في أضدادهم، وهم المعرضون الذين حق عليهم القول والكلام
١٥ على^٦ اليوم المذنب، فلذلك ضرب المثل الجامع لذلك كله، ومر إلى

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: المتقدمين من الآدميين (٢) زيد في ظ:

في (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ما (٤) زيد من ظ وم ومد.

(٥) في ظ: غيرهما (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: من العدم.

(٧) في ظ: عن.

أن

أن صور البعث تصويراً لم يتقدم مثله، ثم عطف بآية الطمس وما بعدها على القسم المعروض، ثم رجع إلى الكلام على الرسول والكتاب .
ولما دل سبحانه على ماله من القدرة الكاملة بالأفعال الهائلة من كل من الإمامة والإحياء الحسينيين والمعنويين إبداء وإعادة، وكان ضرب الأمثال بالمشاهدات ألصق شيء بالبال، وأقطع للرأى والجدال، وأكشف هـ
لما يراد من الأحوال، قال عاطفاً على " فبشره " مينا للأصل الثالث الذى هو الأول بالأصالة المقصود بالذات، وهو التوحيد، ضاماً إليه الأصلين الآخرين، ليكون المثل جامعاً، والبرهان به واضحاً ساطعاً:
(واضرب لهم) أى لاجلهم بشارة بما يرجى لهم عند إقبالهم، ونذارة لما يخشى عليهم عند إعراضهم وإدبارهم (مثلاً) [أى - ٢] مشاهدا ١٠
فى إصرارهم على مخالفة الرسول وصبره عليهم ولطفه بهم، لأننا ختمنا على قلوبهم على الكفران مع قريبهم منك فى النسب والدار، وفوز غيرهم لأننا نورنا قلوبهم مع البعد فى النسب والدار بالإيمان وثمراته الحسان، لأنهم يخشون الرحمن بالغيب، ولا يثبتون على الغباوة والريب .
ولما ذكر المثل، أبدل منه قوله : (اصحب القرية ٢) [التى هى ١٥
محل الحكمة واجتماع الكلمة وانتشار العلم ومدن الرحمة - ٣] . ولما كان المثل به فى الحقيقة إنما هو ١ إخبارها بأحوال أهلها ٢ لأنها وجه
(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : إلى (٢) تكرر فى الأصل فقط بمد «اضرب لهم» (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل : هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ .
(٦ - ٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل : أخبار بها .

الشبه، وكانت أخبارها كثيرة في أزمنة مديدة^١، عين المراد بقوله:

(اذ) [وهي بدل اشتغال من القرية مسلوخة من الظرفية -^٢] . ولما

كان الآتي^٣ ناحية من بلد وإن عظم يعد في العرف آتيا لذلك البلد،

أعاد الضمير على موضع الرسالة تحقيقا له [وإبلاغا في التعريف بمقدار بعد

٥. الاقصى -^٤] فقال: ﴿جاءها﴾ أي القرية لإنذار أهلها ﴿المرسلون﴾

أي عن الله لكونهم عن رسوله عيسى عليه السلام أرسلهم بأمره لإثبات

ما يرضيه سبحانه ونفى ما يكرهه الذين هم من جملة من قيل في فاطر أنهم

جاؤا [باليثبات و -^٤] بالزبر، والتعريف إما لكونهم يعرفون القرية

ويعرفون أمرها، [و -^٤] إما لأنه شهير جدا فهم بحيث لو سألوا أحدا

١٠. من أهل الكتاب الذين يعتنون بها أخبرهم به، لأنه قد عهد منهم الرجوع

إليهم بالسؤال ليعينوا لهم - [كما] زعموا - مواضع الإشكال .

ولما كان أعظم مقاصد السياق تسلية النبي صلى الله عليه وسلم في

توقفهم عن المبادرة إلى الإيمان به مع^٥ دعائه بالكتاب^٦ الحكيم إلى^٧

الصراط المستقيم، وكان في المشاركة في المصائب أعظم تسلية، أبدل

١٥. من^٧ قوله إذا جاءها، تفصيلا لذلك [المجيء -^٨] قوله، مستندا إلى نفسه

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: مديرة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد

في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٤) زيد من ظ

و م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: رعاية الكتاب (٦) من

ظ و م و مد، وفي الأصل: على (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: في .

المقدس لكونه أعظم في التسليّة: ﴿ اذ أرسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة . ولما كان المقصود بالرسالة أصحابها قال: ﴿ اليهم اثنين ﴾ أى^١ ليعضد أحدهما الآخر فيكون أشد لأمرهما فأخبرهم^٢ بارسالهما إليهم كأن قالوا: نحن رسولان إليكم لتؤمنوا بالله ﴿ فكذبوهما ﴾ أى مع ما لهما من الآيات، لانه من المعلوم أنا ما أرسلنا رسولا إلا كان معه من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، سواء كان عنا من غير واسطة أو كان^٣ بواسطة رسولنا، كما كان للطفيّل بن عمرو الدوسي ذى النور لما ذهب إلى قومه وسأل النبی / صلى الله عليه وسلم أن تكون له آية فكانت [نورا - °] في جبهته، ثم سأل أن تكون في غير وجهه فكانت في سوطه^٤.

١٠

ولما كان^٥ التضافر على^٦ الشيء أقوى لشأنه، وأعون على ما يراد منه، سبب عن ذلك قوله [حاذفا المفعول لفهمه من السياق، ولأن المقصود إظهار الاقتدار على إيقاع الفعل وتصريفه في كل ما أريد له - °]: ﴿ فعزّزنا ﴾ أى فأوقعنا العزة، وهى القوة والشدة والغلبة، لأمرنا أو لرسولنا^٧ بسبب ما وقع لهما من الوهن بالتكذيب، [فحصل ما أردنا من العزة ١٥ - بما أشارت إليه قراءة أبى بكر عن عاصم^٨ بالتخفيف - °] ﴿ بثالث ﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فأخبرهم (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: كانوا (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: انه . (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع طبقات ابن سعد - وقد مرّ (٧-٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: علم (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لرسول . (٩) راجع نثر المرجان ٥ / ٥٥٥ - ٥٥٦ .

أرسلناه بما أرسلناهما به ﴿فقالوا﴾ أى الثلاثة بعد أن أتوهم وظهر لهم
إصرارهم على التكذيب، مؤكدين بحسب ما رأوا من تكذيبهم :
﴿أنا اليك﴾ أى لا إلى غيركم ﴿مرسلون﴾ قالوا ﴿أى أهل القرية :
﴿ما آتتم﴾ أى وإن زاد عددكم ﴿الا﴾ ولما نقض الاستثناء النفي
زال شبهة ما تلبس فزال عملها فارتفع قوله : ﴿بشر مثلنا لا﴾ أى فواجه
الخصوصية لكم فى كونكم رسلا دوننا . ولما كان التقدير : فما أرسلتم
إلينا بشيء ، عطفوا عليه قوله : ﴿وما أنزل الرحمن﴾ أى العام الرحمة ،
فعموم رحمته مع استوائنا فى عبوديته تقتضى أن يسوى بيننا فى الرحمة
فلا يخصكم بشيء دوننا ، وأغرقوا [فى النفي -] بقولهم : ﴿من شيء لا﴾ .
ولما كان الإتيان على ما ذكر محتملا للغلط ونحوه ، قالوا دافعين ١٠
لذلك : ﴿ان﴾ أى ما ﴿اتم الا تكذبون﴾ أى حالا وما لا
﴿قالوا﴾ أى الرسل : ﴿ربنا﴾ أى الذى لو لم يكن لنا وازع عن
الكذب عليه إلا إحسانه إلينا لكان كافيا ﴿يعلم﴾ أى ولذلك يظهر
على أيدينا الآيات ، ويحمينا من يكيدنا ، وهذه العبارة تجرى مجرى
١٥ القسم ، وكذا نحو «شهد الله» . ولما واجهوهم بهذا التكذيب المبالغ
فى تأكيده زادوا فى تأكيد جوابه فقالوا : ﴿أنا اليك﴾ أى خاصة
﴿لمرسلون﴾ [ما آتيناكم غلطا ولا كذبا -] ، فالأول ابتداء أخبار ،
والهذان جوابا ١٦ إنكار ، فأعطى كلا ما يستحق .

(١) فى ظ : إذا (٢) زيد فى الأصل : هذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم
ومد لخذفناها (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عطف (٤) زيد من ظ
وم ومد (٥) فى ظ : البالغ (٦-٧) فى م : هذا جواب .

ولما

ولما قرروا ذلك عندهم، اتبعوه بدليله وبالإعلام بأن وبال
التكذيب ليلحقهم منه ضرر، إشارة [لهم - ١] إلى الإنذار من عذاب
الملك الجبار فقالوا: ﴿وما علينا﴾ أى وجوباً من قبل من أرسلنا، وهو الله
تعالى الذى له الأمر كله^٢ ﴿الا بلغ المبين﴾ أى المؤيد بالأدلة القطعية
من الحجج القولية والفعلية بالمعجزات وغيرها، فلولا أنه يعلم لما أمكننا
شئ من ذلك كما أن آلهتكم لما لم يكن لها علم لم يقدروا على بيان فى
أمرها بشئ، وإذ قد ثبت علم مرسلنا برسالتنا فهو الشاهد [لنا - ١]
بما يظهر على أيدينا وكفى به شهيدا .

ولما كان حلول الصالحين بين الناس يكون تارة نعمة وأخرى
نقمة باعتبار التصديق والتكذيب والإساءة والإحسان، فكان قد حصل ١٠
لهؤلاء الذين كذبوا هؤلاء الرسل [بلاء - ١] لتكذيبهم لهم من جذب
الأرض وصعوبة الزمان، ونحو ذلك من الامتحان، [ذكر ما أثره
ذلك عند أهل القرية فقال - ١]: ﴿قالوا﴾ ولما كانوا لما يرون عليهم
من الآيات وظاهر الكرامات بما يشهد ببركتهم وبمن تقييتهم [بحيث - ١]
إذا ذموم^٣ توقعوا تكذيب الناس لهم، أكدوا قولهم: ﴿انا تطيرنا﴾ أى ١٥
حملنا أنفسنا على الطيرة^٤ والتشاور [تطيرا ظاهرا - بما أشار إليه الإظهار

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) - قط ما بين الرقين من ظ و م و مد،
وكان فى الأصل: والله، بدل «وهو الله» (٣) من ظ و م و مد، وفى
الأصل: العملية (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لما، وفى م: بما (٥) من ظ
و م و مد، وفى الأصل: دنوهم (٦) زيد فى الأصل: انا، ولم تكن الزيادة
فى ظ و م و مد فخذناها .

بـخلاف ما في النمل و الاعراف - ١ [(بكم ج) بنسبة ما حل بنا من البلاء
إلى شومكم، لأن عادة الجهال التيمن بما مالوا إليه و يسندون ما حل
بهم من نعمة^٢ إلى يمنه و التشاوم بما كرهوه، و يسندون ما أصابهم من
نقمة إلى شومه؛ ثم إنهم استأنفوا استئناف النتائج قولهم "على سبيل
• [التأكيد - ٤] إعلاما بأن ما أخبروا به لا فترة لهم عنه و إن كان مثلهم
مستبعدا عند العقلاء: (لئن لم تنتهوا) أى عن دعائكم هذا (لنرجنكم)
/ أى لنشتتمكم أو لنرمينكم بالحجارة حتى تنتهوا أو لنقتلكم شر قتلة. [و لما
كان الإنسان قد يفعل ما لا يؤخذ أثره فقالوا معبرين بالمس دون
الإساس - ١]: (و ليسنكم منا) أى عاجلا لا من غيرنا^٣ كما تقولون
١٠ أتم في تهديدكم إيانا بما يحل بنا من أرسلكم (عذاب اليمه) حتى
تنتهوا عنا لنكف عن إيلاكم^٤ (قالوا) أى الرسل: (طأركم)
أى شومكم الذى أحل بكم البلاء (معكم^٥) وهو أعمالكم القبيحة التى
منها تكذيبكم.

/ ٣٥٠

و لما كان لم يبد منهم غير ما يقتضى عند النظر الصحيح التيمن
١٥ و البركة، و [هو - ١] التذكير بالله الذى يده الخير كله، أنكروا عليهم
تطيرهم منهم على وجه مبين^٦ أنه لا سبب لذلك غيره فقالوا: (إن ذكرتم^٧)

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: نعمته.
(٣) العبارة من هنا إلى «العقلاء» ساقطة من ظ (٤) زيد من م و مد.
(٥) زيد بعده فى الأصل؛ ولا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفنا (٦) من
م و مد، وفى الأصل وظ: إعلامكم (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بين.

أى

(٢٧)

١٠٨

أى الأجل إن حصل لكم تذكير بالله تطيرتم بنا؟ ولما كان ذلك لا يصح أن يكون سببا للتطير بوجه، أضربوا عنه منبهين لهم على أن موضع الشوم لإسرافهم لا غير فقالوا: ﴿بل﴾ أى ليس الأمر كما زعمتم فى أن التذكير سبب للتطير بل ﴿انتم قوم﴾ أى غركم ما آتاكم الله من القوة على القيام فيما تريدون ﴿مصرفون﴾ أى عادتكم الخروج هـ عن الحدود و الطغيان فعوقبتهم لذلك .

ولما كان السياق لأن الأمر بيد الله، فلا هادى لمن أضل ولا مضل لمن هدى، فهو يهدى البعيد فى البقعة والنسب إذا أراد، ويضل القريب فيهما إن شاء، وكان بعد الدار ملزوما فى الغالب لبعد النسب، قدم مكان المجيء على فاعله يانا لأن الدعاء [نفع - ٢] الأقصى ولم ينفع ١٠ الأذى فقال: ﴿وجاء من أقصا﴾ أى أبعد - بخلاف ما مر فى سورة القصص؛ ولأجل هذا الغرض عدل عن التعبير بالقرية كما تقدم وقال: ﴿المدينة﴾ لأنها أدل على الكبر المستلزم لبعد الأطراف وجمع الأخلاط . ولما بين الفاعل بقوله: ﴿رجل﴾ بين اهتمامه بالنتهى عن المنكر ومسايقته إلى إزالته كما هو الواجب بقوله: ﴿بسعى ذ﴾ أى يسرع ١٥ فى مشيه فوق المشى ودون العدو حرصا على نصيحة قومه .

ولما تشوفت النفس إلى الداعى إلى إتيائه، بينه بقوله: ﴿قال﴾

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: ان (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) زيد بعده فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لغذفتها (٤) سقط من ظ و م ومد .

نظم الدرر (سورة يس ٣٦ : ٢٠ - ٢٣) ج - ١٦

و استعطفهم بقوله : ﴿ يَنْقُوم ﴾ و أمرهم بمجاهدة النفوس بقوله :
 ﴿ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ أى فى عبادة الله وحده و 'كل ما' يأمرؤنكم به :
 ثم نبههم على الداعى إلى 'اتباعهم' و المانع من الإعراض عنهم بقوله ،
 [معيدا الفعل دلالة على شدة اهتمامه به - ١] : ﴿ اتَّبِعُوا ﴾ أى بقاية
 هـ جهدكم ﴿ من لا يستلکم ﴾ أى فى حال من الأحوال ﴿ اجرا ﴾ [و لما
 كان^١ أفرد الضمير نظرا إلى لفظ 'من' ، دلالة على وجوب الاتباع لمن
 اتصف بهذا الأمر الدال على الرسالة و إن كان واحدا ، جمع يانا
 للأولوية بالنظائر و التعاضد و الاتفاق فى الصيانة و البعد عن الدنس ،
 الدال على اتحاد القصد الدال على تحتم الصدق فقال - ١] : ﴿ وهم مهتدون ﴾
 ١٠ أى ثابت لهم الاهتداء لا يزييلهم ، [ما قصدوا شيئا إلا أصابوا وجه
 صوابه - ١] ، فتفوزوا بالدين الموجب للفوز بالآخرة ، و لا يفوتكم شيء
 من الدنيا ، فأتى بمجامع^٢ الترغيب فى هذا الكلام الوجيز .

و لما أفهم السياق أنه قال : فأتى^٣ اتبعتم [فى عبادة
 الله - ١] ، بنى عليه قوله جوابا لمن يلومه على
 ١٥ ذلك و ترغيبا فيما اختاره لنفسه و تويخا لمن يأباه :

(١ - ١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كما (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : على (٣) زيد فى مد : الدال على رسالتهم (٤) زيد من ظ و مد .
 (٥) سقط من مد (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بمجامع .
 (٧) سقط من ظ .

وما

(وما) أى و أى شيء (لى) فى أنى (لا اعبد الذى فطرني) أى^١
 وإليه أرجع، فله مبدئى ومعادى، وما لكم لاتعبدون الذى فطركم
 (واليه) أى لا إلى غيره (ترجمون) كذلك، فهو يستحق العبادة
 شكرا لما أنعم به فى الابتداء، و خوفا من عاقبه فى الانتهاء، فالآية من
 الاحتباك: حذف^٢ وإليه أرجع، أولا لما دل عليه ثانيا، وإنكاره عليهم^٣
 ثانيا^٤ بما دل^٥ عليه أولا من إنكاره على نفسه استجلابا لهم باظهار
 الإنصاف، والبعد عن التصريح بالخلاف، وفيه تنبيه لهم على موجب
 الشكر، وتهديد على ارتكاب الكفر.

و لما أمر صريحا ونهى تلويحا، و رغب / و رهب، و وبخ و قرع، ٣٥١/
 و بين جلالة من آمن به و من كانوا سبيا فى ذلك، أنكر على من يفعل ١٠
 غيره بالإنكار على نفسه، محقرا لمن عبده من دون الله و هم غارقون
 فى نعمه، فقال مشيرا بصيغة الاقتعال إلى أن فى ذلك مخالفة للفطرة الأولى:
 (اتخذ) و بين علو رتبته سبحانه بقوله: (من دونه) [أى -^١]
 سواء مع دنو المنزلة؛ و بين عجز ما عبده بتعددده فقال: (الهة) ثم حقق
 ذلك بقوله ميّنا بأداة الشك أن النفع أكثر من الضر ترغيا فيه سبحانه: ١٥
 (ان يردن) [إرادة خفيفة بما أشار إليه حذف اليا، أو شديدة بما أشار
 إليه إثباتها، ظاهرة بما دل عليه تحريكها، أو خفية بما نبه عليه إسكانها^٢].

(١) وقع فى الأصل و م و مد قبل و أى و أى، و الترتيب من ظ .
 (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يدل (٤) زيد من ظ
 و م و مد (٥) زيد من ظ و مد.

[ولما ذكرهم بإبداعه سبحانه له إرشادا إلى أنهم كذلك، صرح
بما يعيهم فقال - ١]: ﴿الرحمن﴾ أى العام النعمة على كل مخلوق من
العابد والمعبود، وحذرهم بقوله: ﴿بضر﴾ وأبطل أنهى ما يعتقدونه
فيها بقوله: ﴿لاتنن عني﴾ أى وكل أحد مثلى فى هذا ﴿شفاعتهم﴾
هـ أى لو فرض أنهم شفّعوا ولكن شفاعتهم لا توجد ﴿شيئا﴾ من إغناء.
[ولما دل بافراد الشفاعة على عدم عدما ولو اتحدت شفاعتهم وتعاونهم
فى آن واحد، دل بضمير الجمع على أنهم كذلك سواء كانوا مجتمعين
أو متفرقين فقال - ٢]: ﴿ولا ينقدون﴾ أى من مصيبتهم إن دعا
الامر إلى المشاققة؛ [بما أراده فانه بمجرد إرادته يكون مراده، إنفاذا
١٠ ضعيفا- بما أشار إليه من حذف الياء، ولا شديدا - بما دل عليه من أثبتها
ظاهرا خفيا - ٢]، ثم استأنف ما يبين بعد ذلك عن فعل العقلاء
الناسحين لأنفسهم بقوله مؤكدا له^٢ بأنواع التأكيد لأجل إنكارهم له بعدم
رجوعهم عن معبوداتهم: ﴿انى اذا﴾ أى إذا فعلت ذلك الاتخاذ
﴿لنى ضلل﴾ أى يحيط بى لا أقدر معه على نوع اعتداء ﴿مبين هـ﴾
د أى واضح فى نفسه لمن لم يكن مظلوما له، موضح لكل ناظر ما
[هو - ١] فيه من الظلام.

ولما أقام الأدلة ولم يبق لاحد تخلف عنه علة^٢، صرح بما لوح

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: المشقات (هـ) من ظ وم ومد، وفى
الأصل: معدوداتهم.

إليه من إيمانه ، فقال مظهرها لسروره بالتأكيد و قاطعا لما يظنونه من أنه لا يجرى على مقاطعتهم كلهم بمخالفتهم في أصل الدين : (أنى أنت) أى أوقعت التصديق الذى لا تصديق في الحقيقة غيره بالرسول مؤمنا لهم من [أن - ١] أدخل عليهم نوع تشويش من تكذيب أو غيره . [ولما أرشدهم بعموم الرحانية تلويحا ، صرح لهم بما يلزمهم شكره من خصوص ٥ الروية فقال - ١] : (بربكم) أى بسبب الذى لا إحسان عندكم إلا منه [قد نسيت ما له لديكم من الروية والرحانية والإبداع - ٢] ، وزاد في مصارحتهم إظهارا لعدم المبالاة بهم بقوله : (فاسمعون ٣) أى [سماعا إن شئتم أشعثموه ، وإن شئتم كتمتموه - بما دل عليه حذف الياء وإثباتها - ٢] ، فلا تقولوا بعد ذلك : ما سمعناه ، ولو سمعناه لفعلنا به . ١٠ فوثبوا^١ إليه و ثبة رجل واحد فقتلوه ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن مثل صاحب يس هذا في هذه الأمة عروة بن مسعود الثقفي حيث بادى قومه بالإسلام ، و نادى على عليه بالأذان ، فرموه بالسهام فقتلوه . ولما كان من المعلوم - بما دل عليه من صلابتهم في تكذيبهم الرسول و تهديدهم مع ما لهم من الآيات - أنهم لا ييقنون هذا الذى هو ١٥ [من - ١] دينتهم و قد صارحهم بما إن أغضوا عنه فيه انتقض عليهم أكثر أمرهم . لم يذكره تعالى عددا له^٢ عداد ما^٣ لا يحتاج إلى ذكره ، و قال

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و مد .
 (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فثوبوا (٥) في م : فلم (٦) من م و مد ،
 وفي الأصل و ظ : لهم (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : من .

جوابا لمن تشوف إلى علم حاله بعد ذلك بقوله لإيجازا في البيان ترغيا
 لأهل الإيمان: ﴿ قيل ﴾ [أى له بعد قتلهم إياه - '] ، فبناء للفعول
 وحذفه لأن المقصود القول لا قائله والمقول له معلوم: ﴿ ادخل الجنة ﴾
 لأنه شهيد ، والشهداء يسرحون في الجنة حيث شاؤوا من حين الموت .
 ٥ ولما كان الطبع البشرى داعيا إلى محبة الانتقام ممن وقع منه
 الأذى ، بين سبحانه أن الأصفياء على غير ذلك الحال ، فقال مستأقفا:
 ﴿ قال يئليت قومي ﴾ أى الذين فيهم قوة لما يراد منهم ، فلو كانت
 قوتهم على الكفار لكانت حسنة ^٢ ﴿ يعلمون لا ﴾ ولما أريد التصريح
 بوقوع الإحسان إليه ، حل المصدر إلى قوله : / ﴿ بما غفر لى ﴾ أى

/ ٣٥٢

١٠ أوقع الستر لما كنت مرتكبا له طول عمرى من الكفر به [بايمان -']
 في مدة يسيرة ﴿ ربى ﴾ أى الذى أحسن إلىّ فى الأخرى بعد إحسانه
 فى الدنيا ﴿ وجعلنى ﴾ ولما كان الأنس أعظم فوز ، عدل عن أن ^٣
 يقول « مكرما » ، إلى قوله : ﴿ من المكرمين ٥ ﴾ أى الذين أعطاهم الدرجات
 العلى بقطعهم جميع أعمارهم فى العبادة ، فنصح لقومه حيا وميتا يتمنى عليهم
 ١٥ باكرامه تعالى له ^٤ « ليعملوا مثل عمله » فينالوا ما ناله ، وفى قصته حث
 على المبادرة إلى مفارقة الأشرار واتباع الأخيار ، والحلم عن أهل الجهل
 وكظم الغيظ ، والتلطف فى خلاص الظالم من ^٥ ظله ، [وأنه لا يدخل

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قومهم
 كانت حسية (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ : ليعلموا مثل علمه (٥) من ظ
 و م و مد ، وفى الأصل : بمن .

أحد الجنة إلا برحمة الله وإن كان محسناً -^١] ، وهذا كما وقع للانصار
رضي الله عنهم في المبادرة إلى الإيمان مع بعد الدار والنسب ، وفي
قول^٢ من استشهد منهم في بئر معونة - كما رواه البخاري في المغازي^٣
عن أنس رضي الله عنه : بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا ،
وفي غزوة أحد كما في السيرة وغيرها لما وجدوا طيب^٤ مأكلهم ومشربهم^٥
و حسن مقيلمهم : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ثلاثا يزهدوا في
الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب ، فقال [تبارك و -^٦] تعالى : فأنا^٧
أبلغهم عنكم ، فأنزل^٨ الله تعالى^٩ [على رسوله صلى الله عليه وسلم -^{١٠}] "ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً" الآيات في سورة آل عمران ، وفي
التمثيل بهذه القصة إشارة إلى أن في قريش من ختم بموته على الكفر^{١١}
ولم ينقص ما ضرب له من الأجل ، فهو سبحانه يؤيد هذا^{١٢} الدين
بغيرهم لتظهر قدرته وليستوفي الآجال أولئك ، ثم يقبل بقلوب غيرهم ،
فتظهر مع ذلك حكمته - إلى غير ذلك من ينابيع المعاني ، وثابت المباني .
ولما كان سبحانه قد جعل أكثر جند هذا النبي الكريم من
الملائكة فأيده بهم في حالتي المسألة والمصادمة^{١٣} وحرسه بمن أراده في^{١٤}
مكة المشرفة وبعدها [بهم -^{١٥}] ، ذكره ذلك^{١٦} بقوله عاطفاً على ما

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : قوله (٣) راجع
٥٨٦/٢ (٤-٤) في م و مد : مشربهم و مأكلهم (٥) من ظ و م و مد ،
وفي الأصل : أنا (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد (٧) سقط من
ظ (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : المصادمة (٩) زيد من ظ و م و مد .

تقديره: و ما أنزلنا على قومه قبل قتلهم له من جند من السماء يحول بينهم وبين ذلك كما فعلنا بك إذ أراد أبو جهل قتلك^١ بالصخرة^٢ وأنت^٣ ساجد عند البيت وغيره بغير ذلك بما هو مفصل في السير، وأما [بعد - ٣] الهجرة ففي غزوة الأحزاب إذ أرسلنا عليهم ريحا و جنودا ردتهم خائبين، وفي غزوة أحد و بدر و خيبر وغير ذلك:

(و ما أنزلنا) بما لنا من العظمة (على قومه) أى صاحب يس (من بعده) أى بعد قتله، وأعرق في النفي بقوله: (من جند) و حقق المراد بقوله: (من السماء) أى لإهلاكهم، و حقق أن إرسال الجنود الساموية أمر خص به صلى الله عليه وسلم لأنه لحكم ترجع إلى النصرة ١٠ بغير الاستئصال فانهم يتبدون في صور^١ الآدميين و يفعلون أفعالهم.

و أما عذاب الاستئصال فان السنة الإلهية جرت بأنه لا يكون بأكثر من واحد من الملائكة لأنه أدل على الاقتدار، فلذلك قال تعالى: (و ما كنا منزلين) أى ما كان ذلك من سنتنا، و ما صح في حكت أن يكون عذاب الاستئصال بجند كثير (ان) أى ما (كانت)

١٥ أى الواقعة التى عذبوا بها (الصيحة) صاحبها بهم جبريل عليه السلام فأتوا عن آخرهم؟ و أكد أمرها و حقق وحدتها بقوله: (واحدة) أى لحقارة أمرهم عندنا، ثم زاد في تحقيرهم ببيان الإسراع في الإهلاك بقوله: (فاذا هم يخدمون) أى ثابت / لهم الجنود ما كانوا هم^٢ كانت لهم^٣

/ ٢٥٢

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: صورة.

حركة يوما من الدهر، ومن المستجاد في هذا قول أبي العلاء أحمد بن سليمان المعري:

وَ كَالنَّارِ الْحَيَاةُ فَن رَمَادٍ أَوَاخِرُهَا وَأَوَّلُهَا دَخَانٌ

ولما أخبر عنهم سبحانه بما هو الحق من أمرهم، ورغبهم بما ضرب لهم من المثل ورهبهم ولم ينفعهم ذلك، أتج التأسيف عليهم ٥ وعلى الممثل بهم ومن شابههم فقال تعالى: ﴿يَحْسِرَةُ﴾ أى هذا الحال مستحق للآزمة حسرة عظيمة ﴿على العباد ع﴾ فكأنه قيل لما: تعالى فهذا من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها، فان هؤلاء أحقاء بأن يتحسر عليهم، والحسرة: شدة الندم على ما فات، فأحرق قدده وأعبي أمره، فلا حيلة فى رده، ويجوز أن يكون المعنى أن العباد - لكثرة ١٠ ما يعكسون من أعمالهم - لا تقارقه أسباب الحسرة ولا حاضر معهم غيرهما، فلا ندیم لهم إلا هى، [و- ٢] لا مستعلى عليهم وغالب^٢ لهم سواها .

ولما كان كأنه قيل: أى حال؟ قال مبينا له ومعللا للتحسر بذكر سببه: ﴿ما يأتهم﴾ وأغرق فى النقي والتعميم بقوله: ﴿من رسول﴾ ١٥ أى رسول كان فى أى وقت كان ﴿الا كانوا به﴾ أى بذلك الرسول ﴿يستهبزون ه﴾ أى يوجدون الهزء، والرسول أبعد الخلق من الهزء حالا ومقالا وفعالا، ومن الواضح أن المستهزئ بمن^٢ هذا حاله هالك

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تعمهم (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: طالب (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: من .

فهو جدير بملازمة الحسرة له وأن يتحسر عليه .

ولما آثم سبحانه الخبر عن^١ أول [أمر -^٢] الممثل بهم وأول أمر المؤمن بهم وآخره ، وأذن هذا التحسر بأن هلاك المكذبين أمر لا بد منه ، دل عليه معجبا من عدم نظرهم لأنفسهم ومهددا للسامعين منهم ،
 ٥. و عذرا من آخر أمر الممثل بهم على وجه اندرج فيه جميع الأمم الماضية والطوائف الحالية بقوله : ﴿ الم يروا ﴾ أى يعلم هؤلاء الذين تدعوم علما هو كالرؤية بما صح عندهم من الأخبار وما شاهدوه من الآثار : ﴿ كم اهلكنا ﴾ على ما لنا من العظمة ، و دل قوله : ﴿ قبلهم ﴾ - بكونه ظرفا لم يذكر فيه الجار - على أن المراد جميع الزمان الذى تقدمهم من آدم إلى زمانهم ، وإدخال الجار على المهلكين يدل على أن المراد بعضهم ، فرجع حاصل ذلك إلى أن المراد : انظروا^٣ جميع ما مضى من الزمان هل عذب فيه قوم^٤ عذاب الاستئصال إلا بسبب عصيان الرسل فقال : ﴿ من القرون ﴾ أى الكثرة الشديدة الضخمة ، و القرن - قال البغوى : أهل^٥ كل عصر سموا^٦ بذلك لاقتранهم فى الوجود ﴿ انهم ﴾
 ١٥ أى لأن القرون .

ولما كان المراد من رسول ليس واحدا^٧ بعينه ، وكانت صيغة

(١) - نقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نظروا (٤) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦/٧ (٥) من ظ و م و مد و المعالم ، وفى الأصل : اصل (٦) من ظ و م و مد و المعالم ، وفى الأصل : سوا (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : واحد .

فَعُول كَفَعِيل يَسْتَوِي فِيهَا^١ الْمَذْكُورُ وَالْمَوْثُ وَالْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ، أَعَاد
 الضَّمِيرَ لِلْجَمْعِ^٢ فَقَالَ: (إِلَيْهِمْ) أَيْ^٣ إِلَى الرَّسْلِ خَاصَّةً^٤ مِنْ حَيْثُ
 كَوْنُهُمْ رَسَلًا^٥ (لَا يَرْجِعُونَ^٦) أَيْ عَنْ مَذَاهِبِهِمُ الْحَيْثِيَّةِ، وَيَخْصُونَ الرَّسْلَ
 بِالِاتِّبَاعِ فَلَا يَقْبَعُونَ غَيْرَهُمْ أَصْلًا فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الدِّينِيَّةِ أَوْ الدُّنْيَوِيَّةِ
 فَاطْرَدَتْ^٧ سَنَتَنَا وَلَنْ نَجِدَ لَسَنَتَنَا تَبْدِيلًا فِي أَنَّهُ كَلَّمَا كَذَبَ قَوْمَ رَسُولِهِمْ^٨
 أَهْلَكْنَاهُمْ وَنَجَّيْنَا رَسُولَهُمْ وَمَنْ تَبِعَهُ، أَفَلَا يَخَافُ هَؤُلَاءِ أَنْ نَجْزِيَهُمْ عَلَى
 تِلْكَ السَّنَةِ الْقَدِيمَةِ الْقَوِيمَةِ^٩ ذ^{١٠} "أَنْ" تَعْلِيلِيَّةٌ / عَلَى إِرَادَةِ حَذْفِ لَامِ الْعَلَّةِ
 كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ، وَضَمِيرُ "أَنَّهُمْ" لِلرَّسْلِ إِلَيْهِمْ، وَضَمِيرُ
 "إِلَيْهِمْ" لِلرَّسْلِ، لَا يَشْكُ فِي هَذَا مِنْ لَهُ ذَوْقٌ سَلِيمٌ وَطَبْعٌ مُسْتَقِيمٌ،
 وَالتَّعْبِيرُ بِالْمُضَارَعِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى إِمْهَالِهِمْ^{١١} وَالتَّأْنِي بِهِمْ^{١٢} وَالْحَلْمُ عَنْهُمْ مَعَ تَمَادُّهِمْ^{١٣}
 فِي الْعِنَادِ بِتَجْدِيدِ عَدَمِ الرَّجُوعِ، [و "يَرْجِعُونَ" -^{١٤}] هُنَا نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى
 "وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"
 أَيْ عَنْ طَرَفِهِمْ^{١٥} الْفَاسِدَةِ - وَهَذَا مَعْنَى الْآيَةِ بِغَيْرِ شَكٍّ، وَلَيْسَ بِشَيْءٍ
 قَوْلُ مَنْ قَالَ: الْمَعْنَى أَنَّ الْمُهْلِكِينَ لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا لِيُقِيدَ الرَّدُّ عَلَى
 مَنْ يَقُولُ بِالرَّجْعَةِ لِأَنَّ الْعَرَبَ لَيْسَتْ بِمَنْ يَعْتَقِدُ ذَلِكَ، وَلَوْ سَلِمَ لَمْ يَحْسُنْ،^{١٦}
 لِأَنَّ السِّيَاقَ لَيْسَ لَهُ، لَمْ يَتَقَدَّمْ عَنْهُمْ غَيْرُ اسْتِهْزَاءٍ، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ اسْتِهْزَاءَهُمْ

(١) مِنْ ظ و مَد، وَفِي الْأَصْلِ ر م: فِيهِ (٢) فِي ظ و مَد: بِجَمِيعِ (٣) سَقَطَ
 مِنْ ظ (٤-٤) سَقَطَ مَا بَيْنَ الرَّقِيمَيْنِ مِنْ م (٥) مِنْ ظ و مَد، وَفِي الْأَصْلِ:
 "و" (٦) مِنْ ظ و مَد، وَفِي الْأَصْلِ: فَاضْطَرَدَّتْ (٧) زَيْدٌ مِنْ ظ و مَد
 وَ مَد (٨) فِي ظ: طَرِيقُهُمْ (٩) زَيْدَتْ الْوَاوُ فِي الْأَصْلِ، وَلَمْ تَكُنْ فِي ظ و مَد
 وَ مَد لَخَذَفْنَاهَا.

مع عليهم بأن الله تعالى أجرى سنته أن^١ من استهزأ بالرسول وخالف قولهم فلم يرجع إليه أهلكت، اطرد ذلك من سنته ولم يتخلف في أمة من الأمم كما وقع لقوم نوح و هود ومن بعدهم، لم يتخلف في واحدة [منهم -^٢]، وكلهم تعرف العرب أخبارهم، و ينظرون آثارهم، وكذا يعرفون قصة موسى عليه السلام مع فرعون، فالسباق للتهديد، فصار المعنى: ألم ير^٣ هؤلاء كثرة من أهلكنا من قبلهم لمخالفتهم للرسول، أفلا يخشون مثل ذلك في مخالفتهم لرسولهم؟ وذلك موافق لقراءة الكسر التي نقلها البرهان السفاقي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره عن الحسن، وقالوا: إنها استثنائية، فهي على تقدير سؤال من كأنه قال: ١٠. لم أهلكهم؟ وهذا كما إذا^٤ شاع أن الوادي^٥ الفلاني ما سلكه أحد إلا أصيب، يكون ذلك مانعا عن سلوكه، وإن أراد ذلك أحد صح أن يقال له: ألم تر أنه ما سلكه أحد إلا هلك، فيكون ذلك زاجرا له ورادا عن التماهي فيه، لكون العلة في الهلاك سلوكه فقط، وذلك أكف له من أن يقال له: ألم تر أن الناس يموتون وكثرة من مات ١٥ منهم ولم يرجع أحد منهم، غير معلل ذلك بشيء من سلوك الوادي ولا غيره، فإن هذا أمر معلوم له، غير مجدد فائدة، وزيادة عدم الرجوع إلى الدنيا لا دخل لها في العلية أيضا لأن ذلك معلوم عند مخاطبين بل

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بأن (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بما (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الوادي .

هم قاتلون بأعظم منه من أنه لاهياة بعد الموت لا ' إلى الدنيا ولا إلى غيرهما ، و على تقدير التسليم فربما كان ذكر الرجوع للاموات أولى بأن يكون تهديدا ، فان كل إنسان منهم يرجع حيثن إلى ما في يد غيره مما كان مات عليه و يصير المتبوع بذلك تابعا أو يقع الحرب و تحصل الفتن ، فأفاد ذلك أنه لا يصلح التهديد بعدم الرجوع - والله الموفق للصواب .

و لما كان كثير من أهل الجهل وذوى الحمية و الأنفة لا يبالون بالهلاك في متابعة الهوى اعتمادا على أن موة واحدة في لحظة يسيرة أهون من حمل النفس على ما لا تريد ، فيكون لهم في كل حين موتات ، أخبر تعالى أن الأمر غير منقض بالهلاك الدنيوى ، بل هناك من الخزي ١٠ و الذل و الهوان و العقوبة و الإيلام ما لا ينقض أبدا قال : (و ان كل) أى و إنهم كلهم ، لا يشذ منهم أحد ، و زاد في التأكيد لمزيد تكذيبهم بقوله : (لما) و من شدة دلاء فالمعنى عنده دوما كل منهم إلا ، و أشار إلى أنهم يأتون صاغرين راغبين في حالة اجتماعهم كلهم في الموقف / لا تناصر عندهم و لا تمنع ، و ليس ' أحد منهم ' غائب بحال التخلف عن ١٥ / ٣٥٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يصح (٤) سقط من ظ و م و مد . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كثيرا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موتان (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التكذيب (٨) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٩ - ٩) فى ظ و م و مد : منهم احد .

الاتصار عليه فقال: (جميع) وأشار إلى غرابة الهيئة التي يجتمعون عليها بقوله: (لدينا) وزاد في العظمة بإبرازه في مظهرها، وعبر باسم الفاعل المأخوذ من المبنى للفعول فقال [جامعا نظرا إلى معنى «كل» لأنه أدل على الجمع في آن واحد وهو أدل على العظمة -١]:

هـ (محضرون) أي في يوم القيامة بعد بعثهم بأعينهم كما كانوا في الدنيا سواء، إشارة إلى أن هذا الجمع على كرامة منهم وإلى أنه أمر ثابت لازم دائم، كانه لعظيم ثباته لم يزل، وأنه لا بد منه، ولا حيلة في التفصي^١ عنه، وأنه يسير لا توقف له على غير الإذن، فاذا أذن فعله كل من يؤمر^٢ به من الجنود كائنا من كان، وما أحسن ما ١٠ قال القائل:

ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكننا إذا متنا بعثنا ونسأل بعدها عن كل شيء

ولما أتم ضرب المثل المفيد لتمام قدرته على الأفعال الهائلة ببشارة وندارة حتى أن من طبع على قلبه فهو لا يؤمن وإن كان قريبا في النسب والدار، ومن أسكن قلبه الخشية يؤمن وإن شط به النسب والمزار، ١٥

قم^١ التعريف^٢ بالقسم المقصود^٣ بالذات وهو من يتبع [الذكر -١]،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: التفضي .
(٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يامر (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لما (هـ) من ظ و م و مد، وفي الأصل: من (٦) من مد، وفي الأصل: ظ و م: ختم (٧-٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بالمقصود .

وختم بالبعث و كانوا له منكرون ، و كان قد جملة^١ في صدر الكلام
من تمام بشارة من اتبع الذكر^٢ ، دل عليه [بقوله -^٣] مبتدئا بنكرة
تنوينها^٤ دال على تعظيمها : (و آية) أى [علامة -^٥] عظيمة
(لهم^٦) على قدرتنا^٧ على البعث و إيجادنا له (الارض) أى هذا
الجنس الذى هم منه^٨ ؛ ثم وصفها بما حقق وجه الشبه فقال : (الميتة ^٩)
التي [لا روح لها لانه -^{١٠}] لا نبات بها أعم من أن يكون بها نبات
وقى ففتت^{١١} و صار ترابا أو لم يكن بها^{١٢} شئ أصلا . ثم استأنف يان
كونها^{١٣} آية بقوله : (احيينها) أى باختراع النبات فيها أو باعادته
بسبب المطر كما كان بعد اضمحلاله .

- و لما كان إخراج الأقوات نعمة أخرى قال^{١٤} : (و اخرجنا منها حبا) ١٠
و نبه تعالى على عظيم القدرة [فيها -^{١٥}] و على عموم نفعها بمظهر العظمة ،
و زاد فى التنبيه بالتذكير بأن الحب معظم ما يقيم الحيوان فقال مقدا
للجار إشارة إلى عد غيره بالنسبة إليه عدما لعظيم وقعه و عموم نفعه
(١) زيد فى ظ : له (٢) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م و مد
لحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ و م :
تنوينها (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى الأصل و م ، أى علامة ، ولم تكن الزيادة
فى ظ و مد لحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : القدرة (٨) من ظ
و م و مد ، وفى الأصل : فيه (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فلفتت .
(١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : به (١١) من م و مد ، وفى الأصل :
كونه ، والكلمة ساقطة من ظ (١٢) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : فقال .
(١٣) زيد من م و مد .

بدليل أنه متى قل جاء القحط و وقع الضرر: ﴿فنه﴾ [أى بسبب هذا الإخراج-^١] ﴿ياكلون﴾ أى فهو حب حقيقة يعلون ذلك علم اليقين و عين اليقين^٢ لا يقدرّون على أن يدعوا أن ذلك خيال سحرى بوجه، و فى هذه الآية و أمثالها حث عظيم على تدبر القرآن و استخراج ما فيه من المعانى الدالة على جلال الله و كماله، و قد أنشد هنا الأستاذ أبو القاسم الفشيرى رحمه الله فى تفسيره فى عيب من أهمل ذلك فقال:

يا من تصدر^٣ فى دست الإمامة^٤ فى مسائل الفقه إملاء و تدريسا
غفلت عن حجج التوحيد تحكمها شيدت فرعا و ما مهدت تأميسا

١٠ و لما ذكر سبحانه ما فى الزروع^٥ و ما لاساق له من النعمة و القدرة،

و دل السياق فيه على الحصر، أتبعه ما بين أن المراد التعظيم لا الحصر

الحقيقى باظهار المنة فى غيره من الأشجار الكبار و الصغار ذات الأقوات^٦

و الفواكه، فقال دالا على عظمه بمظهر / العظمة: ﴿وجعلنا﴾ أى

بما لنا من العظمة ﴿فيها﴾ أى الأرض ﴿جنت﴾ أى بساتين تستر

١٥ داخلها^٧ بما فيها من الأشجار المنتفة . و لما كان النخل - مع ما فيه من

النفع - زينة دائما بكونه^٨ لا يسقط ورقه، قدمه و سماه باسمه فقال:

(١) زيد من ظ و مد (٢) زبدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م

و مد فخذناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تدبر (٤) من ظ و م

و مد، و فى الأصل: ها (٥) ليس فى ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد،

و فى الأصل: قصدو (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الامة (٨) من ظ و م

و مد، و فى الأصل: الزروع (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل:

الاموات (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دانيها (١١) من م، و فى

الأصل: بكون، و فى مد: لكونه، و الكلمة - انطة من ظ .

(من نخيل) [وفيه أيضا إشارة إلى أنه نفع كله خشبه وليفه وشعبه
وخصه وعراجينه وممره طلعا وجارا وبسرا ورطبا وتمرا، ولذلك
- والله أعلم - أتى فيه بصيغة جمع الكثرة كالعيون -^١]، ولما كان الكرم
لا تكون له زينة بأوراق تجم إلا ما كان العنب قائما قال: (واعناب)
ودل بالجمع فيهما دون الحب على كثرة اختلاف الأصناف في النوع ٥
الواحد الموجب للتفاوت الظاهر في القدر^٢ والطعم وغير ذلك .

ولما [كانت الجنات لا تصلح إلا بالماء -^١]، وكان من طبع الماء الفور^٢
في التراب و الرسوب بشدة السريان إلى أسفل ، فكان فورانه إلى جهة
العلو أمرا باهرا للعقل لا يكون إلا بقصر قاصر حكيم قال: (وفجرنا)
أى فتحنا تفتيحا عظيما (فيها) ودل على تناهى عظمته وتعاليا عن ١٠
أن يحاط بشيء منها بالتبعض بقوله: (من العيون^٣) [والتعريف هنا
يدل على أن الأرض مركبة على الماء، فكل موضع منها صالح لأن يفجر
منه الماء، ولكن الله يمنعه عن بعض المواضع بخلاف الأشجار ليس
منها شيء غالبا على الأرض -^١]، ففي ذلك تذكير بالنعمة في حبس
الماء عن بعض الأرض لتكون موضعا للسكن، ولو شاء لفجر الأرض ١٥
كلها عيوننا كما فعل بقوم نوح عليه السلام فأغرق الأرض كلها^٤ .

(١) زيد من ظ وم د (٢) من ظ وم و مد، وفي الأصل: القدرة (٣) من
مد، وفي الأصل: ظ وم م: الفور (٤) من ظ وم د، وفي الأصل: م:
وفي (هـ-هـ) سقط ما بين الرقعين من ظ .

'ولما كانت حياة كل شيء إنما هي بالماء، أشار' إلى ذلك بقوله:

(ياكلوا من) [وأشارت قراءة حمزة والكسائي بصيغة الجمع مع أفراد الضمير إلى أن الشجرة الواحدة تجمع بالتطعيم أصنافا من الثمر - ٢] (ثمره) أي من ثمر ما تقدم، ولولا الماء لما طلع، ولولا أنه بكثرة لما أثمر بعد الطلوع .

ولما كان الإنسان قد يتسبب في تربة بعض الأشياء، أبطل سبحانه الأسباب فيما يمكن أن يدعو فيه^٥ تسببا، ونبه على أن الكل بخلقه فقال: (وما عملته) أي ولم تعمل شيئا من ذلك (أيديهم) [أي عملا ضعيفا] - بما أشار إليه تأنيث الفعل فكيف بما فوه وإن ١٠ تظاهروا على ذلك بما أشار إليه جمع اليد - ٢] . ولما كان السياق ظاهرا في هذا جاءت قراءة حمزة والكسائي وحفص^٦ عن عاصم بحذف الضمير غير منوى قصرا للفعل تعميما للفعول ردا لجمع الأمور إلى بارئها سواء كانت بسبب أو بغير سبب، أي ولم يكن لأيديهم عمل لشيء^٧ من الأشياء لا لهذا^٨ ولا لغيره مما له مدخل في عيشهم ومن غيره، ولذلك حسن ١٥ [كل - ١] الحسن إنكاره عليهم عدم الشكر بقوله: (فلا يشكروا) أي يدأبون دائما في إيقاع الشكر والدوام على تجديده في كل حين [بسبب هذه النعم الكبار - ٢] .

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) راجع ثر المرجان ٥/ ٥٦٩ (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم وم (٥) وفي الأصل: تسبب (٥) من ظ وم وم (٦) وفي الأصل: به (٦-٦) سقط ما بين الرقيين من مد (٧) من ظ وم وم (٨) وفي الأصل: بشيء (٨-٨) من ظ وم وم (٩) وفي الأصل: هذا ولا غيره فإ (٩) زيد من ظ وم وم .

ولما

و لما كان السياق لإثبات الوحدانية و الإعلام بأن ما عبد من دونه
لا استحقاق له في ذلك بوجه، و لا تقع يده و لا ضرر، و أنتج هذا السياق
- بما دل عليه من تفرد [بكل كمال -^١] و أنه لا أمر لاحد معه
بوجه من الوجوه^٢ - تنزهه عما ادعوه من الشرك غاية التنزه، قال [لاقتا
للکلام عن مظهر العظمة لأن إثباتها بالرحمة الدال عليها أدخل في التعظيم -^٣] : ه
(سبخن الذي) و وصفه بما^٤ أكد ما مضى من إسناد الأمور كلها
إليه و نفى كل شيء منها عمن سواه فقال : (خلق الأزواج) أى
الأنواع المتشاكلة المتباينة في الأوصاف و في الطعوم و الأرايح و الأشكال
و الهيئات و الطبائع و غير ذلك من أمور لا يحصيها إلا الله تدل أعظم
دلالة على كمال القدرة و عظيم الحكمة و الاختيار في الإرادة، و أكد ١٠
بقوله : (كلها) لإفادة التعميم؛ ثم زاد الأمر تصريحاً بالبيان بقوله :
(مما تنبت الأرض) فدخل فيه كل نجم و شجر و معدن و غيره من
كل ما يتولد منها، [وأشار - لكونه في سياق تكذيبهم - إلى تأديبهم
بتحقيقهم بجمع القلة و التعبير بالنفس التي تطلق في الغالب على ما يذم
به فقال -^٥] : (و من انفسهم) و بين أن^٦ وراء ذلك أموراً لا يعلمها ١٥
إلا هو سبحانه فقال : (و بما لا يعلمون) أى و بما لا يحتاجون [إليه -^١]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيدت الواو بعده في الأصل، و لم تكن في
ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، و في
الأصل : لا (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : أمور .

في دينهم و لادنيام ، و لا توف لشيء من إصلاح المعاش و المعاد عليه ،
و لو كان ذلك لأعلم به كما أعلم بأحوال الآخرة و غيرها مما
لم نكن نعلمه .

و لما دريهم على النظر بآيات الأعيان الحسية الدالة على القدرة
الباهرة / لا سيما على البعث ، رقام إلى المعاني على ذلك النحو ، فان إيجاد
كل من المولود بعد إعدامه أدل دليل على البعث ، فقال ناقلاً لهم من
المكان الكلي إلى الزمان الكلي الجامعين للجواهر و الأعراض : (و آية لهم)
[أي - ٣] على إعادة الشيء بعد إفناءه (الليل) أي الذي يشاهدونه
لا شك عندهم فيه و لاحيلة بوجه في رفضه ؛ ثم استأنف قوله : (نسلخ)
١٠ [عائداً إلى مظهر العظمة دلالة على جلالة هذا الفعل بخصوصه - ٥] .

و لما كان الأصل في هذا الوجود الظلام ، و الضياء حادث ، و كان ضياؤه
ليس خالصاً ، عبر به من ، التي تصلح للالابة مع التخلل في الأجزاء
فقال : (منه النهار) أي الذي كان محتلطاً به بإزالة الضوء و كشفه
عن حقيقة الليل (فاذا هم) بعد إزالتها للنهار الذي سلخناه من الليل
١٥ (مظلون) أي داخلون في الظلام بظهور الليل الذي كان الضياء
ساراً له كما يستر الجلد الشاة . قال الماوردي : و ذلك أن ضوء النهار

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ان (٢) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : قافلاً (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ
و م و مد ، وفي الأصل : فناء (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
الوصف (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : النساء - كذا .

يتداخل في الهواء فيضىء فاذا خرج منه أظلم - نقله ابن الجوزى عنه ،
وقد أرشد السياق حتما إلى أن التقدير : والنهار نسلخ منه الليل الذى
كان سآره و غالبا عليه فاذا هم مبصرون .

ولما ذكر الوقتين ، ذكر آتيهما فقال : (و الشمس) أى التى
سلخ^١ النهار من الليل بغيوبتها (تبحر) ولما كان غيابها بالليل مثل هـ
سكون الإنسان فى ميته ، و جعلها على خط قدر لسيرها كل يوم بتقدير
لا زيع فيه و منهاج لا يعوج ، قال : (لمستقر) أى عظيم^٢ (لها) و هو
السير الذى لا تغدوه^٣ جنوبا و لا شمالا ذاهبة و آتية^٤ ، و هى فيه مسرعة -
بدليل التعبير باللام فى موضع د إلى ، و يدل على هذا قراءة لامستقر لها
بل هى جارية أبدا إلى انقراض الدنيا [فى موضع مكين محكم هو أهل ١٠
للقرار ، و عبر به مع أنها لا تستقر ما دام هذا الكون لئلا يتوهم أن
دوام حركتها لأجل أن موضع جريها لا يمكن الاستقرار عليه -] ،
ولا ينافى هذا ما فى صحيح البخارى و فى كتاب الإيمان من صحيح مسلم^٥
عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : مستقرها
تحت العرش ، و أنها تذهب فتستأذن فى السجود فيؤذن لها و كأنها قد^٦ ١٥
قيل لها : ارجعى من حيث جئت ، فتطلع من مغربها - هذا لفظ مسلم ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تسليخ (٢-٢) سقط ما بين الوثيقين من
م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعدونه (٤) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : آتية (٥) زيد من ظ و مد (٦) باب بيان الزمن الذى لا يقبل
فيه الإيمان ١ / ٨٨ (٧) من ظ و م و مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل : مذ .

وسبأتى لفظ البخارى، ويمكن أن يكون المستقر آخر جريها عند
إبادة هذا الوجود.

ولما كان هذا الجرى على نظام لا يختل على مر السنين و تعاقب
الاحقاب تكل الاوهام عن استخراجها، و تحرير الافهام في استنباطه،
عظمه بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الامر الباهر للعقول؛ و زاد فى عظمه
بصيغة التفعيل فى قوله: ﴿تقدير﴾ و أكد ذلك [لا فتا القول عن
مطلق مظهر العظمة إلى تخصيصه - ٢] بصفى العزة و العلم [تعظيما لهذه
الآية تنبيها على أنها أكبر آيات السماء - ٢] فقال: ﴿العزیز﴾ أى الذى
لا يقدر أحد فى شيء من أمره؛ على نوع مغالبة، و هو غالب على كل
شيء. ﴿العليم﴾ أى المحيط علما بكل شيء الذى يدبر الامر، فيطرد
على نظام عجيب و نهج بديع لا يعتريه و هن و لا يلحقه يوما نوع خلل
إلى أن يريد سبحانه إبادة هذا الكون فتسكن حركاته و تنفى موجوداته،
روى البخارى عن أبى ذر رضى الله عنه قال: كنت مع النبى صلى الله
عليه و سلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر! أتدرى أين
١٥ تذهب؟ قال: قلت: الله و رسوله أعلم، قال: فانها تذهب حتى تسجد

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انارة (٢) من م و مد، و فى الأصل
و ظ: عن (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امر.
(٥) سقط من ظ (٦) زيد فى ظ: اى (٧) من ظ و م و مد، و فى
الأصل: عظيم عجيب (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٩) راجع
أبواب التوحيد ٢ / ١١٠٤ و راجع أيضا أبواب التفسير.

تحت العرش فتسأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها
و تسأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فذلك قوله
تعالى "والشمس تجري لمستقر لها".

/ ولما ذكر آية النهار، أتبعها آية الليل فقال: ﴿والقمر﴾ ٣٥٨/
[ومعناه في قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وروح عن يعقوب ه
بالرفع^١: يجرى لمستقر له، ونصبه الباقون دلالة على عظمة هذا الجرى
لسرعه بقطعه في شهر ما تقطعه الشمس في سنة، ولذلك ضعف الفعل
المفسر للنائب وأعمله في ضمير القمر ليكون مذكورا مرتين فيدل
على شدة العناية تنبيهها على تعظيم الفعل فيه، وأعاد مظهر العظمة فقال
مستأنفا في قراءة الرفع - ٢]: ﴿قدرته﴾ أي قسناه قياسا عظيما أي ١٠
قسنا لسيره^٢ ﴿منازل﴾ ثمانية وعشرين، ثم يستمر ليلتين: عند التهام
وليلة للنقصان^٣ لا يقدر يوما أن يتعدها^٤، قال الأستاذ أبو القاسم
القشيري: يبعد عن الشمس ولا يزال يقاعد حتى يعود بدرا، ثم يدنو
فكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصانا إلى أن يتلاشى.
﴿حتى عاد﴾ أي بعد أن كان بدرا عظيما ﴿كالرجون﴾ من النخل ١٥
وهو عود العذق ما^٥ بين شماريخه^٦ إلى متناه وهو منبته^٧ من النخلة

(١) راجع نثر المرجان ٥/٧٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، وفي
الأصل وم: لمسيره (٤) زيد في الأصل و ظ: ليلة، ولم تكن الزيادة في ظ
وم و مد لحذفناها (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: عند النقصان.
(٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تتعدها (٧) في م: مم (٨) من ظ و م
و مد، وفي الأصل: شمارخه (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: مبيت.

نظم الدرر (سورة يس: ٣٦ - ٤١) ج - ١٦

دقيقا منحنيا، وهو فدلول^١ ذكره أهل اللغة في النون وقالوا: عرجن الثوب: صور فيه [صور - ٢] العراجين، وقال المفسرون: إنه من عرج، أى^٢ اعوج. ولما كانت حرته آخذة إلى صفرة قال: (القديمه) أى المحول، فان العرجون إذا طال مكثه صار كذلك، فدق وانحنى ه واصفر.

ولما تقرر أن لكل منهما منازل لا يعدوها، فلا يغلب ما هو آيته ما هو آية الآخر، بل إذا جاء سلطان هذا ذهب ذاك، وإذا جاء [ذاك - ٤] ذهب هذا، فاذا اجتمعا قامت الساعة، تحرر أن نتيجة هذه القضايا: (لا الشمس) أى التى هى آية النهار (ينبغى لها) أى ما دام ١٠ هذا الكون موجودا على هذا الترتيب (ان تدرك) أى لأن حركتها بطيئة (القمر) أى قطمسه بالكلية، فما النهار سابق الليل (ولا اليل سابق النهار) أى حتى ينبغى للقمر مع سرعة سيره أن يدرك الشمس ويغلبها [فلا يوجد نهار أصلا، ولو قيل: يستبق، لاختل المعنى لإيهامه أنه لا يتقدمه أصلا - ٢]، فالآية من الاحتباك: ١٥ نفي أولا إدراك الشمس لقوتها دليلا على ما حذف من الثانية من نفي إدراك القمر للشمس^٣، وذكر ثانيا سبق الليل النهار لما له من القوة

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ: فعول، و العبارة من بعده إلى «المفسرون إنه» ساقطة من م (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: إذا (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) سقط من ظ.

بما (٣٣)

بما^١ يعرض من النهار فيغشيه دليلا على حذف سبق النهار الليل. أولا
 (وكل) أى من المذكورات حقيقة و مجازا (فى فلك) [يحيط به -^٢]،
 ولما ذكر لها فعل العقلاء، [وكان على نظام محرز لا يحتل، وسير مقدر
 لا يعوج ولا ينحل، فكان منزلها عن آفة تلحقه، أو ملل يطرده، غير بما تدور
 مادته على القدرة والشدة والاتساع -^٣] فقال^٤، [أتيا بضمير العقلاء^٥
 جامعا لانه أدل على تسخيرهم كلهم دائما -^٦] : (يسبحون^٧) حثا على
 تدبر ما فيها من الآيات التى غفل عنها - لشدة الإلف لها - الجاهلون.
 ولما ذكر ما حد له حدودا فى السباحة فى وجه الفلك لو تعداها
 لاختل النظام، ذكر ما^٨ هياه من الفلك للسباحة^٩ على وجه الماء الذى
 طبق الأرض فى زمن نوح عليه السلام حتى كانت كالسقاء، ولو تعدت^{١٠}
 السفينة ما حد لها سبحاته من المنازل فنفذت^{١١} إلى بحر الظلمات لفسد
 الشأن، وكانوا فيها كأنهم فى الأرض^{١٢}؛ وبسرها^{١٣} كأنهم يخترقون الجبال
 والفيافي والقفار - كل ذلك تذكيرا بأيام الله، وتنبها على استدراج
 نعمه، وتحذيرا من سطواته ونقمه، ومنا^{١٤} عليهم بما^{١٥} يسر لهم من سلوك
 البحر والتوصل به إلى جليل المنافع فقال: (واية لهم) [أى -^{١٦}] ١٥

- (١) من م ومد، وفى الأصل وظ : لا (٢) زيد من ظ ومد (٣) من
 ظ ومد، وفى الأصل وم : قال (٤-٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل :
 هيا لفلك من السابحة (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل : تعدان (٦) من ظ
 وم ومد، وفى الأصل : تعدت (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٨-٨) فى ظ : على ما (٩) زيد من ظ وم ومد .

على قدرتنا التامة وعلنا الشامل ﴿انا﴾ أى على ما لنا من العظمة
﴿حملنا﴾ .

[ولما كان -^١] من قبل^٢ فوح عليه السلام من أصول البشر
لم يحملوا فى الفلك، عدل عن التعبير بالضمير والآباء إلى قوله:
﴿ذريتهم﴾ أى ذرية البشر التى ذرأناها وذرروناها وذررناها حتى ملأنا
بها الارض من ذلك الوقت إلى آخر الدهر، [ولهذا التكثير المفهوم
من هذا الاشتقاق البليغ اغنى ابن كثير و أبو عمرو والكوفيون ققرأوا
بالإفراد، وزادت فى الإيضاح قراءة الباقيين بالجمع -^٣]، بعضهم ظاهرا
وبعضهم فى ظهرايه ﴿فى الفلك﴾ [عرفه لشهرته بين جميع الناس -^٤]
١٠ ﴿المشحون^٥﴾ [أى -^٦] الموقر المملوء حيوانا وزادا، وهو يتقلب فى
تلك المياه التى لم يرقط مثلها ولا يرى أبدا، ومع ذلك فسله^٧ الله .
ولما كانت [هذه -^٨] الآية لم تنقطع بل عم سبحانه بنفعها قال:
﴿وخلقنا﴾ أى بعظمتنا الباهرة ﴿لهم من مثله﴾ أى من مثل ذلك
الفلك من الإبل والفلك ﴿ما يركبون﴾ أى مستمرين على ذلك على
١٥ سبيل التجدد ليقصدوا منافعهم، ولو شئنا لمنعنا ذلك .

ولما كان قد أنجى سبحانه آباءنا حين حملة فى ذلك الماء الذى
لم يكن مثله قط، وكان ربما ظن أن^٩ الإنجاء لسر^{١٠} من الأسرار غير

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: قبيل .
(٣) راجع ثر المرجان ٥ / ٧٣ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من م و مد .
(٦) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ (٨) من ظ
و م و مد، وفى الأصل: ليس .

إرادته ، جعل [أمر - ١] ما خلق من مثله تارة وتارة ليعرف أن ذلك إنما هو بصنعه فتشكر نعمته أولا وآخرا فقال : ﴿ وان نشاء ﴾ أى لأجل ما لنا من القوة الشاملة ﴿ نغرقهم ﴾ أى مع أن هذا الماء الذى يركبونه لا يعسر^٢ ذلك الذى حملنا فيه آبائهم ﴿ فلا صرغ لهم ﴾ أى مفيت^٣ ينجيهم بما يزيد^٤ بهم من الفرق ﴿ ولا هم ﴾ أى بأنفسهم من غير صرغ^٥ ﴿ ينقذون^٦ ﴾ أى يكون لهم إنقاذ أى خلاص بأنفسهم أو غيرها . ولما كان هو سبحانه يصرخ من يشاء فينجيه وكانت دلاء نافية نفيا مستغرقا^٧ ، استقى ما كان منه سبحانه فقال : ﴿ الراحمة ﴾ [أى - ١] إلا نحن فنتقدم إن شئنا رحمة ﴿ منا ﴾ أى لهم ، لا وجوبا علينا ، ولا لمنفعة تعود منهم إلينا ﴿ ومتاعا ﴾ أى لهم ﴿ إلى حين^٨ ﴾ أى وهو حين انقضاء آجالهم . ١٠ ولما كان هذا الحال معلوما لهم لا ينازعون فيه بوجه ، بل إذا وقعوا فيه أخلصوا الدعاء وأمروا به وخلعوا الانداد ، وكان علم ذلك موجبا لصاحبه أن لا يغفل عن القادر عليه وقتاما ، بل لا يفتر عن شكره خوفا من مكره ، وكان العاقل إذا ذكر بأمر^٩ فعله يقينا كان جديرا بأن يقبله ، فاذا لم يقبله وخوف [عاقبه - ٢] بأمر محتمل جد فى الاحتراز ١٥ منه ، عجب منهم فى إعراضهم عنه سبحانه مع قيام الأدلة القاطعة على

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فى ظ ومد : لا يعسر (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : مغيب (٤) من م ومد ، وفى الأصل : يزيد (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م ومد فحذفها (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بأمره (٧) زيد من م ومد .

وحدانيته 'أو أنه' قادر على ما يريد من 'عذاب و ثواب' ، وإقبالهم
على ما لا ينفعهم بوجه ، فقال : (وإذا قيل) [أى -] من أى قاتل
كان (لهم اتقوا) أى خافوا خوفا عظيما تعالجون فيه أنفسكم
(ما بين ايديكم) أى بما يمكن أن تقعوا فيه من العثرات المهلكة في
الدارين (وما خلفكم) أى ما فرطتم فيه ولم تجاروا به ولا بد
من الحاسبة عليه لأن الله الذى خلقكم أحكم الحاكمين (لعلكم ترحمون)
أى تعاملون معاملة المرحوم بالإكرام .

ولما كان التقدير : أعرضوا لأن الإعراض [قد -] صار لهم
خلقا لا يقدرّون على الانتكاس من أسره ، عطف عليه قوله إشارة إليه :
١٠ (وما تاتيه) وعمم بقوله : (من آية) وبين بقوله : (من آيت)
[ولفت الكلام للتذكير بالإنعام تكذيبا لهم فى أنهم أشكر الناس
للنعم فقال -] : (ربهم) أى المحسن إليهم (إلا كانوا عنها)
أى مع كونها من عند من غرهم إحسانه وعمهم فضله وامتنانه
(معرضين) أى دائما إعرضهم .

١٥ ولما كانت الرحمة بالرزق والنصر إنما تنال بالرحمة للضعفاء . هل
ترزقون و تنصرون إلا بضعفائكم ، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء .

(١-١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : فانه (٢-٢) من ظ و م ومد ، وفى
الأصل : ثواب وعقاب (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من م ومد والقرآن
الكریم ، وفى الأصل و ظ : خلفهم (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :
لم تجاهدوا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : عم .
(٨) زيد من ظ و مد .

وكان الإنفاق خلق المؤمنين ، قال مينا أنهم اسلخوا عن الإنسانية جملة
 فلا يخافون ما يحوز وقوعه من العذاب ، ولا يرجون ما يحوز حوله
 من الثواب : ﴿ و اذا قيل لهم ﴾ (١) أى من أى قائل كان : ﴿ انفقوا ﴾
 أى على من لا شيء له ، شكرا لله على ما أنجاهم منه ونفعكم به بنفع خلقه
 الذين هم عياله ، و بين أنهم يخلون بما لا صنع لهم فيه ولم^٢ تعمله أيديهم ٥
 [بل ببعضه - ٢] فقال : ﴿ عما رزقكم ﴾ [وأظهر ولم يضم إشارة
 إلى جلالة الرزق بجملة معطية ، وزاد في تقريرهم بجعل ذلك الظاهر
 اسم الذات لأنه لا ينبغي أن يكون عطاء العبد على قدر سيده فقال - ٣] :
 ﴿ الله لا ﴾ [أى - ٤] الذى له جميع صفات الكمال ﴿ قال ﴾ [وأظهر
 تبيكيتا لهم بالوصف الحامل لهم على البخل فقال - ٣] : ﴿ الذين كفروا ﴾ ١٠
 أى ستروا و غطوا ما دلهم عليه أنوار عقولهم من الخيرات ﴿ للذين آمنوا ﴾
 أى القائلين بذلك المعتقدين [له - ٤] سواء / كانوا هم القائلين لهم أو غيرهم
 منكرين^٥ عليهم استهزاء^٦ بهم عادلين عما^٧ اقتضى السؤال عن ذكر الإنفاق إلى
 ما يفيد التبريع بالفقر والحاجة إلى الأكل^٨ : ﴿ انظعم ﴾ [وعدلوا عن التعبير
 بالماضى لثلا يقرأ لهم : قد تولى^٩ سبحانه إطعامه من حين خلقه إلى الآن ، ١٥
 فقالوا - ٩] : ﴿ من لو يشاء ﴾ [وأظهروا حدا له و مساعيه فقالوا - ٣] :

(١) وقع في الأصل و م بعد « قائل كان » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ
 وم ومد ، وفي الأصل : لا (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من ظ و م و مد .
 (٥) في م : مبكتين (٦-٧) من ظ و مد ، وفي الأصل : عاذرين عنها (٧) العبارة
 من « بهم عادلين » إلى هنا ساقطة من م (٨) ليس واضحا في مد (٩) زيد من مد .

(الله) أى الذى له جميع العظمة كما زعمتم فى كل وقت يريدہ (اطعمہ بک) أى لکننا نظره لا يشاء ذلك فانه لم يطعمهم لما نرى من فقرهم فنحن أيضا لا نشاء ذلك موافقة لمراد الله [فيه - ٢] فتركوا التأديب مع الامر و أظهروا التأديب مع بعض الإرادة المنهى عن الجرى معها و الاستسلام لها ، و ما كفاهم حتى قالوا لمن أرشدهم إلى الخير على طريق النتيجة لما تقدم : (ان) أى ما (انتم الا فى ضلل) أى محيط بكم (مبین ہ) أى فى غاية الظهور ، و ما دروا أن الضلال إنما هو لهم لانه سبحانه [إنما - ٨] جعل إطعام بعض خلقه بلا واسطة و بعضهم بواسطة امتحانا منه للطيع و العاصي و الشاكر و الكافر و الجزع و الصابر - و غير ذلك ١٠ من حكمه .

و لما ذكر قلة خيرهم المستندة إلى تهكمهم باليوم الذى ذكروا به بالامر بالاتقاء و التعليل بترجى الرحمة ، أتبعه حكاية استهزاء آخر منهم دال على عظيم جهلهم بتكذيبهم بما يوعدون على وجه التصريح بذلك اليوم و التصوير له بما لا يسع من له أدنى مسكة غير الانقياد له فقال : ١٥ (و يقولون) أى عادة مستمرة مضمومة إلى ما تقدم بما يستلزم تكذيبهم ، [و زادوا بالتعبير بأداة القرب فى تقریبهم إشارة إلى أنكم زدتم علينا

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كنا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : التأديب (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الله لا امر (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الأراد (٦-٧) سقط ما بين الرقین من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ردوا (٨) زيد من ظ . فى

في التهديد به والتقريب له حتى ظن أنه مصيحا أو ممسينا ولم نحس منه عينا ولا أثرا - ١ : ﴿ متى هذا ﴾ وزادوا في الاستهزاء بتسميته وعدا فقالوا : ﴿ الوعد ﴾ [أى - ٢] الذى تهددوننا به تارة تلوحا وتارة تصرىحا ، مجلوله لنا . [وألبوا وهيجوا زيادة في التكذيب بقولهم - ١] : ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ ولما كان الحازم من لا يتهم بشيء إلا إذا ٥ استعد له بما هو محقق الدفع ، بين سفههم باتيانها بقية وبأنه لا بد من وقوعها ، وأنها بحيث تملأ السموات والأرض ، فكأنه لا شيء فيها غيرها ٥ بقوله : ﴿ ما ينظرون ﴾ أى [بما - ٢] يوعدون ، ويجوز أن يكون بمعنى " ينظرون " لأن استبطاءهم لها في صورة الانتظار وإن أرادوا به الاستهزاء ، وجرى الفعل تقريبا لها لتحقيق وقوعه ﴿ الا صيحة ﴾ ١٠ وبين حقارة شأنهم وتمايم قدرته بقوله : ﴿ واحدة ﴾ وهى النفخة الأولى المميتة ، [واقتصر في تأكيد الوحدة على هذا بخلاف ما يأتى في المحية لانهم لا ينكرون أصل الموت - ١] ﴿ تاخذهم ﴾ أى تهلكهم ؛ وبين غرورهم بقوله : ﴿ وهم يخضمون ﴾ أى يخضمون [أى يتخاصمون - ٢] في معاملاتهم على غاية من الغفلة ، ولعله عبر بذلك إشارة بالإدغام ١٥ اللازم ٥ عنه التشديد إلى تنهى الخصام باقامة أسبابه أعلاها وأدناها

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الوقع (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بايقانها (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فكانوا (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : غيرها (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : اللام ، وسقطت هذه الكلمة - مع الكلمتين التاليتين - من م .

إلى حد لا مزيد عليه ، لأن التاء معناه 'عند أهل الله انتهاء' التسيب^٢ إلى أدناه ، وكل ذلك إشارة إلى أنهم في وقت الصعق يكونون في أعظم الأمان [منها - ^٣] ، لأن إعراضهم عنها بلغ إلى غاية لا مزيد عليها ، ويشير الإدغام أيضا إلى أن خصومتهم في غاية الخفاء - ^٤ بالنسبة إلى الصيحة ، وإن بلغت الخصومة النهاية في الشدة ، ولم يقرأ أحد 'يختصمون' بالإظهار إشارة إلى أنه لا يقع في ذلك الوقت خصومة كاملة حتى تكون ظاهرة بل تهلكهم الصيحة قبل استيفاء الحجج وإظهار الدلائل ، فنها ما كان ابتداء فيه أصحابه فأوجزوا - بما أشارت إليه قراءة حمزة باسكان الحاء وكسر الصاد مخففا ، ومنها ما كان متوسطا وفيه خفاء وعلو - ^٥ بما أشار إليه تشديد الصاد مع اختلاس فتحة الحاء ، ومنها ما هو كذلك وهو إلى الجلاء أقرب - بما أشار إليه إخلاص فتحة الحاء مع تشديد الصاد ، وأشار من قرأه كذلك مع كسر الحاء إلى التوسط مع الخفاء والسفول ، والله أعلم - ^٦ .

ولما كانت هذه هي النفخة المميتة ، سبب عنها^٧ قوله :

١٥ ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ أى أن يوجدوا الوصية في^٨ شيء من

(١ - ١) ما بين الرقين في الأصل بياض ملأناه من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : التسبب (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) العبارة من هنا إلى « في الشدة » ساقطة من م (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : عنه (٧) زيد بعده في الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة في م ومد لحذفناها .

الاشياء، و الاستفعال و التفعيل يدلان على^١ أن الموت ليس حين سماع أول الصوت بل عقبه من غير مهلة تمام^٢ أمر ما^٣ . ولما كان ذلك ليس نصا في نفي المشى قال : ﴿ و لا الى اهلهم ﴾ أى فضلا عن^٤ غيرهم ﴿ يرجعون ﴾^٥ بل يموت كل واحد في مكانه حيث تفجأه الصيحة، [و ربما أفهم التعبير بـ^٦ إلى، أنهم يريدون الرجوع فيخطون خطوة أو نحوها -^٧]، و في الحديث^٨ : يقومون الساعة و قد نشر الرجلان ثوبهما^٩ / بينهما فلا يبيعانه و لا يطويانه، و لتقوم الساعة و قد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها .

و لما دل ذلك على الموت قطعا، عقبه^{١٠} بالبعث، [و لذلك عبر فيه بالنفخ فانه معروف في إفاضة الروح -^{١١}] فقال : ﴿ و نفخ في الصور ﴾ ١٠ أى الذى أخذتهم صيحته، و جهله إشارة إلى أنه لا توقف له في نفس الامر على نافع معين^{١٢} ليكون عنه ما يريد سبحانه من الأثر^{١٣}، بل من أذن^{١٤} له الله^{١٥} كائننا من كان تأثر عن^{١٦} نفخه ما ذكر، و إن كنا^{١٧}

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل : إلى (٢-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : او امرنا (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : من (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع صحيح البخارى أبواب الرقاق و الفتن (٦) من م و مد و الصحيح، و في الأصل و ظ و نسخة الصحيح : ثوبهما (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : عقده (٨) من م و مد، و في الأصل : متعين، و في ظ : معس - كذا غير منقوطة (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل : الأمر . (١٠-١١) من م و مد، و في الأصل و ظ : انه له (١١) من ظ و مد، و في الأصل و م : كان .

[نظم أن - ١] المأذون له إسرائيلي عليه السلام .

ولما كان هذا النفخ سببا لقيامهم عنده سواء من غير تخلف،
عبر^١ سبحانه بما يدل على التعقب والتسبب والفتنة فقال: ﴿فاذا هم﴾
أى فى حين النفخ ﴿من الاجداث﴾ أى القبور المهيأة هى ومن فيها
هـ لسماع ذلك النفخ ﴿الى ربهم﴾ أى الذى أحسن إليهم [بالنرية والتهمة
لهذا البعث - ١] فكفروا إحسانه، لا إلى غيره ﴿يفسلون هـ﴾ أى يسرعون
المشى مع تقارب الخطى بقوة ونشاط، فإلها من قدرة شاملة وحكمة
كاملة، حيث كان صوت^٢ واحد يحى تارة ويميت أخرى، كأنه ركب
فيه من الأسرار أنه يكسب^٣ كل شىء ضد ما [هو - ١] عليه من حياة
١٠ أو موت أو غشى أو إفافة .

ولما تشوفت النفس إلى سماع^٤ ما يقولون إذا عابنوا ما [كانوا - ١]
ينكرون، استأنف قوله: ﴿قالوا﴾ [أى الذين هم من أهل الويل من
عموم الذين قاموا بالنفخة وهم جميع من كان قد مات قبل ذلك - ١] .
ولما كانوا عالمين بأن جزاء ما أسلفوا كل خزي، أتبعوه قولهم [حاكيا
١٥ سبحانه عبارتهم إذ ذاك لأنه أنكى لهم - ١]: ﴿يؤيلنا^٥﴾ أى ليس

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: جر (٣) من
ظ وم ومد، وفى الأصل: تقات (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
موت (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يكتب (٦) زيد من ظ وم
ومد (٧) سقط من ظ وم ومد (٨) من ظ وم ومد وفى القرآن الكريم،
وفى الأصل: ويلتنا .

بحضرتنا اليوم شيء ينادمنا إلا الويل، ثم استفهموا جريا على عادتهم في العبادة فقالوا [مظهرين لضميرهم تخصيصا للويل بهم لأنهم في معرض الشك - ١]: ﴿من بعثنا من مرقدا نمت﴾ عدوا مكانهم الذي كانوا به - مع ما كانوا فيه من عذاب البرزخ - مرقدا هينا بالنسبة إلى ما انكشف لهم أنهم لاقوه من العذاب الأكبر، [و وحدوه إشارة إلى أنهم على ه تكاثرهم و تباعدهم كانوا في القيام كنفس واحدة - ١]، ثم تذكروا ما كانوا يحذرونه من أن الله هو يعثهم للجزاء الذي هو رحمة الملك لاهل مملكته، فقالوا مجيين لأنفسهم استثناء: ﴿هذا ما﴾ أي الوعد الذي وعد ﴿أي به﴾، وحذفوا المفعول تعميما لأنهم الآن في حيز التصديق - ١ [الرحمن] أي العام الرحمة الذي رحمانته مقتضية ولا بد للبعث لينصف ١٠ المظلوم من ظالمه، و يحازي كلا بعمله من غير حيف، وقد رحنا بارسال الرسل إلينا بذلك، و طال ما أنذرونا حلوله، و حذرونا صعوبته و طوله. [ولما كان التقدير: فصدق الرحمن، عطف عليه قوله - ١]: ﴿و صدق﴾ أي في أمره * ﴿المرسلون﴾ أي الذين أتونا بوعدده و وعيده، فآله الذي تقدم وعده به و أرسل به رسله هو الذي بعثنا ١٥ تصديقا^١ لوعده و رسله .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يجدونه (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: البعث (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الظالم. (٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) زيد في الأصل و م: به، ولم تكن الزيادة في ظ و م مد لحذفها .

ولما كان الإخبار بالنفخ لا ينفي التعدد، قال محقرا لأمر البعث بالنسبة إلى قدرته [مظهرا للعناية بتأكيد كونها واحدة يجعل الخبر عنه أصلا مستقلا بفضله عن النفخ والإتيان فيه بفعل الكون و"إن" النافية لأدنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراءه دون ما، التي إنما تنفي التمام-^١]:

٥ (ان) أى ما (كانت) أى النفخة التي وقع الإحياء بها [مطلق

كون-^١] (الاصيحة واحدة) أى كما كانت نفخة الإمامة واحدة

(فاذا هم) أى فجاءة من غير توقف أصلا (جميع) أى على حالة

الاجتماع، لم يتأخر منهم أحد، يتعللون به في ترك الانتصار، ودوام الخضوع والذل والصغار. ولما كان ذلك على هيئات غريبة لا يبلغ

١٠ كنهها العقول، قال [لافتا القول إلى مظهر العظمة معبرا بما للامور

الخاصة -^١]: (لدينا) ولما كان ذلك أمرا لا بد منه، ولا يمكن

التخلف عنه، عبر بصيغة المفعول [وأكد معنى الاجتماع بالجمع نظرا

إلى معنى جميع ولم يفرد اعتبارا للفظها لما ذكر من المعنى -^٢] فقال:

(محضرون) أى بغاية الكراهة منهم لذلك^٢ بقيادة تزجرهم وساقة تقهرهم.

١٥ ولما كان [هذا -^٢] الإحضار بسبب العدل وإظهار جميع صفات

الكمال قال: (فاليوم) ولما كان نبي الظلم مطلقا أبلغ من نفيه عن

أحد بعينه، وأدل على المراد وأوجز، قال [لافتا القول عن الإظهار

أو الإضمار بمظهر العظمة أو غيره -^١]: (لا تظلم) [ولما كان التعبير

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل:

كذلك (٤) زيد من ظ و م و مد.

بما كثر جملة محط الرذائل و الحظوظ و النقائص أدل على عموم نقي
الظلم قال -^١ : (نفس) أى أى نفس كانت مكروهة أو محبوبة (شيئا)
أى لا يقع لها ظلم ما^٢ من أحد ما فى شيء ما^٣ / ولما كانت المجازاة
بالجنس أدل على القدرة و أدخل فى العدل، قال^٤ [محققا بالخطاب و الجمع]
أن المنقى ظلله كل من يصلح للخطاب لثلا يقع فى وهم أن المنقى ظلله •
نفوس مخصوصة أو نفس واحد -^٥ : (و لا تجزون) أى على عمل
من الأعمال شيئا من الجزء من أحد ما (الاما كنتم تعملون •) ديدا
لكم^٦ بما ركز^٧ فى جلاتكم •

و لما قرر أن الجزء من جنس العمل، شرع فى تفصيله، و بدأ
بأشرف الحزين [فى جواب من سأل عن هذا الجزء -^٨] فقال مؤسفا^٩ ١٠
لأهل الشقاء بالتذكير بالتأكيد بما كان لهم من الإنكار فى الدنيا و إظهارا
للرغبة فى هذا القول و التبجح^{١١} به لما له من عظيم الثمرة : (ان اصحب الجنة)
أى الذين لاحظ للنار فيهم^{١٢}، و كرر التعبير باليوم تعظيما لشأنه و تهويلا
لأمره على إثر نفخته المميتة و المقيمة بذكر بعض ثمراته، و جل من
عظائم تأثيراته، فقال^{١٣} : (اليوم) أى يوم البعث، و هذا يدل على أنه ١٥
يجعل دخولهم^{١٤} أو دخول بعضهم^{١٥} إليها^{١٦} و وقوف الباقيين للشفاعة و نحوها
من الكرامات^{١٧} عن دخول أهل النار النار، [و عبر بما يدل على أنهم

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣ - ٢) سقط ما بين الرقيين من ظ •
(٤) زيد من مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : موسعا (٦) فى الأصل
ياض ملأناه من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقيين من م •

نظم الدرر (سورة يس ٢٦: ٥٥ و ٥٦) ج - ١٦

بكلّياتهم مقبلون عليه و مطروفون له مع توجههم إليه فقال - [١] ؛
 (في شغل) أى عظيم جدا لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا في الدنيا
 في أشغل الشغل بالمجاهدات في الطاعات . و لما تأقت^٢ النفوس^٣ إلى
 تفسير هذا الشغل قال : (فكهون^٤) أى لهم عيش المتفكّه ، و هو
 • الأمن و النعمة و البسط و اللذة و تمام الراحة كما كانوا يرضوننا باجها
 أنفسهم و إعتابها و إشقاتها وإرهايها ، و قراءة أبي جعفر بحذف الألف
 أبلغ لأنها تدور على دوام ذلك [لهم - ٥] و على أنهم في أنفسهم في
 غاية ما يكون من خفة الروح و حسن الحديث .

و لما كانت النفس لا يتم سرورها إلا بالقرين الملائم قال : (م)
 ١٠ • أى بظواهرهم و بواطنهم* (و ازواجهم) أى أشكالهم الذين هم في
 غاية الملائمة كما كانوا يتركبونهم في المضاجع على أذما يكون ، و يصفون
 أقدامهم في خدمتها و هم يكون (في ظلل) أى يمدون فيها • برد
 الأكباد* و غاية المراد ، كما كانوا يشوون أكبادهم في دار العمل بحر
 الصيام ، و تخرج مرارات الاوام ، و الصبر في مرضاتنا على الآلام ،
 ١٥ و يقرون أيديهم و قلوبهم عن الاموال ، يذل الصدقات في سبلنا على
 مر الايام و كرّ الليال ، و قراءة حمزة و الكسائي^٦ بضم الظاء و حذف

(١) زيد من مد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كانت (٣) زيد في
 الأصل : شائقة ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٤) زيد من ظ
 و م و مد (٥-٥) من م و مد ، و في الأصل و ظ : برد الأكبادهم (٦) من
 ظ و م و مد ، و في الأصل : كذا (٧) و اجع نثر المرجان • / ٥٨٣ •

الألف

الآلف أبلغ لدلالاتها - بما أشارت إليه الضمة - على أن الظل أكثف،
وتدل تلك بدلالة الآلف على أنه أشد امتدادا، ويدل اتفاقهما في
الجمع على أن الظل فيها مختلف باختلاف الأعمال^١.

ولما كان التمتع لا يكمل إلا مع العلو الممكن من زيادة العلم الموجب
لارتياح النفس و بهجة العين بانقشاع البصر^٢ عند مد النظر^٣، قال: هـ
(على^٤ الآرائك) أى السرر المزينة العالية التى هى داخل الحجل، قال
البعوى^٥: قال ثعلب: لا يكون أريكه حتى يكون عليها حجلة، وقال
ابن جرير^٦: الآرائك: الحجال فيها السرر، وروى أبو عبيد في كتاب
الفضائل عن الحسن^٧ قال: كنا لا ندري ما الآرائك حتى لقينا رجلا من
أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير. وهذا جزاء ١٠
لما كانوا يلزمون المساجد و يفضون الأبصار و يضعون نفوسهم لاجلنا
(متكئون هـ) كما كانوا يدأبون في الأعمال قائمين بين أيدينا في أغلب
الأحوال،^٨ و الانتكاه^٩: الميل على شق [مع الاعتماد -^{١٠}] على ما يرجح
الاعتماد عليه، أو الجلوس مع التكنن على هيئة المتربع^{١١}، وقراءته / بضم

٣٦٣ /

(١) العبارة من « وقراءة حمزة » ص: ١٤٦ س ١٦ إلى هنا وقعت في الأصل بعد
« مد النظر » و الترتيب من ظ و م و مد (٢-٢) وقع ما بين الرقيين في الأصل
قبل « و لما كان التمتع » و الترتيب من ظ و م و مد (٣) سقط من الأصل
قط (٤) راجع معالم التنزيل بهامش باب التأويل ١٠ / ٦ (٥) راجع جامع
البيان ٢٣ / ١٣ (٦) ذكره مختصرا ابن جرير في جامع البيان (٧-٧) من م
و مد، وفي الأصل وظ: فالانتكاه (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و م
و مد، وفي الأصل: التكنن.

الكاف وحذف الهمزة أدل على التربع^١ وما قاربه، وقراءة^٢ كسر الكاف^٣ وضم الهمزة أدل على القرب من التمدد^٤ لما فيها من الكسرة، فانه يقال كما نقله أبو عبد الله القزاز : انكأت الرجل انكاه - إذا وسدته أى جعلت له وسادة، أى محذة يستريح عليها .

٥. و لما قدم المعاني التي توجب أكل الفاكهة، أتى بها فقال : (لهم) أى خاصة بهم؛ (فيها فاكهة) أى لا تنقطع أبداً، فلا مانع لهم من تناولها، ولا يوقف ذلك على غير الإرادة . و لما كانت الفاكهة قد تطلق على ما يلذذ، صرح بأن ذلك هو المراد، فقال معبراً بالعطف لتكون الفاكهة مذكورة مرتين خصوصاً وعموماً : (ولهم) [و لما كان السياق لأصحاب الجنة الذين تفهم الصيحة أنهم فيها دائماً وإن كانوا في الدنيا، أعزى الكلام من الظرف ليفهم إجابة دعائهم في الدنيا وإنا لنفهم جميع مرادهم في الدارين فقال - ٥] : (ما يدعون لي) أى الذى يطلبون طلباً صادقاً إما إخراجاً لما قد يهجم في النفس من غير عزم عليه إن كان المراد في الجنة من غير كلام الله كالآكل والمشارب ١٥ ونحوها، وإما إظهاراً للاهتمام إن كان المراد أنه كلاله سبحانه، وذلك

(١) من م و مد، وفي الأصل وظ : التفرع (٢-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : الكسر للكاف (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل : التمدد . (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من م (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، وفي الأصل و م : بما .

لأجل ما كانوا في الدنيا يفظمون^١ أنفسهم عن الشهوات عزوفا عما
 يقضى، وطموحا إلى ما عندنا من الباقيات الصالحات، ثم فسر الذى يدعونه
 - أى يطلبونه - بغاية الاشتياق إليه أو استأنف الإخبار عنه بقوله:
 ﴿سَلَامٌ﴾ أى عظيم [جدا -^٢] لا يكتفه وصفه، ^٣عليكم يا أهل الجنة،
 كأن هو أو مقول هو^٤، والسلام يجمع جميع النعم، ثم بين حال هذا
 السلام بما أظهر من عظمه بقوله: ﴿قولا من رب﴾ أى دائم الإحسان
 ﴿رحيم﴾^٥ أى عظيم الإكرام بما ترضاه الإلهية، كما كانوا في الدنيا
 يفعلون كل ما^٦ فيه الرضا، فيرحمهم في حال السلام^٧ وسماع الكلام
 بلذة الرؤية مع التقوية عن الدهش والصعق لعظيم الامر وبالتأهيل
 لهذا المقام الأكرم مع قصورهم عنه، وقد أوضح هذا السياق أنه من الله ١٠
 تعالى بلا واسطة، فاه أكد بالقول وحرف الابتداء، وذكر صفات
 الإحسان كما قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: ولا ارتباب في أنه لا شيء
 يعدل هذا في النعيم وقرة العين والشرف وعلو القدر، [و -^٨] لا شك
 أن هذا هو المقصود بالحقيقة، فهو قلب النعيم [في ذلك اليوم -^٩]
 الذى هو قلب الوجود حقا خفاء^{١٠} وصلاحا وفسادا، فصح أن هذه ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يعظمون (٢) زيد من ظ و م و مد.
 (٣-٢) وقع ما بين الرقين فى الأصل بعد «الدهش والصعق» والترتيب من ظ
 و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: دايماً (٥) زيد فى ظ:
 كان (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الاسلام (٧) من ظ و م و مد،
 وفى الأصل: حقا.

نظم الدرر (سورة يس : ٢٦ و ٢٧ و ٢٨) ج - ١٦

الآية قلب هذه السورة كما كانت هذه السورة قلب القرآن ، وقد ورد حديث في تفسير البغوى^١ وكتاب المائتين للاستاذ أبى عثمان الصابونى أنه من الله تعالى بلا واسطة عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **يئنا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال :**

السلام عليكم يا أهل الجنة ، وذلك قوله تعالى ” سلم قولاً من رب رحيم “ فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته فى ديارهم . قال الاستاذ أبو عثمان : هذا حديث غريب الإسناد والمتن

١٠ / ٣٦٤ لا أعلم أنى كتبه إلا من / هذا الوجه .

ولما كان التقدير : فانظروا وازدادوا حسرة أيها المجرمون ، عطف عليه قوله : **(وامتازوا)** أى انفردوا انفراداً هو بغاية القصد ،^٢ وجرى على النمط الماضى من زيادة التهويل لذلك الموقف باعادة قوله : **(اليوم)** أى عن عبادى الصالحين أو عمن بقى منهم معكم فى الموقف ليظهروا

١٥ من أوضاعهم ، ويشفوا من مضارهم . لأن غيبة الرقيب آتم النعيم ، وإبعاد العدو أعلى السرور .^٣ وحذف أداة النداء لا لقرب الكرامة بل للدلالة

(١) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ١٠ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم ومد والعالم ، وفى الأصل : عليهم (٤-٥) سقط ما بين الرقنين من م . (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : اوضاعكم (٦) العبارة من هنا إلى « لاحائل دونهم » ص ١٥١ س ٢ ساقطة من م .

على أنهم في القبضة لا مانع من غاية التصرف فيهم^١ لكل ما يراد لآله
لاحائل دونهم^٢ (أيها المجرمون هـ) أي العريقون في الإجرام، فلا يقع
في أوهامكم أنكم تخالطونهم اليوم أصلا، وهذا كما كنتم تمتازون^٣ عنهم
في الدنيا و تقاطعونهم ترفعا و استكبارا، فهذا قوله للجرمين و ذلك^٤
قوله للؤمنين، فصح أنه قلب لآله به صلاح بعض المكلفين و فساد الآخرين هـ
الذي هو تمام صلاح الأولين، و قد تقدم في أوائل سورة الروم منام^٥
ينفع استحضاره هنا .

و لما أمرهم بالامتيياز أمرا إراديا حكما، فامتازوا في الحال، و أسروا
الندامة و سقط في أيديهم فعضوا^٦ الأنامل، و صروا بالآستان، و شخصت
منهم الأبصار، و كلحت الوجوه، و تقلصت الشفاه^٧، و نكست الرؤس ١٠
و شجبت الألوان، و سحجوا على الوجوه، و كان من فتون^٨ المساءة و شؤون
الحسرة ما تعجز^٩ عنه العقول، و تذوب من ذكره النفوس، و تنخلع
القلوب، قال سبحانه موبخا لهم في تلك الحال بهذا المقال^{١٠} معلا حكمة
عليهم بذلك بأنه لم يتركهم هملا [بل ركب فيهم - ١١] من العقول و نصب
لهم من الدلائل على كماله ما هو كافٍ لهم في النجاة ثم ما وكلهم ١٥

(١) من ظ و مد، و في الأصل: بهم (٢) في م: يمتازون (٣) في ظ و م
و مد: ذلك (٤) من م و مد، و في الأصل: ما. و في ظ: منافع (هـ) من م
و مد، و في الأصل و ظ: و عضوا (٦) من مد. و في الأصل و ظ و م:
الشفاه (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: صورة (٨) في ظ و مد: تقصره
(٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: المقام (١٠) زيد من ظ و مد.

إلى ذلك، بل أرسل إليهم رسلا وأنزل عليهم كتباً: ﴿الم اعهد﴾
 أى أوصيكم بإيهاء عظيماً بما نصبت^١ من الأدلة، ومنحت من العقول،
 وبعثت من الرسل، وأنزلت من الكتب، فى بيان الطريق الموصل إلى
 النجاة، لافتاً القول عن مظهر الإحسان إلى ما هو أولى به من مظهر
 ٥ التكلم بالوحدة دفعا للبس، ثم أشار إلى علوه وجلاله،^٢ وعظمه^٣
 وسمو كماله فقال: ﴿اليكم﴾ .

ولما كان المقصود بهذا الخطاب تفريرهم وتوخيهم وتبكيتهم،
 وكانت هذه السورة القلب، وكان القلب أشرف الأعضاء، وكان الإنسان
 أشرف الموجودات، خصه بالخطاب لأن خطابه خطاب للجن فقال مؤكداً
 ١٠ ما أفهمه حرف؛ الغاية من علو رتبته وعظيم منزلته بما أشارت إليه أداة
 البعد: ﴿يبنى آدم﴾ أى فلم أخصكم [بذلك - *] عن أبناء غيره
 نوعكم ليكون ذلك^٤ التخصيص حاملاً^٥ لكم على العصيان^٦ بل ليكون^٧
 موجبا للطاعات والعرفان: ﴿ان لا تعبدوا الشيطان﴾ أى البعيد المحترق
 بطاعتكم له فيما^٨ يوسوس لكم به، ثم علل النهى عن عبادته^٩ بما يقتضى

- (١) من م ومد، وفى الأصل و ظ : كتابا (٢) زيد فى الأصل و م : لكم،
 ولم تكن الزيادة فى ظ و مد لحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من ظ .
 (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل : غير حامل (٧) العبارة من هنا إلى ٥ والعرفان : ساقطة من م (٨) من
 ظ و م و مد، وفى الأصل : يكون (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بما .
 (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل : عبادة الشيطان .

شدة النفرة منه بعد أن لوح إلى ذلك بوصفه فقال: ﴿ انه لكم ﴾
و التأكيد لأن أفعالهم أفعال من يعتقد صداقته ﴿عدو ميين^١﴾ أى ظاهر
العداوة جدا من جهة عداوته لا يكم العداوة التى أخرجتكم من الجنة التى
لا منزل أشرف منها، و من جهة أمره لكم بما يفيض الدنيا من التخالف
و التخاصم^٢، / و من جهة تزيينه للفانى الذى لا يرغب فيه عاقل لو لم ٥ / ٣٥٦
[يكن -^٣] فيه عيب غير فائه، فكيف إذا كان أكثره أكدارا و أدناسا
و أوضارا، فكيف إذا كان شاغلا عن الباقي، فكيف إذا كان عاتقا
عن المولى، فكيف إذا كان مغضبا له حاجبا عنه .

و لما بكتهم بالتذكير بما ارتكبوا مع النهى عن عبادة العدو
تقدما لدره^٤ المفسد، و بجهم بالتذكير بما ضيعوا مع أخذ اليهود من ١٠
واجب الأمر بعبادة المولى^٥ فقال عاطفا على «ان لا» : ﴿ و ان اعبدوني ﴾
و لما ذكر سبحانه بالامر بعبادته، عرف بحسنها حثا على لزومها قبل ذلك
اليوم قائلا : ﴿ هذا ﴾ أى الأمر بعبادتي ﴿ صراط مستقيم ﴾ أى بليغ
القوم، و عبادة الشيطان صراط ضيق معوج غاية الضيق و العوج .

و لما كان التقدير : فاتبعتموه و سلكتم سبيله مع اعوجاجه، و ركنتم ١٥
سبيل مع ظهور استقامته، عطف عليه قوله : ﴿ ولقد اضل منكم ﴾
أى عن الطريق الواضح السوى بما سلطته به من الوسوسة، و أكدده
(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٢) فى ظ و م و مد: الخصاص .
(٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لدار (٥) من ظ
و م و مد، و فى الأصل: المولى (٦) سقط من ظ .

إشارة إلى أنه أمر لا يكاد أن يصدق به لما يعد ارتكابه في العادة من 'انتضاح أمره و ظهور فساد و ضره . و لما كان الآدمي شديد الشكيمة^١ على الهمة إذا أراد ، عبر بقوله : (جبلاً) أى أما كباراً عظاماً [كانوا -^٢] كالجبال في قوة العزائم وصعوبة الانقياد ، و مع ذلك فكان يتلعب بهم تلعباً ، فسبحان من أقدره على ذلك و إلا فهو أضعف كيذا و أحقر أمراً ، قال في القاموس : الجبل - بالضم : الشجر اليابس و الجماعة منا كالجبل كعتق و عدل و عتل و طمر و طمرة^٣ و أمير ، ثم قال : و بالكسر^٤ و بالضم و كطمرة^٥ : الأمة و الجماعة ، ثم قال : و الجبله مثلثة و محركة و كطمرة^٦ : الحلقة و الطبيعة . و دلت قراءة أبي عمرو و ابن ١٠ عامر بضم الجيم و إسكان الباء و تخفيف اللام^٧ على الذين هم في أول مراتب الشدة و القوة ، و قراءة ابن كثير و حمزة و الكسائي و رويس عن يعقوب بضمين و تخفيف على ما فوق ذلك مما يقرب من الوسط مع الظهور و العلو [للضم من القوة -^٨] ، و قراءة روح كذلك مع تشديد اللام على نهاية الشدة و الجلاء^٩ و القوة بما زادت^{١٠} من التشديد ، و قراءة

(١-١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : طهر و طهر - كذا (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : الكسر (٥) من م و مد و القاموس ، و في الأصل و ظ : لظهره (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : كطهرة (٧) راجع نثر المرجان ٥ / ٨٦ و ٨٧ (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الجلادة (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : زاده .

الباقين بكسرتين و تشديد على ما فوق الوسط - بما أشارت إليه الحركات و التشديد، لكنه مع خفاء، وكأنه بالمكر بما أشار إليه كون الحركتين بالكسر، و عظم سبحانه [الأمر - ٢] بقوله: (كثيرا) ثم زاد في التوبيخ و الإنكار^٢ بما أتجه المقام و سببه إضلاله لهم مع ما أوتوا من العقول من قوله: (افلم) و لما كان سبحانه قد آتاهم عقولا و أئى • عقول، عبر بالكون فقال: (تكونوا تعقلون •) أى لتدلكم على ما فيه النجاة عقولكم بما نصبت من الأدلة، مع ما نهت عليه الرسل، و حذرت منه من إهلاك الماضين، بسبب اتباع الشياطين، و غير ذلك من كل أمر واضح مبين •

و لما أنكر عليهم أن يفعلوا فعل من لا عقل له، قال متمها ١٠ للخرى: (هذه) إشارة للحاضر إما حال الوقوف على شفيرها أو الدّع فيها (جهنم) أى التى تستقبلكم بالعبوسة و التجهم كما كنتم تفعلون بعبادى الصالحين: (التى كنتم) أى [كونا - ٢] هياتكم به لقبول ما يمكن كونه بما غرزته فيكم من العقول • و لما كان المحذور الإيحاد بها، لا كونه من معين، [قال - ١] بانيا / للفعول: (توعدون •) أى إن ١٥ / ٣٦٦ لم ترجعوا عن غيكم (اصلوها) أى قاسوا حرها و توقدها و اضطرامها،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٢) زيد من ظ و م و مد • (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انكار (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الدفع (٥) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها •

وهول أمر ذلك اليوم بإعادة ذكره على حد ما مضى فقال : (اليوم)
لتكونوا في شغل شاغل كما كان أصحاب الجنة ، و شتان ما بين الشغلين
(بما) أي بسبب ما . ولما كانوا قد تجلدوا على الطغيان تجلداً من
هو مجبول عليه ، بين ذلك بذكر الكون فقال : (كنتم تكفرون ه) أي
ه تسترون ما هو ظاهر جدا بقولكم من آياتي [مجددين ذلك مستمرين
عليه - ٢] .

ولما كان كأنه قيل : [هل - ٢] يحكم فيهم ٢ بعلمه أو يجرى
الأمر على قاعدة الدنيا في العمل باليئة ، بين أنه على أظهر من قواعد
الدنيا ، فقال [مهولاً لليوم على النسق الماضي في مظهر العظمة لأنه
١٠ ألبق بالتهويل - ٢] : (اليوم نختم) أي بما لنا من عجيب القدرة
المنشعبة من العظمة ، [ولقت القول إلى الغية إيذاناً بالإعراض لتناهي
الغضب فقال - ٤] : (على أفواههم) أي لاجترائهم على الكذب
في الأخرى* كما كان ديدنهم في الدنيا ، [وكان الروغان والكذب
و الفساد إنما يكون باللسان المعرب عن القلب ، و أما بقية الجوارح فها
١٥ خرق العادة باقدارها ، على الكلام لم تنطق إلا بالحق فلذلك قال - ٢] :
(وتكلمنا أيديهم) أي بما عملوا إقراراً هو أعظم شهادة (وتشهد أرجلهم)

(١) زيد في الأصل : مع ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م ومد (٣) زيد في الأصل : بعده و ، ولم تكن الزيادة
في ظ و م ومد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م ومد (ه) من م ومد ، وفي
الأصل و ظ : الآخرة .

أى عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة إقرار (بما كانوا) أى فى الدنيا بجلالتهم (يكسيون) فالآية من الاحتباك: أثبت الكلام للأيدى أولاً لأنها كانت مباشرة دليلاً على حذفه^١ من حيز^٢ الأرجل ثانياً، وأثبت الشهادة للأرجل ثانياً لأنها كانت حاضرة دليلاً على حذفها من حيز^٣ الأيدى أولاً، وبقرينة^٤ أن قول المباشر إقرار وقول الحاضر ه شهادة، روى مسلم فى صحيحه^٥ عن أنس رضى الله عنه قال: يقول العبد: يا رب! ألم تجزني من الظلم، قال: فيقول: بلى، [فيقول -^٦]: فاني لا أجيز على نفسى إلا شاهداً [منى -^٧]، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا، وبالكرام الكاتبين شهوداً، فيختم على فيه ويقال لأركانها: انطقي، فتطرق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: ١٠ بعداً لكن وصحفاً فنعنك كنت أناضل. والظاهر أن السر فى الختم على فيه منعه من أن يلغظ حال شهادتها عليه لئلا يسمع قولها، كما هو دأب أهل العناد عند الخصام.

ولما أتم بضرب المثل وما بعده الدلالة على مضمون آية "انما تنذر من اتبع الذكر" وما عللت به من إحياء الموتى، و دل على ذلك ١٥ بما تركه كالشمس ليس فيه لبس، وزاد من بحور الفوائد وجميل العوائد ما ملأ الأكوان من موجبات الإيمان، وذكر ما فى فرقى

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: حذفها (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: خبر (٣) فى ظ وم ومد: تقريره (٤) راجع ٤٠٩/٢ (هـ) زيد من ظ وم ومد وصحيح مسلم (٦) فى ظ: بجميع.

المتبعين والمتعين يوم البعث، وختم بالحتم على الأفواه بعد البعث، أتبعه آية الحتم بالطمس والمسح قبل الموت تهديدا عطفا على ما رجع إليه المعنى بما قبل^٩ أول ذلك الخطاب من قوله "أنا جعلنا في أعناقهم أغلا^{١٠}" الآية، دفعا لما ربما وقع في وهم أحد^{١١} أن القدرة لا توجه إلى غير الطمس ه في المعاني بضرب السد وما في معناه، فاخبر أنه كما أعمى البصار قادر على إذهاب الأبصار، فقال مؤكدا لما لم من الإنكار أو الأفعال التي هي فعل المنكر: (ولو) وعبر بالمضارع في قوله: (نشأ) ليتوقع في كل حين، فيكون أبلغ في التهديد (لطمسنا) وقصر الفعل إشارة إلى أن المعنى: لو زيد لأوقعنا الطمس الذي جعلناه على بصارهم ١٠ (على أعينهم) فأذهبنا عينها وأثرها، وجعلناها مساوية للوجه بحيث تصير كأنها لم تكن أصلا، [وقد تقدم في النساء نقل معنى هذا عن ابن هشام - ٥].

ولما كان الجالس مع شخص في مجلس التنازع وهو يهدده إن لم يرجع عن غيه بقارعة يصيبه بها يبادر الحرب إذا فاجأته منه مصيبة ١٥ كبيرة خوفا من غيرها جريا مع^{١٢} الطبع لما ناله من الدهش، ومسه من

(١) من ظ و مد، وفي الأصل وم: يوم (٢) من ظ وم و مد، وفي الأصل: يلى (٣) سقط من ظ وم و مد (٤) من مد، وفي الأصل وظ وم و «و» (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) من ظ وم و مد، وفي الأصل: على.

عظيم الانزعاج و الوجع ، كما اتفق لقوم لوط عليه السلام لما مسح^١
 جبريل عليه السلام أعينهم فأغشاهما حين بادروا الباب هربا يقولون :
 عند لوط أسحر الناس ، سبب عن ذلك قوله : (فاستبقوا) أى كفوا
 أنفسهم ذلك و أوجده . و لما كان المقصود بيان إسرعهم في الحرب ،
 عدى الفعل مضمنا له معنى " ابتدروا " كما قال تعالى " واستبقوا الخيبرت " ه
 فقال : (الصراط) أى الطريق الواضح الذى ألقوه و اعتادوه ، و لهم
 به غاية المعرفة . و لما كان الأعمى لا يمكنه فى مثل هذه الحالة الشئ
 بلا قائد فضلا عن المسابقة ، سبب عن ذلك قوله منكرا : (فاش) أى
 كيف و من أين (يصرون ه) [أى - ٢] فلم يهتدوا^٢ للصراط لعدم
 إبصارهم بل^٣ تصادموا فتساقطوا فى المهالك و تهاقتوا . ١٠
 و لما كان هذا ظه مع القدرة على الحركة قال : (ولو نشاء) أى
 أن نمسحهم (لمسحهم) أى حولناهم إلى الجمادية فأبطلنا منهم
 الحركة الإرادية . و لما كان المقصود المفاجأة بهذه المصائب بيانا لأنه
 سبحانه لا كلفة عليه فى شئ من ذلك قال : (على مكاتهم) أى المكان
 الذى كان قبل المسح كل شخص [منهم - ٢] شاغلا له بجلوس أو قيام ١٥
 أو غيره فى ذلك الموضع خاصة قبل أن يتحرك منه ، و هو معنى قراءة
 شعبة عن عاصم^٤ : مكاتهم ، و دل على أن المراد التحويل إلى أحوال
 الجمادية بما سبب عن ذلك من قوله : (فما استطاعوا) أى بأنفسهم

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مسح (٢) زيد من ظ و م و مد .

(٣-٣) سقط ما بين الرقين من م (٤) سقط من ظ (٥) راجع ثر المرجان ٥٩٠/٥ .

بنوع معالجة ' (مضياً) أى حركة إلى جهة من الجهات ، ثم عطف على جملة الشرط قوله : (ولا يرجعون) أى يتجدد لهم بوجه من الوجوه رجوع إلى حالتهم التى كانت قبل المسخ دلالة على أن هذه الأمور حق لا كما يقولون من أنها خيال وسحر ، بل ثباتها لا يمكن أحدا من الخلق رفعه ولا تغييره بنوع تغيير هذا المراد إن شاء [الله -] ، ولو قيل : ولا^٢ رجوعاً - كما قال بعضهم إنه المراد ، لم يفد هذا المعنى النفيس .

ولما كانت هذه أموراً فرضية يتأتى لبعض المعاندين اللد الطعن ' فيها مكابرة ، وكان كونه صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة مانعاً من المفاجأة بالتعذيب بعذاب الاستئصال بها ، دل عليها بما يشاهدونه من باهر قدرته وغريب حكمته فى صناعته ، فقال دالاً بالعاطف على غير معطوف عليه ظاهر على أن التقدير : فقد خلقناهم نطقاً ثم علقناهم مضغاً ثم أولدناهم لا يعلمون شيئاً ولا يقدرُونَ على شئ ، ثم درجناهم فى أطوار الأسنان معلين لهم فى معارج^٥ القوى الظاهرة و الباطنة إلى أن صاروا إلى حد الأشد - وهو استكمال القوى البشرية - فأوقفنا قوائم الظاهرة و الباطنة ، فلم نجر^٦ العادة بأن نحدث^٧ فيهم إذذاك^٨ قوة لم تكن أيام

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مصالحة (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : لو (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الطعن (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : درجات (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فلم تجر .
(٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تحدث (٨-٨) فى ظ و م و مد إذذاك

فيهم .

الشباب: (ومن نعمه) أى نفل عمره إطالة كبيرة منهم بعد ذلك
 (نكسه) [وقراءة عاصم وحمزة بضم أوله وفتح ثانيه وكسر الكاف
 مشددة دالة على تفاوت الناس في النكس، ولم يقل ٥ في خلقه، لئلا
 يظن أن المراد أن المعبر له خلق أنشأه وأبدعه - ٢] (في الخلق) أى
 [فيما أبدعناه من تقدير بدنه وروحه أى - ٢] زده على عقبه نازلا في ٥
 المدارج التى أصعدناه فيها إلى أن تضجحل قواه الحسية فيكون كالطفل
 فلا يقدر على شيء، / والمعنوية فلا يعلم شيئا، ومن قدر على مثل
 هذا التحويل من حالة إلى أخرى لم تكن طردا وعكسا قدر على مثل
 ما مضى من التحويل بلا ٢ فرق، غير أنهم لكثرة إلفهم لذلك صيره
 عندهم هينا، ولقلة وجود الأول صيره عندهم بعيدا، ولذلك سبب عن ١٠
 الكلام قوله [على الأسلوب الماضى فى قراءة الجماعة ولفتا إلى الخطاب
 عند المدنيين ويعقوب لأنه أقرب إلى الاستعطاف وإعلاما بأن الوعظ عام
 لكل صالح للخطاب - ٢]: (أفلا يعقلون) وقال بعض العارفين: قيد
 بالخلق احترازا عن الأمر، فإن المؤتمر كلما زاد سنا ازداد لربه طاعة
 وبه علما، [يعنى أن النكس فى البدن أمر لا بد منه، وأما فى المعارف ١٥
 فتارة وتارة - ٢].

ولما أتم سبحانه الدليل على آية "لقد حق القول على أكثرهم"

- (١) زيد فى ظ بعده: والكسائى - خطأ، راجع نثر المرجان ٥/٥٩١.
 (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
 الأحد (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تم.

'بأن التكذيب' بالاصلين التوحيد والحشر، وبينهما غاية البيان، رجع إلى تثبيت الأصل الثالث وهو أمر الرسول والتزويل، ولما كان من المعلوم أن الله تعالى أجرى العادة في النبوع الآدمي أن من استوفى من الصبي والشباب اثنين وأربعين سنة حسنت غرائزه فلم يزد فيه غريزة، ووقفت قواه كلها فلم يزد فيها شيء، أما المعاني الحسية فطلقاً^٢، وأما المنوية فلا تزيد إلا بالتجربة والكسب، ولذلك قالوا:

إذا المرء أعيته المروءة ناشئاً فطلبها كهلاً عليه شديد

وكان من المعلوم أن الأنبياء عليهم السلام تظهر عليهم غرائز^٢ العلوم والحكم وغير ذلك مما يحرمه الله على أيديهم، ولا ينقص شيء من قوامهم بل تزداد كما روى^{١٠} أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمشي غير مكترث، وأن الصحابة رضى الله عنهم ليجهدون أنفسهم، فيكون جهدهم أن يدركوا مشية الهونيا، وأنه صارع ركاة الذي كان يضرب بقوته المثل، وكان راقفاً من نفسه بأنه يصرع من صارعه، فلم يملكه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، وعاد إلى ذلك ثلاث مرات، كل ذلك لا يستمسك في يده حتى شرع يقول: إن هذا لعجب يا محمد! أتصرعني، وحتى أنه دار على نسائه - ومن تسع - كل واحدة منهن تسع مرات في طلق

(١-١) من مد، وفي الأصل وظوم: بالتكذيب (٢) من ظوم ومد، وفي الأصل: قطعاً - كذا (٣) زيد في الأصل: الأمور ومن، ولم تكن الزيادة في ظوم ومد لاختلافها (٤-٤) من ظوم ومد، وفي الأصل: أنه.

واحد - إلى غير ذلك مما يحكى^١ من قواه التى فاق بها الناس، ولم يحك
 عن نبي [من الأنبياء -^٢] من^٣ عاش منهم ألفاً ومن عاش دون ذلك
 أنه قص شيء من قواه، بل قد ورد في الصحيح^٤ من حديث أبي هريرة
 رضى الله عنه أن ملك الموت عليه السلام أرسل إلى موسى عليه السلام
 ليقبض روحه فلما جاءه صكه قفقا^٥ عنه فقال لربه: أرسلتنى إلى عبد
 لا يريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما
 غطت يده بكل شعرة سنة، قال: اى رب اثم ما ذا؟ قال: الموت،
 قال فالآن. وفي آخر التوراة^٦: وقضى عبد الله موسى بأرض موآب
 بأمر الرب، فدفن حذاء بيت فاغورا^٧، ولم يعرف أحد أين قضى إلى
 يومنا هذا، وكان موسى يوم^٨ قضى ابن مائة وعشرين سنة، لم يضعف
 بصره ولم يشخ جدا. لما كان الأمر كذلك، وكان [الله -^٩] سبحانه
 قد جعل إرسالهم في سنى الوقوف في الفرائض والضعف في القوى^{١٠} خرقاً
 للعادة إكراماً لهم وتنبيهاً للناس على صدقهم، علم من العطف على غير
 معطوف عليه ظاهر ومن الإتيان بضميره صلى الله عليه وسلم من غير
 تقدم ذكر له أن التقدير: لكن نبينا صلى الله عليه وسلم عمرناه وما ١٥

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: يحكى (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) في
 ظ و م ومد: من (٤) راجع أبواب الجنائز والأنبياء (٥) من ظ و م ومد
 والصحيح، وفي الأصل: فقاً (٦) راجع الأصحاح الرابع والثلاثين - تنبيه،
 من الكتاب المقدس (٧) من ظ و م ومد، وفي الأصل: فارغور، وفي
 التوراة: فغور (٨) في ظ و م ومد: وقت (٩) من ظ و م ومد،
 وفي الأصل: القوة.

نكسناه^١ بل، منحناه غراتز^٢ من الفضائل عجز عنها الاولون والآخرون،
 فأتى بقرآن أعجز^٣ الإنس والجن، وعلوم / و بركات فأتى القوى،
 ومعلوم قطعاً أن الذى أتى به ليس بشعر خلافاً لما رموه به بغيا وعدوانا،
 وكذباً على جنابه واقراء وتجاوزاً فى البهت^٤ وطغيانا، لأنه قد مضى
 ه عليه سن الصبي والشباب جميعاً ولم يقل بيت شعر مع ما يرى لكم
 ولأمثالكم فيه من المفاخرة، وبه من المكاثرة، وقد وصل إلى سن
 الوقوف المعلوم قطعاً أنه لا يحدث للإنسان فيه غريزة لم تكن أيام شبابه
 لاشعرية ولا غيرها: (وما علته) أى نحن (الشعر) فيما علمناه
 وهو أن يتكلف التقيد بوزن معلوم وروى مقصود وقافية يلتزمها،
 ١٠. ويدبر المعانى عليها ويحتلب الألفاظ تكلفاً إليها كما كان زهير فى
 قصائده الحوليات وغيره من أصحاب التكلفات " وما انا من المتكلفين "
 لأن ذلك وإن كنتم أنتم تعدونه فخراً لا يلقى بجانبا لأنه لا يفرح به
 إلا من يريد ترويح كلامه وتحليته بصوغه^٥ على وزن معروف مقصود
 وقافية ملتزمة لكونه لا يقدر على الإتيان بأحسن منه بما لا يقايس من
 ١٥ غير التزام وزن ولا قافية على أن فيه نقيصة أخرى، وهى أعظم ما يوجب
 النفرة منه، وهى أنه لا بد أن يوهى التزامه بعض المعانى، ولما لم نعلمه

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: نكسنا (٢) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل: غزائر (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بعجز (٤) من ظ و م
 و مد، وفى الأصل: البيت (٥) زيد فى ظ: لى (٦) من ظ و م و مد،
 وفى الأصل: يصوغه (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لا .

هذه الدناة طبعناه على جميع فنون البلاغة ، ومكانه من سائر وجوه الفصاحة ،
ثم أسكننا قلبه ينابيع الحكمة ، و دربناه على إلقاء المعاني الجليلة وإن دقت
في الألفاظ الجزلة العذبة السهلة موزونة كانت أو لا ، وذلك بما 'أهمناه
[إياه - ٢] ثم بما ألقاه إليه جبريل عليه السلام بما أمرنا له به من جوامع
الكلم والكلام ، فلا تكلف عنده أصلا ، ما خير بين الأمرين إلا اختار ه
أيسرهما ما لم يكن إثما أو قطعة رحم ، وهذا البيت الذي أوردته عزاه
في الحماسة في أوائل باب الأدب ٢ إلى رجل من بني قريع ' لم يسمه
[و قبله - ٢] :

مضى ما يرى الناس الغنى و جاره فقير يقولوا عاجز و جليد
' وليس ' الغنى والفقر من حيلة الفتى ولكن أحاط قسمت و جدود ' ١٠
إذا المرء أعتبه المروءة ناشئا فطلبها كهلا عليه شديد
و كأن رأينا ٦ من غنى مذمم و صعلوك قوم مات و هو حيد
و المعنى أن كثرة المال و قلته ٤ ليست من غريزة من الغرائز ، وإنما هي
أمر رباني لا مدخل للغرائز من جلادة و لا غيرها فيه ، بدليل أنا كثيرا
ما رأينا من فاته الغنى شابا جلدا و ناله شيخا ضعيفا ، و ما رأينا ١٥

(١) في ظ : بما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) راجع ٢ / ٨٧ (٤) من ظ
و مد و الحماسة ، و في الأصل و م : قريع (هـ-هـ) من ظ و م و مد و الحماسة ،
و في الأصل : فليس (٦) من م و مد و الحماسة ، و في الأصل و ظ : حدود .
(٧) من ظ و م و مد و الحماسة ، و في الأصل : راسا (٨) من ظ و م و مد ،
و في الأصل : كثرته .

من أخطأته^١ المروءة شابا وناها شيخا، وبدليل أنه كم من غنى كانت غرائزه ذميمة، وكم من فقير كانت خلائقه محمودة، والمروءة هي الإنسانية، وهي كل أمر هنئ^٢ حميد المغبة^٣ جميل العاقبة، وهذا هو السيادة، يعني أن من كانت المروءة في غريزته حمله طبعه على تعاطيها [في شبابه -^٤]
 ٥ غنيا كان أو فقيرا، ومن لم يكن عنده لم يقدر على تكلفها في سن الاكتمال، فله درهم! ما كان أحكمهم^٥ وأدراهم^٦ بالدقائق وأعلمهم، ولذلك جعل هذا النبي الأمي منهم، فلامت معارفه الأكوان، وسمت في رتب^٧ المعاني صاعدة فأين منها^٨ كيوان.

ولما كان الشعر / مع ما بنى عليه من التكلف الذي هو بعيد
 ١٠ جدا عن^٩ سجايا الانبياء فكيف بأشرفهم بما يكتسب به مدحا وهجوا، فيكون أكثره كذبا - إلى غير ذلك من معانيه، قال سبحانه وتعالى:
 ﴿وما ينبغي له﴾ أي وما يصح ولا ينطلب^{١٠} ولا يتأتى أصلا، لأن منصبه أجل، وحمته أعلى من أن يكون مداحا أو عيايا، أو أن يتقيد بما قد يجر إلى نقيصة^{١١} في المعنى، وجبلته منافية لذلك غاية المنافاة.

(١-١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: في اخطاء (٢-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: جميل المعر - كذا (٣) زيد من ظ و م و مد. (٤-٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فادراهم (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: رتبة (٦) في ظ و م و مد: عنها (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: من (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ما يطلب (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: نقيصته.

ولما تمت الدلالة على أمر الرسول صلى الله عليه وسلم،
وتضمنت أن الشعر - وهو تعدد صوغ الكلام على وزن معلوم^١
وقافية ملتزمة - نقيصة لما ذكر ولما يلزمه التقيد بالوزن والروى
والقافية من التقديم والتأخير والتحريم على المعاني من غير إفصاح
ولا تعيين [فيصير -^٢] عسر الفهم^٣ مستعصى اليان^٤، ونفى عنه صلى
الله عليه وسلم تلك النقيصة، فتضمن ذلك تنزيه ما أنزل عليه عنها
- كما أشارت إليه نون العظمة في "علتنا" - أثبت له ما ينبغي له فقال كالتحليل
لما قبله: (ان) أى ما (هو) أى هذا الذى أتاكم به (الا ذكر)
أى شرف وموعظة (وقرآن) أى جامع للحكم كلها دنيا وأخرى
يتلى في المحارب ويكرر في المتعبدات^٥، وينال بتلاوته والعمل به ١٠
فوز الدارين مع الفصل بين الملابس (مبين لا) أى ظاهر في ذلك
مظهر لكل ما فيه لمن يرويه حق رومه، ويسومه بأغلى سومه، بعد
أن يشترط في مطلق فهمه ومجرد اللذة به الذكى والغنى والحديد
والبليد، وليس هو بشعر متكلف يتقدم فيه - بحكم التزام^٦ الوزن والروى
والقافية - [الشئ -^٧] عن حائق موضعه تارة ويتأخر أخرى، ويدل ١٥
بما لا يساويه فتقص معانيه وتعتقد فتشكل فلا يفهمه^٨ إلا ذاك^٩ وذاك

- (١) زيد في الأصل: مفهوم، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفها.
(٢) زيد من ظ وم ومد (٣-٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: متفصى.
(٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: التعبدات (٥) من ظ وم ومد،
وفي الأصل: الالتزام (٦-٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الادراك.

[مع - '] أنه من همزات الشياطين [فيا - '] بعد ما بينهما^١، وبين هذا المعنى غاية البيان آخره ص، "قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين" "ان هو الاذكر للعلمين" [أى - '] كلهم ذكبيهم وغيرهم^٢ بخلاف الشعر^٣ فانه مع نزوله^٤ عن بلاغته جدا إنما هو ذكر^٥ للاذكياء جدا .

ولما ذكر أمر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما آتاه من غرائب الشرف في سن النكس لغيره، ذكر علة^٦ ذلك فقال : (لينذر) أى الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل ما دل عليه السياق من التقدير، ويؤيده^٧ لفت الكلام في قراءة نافع وابن عامر ويعقوب^٨ بالخطاب ١٠ إشارة إلى أنه لا يفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه وسلم .

ولما كان هذا^٩ القرآن ميّنا . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم متخلقا به ، فهو مظهره و صورة سوره ، فكان حاله مقتضيا لثلاث يتخلف عن الإيمان [حتى ، قال مظهرا لما كان حقه في بادى الرأى الإضرار إفادة للتعميم ميّنا لأن حكمه سبحانه منع من ذلك ، فانقسم ١٥ المنزرون إلى قسمين : (من كان) كونا متمكنا (حيا) أى حياة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بينها .
(٣-٢) سقط ما بين الرقين من م (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : نزله .
(٥) زيد بعده في الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذناها .
(٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : علمه (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يؤيد هذا (٨) راجع نثر المرجان ٥ / ٩٢ (٩) سقط من ظ .

كاملة معنوية تكون سببا للحياة الدائمة، فانه لا يتوقف حيثن عن الإيمان به -^١، خوفا مما يخوف به من الأمور التي لا يتوجه إليها ريب بوجه، فيرجى له الخير، فهو مؤمن في الحقيقة وإن ظهر عليه في أول أمره خلاف ذلك،^٢ وأفرد الضمير هنا على اللفظ إشارة إلى قلة السعداء، وجمع في الثاني على المعنى إعلاما بكثرة الأشقياء^٣ (ويحق) أى يجب و ثبت هـ (القول) أى بالعذاب (على الكافرين هـ) أى العريقين في الكفر فانهم أموات في الحقيقة وإن رأيتهم أحياء، فالآية من الاحتباك: حذف الإيمان أولا لما دل عليه / من ضده [ثانيا، وحذف الموت ثانيا لما دل عليه من ضده -^١] أولا، فتحقق بهذا أن أعظم منافاة القرآن للشعر وكذا السجع من أجل أنه جد كله، فحط أساليبه بالقصد الأول ١٠ [المعاني والألفاظ تابعة، والشاعر والساجع محط نظرهما بالقصد الأول -^١] الروى والقافية والفاصلة حتى أن ذلك ليؤدى إلى ركة المعنى والكلام بغير الواقع ولا بد، كما قال حسان [بن ثابت -^١] رضى الله عنه وحاله معروف في البلاغة والتفنن في أساليب الكلام وصدق اللهجة وحسن الإسلام في غزوة الغابة وكان أميرها سعد بن زيد الأشهلي ١٥ رضى الله عنه:

أسر أولاد اللقيطة أنا سلم غداة فوارس المقداد

- (١) زيد من ظ وم ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقين من م (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: مجدا (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الفاصلة. (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: انشد، وفي ديوان حسان ١٠٨: هل سر.

فغضب سعد على حسان رضى الله عنهما وحلف : لا يكلمه أبداً ، وقال :
انطلق إلى خيلي و فوارسي ، فجعلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسان رضى الله
عنهما ومدحه بأيات وقال : والله ما أردت ذلك ولكن الروى وافق
اسم المقداد ، لأن القصيدة دالية ، فالتبى صلى الله عليه وسلم لا يدور في
ه فكره [أبدا - ١] قصد اللفظ ، فإنه من باب الترويق ، وهو صلى الله
عليه وسلم جد كله ، فهو لا يعدل عنه لأنه موزون ، بل لأنه لا يؤدي
المعنى كما أن العرب تعدل عن اللحن ولا تحسن النطق به ولا تطوع
أستنها له لكونه^١ لحناً ، لا لكونه حركة ، فإن وافق شيء من الموزون
ما أريد من المعنى لأجل أداء المعنى قاله ، كما يقع لكثير من المصنفين
١٠ الكلام الموزون وما قصده ، وكما وقع كثير من الكلام الموزون من
جميع أبحر الشعر في القرآن^٢ وإن لم يوافق المعنى لم يقله ، وعلى هذا
يتخرج قوله صلى الله عليه وسلم :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لو تظاهر الإنس والجن على أن يأتوا بما أداء من المعنى في ألفاظه
١٥ أو مثلها على غير هذا النظم لم يقدرُوا ، وإذا تأملت كل بيت تمثل به
فكره لا تجده كسره إلا لمعنى جليل ، لا يتأتى مع الوزن أو يكون
لا فرق بين أدائه^٣ موزوناً و مكسوراً^٤ ، وهكذا السجع سواء ، ومن
هنا علم أنه ليس المعنى أنه لا يحسن الوزن ، بل المعنى أن تعمد الوزن

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) في م : لكونها (٣) زيد في الأصل : يريد
أن يخرجكم من أرضكم بسحره ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها (٤) من ظ
و م و مد ، وفي الأصل : لو (هـ-هـ) في م و مد : مكسوراً و موزوناً .

والسجع

و السجع نقيصة لاتليق بمنصبه العالى لأن الشاعر مقيد بوزن و روى
 وقافية ، فان أطاعه المعنى مع ما هو مقيد به كان و إلا احتال فى إتمام
 ما هو مقيد به و إن نقص المعنى ، و الساجع قريب من ذلك ، فهذا
 هو الذى لم يعلمه الله له ، لأنه صلى الله عليه وسلم تابع للعانى و الحقائق
 و الحكم التى تفيد الحياة الدائمة ، لأنه مهياً بالطبع المستقيم لذلك غير مهياً ه
 لغيره من التكلف ، و إذا أنعمت النظر فى آخر الآية الذى هو تعليل
 لما قبله تحققت أن هذا هو المراد ، فوضح أىّ وضح بهذا أن كلا منهما
 نقيصة ، فلا يتحرك شئ من أخلاقه الشريفة نحوها ، ولا يكون له بذلك
 شئ من الاعتناء ، و قد أشبعت الكلام فى هذا و أقتته فى كتابى
 « مساعد النظر للإشراف على مقاصد السور ، و هو كالمدخل إلى هذا ١٠
 الكتاب - و الله الموفق للصواب » .

و لما أخبر سبحانه بأعماء أفكارهم ، و هدد بطمس / أبصارهم ،
 ٣٧٢ / و مسخهم على مقاعدهم و قرارهم ، و أعلم بأن كتابه خاتم بانذارهم ، ذكرهم
 بقدرته و قررهم تثبيتاً لذلك يبدائع صنعته ، فقال عاطفاً على ما تقديره :
 ألم يروا ما قدمناه و أفهمته آية « و من نعمه » ، و ما بعدها من بدائع ١٥
 صنعنا تلويحاً و تصريحاً الدال على علمنا الشامل و قدرتنا التامة ، فهما

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمنصه (٢) زيد فى الأصل : بشئ ،
 و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخدفتها (٣) سقط من ظ (٤) من ظ
 و م و مد ، و فى الأصل : فى (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م
 و مد ، و فى الأصل : بانه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبيننا .

صوبنا كلامنا إليه حق القول عليه ولم يمنعه مانع ، ولا يتصور له دافع
 (اولم يروا) أى يعلموا علما هو كالرؤية ما هو أظهر عندم دلالة
 من ذلك فى أجل^١ أموالهم ، ولا يبعد عندى - وإن طال المدى - أن
 يكون معطوفا على قوله^٢ "الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون" فذاك
 استعطف^٣ إلى توحيده^٤ بالتحذير من النقم ، وهذا بالتذكير بالنعم ،
 ونبههم على ما فى ذلك من العظمة بسوق الكلام فى مظهرها كما فعل
 فى آية إهلاك القرون فقال : (انا خلقناهم) وخصها بنفسه الشريفة
 محو^٥ للأسباب وإظهارا^٦ لتشريفهم بتشريفها فى قوله : (عما عملت)
 ولما كان الإنسان مقيدا بالوهم لا ينفك عنه ،^٧ ولذلك يرى الأرواح [فى
 المنام -^٨] فى صور أجسادها ، وكانت يده محل قدرته وموضع^٩ اختصاصه ،
 عبر له بما يفهمه^{١٠} فقال : (ايدينا) أى بغير واسطة على علم منا بقواها
 ومقاديرها ومنافعها وطوائعها وغير ذلك من أمورها (انعاما) ثم
 بين كونها لهم بما سبب عن خلقها من قوله : (فهم لها ملكون^{١١})
 أى ضابطون قاهرون من غير قدرة لهم على ذلك لولا قدرتنا
 ١٥ بنوع التسبب .

(١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : اهل (٢) سقط من ظ و م ومد .
 (٣-٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : على توحيد (٤) زيد فى الأصل :
 لهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :
 مواضع (٨) فى م : يفهم .

ولما كان الملك لا يستلزم الطوعية، قال تعالى: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لِمِمْسِكِهَا﴾ أى يسرنا قيادها، ولو شقنا لجعلناها وحشية كما جعلنا أصغر منها وأضعف، فمن قدر على تذليل الأشياء الصعبة جدا لغيره فهو قادر على تطويع الأشياء لنفسه، ثم سبب عن ذلك قوله: ﴿فَإِنْ رَكَبْتَ رُكُوبًا﴾ أى ما يركبون، وهى الإبل لأنها أعظم مركوباتهم لعموم منافعها فى ذلك وكثرتها، ٥
ولمثل ذلك فى التذكير بعظيم النعمة والنفع واستقلال كل من نعمتين بنفسه أعاد الجار، وعبر بالمضارع للتجدد بتجدد الذبح بخلاف المركوب^٢ فان صلاحه لذلك ثابت دائم فقال^٣: ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝﴾ .

ولما أشار إلى عظمة نفع الركوب والأكل بتقديم الجار، وكانت منافعها من غير ذلك كثيرة، قال: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ۝﴾ ١٠
أى بالأصواف والأوبار والأشعار والجلود والبيع وغير ذلك، وخص المشرب من عموم المنافع لعموم نفعه، فقال جامعا له لاختلاف طعوم ألبان الأنواع الثلاثة، وكأنه عبر بمتهى الجموع لاختلاف طعوم أفراد النوع الواحد لمن تأمل ﴿ومشارب ۝﴾ أى من الألبان، أخرجناها مميزة عن القرث والدم خالصة لذيدة، وكل ذلك لاسبب له إلا أن ١٥
كلبتنا حقت به، فلم يكن بد من كونه على وفق ما أردنا، فليحذر من هو أضعف حالا منها من حقوق أمرنا ومضى حكما بما يسوءه .

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: بلعلنا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ومد، وفى الأصل و م: الركوب (٤) سقط من م (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: النفع (٦) فى م: طعم (٧) زيد فى ظ: أى .

ولما كانت هذه الأشياء من^١ العظمة بمكان ، لو فقدته الإنسان لتكدرت معيشته ، سبب عن ذلك استئناف الإنكار عليهم في تخلفهم عن طاعته بقوله : ﴿ اِفْلا يَشْكُرُونَ ۝ ﴾ / أى يوقعون الشكر ، وهو تعظيم النعم لما أنعم^٢ أو هو^٣ استفهام بمعنى الامر .

/ ٣٧٣

٥ ولما ذكرهم نعمه^٤ ، وحذرهم نقمه^٥ ، عجب منهم في سفول نظرم وقبح^٦ أثرهم ، فقال موبخا ومقرعا ومبكتا ومعجبا من زيادة ضلالهم^٧ أعادلا عن مظهر العظمة إلى أعظم منه^٨ : ﴿ واتخذوا ﴾ أى فعلنا لهم ذلك والحال أنهم كلفوا أنفسهم على غير ما تهدى إليه الفطرة الأولى أن أخذوا ، أو يكون^٩ معطوفا على^{١٠} كانوا ، من قوله ” الا كانوا به يستهزون “ فيكون^{١١} التقدير : إلا كانوا يحددون الاستهزاء ، واتخذوا قبل إرساله إليهم^{١٢} مع ما رأوا من قدرتنا وتقلبوا فيه من نعمتنا : ﴿ من دون الله ﴾ أى^{١٣} الذى له جميع العظمة ، فكل شيء دونه ، وما كان دونه كان مقهورا مربوبا ﴿ الهة ﴾ أى^{١٤} لا شيء لها من القدرة ولا من صلاحية الإلهية . ولما ١٥ تقرر أنها غير صالحة لما أهلوها له ، تشوف السامع إلى السؤال عن

- (١) زيد في الأصل : حقوق ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها .
(٢-٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فهو (٣) في ظ و م و مد : نعمته .
(٤) في ظ و م و مد : نعمته (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : قبيح .
(٦-٧) سقط ما بين الرقين من م (٧) من ظ و مد ، وفي الأصل و م : لهم .
(٨-٩) سقط ما بين الرقين من ظ .

سبب ذلك ، فقال جوابا له تعجبا من حالهم : ﴿لعلهم﴾ أى العابدين .
ولما كان مقصودهم ' حصول النصر من أى ناصر كان ، بنى للفعول
قوله : ﴿ينصرونه﴾ أى ليكون حالهم يزعمهم فى اجتماعهم عليها
و الشامهم بها حال من ينصر على ' من يعاديه و يعانده و يناويه .
و لما كان النصر سيان : ظاهرى و هو الاجتماع ، و أصلى باطنى ٥
و هو الإله المجتمع عليه ، بين غلطهم بتضييع الأمل ، فقال مستأقفا فى
جواب من كأنه قال : فهل ' بلغوا ما أرادوا ؟ : ﴿لا يستطيعون﴾ أى
الآلهة المتخذة ﴿نصرهم﴾ أى العابدين ﴿وهم﴾ أى العابدون ﴿لهم﴾
أى الآلهة ﴿جند﴾ و لما كان الجند مشتركا بين العسكر و الأعوان
و المدينة ، عين ' المراد بضمير الجمع ' ولأنه ' أدل على عجزهم و حقارتهم ١٠
[فقال - ']: ﴿محضرون ٥﴾ أى يفعلون فى الاجتماع إليها و المحاماة عنها
فعل من يجمعه كرها إىالة الملك و سياسة العظمة ، فصارت العبرة بهم
خاصة فى حيازة السبب الظاهرى مع تعبدهم ' للعاجز و ذلهم للضعيف
الدون مع ما يدعون ' من الشهامة و الأتفة و الضخامة ، فلو جمعوا أنفسهم
على الله لكان لهم ذلك ، و حازوا [معه - '] السبب الأعظم . ١٥

- (١) فى ظ و م و مد : مطلوبهم (٢) سقط من ظ (٣-٣) تكرر ما بين الرقین
فى الأصل فقط (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هل (٥) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل و م : غير (٦-٦) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد .
(٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل و م : تقيدهم .
(٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يشاهدون .

ولما بين ما بين من قدرته الباهرة، وعظمتها الظاهرة، [و - ١]
وهي أمرهم في الدنيا والآخرة، وكان قد تقدم ما لوح إلى أنهم نسبوه
صلى الله عليه وسلم إلى الشعر، وصرح باستهزائهم بالوعد مع ما قبل
ذلك من تكذيبهم وإجابتهم للؤمنين من تسفيهم وتضليلهم، سبب
عن ذلك بعد ما نفي عنهم النصرة قوله تسلياً له صلى الله عليه وسلم :
﴿ فلا يحزنك ﴾ قراءة الجماعة بفتح الياء وضم الزاي، ومعناه: يجعل
فيك، وقراءة نافع بضم الياء وكسر الزاي تدل على أن^٢ المنهى عنه^١
إنما هو كثرة الحزن والاستغراق فيه، لا ما يعرض من طبع البشر
من أصله، فإن معنى أحزن فلانا كذا، أى جعله حزينا ﴿ قولهم ﴾
١٠. أى الذى قدمناه تلويحاً وتصريحاً وغير ذلك فيك وفينا. ولما كان
علم القادر بما يعمل عدوه سبباً لآخذه، علل ذلك بقوله مهدداً بمظهر
العظمة: ﴿ انا نعلم ما^٥ ﴾ أى كل ما ﴿ يسرون ﴾ أى يحددون إسراره
﴿ وما يعلنون^٥ ﴾ أى فنحن نجعل ما^٦ يسيونه لاذاك سبباً^٦ لآذام
ونفعك إلى أن يصيروا في قبضتك وتحت قهرك وقدرتك .

١٥ / ٣٧٤ ولما أثبت / سبحانه^٧ بهذا الدليل [قدرته على ما هدد به أولاً من
التحويل من حال إلى أخرى، ثبتت بذلك - ١] قدرته على البعث،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من م (٣) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: انه (٤) سقط من ظ (٥) ليس في الأصل فقط (٦ - ٦) من ظ و م
و مد، وفي الأصل: يسوء به لآذا مسبباً (٧) زيد في الأصل: ذلك، ولم تكن
الزيادة في ظ و م و مد لحذفها .

وختم بأحاطة العلم الملزوم لتمام القدرة ، أتبع ذلك دليلاً آيين من الأول؛
 فقال عاطفاً على "الم' يروا" : (اولم يرحم) أى يعلم علماً هو فى ظهوره
 كالمحسوس بالبصر .

و لما كان هذا المثل الذى قاله هذا الكافر لا يرضاه حماراً لو نطق ،
 أشار إلى غباوته بالتعبير بالإنسان الذى هو - وإن كان أفتن المخلوقات ه
 لما ركب فيه سبحانه من 'العقل - تغلب عليه 'الإنس بنفسه حتى يصير
 مثلاً فى الغباوة فقال : (الإنسان) أى [جنسه - °] منهم ومن غيرهم
 'وإن كان الذى نزلت فيه واحداً ' (انا خلقته) بما لنا من العظمة
 (من نطفة) أى شئ يسير حقير من ماء لا انتفاع به بعد إبداعنا^١
 أباه من تراب وأمه من لحم وعظام (فاذا هو) أى قسب عن ١٠
 خلقنا له من ذلك المفاجأة لحالة هى أبعد شئ من حالة النطفة وهى
 أنه (خصيم) أى بالغ الخصومة (مبين ه) أى فى غاية البيان عما يريد
 حتى أنه ليجادل من أعطاه^٢ العقل والقدرة فى قدرته ، أنشد الأستاذ
 أبو القاسم القشيري فى ذلك :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى^٣ ١٥

(١) من ظ وم د ، وفى الأصل وم : اولم (٢) من ظ وم وم د ، وفى
 الأصل : هما (٣) من ظ وم وم د ، وفى الأصل : رتب (٤ - ٤) من ظ وم
 وم د ، وفى الأصل : الفعل فقلب على (٥) زيد من ظ وم وم د (٦ - ٦) سقط
 ما بين الرقيين من م (٧) من م وم د ، وفى الأصل و ظ : ايداعنا (٨) زيدت
 الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ وم وم د فحذفناها (٩) والبيت الثانى :
 وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجائى .

و لما كان التقدير: فبعد - مع [أنا -^١] تفردنا بالإعلاء عليه - غيرنا
و خاصم^٢ - بما خلقناه^٣ له من اللسان و آتينا^٤ من - البيان - رسلنا
و جميع أهل و دنا، عطف عليه قوله مقبحا إنكارهم البعث تقيحا لا يرى
أنجب منه، و لا أبلغ و لا أدل على التهاذي، في الضلال و الإفراط في
الجهود و عقوق الأيادي: (و ضرب) أي هذا الإنسان؛ و سبب
النزول أبي بن خلف الجمحي الذي قتله النبي صلى الله عليه و سلم بأحد
مبارزة^٥، فهو المراد بهذا التبكيت بالذات و بالقصد الأول (لنا) أي
على ما يعلم من عظمتنا (مثلا) أي آلهته التي عبدها لكونها لا تقدر
على شيء. مكابرا لعقله^٦ في أنه لا شيء يشبهنا (و نسي) [أي -^٧]
١٠ هذا الذي تصدى على نهاية أصله لمخاصمة الجبار، و أبرز صفحته لمجادلته،
و النسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول، و أن يكون بمعنى الترك
(خلقته^٨) أي خلقنا لهذا المخاصم الدال على كمال قدرتنا، و أن آلهته
التي أشرك^٩ بها لا تقدر على شيء، فافترق الحال الذي جمعه بالمثل أي
افتراق، و صاروا مقولا له: يا قليل الفطنة! أفمن يخلق كمن لا يخلق؟
١٥ أفلا تذكر^{١٠}؟ ثم استأنف الإخبار عن هذا المثل بالإخبار عن استحالة

- (١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: خاتم (٣) من
م و مد، وفي الأصل و ظ: خالقنا (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
مبارزته (٥ - ٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: مكانه العقلة - كذا.
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: أشركه.
(٨) سقط من ظ.

لأن يقدر أحد على إحياء الميت كما أن معبوداته لا تقدر على ذلك فقال :

(قال) أى على سبيل الإنكار : (من يحى) .

ولما كانت العظام أصلب شيء وأبعده عن قبول الحياة لاسيما إذا

بليت وأرقت قال : (العظام وهى) ولما أخبر عن المؤنث باسم لما

بلى من العظام غير صفة^٢، لم يثبت تاء التأنيث فقال : (رميم .) أى هـ

صارت ترابا يمر مع الرياح .

ولما كان موطننا يتشوف فيه السامع لهذا الكلام إلى جوابه ،

استأنف قوله مخاطبا من^٣ لا يفهم هذه المجادلة حق فهمها^٤ غيره : (قل)

أى لهذا الذى ضرب هذا المثل جهلا منه فى قياسه [من -^٥] يقدر

على كل شيء على من لا يقدر على شيء^٦، وأعاد فعل الإحياء نصا على ١٠

المراد دفعا للتعنت / ودلالة على الاهتمام فقال^٧ : (يحىها) أى^٨ / ٣٧٥

من بعد أن بليت^٩ "ثانى مرة"^{١٠}، ولقت القول^{١١} إلى وصف يدل على

الحكم فقال : (الذى اشأها) أى من العدم ثم أحيها (اول مرة^{١٢})

(١) فى ظ و م ومد : طريق (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الموت .

(٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فته (٤) من ظ و م ومد ، وفى

الأصل : لمن (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فهمه (٦) زيد من ظ و م

ومد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من م (٨) سقط من م ، والعبارة من هنا

بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى "ثانى مرة" (٩) من مد ، وفى الأصل وم :

يفشىها (١٠ - ١٠) من م ومد ، وفى الأصل : ثانيا (١١) فى مد : الكلام .

أى فان [كل - ١] من قدر على إيجاد شيء أول مرة فهو قادر على إعادته ثانى مرة، وهى شاهدة بأن الحياة تحل العظم فيتجنس بالموت مما يحكم بنجاسة ميتته (وهو بكل خلق) أى صنع و تقدير يمكن أن يخلق من ذلك ومن غيره ابتداء وإعادة (عليه السلام) أى بالغ العلم، فلا يخفى عليه ٢ أجزاء ميت ٢ أصلا وإن تفرقت في البر والبحر، ولا شيء غير ذلك، فالآية من بديع ٥ الاحتباك ٦ : الإحياء أولا دال ٧ على مثله ثانيا، والإنشاء ثانيا دال ٧ على مثله أولا، و "أول مرة" فى الثانى دال على "ثانى مرة"، فى الأول، فهو على كل شيء قدير كما برهن عليه فى سورة طه، فهو يوجد مقتضيات لكل ممكن يريده، ويرفع الموانع ١٠. فيوجد فى الحال من غير تخلف أصلا، فقد بلغ هذا البيان فى الدلالة على البعث. الجسمانى والروحانى معا النهاية التى ليس وراءها بيان، بعد أن وطأ له فى هذه السورة نفسها بما لا يحتمل طعنا بقوله "فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون"، "من بعثنا من مرقدنا" "فاذا هم جميع لدينا محضرون" "ان اصحب الجنة اليوم ٨ فى شغل فكهون" "وامتازوا اليوم ١٥ ايها المجرمون" "اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون" "اليوم نختم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل : صنع و تقدير، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣ - ٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : اجراء كلمة (٤ - ٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : البحر والبر. (٥) زيد فى الأصل و ظ و م : فى، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل و ظ : ذكر، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ : دالا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقين من ظ .

على افواههم و تكلمنا ايديهم و تشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون^١ .
 ولما كان [مآل - ١] هذا المثل الذى علق الإنكار فيه بالرميم استبعاد
 تمييز الشيء - إذا صار ترابا و اختلط بالتراب^٢ - عن غيره من التراب ،
 وصف نفسه المقدس باخراج الشيء الذى هو أخفى ما يكون من ضده ،
 و ذلك بتمييز النار من الخشب الذى فيه الماء ظاهر بأيدي العجزة^٣ من ه
 خلقه . قال معيدا^٤ للوصول تنبيها على التذكير بالموصوف ليستحضر ماله من^٥
 صفات الكمال فيادر إلى الخضوع له من كان حيا : (الذى جعل لكم)
 أى متاعا و استبصارا (من الشجر الاخضر) الذى تشاهدون فيه الماء
 (نارا) بأن يأخذ أحدكم غصنين كالسواكين و هما أخضران يقطر
 منهما الماء^٦ فيسحق المرخ^٧ - و هو ذكر - على العفار - و هو أنثى - فتخرج ١٠
 [النار - ١] ؛ قال أبو حيان^٨ : و عن ابن عباس رضى الله عنهما : ليس
 شجر إلا [و - ٨] فيه نار إلا العناب - انتهى . و لذلك قالوا فى المثل
 المشهور : فى كل شجر نار و استمجد المرخ و العفار (فاذا أنتم) أى
 فتسبب^٩ عن ذلك مفاجأتكم لأنكم (منه) أى الشجر الموصوف بالخضرة^{١٠}
 (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : التراب .
 (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المعجزة (٤) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : معبرا (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
 فيستحق الدح هكذا (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ٣٤٨ (٨) زيد من ظ و م
 و مد و البحر (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تسبب (١٠) من ظ
 و م و مد ، وفى الأصل : بالضرورة .

بعينه ﴿ توقدون ٥ ﴾ أى توجدون. الإيقاد و يتجدد لكم ذلك مرة بعد أخرى، ما هو^١ بخيال ولا سحر بل حقيقة ثابتة بينة،^٢ وكأنه قدم الجار لكثرة إيقادهم منه، فقد إيقادهم من غيره لذلك و لعظمته عدما^٣.

ولما كان ذلك من غير كلفة عليهم، قدم الجار تخصيصا له وعنا
٥. لغيره كالمعدوم، فالذى قدر على تمييز النار من الماء [و الخشب وخبه
النار فيها لا النار تعدو على الخشب فتحرقه ولا الماء يعدو على النار -^٢]
فيطفئها قادر على تمييز / تراب العظام من تراب غيرها، و نفخ الروح
فيها كما نفخ روح النار في الحطب المضاد له بالمائية .

/ ٣٧٦

ولما كان التقدير: أليس الذى قدر على ذلك بقادر على ما يريد
١٠. من إحياء العظام وغيرها، عطف عليه ما هو أعظم [شأننا -^٣] منه
تقريرا على الأدنى^٤ بالأعلى فقال: ﴿ ا و ليس الذى خلق ﴾ أى أوجد
من العدم و قدر ﴿ السموات و الارض ﴾ أى على كبرهما^٥ و عظمتها^٥
و عظيم ما فيها من المنافع و المصانع و المعجائب و البدائع، و أثبت الجار
تحقيقا للامر و تأكيدا للتقرير فقال: ﴿ بقدر ﴾ أى ثابت^٦ له قدرة
١٥ لا يساويها قدرة، و معنى قراءة رويس عن يعقوب بفتحانية^٧ مفتوحة

(١) زيد فى الأصل: ليس، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها.
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤-٤) العبارة من هنا إلى «عظمتها» ساقطة من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقين
من م (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثابت (٦) من ظ و م،
و فى الأصل و م: بالفتحانية .

وإسكان

و إسكان القاف من غير ألف و رفع الراء^١ أنه يحدد^٢ تعليق القدرة على سبيل الاستمرار (على أن يخلق) و لفت الكلام إلى الغية إذانا بأنهم صاروا بهذا^٣ الجدل أهلا لغاية^٤ الغضب فقال: (مثلهم^٥) أى مثل هؤلاء الأناسى أى يعيدهم بأعيانهم كما تقول: مثلك كذا أى أنت، و عبر به إيهاما لتحقيرهم و أن إحياء العظام الميتة أكثر ما يكون خلقا^٥ جديدا، بل ينقص عن الاختراع بأن له مادة موجودة، و عبر بضمير الجمع لأنه أدل على القدرة، قال الرازى: و القدرة عبارة عن المعنى الذى به يوجد الشيء مقدرا^٥ بتقدير الإرادة و العلم واقعا^٦ على وفقهما و إن كانت صفات الله تعالى أعلى^٧ من أن يطمحها نظر عقل، و تلحقها العبارات اللغوية، و لكن غاية القدرة البشرية و اللغة العربية هذا. ١٠

و لما كان الجواب بعد ما مضى من الأدلة القاطعة و البراهين الساطعة الاعتراف، قال سبحانه مقررًا لما بعد النفي إشارة إلى أنه نجب المبادرة إليه، و لا يجوز التوقف فيه و من توقف فهو معاند: (بلى^٩) أى هو قادر على ذلك^٨ (وهو) مع ذلك أى كونه عالما بالخلق (الخلق) البالغ فى هذه الصفة مطلقا فى تكثير-الخلق و تكريره بالنسبة إلى كل ١٥

- (١) راجع ثمر المرجان ٥/ ٩٨ (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بمجرد.
 (٣) من ظ و م، وفى الأصل و مد: لهذا (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لغاية (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مقدارا (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: وقعا (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: أصلا.
 (٨) يزيد فى الأصل: نعيم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخدمتها.

[شئ - ١] ما لا تحيط به الاوهام ، ولا تدركه العقول والافهام ،
ولم ينازع أحد في العلم بالجزئيات بعد كونها ، كما نازعوا في القدرة على
"إيجاد بعض الجزئيات" ، فاكفى فيه بصيغة فعيل ثقيل : (العليم) أى
البالغ في العلم الذى هو منشأ القدرة ، فلا يخفى عليه كلى ولا جزئى في
ماض ولا^٢ حال ولا مستقبل شاهد أو غائب .

ولما تقرر ذلك ، أتج قوله "مؤكدًا لاجل إنكارهم القدرة على
البعث" : (إنما امره) أى شأنه وصفه (إذاً أراد شيئاً) أى إيجاد
شئ من جوهر أو عرض أى شئ كان (ان يقول له كن) أى أن
يريده ؛ ثم "عطف على جواب" الشرط على قراءة ابن عامر والكسائى
١٠ بالنصب ، واستأنف على قراءة غيره بالرفع بقوله : (فيكونه) أى من
غير مهلة أصلاً على [وفق - ١] ما أراد .

ولما كان ذلك ، تسبب عنه المبادرة إلى تنزيهه تعالى عما ضربوه
له من الأمثال فلذلك قال : (فسبحن) أى تنزهه عن كل شائبة نقص
تبزها^٣ لا تبلغ أفهامكم كنهه ، وعدل عن الضمير إلى وصف بدل على
١٥ / ٣٧ غاية العظمة فقال : (الذى يده) أى بقدرته / وتصرفه خاصة لا يد
غيره (ملكوت كل شئ) أى ملكه التام وملكه ظاهراً وباطناً .

(١) زيد من ظ و م ومد (٢ - ٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بعضها .
(٣) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (- -) فى م : أجاب (٦) راجع ثر
الرجان ٥ / ٦٠٠ (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : تنزه .

ولما

(٤٦)

١٨٤

و لما كان التقدير: فنه تبادون، عطف عليه قوله: (و اليه) أى لا إلى غيره من التراب أو غيره، و لفت القول إلى خطابهم استصغاراً [لهم-^١] و احتقاراً فقال: (ترجعون ؟) أى معنى فى جميع أموركم و حسا بالبعث "لينصف بينكم، فيدخل بعضا النار و بعضا الجنة، و نهت قراءة الجماعة بالبناء للفعول على غاية صغارهم بكون الرجوع قهراً و بأسهل ه أمر. و زادت قراءة يعقوب^٢ بالبناء للفاعل بأن انقيادهم فى الرجوع من شدة سهولته عليه، كأنه ناشئ عن فعلهم بأنفسهم اختياراً منهم، ثبت أنه سبحانه على كل شيء قدير، ثبت قطعاً أنه حكيم، ثبت قطعاً أنه لا إله إلا هو، و أن كلامه حكيم، و ثبت تمام قدرته أنه حلیم لا يعجل على أحد بالعقاب، ثبت أنه أرسل الرسل للبشارة بثوابه و النذارة من ١٠ عقابه، ثبت أنه أرسل هذا النبي الكريم لما^٣ أيده به من المعجزات، و أظهره على يده من الأدلة الباهرات، فرجع آخر السورة بكل من الرسالة و إحياء الموتى إلى أولها، و اتصل فى كلا الأمرين مفصلها بموصلها، و الله الهادى^٤ إلى الصواب^٥ [و إليه المرجع و المآب -^٦].

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من ها إلى « اختياراً منهم » ساقطة من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٦٠٠ (٤) سقط من م (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٧ - ٧) سقط ما بين الرقين من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ، و زيد فيه أيضاً: تم الجزء الثالث من المناسبات للشيخ العالم العلامة البقاعى رحمه الله تعالى رحمة واسعة أمين أمين، و يليه الجزء الرابع من أول سورة « الضفت ».

سورة الصفّت^١

مقصودها الاستدلال على آخر يس من التنزه عن النقائص اللازم منه
رد العباد للفصل بينهم بالعدل اللازم منه الوحدانية ، وذلك هو المعنى
الذى أشار إليه^٢ وسمها بالصفات ” وانا نحن الصافون وانا نحن
المسبحون “ (بسم الله) أى الذى له الكمال المطلق فلا يدنو من
جناحه نقص (الرحمن) الذى من برحة العدل فى الدارين (الرحيم)^٣
الذى يمن على من يريد بالطاعة بالثواب و المتاب لإسقاط العقاب .

لما كان الافراد بالملكوت لا يكون إلا مع الوحدانية بالذات ،
وفى ذلك استحقاق الاختصاص بالإلهية ، و كان ذلك - مع أنه بحيث
١٠ لا يخفى على ذى لب - عندهم فى غاية البعد ، ولذلك لا يسلمون ما يتعلق
بالملكوت و ينكرونه غاية الإنكار ، ناسب أن يقسم عليه . ولما كان
[من البلاغة أن يناسب بين القسم والمقسم عليه ، و كان - *]
الاصطفاف دالا على اتحاد القصد كما فى صفوف القتال و الصلاة ،
و كان الملائكة لا قصد لهم إلا الله من غير عائق عن ذلك فكانوا أحق
١٥ الخلق بالاصطفاف ، تارة للصلاة ، و تارة للتسبيح و التقديس ، و تارة

(١) السابعة و الثلاثون من سور القرآن ، مكية ، و هى مائة و إحدى و ثمانون
آية عند البصريين و مائة و اثنان و ثمانون عند غيرهم - راجع روح المعاني
٢٥٦/٧ (٢) زيد بعده فى الأصل : سبحانه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد
لحذفها (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الذى لا (٤) من ظ و م و مد ،
وفى الأصل : على (٥) زيد من م و مد .

لتدبير الارزاق، و تارة لتعذيب أهل الشقاق - إلى غير ذلك من الأمور
التي لاتسعها الصدور، وكانوا بعد زجرة الإمامة ثم زجرة الإحياء المصرح
بهما في السورة الماضية ثم زجرتي الصق و الإفاقة الآتيتين في الزمر
حين تشقق السماء بالغمام^١ و تكون وردة كالدهان، و تنفطر بسطوة
المليك^٢ الديان، و يتكرر ما فيها من أجرام و معان^٣، تنزل ملائكة كل
سما فقصير صفا مستديرا، ملائكة الأولى حول أهل الأرض، و ملائكة
الثانية حول ملائكة الأولى وهكذا، ثم يصيرون إذا قيل " يمعشر الجن
و الانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات / و الارض فانفذوا"
فاج العباد بعضهم في بعض من شدة الزحام، و طول القيام، كلما مالوا
على جهة من جهاتهم زجرهم زجرا ردوم به عن النفوذ، و صدوم عن ١٠
النفور، تالين من كلام الملك العلام ما يليق بذلك الوقت في ذلك
المقام، مع [أن - ^١] انتظام المدرجات الناشئة عن اصطفاهم^٤ في
التدبير في طاعة الملك القدير دال على الوحدانية، قال تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾
[أي الجماعات - ^١] من الملائكة و المصلين و المجاهدين المكملين أنفسهم
بالاصطفاف في الطاعة، فهو صفة لموصوف محذوف مؤنث اللفظ، ١٥
و عدل عن أن يقول: " الصافين"، القاصر على الذكور العقلاء ليشمل^٥

- (١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: و انغيم (٢) من م و مد، وفي
الأصل و ظ: الملك (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: امعان (٤) زيد من
ظ و م و مد (٥) من م و مد، وفي الأصل و ظ: اصطفاهم (٦) زيد من م
و مد (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: يشمل.

الجماعات من الملائكة و الجن و الإنس و الطير و الوحش و غيرها ،
 إشارة إلى أنه لا يؤلف بين شيء منها ليتحد قصده إلا واحد 'قهار' ، و 'أنه
 ما اتحد قصد شيء [منها - ٣] 'إلا استوى صفه' ، و لا اعتدل صفه' إلا اتحد
 زجره و هو صياحه ، و لا اتحد زجره إلا اتحد ما يذكره بصوته ،
 و لا اتحد منه ذلك إلا نبح قصده و اتضح رشده' بدليل المشاهدة ،^٢ و أدلها
 أن^٣ الصحابة رضی الله عنهم لما اتحد قصدهم في إعلاء الدين و هم أضعف^٤
 الأمم و أقلها عددا لم يقيم لهم جمع' من^٥ الناس الذين لانسبة " لهم
 [إليه - ٤] في قوة و لا كثرة ، و لم ينقض صفهم' و جرح القلوب
 " و أبارها زجرهم^٦ ، و شرح الصدور و أنارها ذكرهم ، كما أشار إليه تعالى
 ١٠ آخر هذه السورة بقوله " و ان جندنا لهم الغلبون " و كذا غير الآدميين^٧
 من الحيوانات كما يرى 'من القار' و الجراد إذا أراد الله تعالى اتحاد

(١) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ ، وفي الأصل :
 منها رد ، وفي م و مد : قاهر (٣) ريد من ظ و م و مد (٤-٤) من م و مد ،
 وفي الأصل و ظ : استولى صنعه (٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : صنعه .
 (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : رشاده (٧-٧) من مد ، وفي الأصل :
 اولها امر . وفي ظ و م : اولها أن (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 اصغر (٩-٩) ما بين الرقين بياض في الأصل ملأناه من ظ و م و مد .
 (١٠) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : بين (١١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
 شبه (١٢-١٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ابها - كذا (١٣) من م
 و مد ، وفي الأصل و ظ : الأدى .

قصده في شيء فانه يغلب فيه^١ من يغالبه^٢، ويظهر من يقاويه أو يقالبه^٣،
فبان أن الخير كله في الوحدة^٤ وأنه 'لاصلاح' بدونها، فبان أن الإله^٥
لا يكون متكبرا بوجه من الوجوه، فصح ما أريد^٦ بالقسم، وأتحد جدا
بالقسم عليه والتأم والتحم به أي التحام، وانتظم مدناها
كل الانتظام.

وما كان التأكيد بالمصدر أدل على الوحدة المرادة قال: (صفا)
وهو ترتيب الجمع على خط . ولما كان توحد القصد موجبا للقوة المهيبة
للزجر، وكان [تكميل الغير مسيئا عن تكميل النفس ومرتبا عليه، وأشرف
منه لو تجرد عن التكميل، وكان -^٧] التكميل إنما يتم أمره ويعظم أثره
مع الهية . فأخذني فنفطى حتى بلغ من الجهد، قال عاطفا بالغاء: ١٠
(فألزجرت) أي المتهترات عقب الصف كل من خرج عن أمر الله
(زجرا لا) أي اتهارا بالمواعظ وغيرها تكميلا لغيرهم .

ولما كانت الإفاضة مسبية عن حسن^٨ التلقى المسبب عن تفرغ
البال المسبب عن هية المفيد^٩، وكان فيض التلاوة أعظم الفيض قال:
(فالتلئت) أي التابعت استدلالا على قولهم وفعلهم وتمهيدا لعذرهم" ١٥

(١) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٢) في مد: يعالجه (٣) من ظ
و م و مد، وفي الأصل: يغالبه (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الوجه .
(٥-هـ) ما بين الرقيين بياض في الأصل ملأناه من ظ و م و مد (٦) من ظ
و م و مد، وفي الأصل: الا (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: ار .
(٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: جيش .
(١٠) من ظ و م و مد، وفي الأصل: العد (١١) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: لفرأورهم - كذا.

و تشریفاً لقدرهم، و تکمیلاً لغیرهم: ﴿ذکراً﴾ 'أی موعظة' و تشریفاً
و تذکیراً من ذکر ربهم إفاضةً على غیرهم من روح العلم و إدغام التاء
فی الصاد و الزای و الذال إشارة إلى أن ذلك مع حوله و عظمه قد
يخفى عن غیر من یرید الله إطلاعه علیه، فقد قطعت الصیحة، قلوب
هـ الکفرة من ثمود و غیرهم، و لم تؤثر فیمن آمن منهم، و قد کان جبریل
علیه السلام یزل علی النبی صلی الله علیه و سلم / ما یأتی به من القرآن
و الصحابة رضی الله عنهم حوله لا یستمعون شیئاً منه - و الله الموفق
﴿ان الهم﴾ أى الذی اتخذتم من دونه الهة ﴿لواحدة﴾ أى فان التفرق
لا یأتی بخیر، لما یصحبه من المعجز البعید جدا عن الکمال الذی لا تكون
١٠ الإلهیة أصلاً إلا معه، قالیه لا إلى غیره ترجعون لیفصل بینکم فبما كنتم
فیه^١ تختلفون،^٢ و هو الذی أنزل هذا الکتاب بعزته و رحمته و حرسه
من اللبس و غیره بما سیدکر من کبریاتہ و عظمتہ^٣ و لو لم یکن واحداً^٤
لاختل أمر هذا الاصطفاف و الزجر و التلاوة، و ما یرتب علیها،
فاختل نظام هذا الوجود^٥ الذی نشاهده کما نشاهد فی أحوال الممالک
(١ - ١) من ظ و م و مد، و فی الأصل: لموعظة (٢) زید فی الأصل:
و تکمیلاً، و لم تکن الزیادة فی ظ و م و مد لحذفها (٣) من ظ و م
و مد، و فی الأصل: امامه (٤) من ظ و م و مد، و فی الأصل: النصیحة .
(٥ - ٥) من م و مد، و فی الأصل: المتفرق بان لا یتأتی، و فی ظ: التفرق
لا یتأتی (٦) من ظ و م و مد، و فی الأصل: اهلاً (٧-٧) من ظ و م و مد،
و فی الأصل: فیه كنتم (٨-٨) سقط ما بین الرقین من م (٩) من ظ و م
و مد، و فی الأصل: واحد (١٠) من ظ و م و مد، و فی الأصل: الوجود .

/ ٣٧٩

عند اختلاف الملوك في تغيير العوائد ونسخ الشرائع [١ - التي] كان من قبلها أطلها [و - ٢] جميع ما له من الآثار والخصائص، ونحن نشاهد هذا الوجود على ما أحكمه سبحانه وتعالى لا يتغير شيء منه عن حاله الذي حده له، فعلينا أنه واحد لا محالة متفرد بالعظمة، لا كفوء له من غير شك .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة يس من جليل التنبيه^٢ وعظيم الإرشاد وما يهتدى الموفق باعتبار بعضه، و يشتغل المتعبر^٣ به في تحصيل مطلوبه وفرضه، ويشهد بأن الملك بجملته^٤ لواحد، وإن رغم أنف المعاند والجاحد، أتبعها^٥ تعالى بالقسم^٦ على وحدانيته فقال تعالى " والصفّت " - الآية إلى قوله تعالى " ان الهك لواحد " إلى ١٠ قوله " ورب المشارق " ثم عاد الكلام إلى التنبيه لعجيب مصنوعات فقال تعالى " انا رينا السماء الدنيا بزينة الكواكب "، إلى قوله " شهاب ثاقب " ثم أتبع بذكر عناد من جحد مع بيان الأمر ووضوحه وضعف ما خلقوا منه " انا خلقنهم من طين لازب "، ثم [ذكر - ٢] استبعادهم العودة الآخروية^٧ وعظيم حيرتهم وندمهم إذا شاهدوا ما به كذبوا، ١٥

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) في ظ وم : التنبيه .
(٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : المتعبر (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بجملته (٦) في ظ : أتبعه (٧) زيد في الأصل : دالا ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحذفها (٨) زيدت الواو في الأصل و ظ ، ولم تكن في م ومد لحذفها (٩) في م ومد : الآخروية .

و التحمت الآى إلى ذكر الرسل^١ مع أهمهم و جريهم في^٢ العناد و التوقف
و التكذيب على سنن متقارب، و أخذ كل بذنبه، و تخليص رسل الله
و حزيه، و إبقاء [جميل -^٣] ذكرهم باصطفائهم و قربه، ثم عاد الكلام
إلى تعنيف المشركين و بيان إفك المعتدين إلى ختم السورة - انتهى .
٥ و لما ثبت أنه واحد، أتبع وصفه بقوله: (رب) أى موجد
و مالك و ملك و مدبر (السموات) أى الأجرام العالية (و الارض)
أى الأجرام السافلة (و ما بينهما) أى من الفضاء المشحون من
المرافق و المعاون بما تعجز عن عده القوى، و هذا - مع كونه نتيجة ما
مضى - يصلح أن يكون دليلا عليه لما أشار إليه من [انتظام -^٣] التدوير
١٠ الذى لا يتهاى مع التعدد كما أن المقسم به هنا إشارة إلى دليل الوجدانية
أيضا بكونه على نظام واحد دائما فى الطاعة التى أشير إليها بالصف
و الزجر و التلاوة، فسبحان من جعل هذا القرآن معجز النظام، بديع
الشان بعيد المرام .

و لما كان السياق للإفاضة^٤ بالتلاوة و غيرها، و كانت جهة الشروق
١٥ جهة الإفاضة بالتجلى الموجد للخفايا الموجب للتنزه عن النقائص،

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المرسل (٢) من ظ و م و مد، وفى
الأصل: على (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل:
السفلية (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ما (٦) زيد فى الأصل و ظ:
الا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، وفى
الأصل: بالإفاضة .

٣٨٠ /

وكان الجمع ألقى بالاصطفاف الناظر إلى القهر بالاتلاف^١ قال :
 ﴿ ورب المشارق ﴾ / أي الثلاثمائة والستين التي تجلى عليكم^٢ كل يوم
 فيها الشمس والقمر وسائر الكواكب السيارة [على كر - ٣] الدهور
 والأعوام ، والشهور [والأيام - ٤] ، على نظام لا ينحل ، ومسير لا يتغير
 ولا يختل ، وذكرها يدل قطعاً على المغارب لأنها تختلف بها ، وأعاد
 الصفة معها تنبيهاً على وضوح دلالتها بما فيها مما السياق له من الاصطفاف
 الدال على حسن الاتلاف ، وللدلالة^٥ على البعث^٦ بالآيات بعد الغياب^٧ .
 ولما كانت المشارق تقتضي الفيض والإظهار ، أتبع ذلك بتبعته
 بما من شأنه الشروق والغروب ولو بمجرد الخفاء والظهور ، فقال مؤكداً
 مع لفت الكلام إلى التكلم في مظهر العظمة تنبيهاً على أن فعلهم فعل ١٠
 من ينكر ما للنجوم من الزينة وما تدل عليه من عظمتهم سبحانه وتعالى ،
 ونغم التعبير عن الزينة بتضعيف^٨ الفعل لمثل ذلك : ﴿ انا زينا ﴾ أي
 بعظمتنا التي لاتداني ﴿ السماء ﴾ [ولما كانوا لا يرون إلا ما يليهم من
 السماوات ، وكانت زينة النجوم ظاهرة فيها قال - ٩] : ﴿ الدنيا ﴾ [أي - ١٠]
 التي هي أدنى السماوات إليكم .

١٥

- (١-١) - سقط ما بين الرقيين من م (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : عليهم .
 (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، وفي
 الأصل : للآية (٦) في الأصل بياض ملأناه من مد (٧) العبارة من «و للدلالة»
 إلى هنا ساقطة من م (٨) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بتضيف (٩) زيد
 من مد (١٠) زيد من م ومد .

ولما أشير إلى أن الصف زينة في الباطن باتحاد القصد كما أنه زينة في الظاهر بحسن الشكل و بديع الرصف ، زيد في التنيه على ذلك بإعادة ما فهم من "زينا" في قوله : (بزينة الكواكب) أى بالزينة التى للنجوم النيرة البراقة المتوقدة الثابتة فى محالها - قارة أو مارة - المرصعة فى السماء ترصيع المسامير الزاهرة كزهر النور المبعوث فى خضرة الرياض الناضرة ، فهى مع عدم التوين و الخفض إضافة [يانية - '] كثوب خز ، و من نون الزينة فان خفض الكواكب فعلى البدل ، أى بالكواكب التى هى زينة ، و إن نصب فعلى [المدح - °] بتقدير أغنى ، أو على أنه بدل اشتغال من السماء ، أى كواكبها ، إما بكونها " فيما دونها " من الجوفظن^١ أنها فيها ، أو بكونها فيها من " جانبها الذى يلينا ، أو بكونها تشف [عنها - °] و إن كان بعضها فيما [هو - '] أعلى منها ، وزينتها انتظامها و ارتسامها " [على - '] هذا النظم البديع فى أشكال متنوعة و صور مستبعدة " ما بين صفار و كبار ، منها " ثوابت و منها " سيارة و شوارق

-
- (١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوصف (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الزينة (٣) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م و مد فخذناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بكونه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دونه . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيظن (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارتسابها (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مستبعدة (١٢) سقط من ظ و م و مد .

و غوارب - إلى غير ذلك من الهيئات التي لا تحصى، ولا حد لها عند العباد المعجزة^١ فيستقصى .

ولما كان كون الشيء الواحد لأشياء متعددة أدل على القدرة وأظهر في العظمة^٢، قال دالا بالعطف^٣ على غير معطوف عليه ظاهر على مقدر يدل على أن الزينة بالجوم أمر مقصود لا اتفاق^٤ : (و حفظاً) ٥
أى زينها بها للزينة وللحفظ (من كل شيطان) أى بعيد عن الخير محترق . ولما كان القصد التعميم في الحفظ عن كل عاتٍ سواء كان بالغا في العتو أو لا قال : (ماردج) أى مجرد عن الخير عاتٍ في كل شر^٦ سواء كان بالغا في ذلك أقصى الغايات أو كان في أدنى الدرجات كضارب وضراب^٧ .

١٠

ولما كان المراد في سورتي النساء والحج^٨ ذم الكفرة بفعل ما ليس في كونه شرا لبس، وبوضع النفس باتباع ما لا شك في دناءته يبعده عن الخير بعد الإخفاء به، عبر بالمريد للبالغة، وكما أنه حرس السماء المحسوسة بما ذكره سبحانه وتعالى فكذلك^٩ زين عز وجل قلوب الأولياء التي هي كالسما لآراضى أجسامهم بنجوم المعارف، فاذا مسهم طيف ١٥

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: العجز (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: النعمة (٣) في م و مد: بالعاطف (٤) زيد في الأصل: قدرة الشهية عجيبة يعجز عنها كل ذى سلطان قال تعالى، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من م (٦ - ٦) في م و مد: الحج و الفساء (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فكان كذلك .

من الشيطان / تذكروا فرشته شهب أحوالهم و معارفهم و أقوالهم .
 ولما تشوف السامع إلى معرفة هذا الحفظ و ثمرته و بيان كيفيته ، استأنف
 قوله : ﴿ لا يسمعون ﴾ أى الشياطين المفهومون من كل شيطان ، لا يتجدد
 لهم سمع أصلاً ، قال ابن الجوزى : قال الفراء : " لا " هنا كقوله
 " كذلك سلكته في قلوب المجرمين لا يؤمنون به " و يصلح في " لا " .
 على هذا المعنى الجزم ، و العرب تقول : ربطت في شيء لا ينفلت - انتهى .
 و يؤخذ من التفسير^١ بكل ثم الجمع^٢ نظراً إلى المعنى ، و الأفراد لضمير
 الخاطف و للحظفة^٣ أنهم معزولون عن السمع [جمعهم -^٤] و مفردهم من
 الجمع ، و أن الخطف يكون - إن اتفق - في الواحد لا الجمع^٥ و من
 الواحد لا الجمع^٦ ، و للكلمة^٧ و ما في حكمها لا أكثر ، و إليه يشير حديث
 الصحيح^٨ : تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى ، و أكد بعدهم باثبات^٩
 حرف الغاية ، فقال مضمناً " سمع " بعد قصره معنى " انتهى ، أو
 " أصنى ، ليكون [المعنى -^٩] : لا ينتهى سمعهم أو تسمعهم " أو إصفاؤهم
 ﴿ الى الملا ﴾ أى الجمع العظيم الشريف^{١٠} ، و أوضحت هذا المعنى قراءة

- (١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : التسوى (٢) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : انتج (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للحظفة (٤) زيد من
 ظ و م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : الكلمة (٧) راجع أبواب الطب و التوحيد (٨) من ظ و م و مد ، و فى
 الأصل : بالموت (٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : تسمع .
 (١١) العبارة من هنا إلى « من . قم فقال » ص ١٩٧ س . ساقطة من م .

من شدد السين والميم^١ بمعنى يتسمعون، أى بنوع حيلة^٢، تسمعا^٣ متنها
إلى ذلك، وهو يفهم أنهم يتسمعون، ولكن لا ينتهى تسمعهم إلى ما
ذكر، بما أشار إليه الإدغام، ويشير أيضا إلى أنهم يجتهدون فى إخفاء
أمرهم، وأفرد الوصف دلالة أيضا على أن العطف يكون من واحد
لا من جمع فقال: ﴿الاعلى﴾ أى مكانا ومكانة بحيث يملأون العيون هـ
بهجة والصدور هية .

و لما كان التقدير: لأنهم يطردون طردا قويا، دل عليه بالعطف^٤
فى قوله: ﴿ويقذفون﴾ أى الشياطين يرمون رميا وحيا شديدا يطردون
به، وبني للفعول لأن النافع قذفهم لا تعين قاذفهم، مع أنه أدل على
القدرة الإلهية عزت وجلت^٥ ﴿من كل جانب﴾ أى من جوانب ١٠
السموات بالشهب إذا قصدوا السماع بالاستراق^٦ ﴿دحورا﴾ أى قذفا يردم
مطرودين صاغرين مبعدين^٧، فهو تأكيد للقذف بالمعنى أو مفعول له
أو حال .

و لما كان هذا ربما كان سببا لأن يظن ظان^٨ أنهم غير مقدور

(١) راجع نثر المرجان ٦ / ٥ (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣) من
مد، وفى الأصل و ظ : تسميعا (٤) العبارة من هنا إلى « فى قوله » ساقطة من
م (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : بالفاظ (٦) زيد بعده فى الأصل : «سبحانه
و تعالى بما يفعل بهم» ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) العبارة
من « مع أنه » فى م، و من « الإلهية » فى ظ و مد ساقطة إلى هنا (٨) سقط
من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل : مبعودين (١٠) سقط
من م و مد .

عليهم في غير هذه الحالة بغير هذا النوع أخبر أنهم في قبضته، وإنما جعل حالهم هذا فتنة لمن أراد من عباده، فقال معبرا^١ باللام التي يعبر بها غالبا عن^٢ النافع تهكما بهم: ﴿ ولهم عذاب ﴾ أى في الدنيا بهذا وبغيره، وفي الآخرة يوم الجمع الأكبر ﴿ واصبلا ﴾ أى دائم^٣ ممرض ٥ موجه كثير الإجماع مواظب على ذلك ثابت [عليه -^٤] وإن افرق الدوامان في الاتصال والعظم والشدة والألم .

ولما ثبت بهذا حراسة القرآن بقدره الملك الديان عن لبس الجان، و^٥ كان بعضهم مع هذا يسمع في بعض الاحايين ما أراد الله أن يسمعه ليجهله فتنة لمن أراد من عباده^٦ مع تميز القرآن بالإعجاز^٧، استثنى ١٠ من فاعل " يسمعون " قوله: ﴿ الا من خطف ﴾ ودل على قلة ذلك بعد إفراد^٨ الضمير بقوله: ﴿ الخطفة ﴾ أى اختلس الكلمة أو أكثر، مرة من المرات منهم، ودل على قوة انقضا^٩ الكواكب في أثره^{١٠} بالهمزة في قوله / : ﴿ فاتبعه ﴾ مع تعديه بدونها، أى تبعه بغاية ما يكون من السرعة حتى كأنه يسوق نفسه و يتبعها له^{١١} كأن الله سبحانه وعز ١٥ شأنه هياها لثلا تنقض إلا في أثر من سمع منهم حين سماعه سواء لا يتخلف^{١٢} ﴿ شهاب ﴾ أى شعلة نار من الكواكب أو غيره ﴿ ثاقب ﴾

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل : مشيرا (٢) من م و مد، وفي الأصل وظ : فمن (٣) زيد في الأصل وظ : اى، ولم تكن الزيادة في م و مد فخذناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقيين من م . (٦ - ٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل : مما افرد (٧) زيدت الواو في الأصل وظ ، ولم تكن في م و مد فخذناها .

أى يثقب ما صادفه من جنى وغيره وإن كان الجنى من نار فانه ليس نارا خالصة ، وعلى التناول فربما كان الشيء الواحد أنواعا بعضها أقوى من بعض ، فيؤثر أقواه فى أضعفه كالحديد ، وتارة يخطئ الجنى وتارة يصيبه ، وإذا أصابه فتارة يحرقه فيتلفه وتارة يضعفه .

ولما كان المقصود من هذا الكتاب الأعظم بيان الأصول الأربعة : هـ التوحيد و النبوة و المعاد و إثبات القضاء و القدر ، و دل سبحانه بهذه المذكورات على وجوده و كمال علمه و تمام قدرته على الأفعال الهائلة و بديع حكمته اللازم منه إثبات وحدانيته تفصيلا لبعض إجمال " أو ليس الذى خلق السموات و الأرض " فكان ما دونها من الأفعال أولى ، سبب عن ذلك لإثبات الحشر الذى أخبر به هذا القرآن الذى " حرسه عن " ١٠ تليس الجان بزينة الكواكب التى أنشأ منها الشهب الثواقب قوله " تهكما بهم : (فاستفتهم) أى سلهم أن يقتلوا " بأن يبينوا " لك ما تسألهم عنه من إنكارهم البعث ، وأصله من الفتوة و هى الكرم : (ا هم اشد) أى أقوى و أشق و أصعب (خلقا) أى من جهة إحكام الصنعة و قوتها و عظمها (ام من) و لما كان المراد الإعلام بأنه لا شيء من الموجودات ١٥ إلا و هو خلقه سبحانه ، عبر بما يدل على ذلك دون ذكرنا ، و ليكون أعم ، و حذف المفعول لأنه مفهوم ، و ثلثا يلبس إذا ذكر ضمير المستفتين ،

(١) العبارة من هنا إلى « الثواقب » ساقطة من م (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : حرس على (٣-٣) سقط ما بين الرقيين من مد (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان يبنوا .

فقال: ﴿خلقنا﴾ أى من هذه الاشياء التى عددناها من الحى وغيره من الجن الذين أعطيناهم قدرة التوصل إلى الفلك وغيرهم، وعبر بـ "من" تغليبا للعاقل من الملائكة وغيرهم بما بين السماوات والأرض.

ولما كان الجواب قطعاً أن هذه المخلوقات أشد خلقاً منهم وأنهم هم من أضعف الخلائق خلقاً، قال دالاً على إرادة التهمك بهم فى السؤال، مؤكداً إشارة إلى أن إنكارهم البعث لاستبعادهم تمييز التراب من التراب يلزم منه إنكار ابتداء الخلق على هذا الوجه: ﴿أنا خلقناهم﴾ أى على عظمتنا ﴿من طين﴾ أى تراب رخو مهين ﴿لازب﴾ أى شديد اختلاط بعضه ببعض فالتصق وضمراً وتضايق وتلازم بعضه لبعض، ١٠ و قل واشتد ودخل بعض أجزائه فى بعض، وصلب وثبت فصار تمييز بعضه من بعض أصعب من تمييز بعض التراب المنتثر من بعض، قال ابن الجوزى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: هو الطين الحر الجيد اللزق. وإنما كانوا من طين لأن أباهم آدم كان منه من غير أب ولا أم، فصاروا بهذا التقدير بعض الطين الذى هو بعض خلقه الذى عدده قبل ذلك سبحانه وتعالى /، ومن المعلوم أن حال الطين مباحدة^١ لخالصها، ولكنهم كانوا بقدرته سبحانه الذاتية التى لا يمتنع عليها مقدور، ولا يعجزها مأمور، فدل ابتداء خلقهم وخلق ما هو أشد منهم وأعظم

(١) فى م ومد: لاستبعاد (٢) العبارة من هنا إلى «فى بعض» ساقطة من م.
 (٣) من مد، وفى الأصل وظ: ضم (٤) من م ومد، وفى الأصل: كان.
 (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ماعده.

على القدرة على إعادتهم قطعا بل بطريق الأولى من غير وجه،^١ و حسن هذا الاستفتاء كل الحسن ختم^٢ الكلام قبله بمن بلغوا السماء تكبرا و علوا، و هموا بما لم ينالوا تجبرا^٣ و علوا، و سلط عليهم ما يردهم مقهورين مبعدين مدحورين، و استثنى منهم من "خطف" ليعلم أنه غير محال ما تعلقت به منهم الآمال، هذا مع ما ذكره في خلقهم من الطين^٥ اللازب الذى من شأنه الرسوب [ثقله -^٤] و السفل [أن -^٤] من شأن^٥ من ختم بهم ما قبله^٦ العلو لحقتهم و الصعود .

و لما كان من المعلوم قطعا أن المراد بهذا الأمر بالاستفتاء^٧ إنما هو التبكيث لأن من المعلوم قطعا أن الجواب : ليسوا أشد خلقا من ذلك، فليس بعثهم ممتنا،^٨ و ليست غلبتهم لرسول الواحد القهار - ١٠ - الذى حكمه فى هذا الوحي باظهاره على الدين كله - بجائزة^٩ أصلا، نقلا و لاعقلا، بوجه من الوجوه، فلا شبهة لهم فى إنكاره و لا فى ظنهم^{١٠} أنهم يغلبون^{١١} [رسولنا -^{١٢}]، بل هم فى عمل عجب [شديد -^{١٣}] فى إنكاره و ظنهم أنهم غالبون فى الدنيا، عبر عن ذلك بقوله، مسندا العجب إلى

(١) العبارة من هنا إلى « و الصعود » ساقطة من م (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : بختم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : بخير (٤) زيد من ظ و مد . (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : شأنه أن (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فيه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بالاستئصال (٨) العبارة من هنا إلى « لاعقلا » ساقطة من م (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : بجائز (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ظن (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : غالبون (١٢) زيد من م و مد .

أجل الموجودات أو أجل المخلوقات تعظيماً له بمعنى أنه قول يستحق أن يقال فيه: إنه لا يدري ما الذي أوقع فيه وكان سبباً لارتكابه، فقال: (بل عجب) بضم التاء على قراءة حمزة والكسائي^٢ لفتاً للقول من مظهر العظمة للتصريح باسناد التعجب إليه سبحانه إشارة إلى تنامي هذا العجب إلى حد لا يوصف لإسناده إلى من هو منزّه عنه، وبفتحها عند الباقيين أى من جرأتهم في إنكارهم البعث [و - ٢] لاسباب وقد دل عليه القرآن في هذه الأساليب الغريبة والوجوه البديعة العجيبة التي لا يشك فيها من له أدنى تصور، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم ظن كما هو اللائق أنه لا يسمع القرآن أحد إلا آمن به، قال القشيري: ١٠. و حقيقة التعجب تغير النفس بما خفي فيه السبب مما لم تجر العادة بحدوث مثله، ومثل هذا حديث^١ الصحيحين^٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم سليم و أبن طلحة رضي الله عنهما: ضحك - وفي رواية: عجب - الله من فعالكما الليلة، وحديث البخاري^٣ رحمه الله

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: رفع (٢) راجع نثر المرجان ٦ / ٨٠.
 (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لا خفا.
 (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لم تجر (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الحديث في (٧) زيد بعده في الأصل: ما روى، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (٨) راجع صحيح البخاري باب ويؤثرون على أنفسهم - مناقب الأنصار، ولم نقر بهذا الحديث في صحيح مسلم في مظانه (٩) لم نقر به في صحيح البخاري في مظانه بل أخرجه أبو داود في أبواب الجهاد والإمام^١ قد في مسنده ٢ / ٣٠٢ وغيرها.

عن أبي هريرة رضى الله عنه أيضا: عجب ربنا من أقوام يقادون إلى الجنة في السلاسل . ومثله كثير؛ والمعنى في السلاسل التنبيه على عظم الفعل وأنه خارق للعادة، ويجوز أن يكون المعنى أنهم لم ينكروه لقلة الدلائل عليه، بل قد أتى من دلائله ما يعجب إعجابا عظيما من كثرته وطول الأنانة في موثرته^٢ (و يسخرون من) أى حصل لك العجب والحال . أنهم يحددون السخرية كلما جشهم بحجة (و اذا ذكروا) أى وعظوا من أى واعظ كان بشيء هم به عارفون^٣ جدا يدلهم على البعث مثل ما يذكرون به / من القدرة، مع أنه لا يجوز في عقل عاقل منهم أن أحدا يدع من تحت يده بلا محاسبة (لا يذكرون من) أى [لا -^٤] يعملون^٥ بموجب التذكير .

١٠

ولما ذكر إعراضهم عن المسموع، أتبعه إعراضهم عن المرئي فقال: (و اذا رأوا آية) أى علامة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك وغيره (يستسخرون من) أى يطلبون السخرية بها بأن يدعو بعضهم بعضا لذلك من شدة استهزائهم .

ولما كان إنكارهم للبعث ولو صدر منهم مرة واحدة في الشناعة ١٥ والعظم والقباحة مثل تجديدهم^٦ للسخرية كلما سمعوا آية والمبالغة فيها

- (١) من م و مد، وفي الأصل و ظ : لن (٢) من م و مد، وفي الأصل : موثرته، وفي ظ : موثراته (٣) زيد في الأصل و ظ : به، ولم تكن الزيادة في م و مد فخذناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في ظ و مد : يعملون . (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ : واحد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل : تجديدهم .

لأن دلائله من الظهور و الوضوح بمكان هو في غاية البعد عن الشكوك ،
 دل على ذلك بالتعبير بالماضي^١ فقال : ﴿ وقالوا ﴾ أى ما هو 'غاية في'
 العجب : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذا ﴾ أى الذى أتانا به من أمر البعث
 وغيره عما^٢ شاهدناه أو أخبرنا به ﴿ الاسحر ﴾ أى خيال و أمور موهمة
 لا حقائق لها ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر فى نفسه و مظهر لسخريته ثم خصوا
 البعث بالإنكار إعلاما بأنه أعظم مقصود بالنسبة إلى السحر فقالوا
 [مظهرين -^٣] له فى مظهر الإنكار : ﴿ واثذا متا ﴾ و عطفوا عليه ما^٤
 هو موجب عندهم لشدة الإنكار [فقالوا -^٥] : ﴿ وكنا ﴾ أى كونا هو
 في غاية التمكن ﴿ ترابا ﴾ قدموه لأنه أدل على مرادهم لأنه أبعد عن
 الحياة^٦ ﴿ و عظاما ﴾ كأنهم جعلوا كل واحد من الموت و انكون إلى
 النراية المحضة و العظامية المحضة أو المختلطة منهما مانعا من البعث ، و هذا
 بعد اعترافهم بأن ابتداء خلقهم [كان -^٧] من التراب مع^٨ أن هذا
 ظاهر جدا و لكن عقول ضلها باريها^٩ ، ثم كرروا^{١٠} الاستفهام الإنكارى^{١١}
 على قراءة من قرأ به زيادة فى الإنكار فقالوا : ﴿ انا لمبعوثون لا ﴾ .

١٥ و لما كان المعنى : " أثبت بعثنا " ، عطفوا عليه قولهم مكررين للاستفهام

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فى الماضى (٢-٢) من م و مد ، وفى
 الأصل و ظ : فى غاية (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ما (٤) زيد
 من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كما (٦) زيد من م
 و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقين من م (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ و م
 و مد (٩-٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الانكار الاستفهامى .
 (١٠-١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اثبت بعثا .

الإنكارى تأكيداً لزيادة استبعادهم حتى أنهم قاطعون^١ بأنه محال فقالوا
 "قولوا واهياً"^٢: ﴿ ١٠ 'أَبَاؤُنَا ﴾ أى يثبت^٣ بعثنا و كذا آبائنا ، و زادوا
 فى الاستبعاد بقولهم: ﴿ الاولون^٤ ﴾ أى الذين طال مكثهم فى الارض
 تحت أطباق الثرى و انمحقت أجزاءهم بحيث لم يبق لهم أثر ما ، و مرت
 الدهور و لم يبعث أحد منهم يوماً من الأيام ، يدلنا بعثه على ما يدعى^٥
 من ذلك .

ولما بالغوا هذه المبالغات^٦ فى إنكاره بعد قيام البراهين^٧ فى هذه
 السورة و غيرها^٨ على جوازه بل وجوبه عادة ، أمره بأن يجيبهم بما
 يقابل ذلك فقال تعالى: ﴿ قل نعم ﴾ أى تبعثون على كل تقدير قدرتموه ،
 [و ذكر حالهم بقوله - ٩] : ﴿ و اتهم داخرون^{١٠} ﴾ أى^{١١} مكرهون^{١٢}
 عليه^{١٣} صاغرون^{١٤} ذليلون حقيرون^{١٥} . ثم سبب عن الوعد بتختم كونه ما
 يدل [على - ١٦] أنه^{١٧} غاية^{١٨} فى^{١٩} الهوان فقال: ﴿ فانما ﴾ أى يكون
 ذلك بسبب أنكم تزجرون فتقومون ، و الزجرة التى يقومون بها إنما
 ﴿ هى زجرة ﴾ أى صيحة ، و أكد ما يفهمه من الوحدة لأجل إنكارهم
 تصريحاً بذلك و تحقيراً لأمر البعث فى جنب قدرته سبحانه و تعالى^{٢٠}
 فقال: ﴿ واحدة ﴾ و هى الثانية التى كانت الإمامة لجميع الأحياء فى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: قاطعين به (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين
 من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: اثبت (٤) من ظ
 و م و مد ، و فى الأصل: المبالغة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من م (٦) زيد
 من مد (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الأصل
 و ظ : فى غاية .

آن واحد بمثلها^١ . و أصل الزجر الانتهاز و يكون لحت أو منع ، و إنما يكون ذلك للقدور عليه / الذي فعل ما يغضب الزاجر ، فلذلك سمى الصيحة زجرة^٢ .

و لما كان هذا الكلام مؤذنا بالغضب ، حققه بصرف الكلام عن خطايهم جعلاً لهم بمحل البعد و تعمياً لغيرهم ، فقال معبراً بالفاء المسبية المعقبة و أداة المفاجأة : ﴿ فاذا هم ﴾ أى جميع الاموات بضائرهم و ظواهرهم القديم منهم و الحديث أحياء ﴿ ينظرون ﴾ أى فى الحال من غير مهلة اصلاً ، و لافرق بين من صار كله تراباً و من لم يتغير أصلاً ،^٣ و من هو بين ذلك ، و لعله خص النظر بالذكر لانه لا يكون إلا مع كمال الحياة ، و لذلك قال صلى الله عليه وسلم^٤ : إذا قبض الروح تبعه البصر . و أما السمع فقد يكون لغير الحى لانه صلى الله عليه وسلم قال فى الكفار من قتلى بدر : ما أتم بأسمع لما أقول منهم . و شاهدت أنا فى بلاد العرقوب المجاورة لبانياس^٥ من بلاد الشام شجرة شوك يقال لها الغبيراء متى قيل عندها دهات^٦ لى المنجل لاقطع هذه الشجرة ،^٧ أخذ ورقها فى الحال فى الذبول - فانه أعلم ما سبب ذلك .

و لما حصل الغرض من تصوير حالهم بهذا الفعل المضارع ، عطف

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يمثلها (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الزجرة صيحة (٣) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه ساقطة من مد (٤) راجع أبواب الجنائز من صحيح مسلم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لبانياس (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هان .

عليه بصيغة المضى التى معناها الاستقبال إعلاما بتحقيق الامر تحقق ما مضى وكان ، و تحققة مع القيام سواء من غير تخلف و لا تخلل زمان أصلا فقال: ﴿ وقالوا ﴾ أى كل من جمعه البعث من الكفرة معلين^١ بما انكشف لهم من أنه لا ملازم لهم غير الويل : ﴿ يويلنا ﴾ أى يا من ليس^٢ لنا نديم غيره ﴿ هذا يوم الدين ﴾ أى الجزاء لكل عامل . ٥
ولما كان قولهم هذا إنما هو للتحسر على ما فاتهم من التصديق النافع به ، زادوا فى ذلك بقولهم يخاطب بعضهم بعضا بدلا أو وصفا بعد وصف دالين باعادة^٣ اسم الإشارة على ما داخلهم من الهول : ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ أى الذى يفصل فيه بين الخصوم ؛ ثم زادوا تأسفا وتغما^٤ وتلهفا بقولهم ، لاقتين القول عن التكلم إلى الخطاب لأنه أدل ١٠
على ذم بعضهم لبعض وأبعد عن الإنصاف بالاعتراف^٥ : ﴿ الذى كنتم ﴾ أى [يا -^٦] دعاة الويل جبلة وطبعا ﴿ به تكذبون ﴾ وقدموا الجار إشارة إلى عظيم تكذيبهم به ، فينبأهم فى هذا التأسف إذ برز النداء بما يهدى قوامهم ، ويقر قلوبهم وكلامهم ، لمن لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون من الملائكة^٧ الشداد الغلاظ^٨ باذلالهم وإصغارهم ، وليان ١٥
السرعة لذلك من غير تنفيس^٩ أسقط ما يدل على النداء من نحو قوله :

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فقالوا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : معين .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : ليتو (٤) العبارة من هنا إلى « من الهول » ساقطة من م (٥) من ظ ، وفى الأصل : باداة (٦) فى ظ : تفها (٧ - ٧) من ظ و م ، وفى الأصل : الاعتراف (٨) زيد من ظ و م (٩ - ٩) فى ظ : الغلاظ الشداد (١٠) من م ، وفى الأصل وظ : تنفس (١١) من ظ و م ، وفى الأصل : قولهم .

قليل لللائكة، أو قفلنا، أو فبرز النداء من جانب سلطانتا - ونحو هذا:
 ﴿احشروا﴾ أى اجمعوا بكره و صغار و ذل أيها الموكلون بالعباد من'
 الأجناد،^٢ وأظهر تعريفا بوصفهم الموجب لختفهم فقال: ﴿الذين ظلموا﴾
 أى بما كانوا فيه فى الدنيا بوضع الأشياء فى غير محالها من الخطب الذى
 لا يفعله إلا من هو فى أشد الظلام ﴿وازواجهم﴾ أى أتباعهم الذين
 استنوا بهم فى ذلك الضرب من الظلم و أشباههم فيه من الجن و غيرهم
 ومن^٣ أعانهم ولو بشطر^٤ كلمة أو^٥ رضى فعلهم لتصير كل طائفة
 على حدة فيصير بعضهم يكت بعضا و بعضهم يشتم بعضا ﴿وما كانوا﴾
 أى بما دعتهم إليه طباعتهم المعوجة ﴿يعبدون لا﴾ أى مواظبين على
 ١٠ عبادته رجاء منفعة تحقيقا لخسارتهم بتحقيق اعتمادهم على غير معتمد، و هو
 يعم / المعبود حقيقة أو مجازا بالترزين "و من سبقت له الحسنى"^٦ مستثنى
 بآية الانبياء، و^٧ أشار إلى سفول رتبة معبوداتهم و تسفيه آرائهم بالتحال
 الذى بقوله^٨ صارفا الأسلوب من المتكلم و لو بمظهر العظمة إلى أعظم
 منه^٩: ﴿من دون الله﴾ أى الذى تفرد بنعوت العظمة و صفات الكمال،
 ١٥ و المراد الذين رضوا بعبادتهم له : لم ينكروا عليهم ذلك و يأمروهم
 بتوحيد الله .

/ ٣٨٦

- (١) من ظ و م، وفى الأصل «و» (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من م .
 (٣) من ظ و م، وفى الأصل : ان (٤) من ظ و م، وفى الأصل : بشرط .
 (٥) من ظ و م، وفى الأصل : لو (٦) زيد بهامش م : أولئك عنها مبعدون .
 (٧) من م، وفى الأصل و ظ : او .

و لما كانوا قد سلكوا في الدنيا طريق الشقاء [المعنوية - ١] استحقوا
 أن يلزموا في القيامة سلوك طريقه الحسية ، فذلك سبب عن الامر بحشرهم
 قوله تهكما بهم وتحسيرا لهم : ﴿ فاهدوهم ﴾ أى دلوهم دلالة لا يرتابون
 معها ليعرفوا - مع ما هم فيه من إلاكراه^٢ على سلوكها - مآلهم ، فيكون
 ذلك أعظم في نكدهم ؛ قال الرازى ، وأصل الهداية التقدم ، والعرب ه
 تسمى السابق هاديا ، يقال : أقبلت هواذى الخيل أى أعناقها^٣ ، والهداية :
 العصى - لأنها تقدم بمسكها ، ونظر فلان هدى أمره أى جهته . ثم
 أشار إلى طول وقوفهم وسوء مقامهم ؛ بقوله بأداة الانتهاء :
 ﴿ الى صراط الجحيم ه ﴾ أى طريق النار الشديدة التوقد الواضح الذى
 لا لبس عندهم بأنه يشترطهم فيؤدبهم إليها ، وخص هذا الاسم لإعلاما ١٠
 بشديد توقدها وعظيم تأججها ، وبعد قعرها وضخامة غمرتها ، بتراكم بعضها
 فوق بعض وقوة اضطرامها ، وعلو شأنها واصطلامها ، وصلابة اضطرابها
 وتحرقها واشتغالها على داخلها وتضايقها ، وفيه تهكم بهم فى كونهم
 على غير ما كانوا عليه فى الدنيا من التناصر والتناز .

و لما كان المقصود من تعريفهم طريق النار ألا ازدياد الحسرة ، ١٥
 صرح بما أفهمه حرف الغاية من طول الحبس فقال : ﴿ وقفوهم ﴾ أى
 احبسوهم واقفين بعد ترويعهم بتلك الهداية التى سببها الضلال ، فكانت

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : الاكرام (٣) من ظ
 و م ، وفى الأصل : اضافتها (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : بمقامهم .

ممرتها الشقاوة، وإيقافهم يكون عند الصراط - نقله البغوي^١ عن المفسرين، قال: لأن السؤال عند الصراط. ثم علل ذلك بقوله: (أنهم مسئولون^٢) وجمع عليهم المصوم بهذه الكلمة لتذهب أوهامهم كل مذهب، فلا تبقى حسرة إلا حضرتهم، ولا مصيبة إلا علت قلوبهم فقهرتهم، فإن المكلف كله ضعف وعورة، فوقف السؤال عليه أعظم حسرة.

ولما أوقفوا هذا الموقف الذليل، قد شغلهم ما دهمهم من الأسف عن القال والقيल، نودوا من مقام السطوة، وحجاب الجبروت والعزة، زيادة في [تأسيهم و-^٣] تويخهم وتعنيفهم لفتا عن سياق الغيبة إلى الخطاب دلالة على أعظم خيبة: (ما لكم) أى أى شئ حصل لكم فشغلكم وألهاكم حال كونكم (لا تناصرون^٤) أى ينصر بعضهم بعضا، ويتسابقون في ذلك تسابق المتناظرين^٥ فيه أولى الجدل والشكينة والنخوة والحمية ولو بأدنى التناصر - بما يفهمه إسقاط التاء^٦، أو بعد تمسك وإعمال حيلة - بما أشارت إليه قراءة البزى عن ابن كثير^٧ بالمد والإدغام: أين قولكم في 'بدر' نحن جميع منتصر، معبرين بما دل ١٥ على ثبات المناصرة.

ولما كان قد دهمهم من الأمر ما أوجب إبلاسهم، وأخذ^٨

(١) راجع معالم التنزيل بهامش باب التأويل ١٧/٦ (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي الأصل: النظيرين (٤) من ظ وم، وفي الأصل: بادف. (٥) العبارة من هنا إلى « بالمد والإدغام » ساقطة من م (٦) راجع نثر المرجان ١٤/٦ (٧) زيد في م: يوم (٨) في ظ وم: اخذ.

إدراكهم وإحساسهم ، أشار إلى ذلك بإحلالهم في محل الغيبة المؤدة
 [بالإبعاد - ١] بأن قال مضرباً عما تقديره : [إنهم - ١] لا يقتصرون :
 ﴿ بل هم ﴾ وزاد في تعظيم ذلك الوقت والتذكير به فقال :
 ﴿ اليوم مستسلمون ﴾ أى ثابت لهم استسلامهم ثباتاً لا زوالاً له ،
 قد خذل بعضهم بعضاً موجدين الإسلام أى الانقياد / إيجاد من كانه ه ٢٨٧ /
 يطلبه ويعظم فيه رغبته رجاء أن يخفف ذلك عنهم .

ولما أخبر بأنهم سألوا فلم يجيبوا ، كان ربما ظن أنهم أخرجوا عنه
 على أنهم يتكلمون بما يزيد نكدهم ، فقال عاطفاً على قوله ” وقالوا
 يؤيلنا هذا يوم الدين “ إشارة إلى إقبالهم على الخصام ، حين تمام
 القيام ، والأخذ في تحريك الأقدام ، بالسير على هيئة الاجتماع والازدحام ، ١٠
 إلى مواطن النكد والاعتماد ، ولم يعطفه بالقاء لأنه ليس مسياً عن
 القيام ، ولا عن الإيقاف للسؤال ، بخلاف ما يأتي عن أهل الجنة :
 ﴿ واقبل بعضهم ﴾ أى الذين ظلوا ﴿ على بعض ﴾ أى بعد إيقافهم
 وتوبيخهم ، وعبر عن خصامهم تهكماً بهم بقوله : ﴿ يتساءلون ﴾ أى
 سؤال خصومة .

١٥

ولما كان كأنه قيل : عما ذا؟ أجيب بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى الاتباع
 لرؤسائهم مشيرين بأداة الكون إلى المداومة على إضلالهم مؤكدين لأجل
 تكذيب الرؤساء لهم : ﴿ انكم كنتم ﴾ ولما كانوا يستغفونهم ويفرونهم
 (١) زيد من ظ و م (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : معبرا (٣) سقط من
 م (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : لاول وال - كذا .

بما قبله عقولهم على ما جرت به عوائدهم بحيث يقطعون بذلك قطع
من كان يريد الذهاب إلى أمر قطير بالسائح والبارح، فرأى ما يجب
فأقدم عليه وهو قاطع بحصوله، أشاروا^١ إلى ذلك بقولهم: ﴿تاتوننا﴾
بما جاوزين لنا ﴿عن اليمين﴾ أي عن القوة والقهر والغلبة والسلطان
في حملكم لنا على الضلال، ففعلنا في طاعتكم فعل من خرج لحاجة، فرأى
ما أوجب إقدامه عليها، فهذا كان سبب كفرنا، وكان هذا التفاؤل
عما نسيت العرب كيفيته لما نسخه الشرع كما وقع في الميسر^٢، فاضطرب
كلام أهل اللغة في تفسيره، قال صاحب القاموس: البارح من الصيد
ما مر من ميامنك إلى ميسارك، و سنع الظبي سنوحا ضد برح . وقال
١٠ ابن القطاع في كتاب الأفعال^٣: وسنع الشيء سنوحا: تيسر، والطار
والظبي: جرى عن يمينك إلى يسارك وهو يمين به، وقال^٤ في
مادة «برح»: و برح الطائر والظبي وغيرهما ضد سنع، وهو ما أراك
ميامنه، وأهل الحجاز يشاءمون به، وغيرهم يمينون به ويتشاءمون
بالسائح^٥، وقال ابن مكتوم في الجمع بين العباب والمحكم في مادة
١٥ «برح»: والبارح خلاف السائح، وقد برح الظبي - إذا والاك
ميسره يمر من^٦ ميامنك إلى ميسارك، والعرب يتطير بالبارح، وفي
(١) من ظ و م، وفي الأصل: أشار (٢) من م، وفي الأصل و ظ: ما .
(٣) من ظ و م، وفي الأصل: السير (٤) راجع ١٤٠/٢ (٥) راجع ١/ ٧١ .
(٦) من م و كتاب الأفعال، وفي الأصل و ظ: بالسائح (٧) من م، وفي
الأصل و ظ: عن .

مادة «سنع» : و السانح ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، و البارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك، و قيل : السانح ما والاك ميامته، و البارح ما والاك مياسره، و قيل، السانح ما يعي عن يمينك قتل مياسره ميسارك، و العرب تختلف في عيانه ذلك، فمنهم من يقيمن بالسانح و يتشاهم بالبارح، و على هذا المثل : من لى بالسانح ٥ جد البارح، قال في القاموس : أى بالمبارك بعد المشؤوم^١، و منهم من يتشاهم بالسانح، و قال الإمام أبو عبد الله القزاز في مادة «سنع» : و السانح من الطير و الظباء و غيرها هو الذى يأتيك عن يمينك أخذا على يسارك، فيوليك مياسره، فيمكنك رمية، و أكثر العرب يقيمن به، و قال في مادة «برج» : و البارح من الطير و الظبي هو خلاف ١٠ السانح، و هو الذى يلقاك و شمائله عن شمائلك، و هو مما يقيمن به أهل العالية، و يتشاهمون بالسانح، [و السانح -^٢] هو الذى يلقاك و ميامته عن ميامنك، و هو مما يقيمن به أهل نجد و يتشاهمون بالبارح، و البارح أبين فى التشاؤم به من السانح، لأن البارح هو الذى يأخذ/عن^٣ ٢٨٨/ يسارك إلى يمينك فلا يمكنك طعنه، فيتشاهم به لتعذره على الطاعن ١٥ أو الرامي، و لذلك قال أبو داود : قلت : لما برز من فيه كذب العير و إن كان برج، يقول : كذب إذ طمع أن ينجو، و إن كان قد برج و صعب

(١) في القاموس : التشؤم (٢) من ظ و م، وفي الأصل : ابى (٣) من ظ و م، وفي الأصل : ما (٤) زيد من ظ و م (٥) في م : من (٦) في م : قه .

على إمكان طعنه، و تطير من تيمن^١ به بسلامته و خلاصه من الطاعن،
و تطير من تيمن بالسائح بأنه يأتي من ميامنك إلى ميسارك، فيمكنك
من طعنه، و من تشاءم به تطير بقله سلامته و وقوعه فيما يكره، و من
الطير الجابيه^٢ و هو [الذي - ٣] يلقاك مواجهة، و منه^٤ الناطح
[أيضا - ٥] و منه^٦ القعيد، و هو الذي يأتيك من خلفك - انتهى ما
وقفت عليه من كلام أهل اللغة في ذلك فافهم^٦، و الظاهر كما تفهمه
الآية أن العرب مطبقة على أن ما أتى عن اليمين كان مباركا سواء كان
أتى من قدام مواجهالك و مر إلى جهة [الخلف - ٢] فوليتك ميامنه،
أو أتى من الجانب الايمن سواء كان ابتداء لإتيانه من خلف أولا فر
١٠ من قدامك عرضا إلى جهة اليسار، فوليتك في الحالتين ميسره، و ما
أتى من جهة اليسار على ضد ذلك كان مشؤما، و كأنهم اختلفوا في
التسمية فأكثرهم سمي الاول سائحا من السنج بالضم و هو اليمين و البركة،
و هو من^٧ قولهم: سنج لي رأى: تيسر - لشهرة معنى اليمين عندهم في
ذلك، و الثاني بارحا من البرح. و هو الشدة و الشر لشهرة هذا المعنى
١٥ عندهم في مادة برح. و بعضهم عكس فسمى الاول بارحا من البرحة،
و هي الناقه تكون من خيار الإبل لشهرة ذلك عندهم، و سمي الثاني
سائحا من قولهم: سنحه عما أراد: صرفه، و سنج بالرجل و عليه: أخرجه
(١) في ظ و م: تيمن (٢-٢) من ظ و م، و في الأصل: المطير الجابيه.
(٣) زيد من ظ و م (٤) في م: منها (٥) زيد من م (٦) سقط من م.
(٧-٧) سقط ما بين الرتين من ظ و م.

أو أصابه بشر، فمن الاختلاف في التسمية أنى الخلاف، ولذلك عبر
 سبحانه وتعالى بالمعنى دون الاسم، لأن كلامه سبحانه لا يخص قوما
 دون غيرهم، وأما التعليل بإمكان الطعن والرمى فلا معنى له لأن
 الإنسان ينقتل^١ عن هيئة وقوفه بأدنى حركة فينعكس بالنسبة إليه أمر
 المياسر والميامن، ويتغير حال الطعن والرمى، هذا إذا سلم أن الطعن^٢
 والرمى يعسر من جهة المياسر على أنه غير مسلم، ولو كان المعنى دائراً
 عليه لما اختلف فيه إلا بالنسبة إلى الأعسر وغيره، لا بالنسبة إلى أهل
 العالية وغيرهم، وأما البيت الذي استدل به فيمكن حمله على أن قتله
 كان في حاجة له لا بد له منها، فرأى البارح فلم يتطير منه ولج^٣ في أمره
 ذلك تكذيباً له فيما دل عليه عند العرب، وأما الجابه وغيره فاسماء^٤
 آخر لبعض أنواع كل من السائح والبارح - والله أعلم. وقال
 أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازي في كتابه الزيتة: العياقة والقيافة
 والزجر نوع من الكهانة إلا أنه أخف في الكراهة، وذلك أن الكاهن
 كان بمنزلة الحاكم، وكان من الكهان من يعبد كما يعبد الصنم، وكانوا
 سدة^٥ الأصنام، قلت: والكاهن في اللغة من يقضى بالغيب [و - ^٦] ١٥
 ذلك هو غاية العلم، فهو وصف يدل على التوغل في العلم - انتهى، قال
 أبو حاتم: وسمعت بعض أهل الأدب قال: الكاهن بالعبرانية العالم،
 وكانوا يسمون هارون عليه السلام كهناً رباً، معناه عالم الرب، ثم قال:
 (١) من م، وفي الأصل و ظ: يتقبل (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لج.
 (٣) من ظ و م، وفي الأصل: سده (٤) زيد من م.

/ إن الكهانة و السحر كان^١ عند المتقدمين نوعا من العلم، فكان الساحر
و الكاهن اسمين محمودين، فلما جاء الله بالإسلام^٢ صار هذان الاسمان
مذمومين عند المسلمين لما كشف لهم ما في ذلك من الشر، ثم قال:
فأما العائف و القائف و الزاجر فلم يكن سيلهم كذلك - يعنى كالكاهن
ه في أنه ربما عبد، قال: وإنما كره لأنه كان يخبر بشيء غائب فكره
كما كره أمر النجوم توقيا أن يكون مثل الدعوى في علم الغيب،
و العائف هو الذى يعيف الطير و يزجرها و يعتبر بأسمائها و أصواتها
و مساقطها^٣ و مجاريها، فإذا سمع صوت طائر أو جرى من يمينه إلى شماله
أو من شماله إلى يمينه قضى في ذلك بخير أو بشر في الأمر الذى يريد
١. أن يفعله، فإذا قضى فيه بشر تجنب ذلك الأمر، يقال: عاف يعيف -
إذا فعل ذلك، و معنى عاف أى امتنع و تجنب، يقال: عافت الإبل
الماء^٤ - إذا لم تشرب، و كذلك يقال في غير الإبل و الزاجر أيضا: هو
مثل العائف، يقال: يزجر الطير زجرا، و ذلك أنه ينظر إلى الطير
فيقتضى فيها مثل العائف، فإذا رأى شيئا كرهه^٥ رجع عن أمر يريد
١٥ أن يشرع فيه أو حاجة يريد قضاءها، و الزاجر معناه الناهى، فكان
الطير قد زجره عن ذلك الفعل، أو أن من عاف له [زجره - ^٦]
عن ذلك، و يكون المعنى الزجر أيضا أنه إذا رأى [منها - ^٦] شيئا
(١) من ظ و م، و في الأصل: كانا (٢) زيد في ظ و م (٣ - ٢) في الأصل
يباض ملأه من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: بها (٥) من ظ و م،
و في الأصل: يكرهه (٦) زيد من ظ و م .

صاح بها وطردها، فكان طرده إياها زجرا لها، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم^١: 'أقروا' الطير على مكنتها^٢، قلت: إنهم كانوا إذا لم يروا سائحا ولا بارحا نفروا الطير لينظروا إلى أى جهة تطير - والله أعلم، وقال أبو حاتم: والأصل في هذا أنهم كانوا يزجرون [الطير ثم كانوا يزجرون -^٣] الطي والتعب، وبصوت الإنسان يستدلون بلفظه وبغيره ذلك، ثم نسبت كلها إلى الطير فقيل: يتطير، أى يستدل بالطير، وروى عن الأصمعي قال: سألت ابن عون^٤: ما الفال؟ فقال: هو أن تكون مريضا فتسمع: يا سالم،^٥ أو تكون باغيا فتسمع: يا واجد، قال: وكان ابن سيرين يكره الطيرة ويحب الفال، وفي الحديث^٦: 'أصدق الطير الفال: والفال مأخوذ من^٧ الفال، وهي لعبة يتقامرون^٨ بها، كانوا يأخذون ١٠ الدراهم فيخلطونها بالتراب ثم يجمعونه طويلا ثم يقسمونه بنصفين و يتقارعون عليه، فمن أصابه^٩ القرعة اختار من القسمين واحدا، فلما كان المقابل يختار منها ما^{١٠} أحب سمي الفال، لأنه يتفاهل بما يحبه، وكان هذا في العرب كثيرا، وأكثره في بني أسد، قال الأصمعي:

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦ / ٣٨١ (٢) من م والمسنَد، وفي الأصل وظ: اقروا (٣) من م والمسنَد، وفي الأصل وظ: مكنتها. (٤) زيد من ظ وم (هـ) من م، وفي الأصل وظ: ابن عوف، والصحيح عبد الله بن عون وهو يروى عن محمد بن سيرين (٦-٧) من ظ وم، وفي الأصل: يا ناغيا (٧) راجع مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٨٩ (٨) من ظ وم، وفي الأصل: عن (٩) من م، وفي الأصل وظ: يتغامزون (١٠) في م: أصابته (١١) تكرار في الأصل فقط.

أخبرني سعد بن نصر أن نقرا من الجن تذاكروا عياقة بنى أسد فأنوم
 فقالوا: ضلت لنا ناقة، فلو أرسلتم^١ معنا من يعيف، فقالوا لعليم^٢ لهم:
 انطلق [معهم - ٣]، فاستردفه أحدهم، ثم ساروا^٤ فلقيتهم عقاب كاسرة
 إحدى جناحيها، فاقشعر العليم^٥ فبكي فقالوا له: مالك؟ فقال: كسرت
 جناحا، و رفعت جناحا، و حلفت بالله صراحا، ما أنت بانسى ولا تبغى
 لقاحا. وكانوا يسمون الذي يحىء عن يمينك فيأخذ إلى شمالك سانحا^٦،
 و الذي يحىء عن يسارك فيأخذ إلى / يمينك بارحا، و الذي يستقبلك
 ناطحا وكافحا، و الذي يحىء من خلفك قعيدا، و الذي يعرض في كل
 وجه متيحا، ففهم من كان يتشاهم بالبارح [و يمين بالسانح، و منهم من
 ١٠ كان يمين بالبارح - ٧] و يتشاهم بالسانح، قال زهير^٨:

/ ٣٩٠

جرت سنحافقت لها أجيزى^٩ نوى مشمولة فتي اللقاء

و قال السكيت :

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مراعضب

و كانوا يزجرون بعضب القرن و صحته، و الأعضب الذى له قرن واحد،
 ١٥ و أما القائف فهو الذى يتبع الآثار و يعرفها و يعرف شبه الرجل فى

- (١) من ظ و م، و فى الأصل: رايم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: للعليم.
 (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: سار (٥) من ظ و م، و فى الأصل: العليم.
 (٦) من ظ و م، و فى الأصل: سانحا (٧) زيد من م (٨) من ظ و م،
 و فى الأصل: الزهرى (٩) من ظ و م، و فى الأصل: اجيرى.

ولده، و يروى عن عويجة بن معقب القائف قال: كنا تسرق^١ نخلنا
فتعرف آثارهم، فركبوا الحمر ففرقنا بمس أيديهم و العذوق^٢، فكان القائف
سمى قاتفا لأنه يقفو الأثر، يقال: قفا [الأثر-^٣] وقاف الأثر أى تبعه،
قال الأصمعي عن أبي طرفة الهذلي قال: رأى قاتفان^٤ أثر بعير و هما
منصرفان من عرفة بعد الناس يوم أو يومين فقال أحدهما: ناقة، وقال هـ
الآخر: جل^٥، فاتبعاه فإذا هما به، فأطافا به فإذا هو خثي، ويقال للرجل
إذا كان فطنا عارفا بالأمور: هو عائف و قائف، وكان قوم من العرب
لا يتطيرون و لا يتهيون الطيرة و يفتخرون بتركه و يعدون^٦ تركه شجاعة
و إقداما، قال بعض شعرائهم:

و لقد غدوت^٧ و كنت لا أغدو^٨ على واق^٩ و حاتم
فإذا الأشائم كالأيام من و الأيامن كالأشائم^{١٠}
و قال آخر:

ولست^{١١} بهياب إذا اشتد^{١٢} رحله يقول عدائي اليوم واق^{١٣} و حاتم
ولكنه يمضى على ذاك مقدما إذا صد عن تلك الهناة الخثارم

(١) من م، وفي الأصل وظ: تسرق (٢) من ظ و م، وفي الأصل: العذوق.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: قايفا (هـ) من ظ و م، وفي
الأصل: جملا (٦) في ظ و م: يعتدون (٧) من ظ و م، وفي الأصل:
عدوت (٨) من ظ و م، وفي الأصل: اعدد (٩) من ظ و م، وفي
الأصل: عاف (١٠) هذا البيت ذكره صاحب اللسان غير معزو إلى أحد.
(١١) وهو خثيم بن عدى - كما في اللسان (١٢) من اللسان، وفي الأصول:
ليس (١٣) في اللسان: شد (١٤) من ظ و م و اللسان، وفي
الأصل: قاف.

الختارم: المطير، وقيل: العيافة والقيافة: الطرق والخط، وهو أيضا نوع من الكهانة، وهو أن يخط في الأرض خططا في الطول، ثم يخط عليها خططا في العرض، ثم يطرق بالحصى أو بالشعير أو بنخشات، ولا يزال يخط ويمحو ويعيد ثم يتكهن عليه، ومن هذا الباب أيضا علم الكتف وهو أن ينظر في كتف شاة فيحدث بأشياء تكون في

العالم مثل الحروب والأمطار والرياح والجذب والخصب وغير ذلك، وهذا يقال له: الكتاف، كأنه اشتق له اسم من الكتف مثل العراف لأن العراف من جنس العيافة، والعيافة والعرافة سواء، فهذه الأشياء كلها من السحر والكهانة والقيافة والعيافة والخط والطرق والكتف ١٠ وما أشبهها، قد جاءت فيها الأخبار والروايات، ويطول الخطب بها، وهي كلها مكروهة حرام، فمنها ما جاء فيها التشديد مثل السحر والكهانة، ومنها ما جاء في القليل منها الرخص والتخفيف مثل القيافة والعيافة والكتف - انتهى - وهو مسلم له في القيافة. وأما غيرها فنأزع

فيه. ثم قال: فأكثر هذه الأشياء أصولها من الأنبياء عليهم السلام، فإذا استعملت بعد الفسخ وبعد ما جاء فيها النهي عن النوى / صلى الله عليه

وسلم كانت حراما تدعو إلى الكفر والتعطيل وغير ذلك من أنواع الفساد، ثم قال: وما كان من أمر مشركي العرب فقد درس دوسا لا يعرف ولا يحتاج إلى ذكر كيفية إذ كان متلاشيا لا أثر له،

(١) من ظ وم، وفي الأصل: الكشف (٢) من م، وفي الأصل وظ: محدث (٣) من م، وفي الأصل وظ: فنأزع (٤) من ظ وم، وفي الأصل: اذا (٥) من م، وفي الأصل وظ: مثلا شيئا.

و لكن لا يستغنى الفقهاء والعلماء عن معرفته إذ كان له في القرآن ذكر،
و إذ كان واجبا على العلماء تعلم ما في القرآن على حسب طاقتهم،
والجهل به نقص عليهم^٢ - والله أعلم بالصواب^٣.

ولما أشار سبحانه بتسمية كلامهم هذا سؤالا إلى [أن -^١] مرادهم:
فهل أنتم مغنون عنا شيئا أو حاملون عنا جزءا من العذاب؟ و [كان -^٤] ه
كأنه قيل: بيم أجاب الرؤساء بعد^٢ هذا القول من الاتباع؟ قيل:
(قالوا بل) أى لم يكن كفرهم سببا بل (لم تكونوا مؤمنين ع) أى
عريقين في هذا الوصف بجملاتكم^٣ فلذلك تابعتونا فيما أمرناكم به لانه
كان في طبيعكم، و هذا دليل على أن من لم يكن راسخا في الإيمان كان
منهم، ثم أكدوا هذا المعنى بقوله نافين لما^٤ أشاروا باليمين إليه: ١٠
(وما كان) أى كونا ثابتا (لنا عليكم) وأعرقوا في النفي بقولهم:
(من سلطان ع) [أى فأكرهناكم بذلك السلطان -^٥]، إنما تابعتونا^٦
باختياركم وهو معنى (بل كنتم) أى جبلة وطبعا (قوما) أى ذوى
قوة وكفاية لما تحاولونه من الأمور (ظفين ه) أى مجاوزين لمقاديركم
غالبين^٧ في الكفر مسرفين في المعاصي والظلم، ولذلك أنكم^٨ خلق ١٥

(١) في ظ: ان (٢) زيد في الأصل بعده: و العلم بالشيء ولا الجهل به، ولم
تكن الزيادة في ظ وم فخذناها (٣) سقط من ظ وم (٤) زيد من ظ وم.
(٥) من ظ وم، وفي الأصل: بجملاتكم (٦) في الأصل بياض ملثناه من ظ
وم (٧) زيد من م (٨) في م: تابعتونا (٩) من م، وفي الأصل وظ: ذى.
(١٠) من ظ وم، وفي الأصل: جالين (١١) في م: لكم.

لا تحتاجون فيه إلى كبير تحرك^١ ﴿لحق علينا﴾ أى كلنا نحن و أنتم
بسبب ذلك، و عبروا بما يدل على ندمهم فقالوا: ﴿قول ربنا آمين﴾ أى
الذى قابلنا إحسانه إلينا و تربيته لنا بالكفران، و قوله هو الحكم بالضلال
لما فى قلوبنا من القابلية له و الإباء^٢ للإيمان، فالحكم بالعذاب .
و لما تصوروا ما صاروا إليه من الخطأ الفاحش عن الطريق الواضح،
و علموا أن مثل ذلك لا يتركه أحد إلا^٣ بقهر قاهر فتصوروا أنه ما
قصرم عليه إلا حقوق الكلمة العليا علموا أنهم مثل ما صاروا إلى حكمها
فى الكفر يصيرون إلى حكمها فى العذاب، فقالوا لما دهمهم من التحسر
مريدن بالتأكيد قطع^٤ أطماع الاتباع عما أفهمه كلامهم من أن الرؤساء
١٠ يغنون عنهم شيئا: ﴿انا﴾ أى جميعا ﴿لذا نقون﴾ أى ما وقع
[لنا - °] به الوعيد من سوء العذاب .

و لما قضوا علالة التحسر و التأسف و التضجر، رجعوا إلى إتمام
ذلك الكلام فقالوا: ﴿فاغوينكم﴾ أى أضللتناكم و أوقعتناكم فى الغي
بسبب حقوق ذلك القول علينا؛ ثم علموا ذلك بقولهم مؤكدين أيضا
١٥ لرد ما ادعاه الاتباع من أنه ما كان سبب إغوائهم إلا الرؤساء: ﴿انا﴾
أى جميعا ﴿كنا غوين﴾ أى فى طبعنا الغواية، و هى العدول عن
الطريق المثلى^٥ إلى المهالك .

(١) فى ظ و م : محرك (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الاكاه (٣) من ظ
و م ، وفى الأصل : لا (٤ - ٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الاطباع الاتباع
كما (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اعاده (٧) من ظ
و م ، وفى الأصل : الملقى .

ولما قال لهم الرؤساء ما هو الحق من أمرهم بما أوجب الحكم
 بأشترأكلهم ، سبب عنه قوله تعالى مؤكدا دفعا لمن يتوهم اختصاص
 العذاب بالسبب : ﴿ فانهم ﴾ أى الفريقين بسبب ما ذكروا عن أنفسهم
 ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ كان هذا التناول بينهم ﴿ فى العذاب ﴾ أى
 الأكبر ﴿ مشتركون ﴾ أى فى أصله ، وهم مع ذلك متفاوتون فى وصفه ه
 على مقادير / كفرهم كما كانوا متشاركين فى السبب متفاوتين فى شدتهم ٣٩٢ /
 فيه ولينهم - هذا وقد قال البخارى فى صحيحه فى تفسير حم السجدة :
 وقال المنهال عن سعيد : قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما : إني
 أجد فى القرآن أشياء تختلف على [قال - ١] " فلا انساب بينهم يومئذ
 ولا يتساءلون " وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " ولا يكتُمون الله حديثا " ١٠
 " والله ربنا ما كنا مشركين " فقد كتُموا فى هذه الآية ، وقال : " السماء
 بناها - إلى قوله : دحاها " فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال
 " انكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين - إلى : طائعين "
 فذكر فى هذه الآية خلق الأرض قبل السماء ، وقال : " وكان الله
 غفورا رحيمًا " "عزيزا حكيمًا" "سميعا بصيرا" فكأنه كان ثم مضى ، فقال : ١٥
 " فلا انساب بينهم " فى النفخة الأولى ، [ثم - ٧] ينفخ فى الصور

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : التناول (٢) زيد فى الأصل : العذاب ، ولم
 تكن الزيادة فى ظ وم فحدثنا (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : متفاوتون (٤) من
 ظ وم ، وفى الأصل : متفاوتون (٥) راجع ٧١٢/٢ (٦) زيد من م والصحيح .
 (٧) زيد من الصحيح (٨) من ظ وم والصحيح ، وفى الأصل : نفخ

فصعق من في السماوات و من في الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب
 عند ذلك و لا يتساءلون ، ثم في النفحة الآخرة أقبل بعضهم على بعض
 يتساءلون ، و أما قوله ” ما كنا مشركين “ ” و لا يكتُمون الله حديثا “
 فان الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، و قال المشركون : تعالوا نقول :
 ٥ لم نكن مشركين ، فنختم^٢ على أفواههم فننطق أيديهم ، فعند ذلك عرف
 أن الله لا يكتُم حديثا ، و عنده يود الذين كفروا - الآية ، و خلق
 الأرض في يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين
 آخرين ثم دحا الأرض ، و ” دحاها “ أى أخرج منها الماء و المرعى ،
 و خلق الجبال و الآكام و ما بينهما في يومين آخرين ، فذلك قوله
 ١٠ ” دحاها “ و قوله : خلق الأرض في يومين ، فجعلت الأرض و ما
 فيها من شيء في أربعة أيام . و خلقت السماوات في يومين ، و كان الله
 غفورا [رحيما - ٢] ، سمي نفسه ذلك ، و ذلك قوله ، أى لم يزل كذلك ،
 فان الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذى أراد ، فلا يختلف عليك القرآن
 فان كلا من عند الله . و قال في سورة المرسلات : و مثل ابن عباس
 ١٥ رضى الله عنهما ” هذا يوم لا ينطقون “ ” و الله ربنا ما كنا مشركين “
 ” اليوم نختم على أفواههم “ فقال : إنه ذو ألوان . مرة ينطقون و مرة
 يختم عليهم .

(١) من م و الصحيح ، و في الأصل و م : نقل (٢) زيد في الأصل : الله ،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م و الصحيح لحذفنا (٣) زيد من الصحيح .
 (٤) راجع ٢ / ٧٣٤ (٥) زيد في الأصل : عن ، و لم تكن الزيادة في ظ و م
 لحذفنا .

ولما أخبر سبحانه بأشراكهم ، استأنف الإخبار بما يهول أمر عذابهم و يشير إلى عمومته في الدارين لكل من شاركهم في الإجرام ، فقال مؤكدا دفعا لظن من ينكر القيامة وظن من يرى الإملاء للجرم في الدنيا نعمة و ينفي^١ كونه نقمة ، أو يفعل في التماهى في الإجرام فعل المنكر: ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا يفوتها شيء. ﴿ كذلك ﴾ ٥
أى مثل هذا الفعل^٢ العظيم الشأن ﴿ تفعل ﴾ بهم - هكذا كان الأصل ، ولكنه علق بالوصف تعميما وتعليلًا فقال: ﴿ بالجرمين ٥ ﴾ أى كل قاطع لما أمر الله به أن يوصل في الدنيا والآخرة ، نمهل ثم نأخذ أخذنا عنيفا يصير به المشتركون في الظلم أعداء يتخاصمون ، و يحيل بعضهم على بعض ثم لا ينفجهم ذلك ، بل نشارك^٣ بينهم في العقوبة ، ثم علل^٤ تعذيبه ١٠ لهم بقوله مؤكدا للتعجب منهم لأن فعلهم هذا أهل لأن ينكر لأن هذه الكلمة لا يصدق عاقل^٥ أن أحدا يستكبر عليها لأنه لا شيء أعدل منها: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى دائما ﴿ اذا قيل لهم ﴾ [أى - ٧] من أى قائل كان : ﴿ لا اله ﴾ أى يمكن ، وإذا نفي الممكن كان الموجود أولى فانه لا يوجد إلا ما يمكن وجوده وإن كان واجبا ﴿ الا الله ﴾ / أى ١٥ / ٣٩٣
الملك الأعلى المبين لجميع الموجودات في ذاته وصفاته وأفعاله^٦ كما

- (١) من م ، وفي الأصل و ظ : تبقى (٢) في ظ : الفضل (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : يشارك (٤ - ٤) في ظ : تعذيبهم له (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : عاقلا (٦) من م ، وفي الأصل و ظ : لأنها (٧) زيد من ظ و م .
(٨) في م : وجوده .

هو الحق ليفردوه^١ بالإلهية كما تفرد بالخالقية كما لا يخفى على من له أدنى مسكة بصفات الكمال، وقدم النفي لأن التحلية لا تكون إلا بعد التخلية {يستكبرون لا} أى يوجدون الكبر عن الإفراز بهذا الحق الذى لا أعدل منه وعن متابعة الداعى إليه، استكبار من هو طالب للكبر من نفسه ومن غيره لما فيه من العراقة والعتو، فلم يكن لهم مانع من أبواب جهنم السبعة التى جعلت كل كلمة من هذه الكلمة مع قرينتها الشاهدة "بارساله مانعة" من باب منها [و - '] إلا كان فى شيء من ساعات أيامهم - التى هى بعدد^٥ حروفها أربعة وعشرون - خير ينجيهم من المكاره .

ولما أخبر أنهم استكبروا على توحيد الإله، أتبعه الإخبار بأنهم ١٠ تكلموا فى رسوله صلى الله عليه وسلم بما لا يرضاه فقال : {ويقولون} أى كل حين ما دلوا به على بعدهم عن الإيمان كل البعد بسوقهم لقولهم ذلك فى استفهام إنكارى مؤكدا^{١٠} : {اتنا لتاركوا الهتنا} أى عبادتها، وكان تأكيد أصل الكلام للإشارة إلى أن تكذيبهم صادر منهم مع علمهم بأن كل عالم بحالهم يراهم جديرين بترك ما هم عليه لما جاء به صلى الله عليه وسلم، ولذلك أعلم بأن ما هم عليه عناد بسوق تكذيبهم ١٥ على وجه معلوم التناقض بالبدية بقوله : {لشاعر مجنون} فان الجنون

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : ليفرد (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عن .
 (٣ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بالرسالة ما بعد (٤) زيد من ظ و م .
 (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بعد (٦) من م ، وفى الأصل : وظ :
 يستقونهم (٧) فى م : موكد .

لا نظام معه، و الشعر يحتاج إلى عقل رصين و قصد قويم، و طبع في الوزن سليم، أو ' للإشارة إلى [أن - ٢] إنكار المؤكد إنكار لغيره بطريق الأولى .

و لما كان مرادهم بذلك أن كلامه باطل، فإن أكثر كلام الشاعر^٢ غلو و كذب و كلام المجنون تخليط، [كان - ٢] كأنه قال في جوابهم : هـ إنه لم يجهى بشعر و لا يجنون : (بل جاء بالحق) أى الكامل في الحقيقة . و لما كان ما جاء به أهلا لكونه حقا لأن يقبل و إن خالف جميع أهل الأرض، و كان موافقا مع ذلك لمن تقرر صدقهم و اشتهر اتباع الناس لهم، فكان أهلا لأن يقبله هؤلاء الذين أنزلوا أنفسهم عن أوج معرفة الرجال بالحق إلى حضيض معرفة الحق على زعمهم بالرجال، فكان مآل ١٠ أمرهم التقليد قال : (و صدق المرسلين هـ) أى الذين علم كل ذى لب أنهم آكل' بدور أضاء الله بهم الأكوان في كل أو ان، و تقدم في آخر سورة فاطر أنهم عابوا من كذبهم " و اقساموا بالله جهد إيمانهم لئن جاءهم احد منهم ليؤمنن به فكذبوا " بأن كذبوا^٣ سيدهم بهذا الكلام المتناقض .

١٥

و لما وصلوا إلى هذا الحد من الطغيان، و الزور الظاهر و البهتان، تشوف السامع إلى جزائهم فاستأنف الإخبار بذلك مظهرها له في أسلوب الخطاب إيدانا بتناهى الغضب، فقال في قالب التأكيد نفي لما يترجونه

(١) من ظ و م، و فى الأصل « و » (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ : الشعر (٤) زيد فى م : الخلق (٥) من م، و فى الأصل و ظ : كذبهم .

من العفو بشفاعته من ادعوا أنهم يقربونهم زلفى ، ووعظا لهم ولأمثالهم
 فى الدنيا فيما ينكرونه حقيقة أو مجازا : ﴿ انكم ﴾ أى أيها المخاطبون
 على وجه التحقير 'المجرمين' ﴿ لذائقوا ﴾ أى بما^٢ كنتم تضيّقون أولياء الله
 ﴿ العذاب الاليم^٣ ﴾ .

• ولما كان سبحانه الحكيم العدل فلا يظلم أحدا مثقال ذرة فلا يزيد
 فى جزائه شيئا على ما يستحق مع أنى له أن يفعل ما يشاء ولا يكون
 فعله - كيفما كان - إلا عدلا [قال -^٤] : ﴿ وما ﴾ أى والحال أنكم
 ما ﴿ تجزون ﴾ أى جزاء من الجزاء ﴿ الا ما ﴾ أى مثل ما . ولما
 كانوا مطبوعين^٥ على تلك الخلال السيئة ، بين أنها كانت خلقا لهم
 ١٠ لا يقدرّون على الانفكاك عنها بالتعبير باداة الكون فقال : ﴿ كنتم تعملون لا ﴾
 نفيا لوهم^٦ من قد يظن أنهم فعلوا شيئا بغير تقديره سبحانه . ولما كان
 [فى -^٤] المخاطبين بهذا من علم الله أنه سيؤمن ، و [استثنى من -^٧]
 واو "ذائقوا" قوله مرغبا لهم فى الإيمان مشيرا إلى أنهم لا يحملهم على
 الثبات على ما هم عليه من الضلال إلا غش الضمائر بالرياء وغيره ، فهو
 ١٥ استثناء متصل بهذا الاعتبار الدقيق^٨ : ﴿ الا عباد الله ﴾ فرغهم بوصف
 العبودية الذى لا أعز منه ، وأضافهم زيادة فى الاستعطاف إلى الاسم

(١-١) سقط ما بين الرقيين من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : للمجرمين .

(٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بما (٤) زيد من ظ و م (٥) فى ظ : مطيعين .

(٦) من م ، وفى الأصل و ظ : يؤهم (٧) زيد من م .

الاعظم الدال على جميع صفات الكمال ، وزاد رغبا بالوصف الذى لا وصف أجلّ منه فقال : (المخلصين هـ) .

ولما خلصهم منهم ، ذكر ما لهم فقال معظما لهم بأداة البعد :
(اولئك) أى العالو القدر بما صفوا أنفسهم عن أكدار^١ الاهوية
(لهم رزق معلوم^٢) أى يعلمون غائبه وكائنه وآتيه وطعمه وقمعه^٣ هـ
وقدره وغبه^٤ وجميع ما يمكن علمه من أموره ، وليسوا مثل ما هم عليه فى هذه الدار من كدر الاخطار " لاتدرى نفس ما ذا تكسب غدا " لأن النفس إلى المعلوم أسكن ، وبالأنس إليه أمكن .

ولما كان أهل الجنة لا يأكلون تقوتا واحتياجا ، بل تنعما والتذاذا وابتهاجا ، لأن أجسامهم محكمة مخلوقة للأبد ، فهي غير محتاجة إلى حفظ ١٠
الصحة قال : (فواكه ج) [أى يتنعمون بها بما كدروا من عيشهم فى الدنيا -^٥] . ولما كان الذى هو نعيم الجسم لا يحمد غاية الحمد إلا مع العز الذى هو غذاء الروح قال : (وهم مكرمون^٦) بناء للفعول إشارة إلى أن وجود إكرامهم من كل شىء أمر حتم لا يكون غيره أصلا .

ولما كان الإكرام لا يتم إلا مع طيب المقام^٧ قال : (فى جنت النعيم^٨) ١٥
أى التى لا يتصور فيها غيره . ولما كان التلذذ لا يكمل إلا مع الاحباب ، وكانت عادة الملوك الاختصاص بالمحل^٩ الأعلى ، بين أنهم كلهم ملوك فقال : (على سرر متقبلين هـ) أى ليس فيهم أحد وجهه إلى غير وجه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الاكدار (٢) من م ، وفى الأصل و ظ :
(٣) نفسه (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : غيه (٥) زيد من م (هـ) من م ، وفى الأصل : القال ، وفى ظ : المقال (٦) فى م : المحل .

الآخر على كثرة العدد . ولما كان ذلك لا يكمل^١ إلا بالشراب ، وكان المقصود الطواف فيه ، لا كونه من معين ، قال : (بطاف) بالبناء للمفعول [وكانها بدل إليهم من جهة العلو ليكون أشرف لها وأصون ، فبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال -^٢] : (عليهم) أى وهم فوق أسرهم كالملوك (بكاس) أى إناه فيه خمر ، قالوا : وإن لم يكن فى الزجاجة خمر فهى قدح ، ولا تسمى كأسا إلا والخمر فيها^٣ (من معين لا) أى من خمر جارية فى أنهارها ، ظاهرة للعيون تنبع كما ينبع الماء لا يعالجونها بعصير ، ولا يحملهم على الرفق بها والتقصير فيها نوع تقصير ، قال الرازى : إنما سميت به إما من ظهورها للعين أو لشدة جريها من الإمان فى السير أو لكثرتها من المعن ، وهو الكثير ، وسمى الماعون لكثرة الانتفاع به ، ويقال : مشرب^٤ ممعون : لا يكاد ينقطع .

ولما كان أول ما يختار فى الشراب لونه ثم طعمه ، قال واصفا ما فى الكأس من الخمر استخداما : (بيضآء) أى مشرقة صافية هى فى غاية اللطافة تتلألا نورا ، و^٥ أعرق فى وصفها بالطيب يجعلها تفسيرا ١٥ للبنى فى قوله : (لذة للشربين ^٦ على) . [بما كانوا يتجرعون من كأسات الاحزان والانكاد ، وأظهر موضع الإضمار تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ،

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لا يكمله (٢) زيد من م (٣) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ١٨/ ٦ (٤) سقط من م (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : شدة (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : قرب (٧) فى ظ ١ « او » .

٣٩٥ /

و جمع إشارة إلى أنهم لا يعلمونها إلا كذلك بما فيه من مزيد اللذة - [١] .
 ولما / كان قد^٢ أثبت لها الكمال ، نفي عنها النقص فقال :
 ﴿ لا فيها غول ﴾ أى فساد من تصديق رأس أو^٣ إرخاء مفصل أو
 إخماء كبد أو غير ذلك مما يغتال أى يهلك ، أو يكون سببا للهلاك
 ﴿ ولا هم عنها ﴾ أى [عادة - ١] بعد شربها ﴿ ينزفون ﴾ أى يذهب
 شيء من عقولهم وإن طال شربهم وكثر لثلا ينقص نعيمهم ولا ينفد
 شربهم أو ما عندهم من الجدة لكل ما يسره - على قراءة حمزة والكسائي
 بكسر الزاي من أنزف - مبني للفاعل مثل أقل وأعسر - إذا صار
 قليل المال ، أو ذهب عقله ، وقراءة الجماعة بالبناء للفعول يحتمل أن تكون
 من نزف ، وحيث يحتمل أن تكون من نقاد الشراب من قولهم : ١٠
 نزفت الركبة ، أى ذهب ماؤها ، وأن تكون من ذهاب العقل من
 "قولهم : نزف الرجل" بالبناء للفاعل ، و نزف - بالبناء للفعول بمعنى :
 ذهب عقله بالسكر ، ويحتمل أن تكون من أنزف ، وحيث يحتمل أن
 تكون من "ذهاب العقل من" أنزف الرجل - إذا ذهب عقله بالسكر ،
 وأن تكون من عدم الشراب من قولهم : نزف الرجل الخمرة - سواء ١٥

(١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين من ظ و م (٣) من ظ و م ،
 وفي الأصل « و » (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : لا ينفذ (٥) من م ، وفي
 الأصل : الحلة ، وفي ظ : الحلة (٦) من م ، وفي الأصل : بالياء ، والكلمة
 ساقطة من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « بالسكر ويحتمل أن تكون » ساقطة
 من ظ (٨) من م ، وفي الأصل : الرجل (٩ - ٩) وقع ما بين الرقين في الأصل
 قبل « من أنزف وحيث » والترتيب من م .

كان مبنيًا للفاعل أو للفعول - إذا أفناها .

ولما كان ذلك كله لا يكمل إلا بالجماع ، [والمخر - ١] أدعى
شئ إليه ، وهو لا يكمل النعيم به إلا بالاختصاص^١ قال : (وعندهم)
نساء من أهل الدنيا وغيرها (قصرت الطرف) أى لا تطرف واحدة
منهن إلى غير زوجها ولا يدعه تنهى حسنها وفرط جمالها طرفها^٢
يطرف إلى غيرها (عين لا) أى نبجل العيون ، [جمع عيناء ، كسرت
عينه لمناسبة الياء - ٤] .

ولما كان أحسن الألوان لاسيما عند العرب الأبيض الأحمر
المشرب صفرة أكسبه صفاء وإشراقا وبهاء ، قال : (كأنهن^٣ ييض)
١٠ أى ييض نعام (مكنون^٤) أى مصون من دنس يلحقه ، وغبار
يرمقه ، ولحبة العرب^٥ لهذا اللون كانت تقول عن النساء ييضات الخدور
لأن لونه أبيض مشربا صفرة صافية ، وقد صرح امرؤ القيس بهذا
في لاميته المشهورة [فقال - ٤] :

كبكر مقانة^٦ البياض بصفرة غذاها نمير^٧ الماء غير المحلل

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : باختصاص (٣) من م ،
وفى الأصل و ظ : طرف (٤) زيد من م (٥) من ظ و م والقرآن الكريم ،
وفى الأصل : كأنهم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نعام - كذا (٧) زيدت الواو
بعده فى ظ (٨-٨) من م وديوان امرئ القيس ، وفى الأصل : ككبه معناة ،
وفى ظ : ككبه مقناة (٩) من م و الديوان ، وفى الأصل : يمين ،
وفى ظ : عين .

أى مخالطة الياض المائل إلى الحمرة بصفرة، وهو أصنى الألوان وأعدلها، يشابه لون [نور - ١] القمر.

ولما كان ذلك الاجتماع إنما هو للسرور، وكان السرور لا يتم إلا بالمنادمة، وكان أحلى المناذمة ما يذكر بحلول نعمة أو انحلال نقمة، تسبب عن ذلك ولا بد قوله إشارة إلى فراغ البال وصحة العقل بالإصابة ه في المقال: ﴿فاقبل بعضهم﴾ أى أهل الجنة بالكلام، [وأشار إلى أن مجرد الإقبال بالقصد يلفت القلوب إلى سماعه بأداة الاستعلاء فقال - ٢]: ﴿على بعض﴾ أى [لأجل - ٢] الكلام الذى هو روح ذلك المقام، وأما المواجهة فقد تقدم أنها دائمة، وبين حال هذا الإقبال فقال: ﴿يتساءلون﴾ أى يتحدثون حديثاً بيننا لا خفاء بشيء منه - بما ١٠ أشار إليه الإظهار بما حقه أن يهتم به ويسأل عنه من أحوالهم التى خلصوا منها بعد أن كادت تردبهم، وسماء سؤالاً [لأنه - ٢] - مع كونه أهلاً لأن يسأل عنه - لا يخلو عن سؤال أدناه سؤال المحدث أن يصنى إلى الحديث، وعبر عنه بالماضى إعلاماً بتحقيقه تحقق ما وقع.

ولما تشوف السامع إلى سماع شيء [منها - ٢] يكون نموذجاً ١٥ للباقي، أشار إلى ذلك بقوله مستأنفاً: ﴿قال قائل منهم﴾ أى فى هذا التساؤل، وشتان ما بينه وبين ما مضى خبره من تساؤل أهل النار.

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: بقوله (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م، وفى الأصل: ييهم (٧) من ظ و م، وفى الأصل: عنهم (٨) من م، وفى الأصل وظ: كانت.

ولما كان ظنه أنه لا يخلص من شر ذلك القرين الذي يحدث عنه فتجاه
الله منه على خلاف الظاهر، فكان ذلك إحدى النعم الكبرى، نبه عليه
بالتأكيد فقال: ﴿إني كان لي قرين﴾ أي جليس^١ من الناس / كأنه
شيطان مبين ﴿يقول﴾ [أي - ^٢] مكذبا بالبعث مستبعدا له غاية
الاستبعاد مجددا لقوله^٣ في كل وقت، يريد أن يحتدغني بلطافة قياده
إلى سوء اعتقاده: ﴿إني أنك لمن المصدقين﴾ أي بالبعث - يوبخني بذلك
و يستقصر باع^٤ في النظر استثارة لهمتي وإلهابا لنفوتي وحميتي، و يكرر
الإنكار بقوله: ﴿إني إذا متنا﴾ أي فذهبت أرواحنا ﴿وكننا﴾ أي كونا
راسخا ﴿ترابا وعظاما﴾ أي^٥ فأنمحت أجسامنا التي هي مراكب
الأرواح ﴿إني أنا لمدينون﴾ أي لمجزيون بعد ذلك بما عملنا بأن نبعث
ونجازي، وكان تأكيد للشارة منه إلى أن كل عاقل جدير بأن يكذب
بما أقررت به لبعده. أو^٦ إلى أنه مكذب به ولو كان مؤكدا.

ولما كان هذا المقال سببا لعظيم تشوف السامع إلى ما يكون^٧
بعده، وكان أهل الجنة من علو المكان والمكانة وصحة الأجسام وقوة
التركيب ونفوذ الأبصار بحيث ينظرون ما شاءوا من النار وغيرها بما
دونهم متى شؤا. استأنف قوله مشيرا إلى أن حاله هذا معلوم أنه من
أهل النار: ﴿قال﴾ أي هذا القائل لشربه هؤلاء الذين هم كما قال
(١) من ظ و م، وفي الأصل: جليسي (٢) زيد من م (٣) من م، و في
الأصل و ظ: له (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من ظ و م، و في
الأصل: باعني (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: لمبعوثون (٨) في الأصل بياض،
ملأناه من م.

بعضهم في موشع :

رب شرب كالعقد قد نظموا^١ في ثياب طرازها الكرم
فاغتنت هنا كما اغتموا^٢ وظنت الكؤوس بينهم
أنجما في سما الهناء ترى^٣ كل نجم يغيب في بدر
(هل انتم مطلعون) أي شافون^٤ قلبي بأن تركوا ما أنتم فيه من تمام
اللذة و تكلفوا أنفسكم النظر معي في النار لتسروني^٥ بذلك .
ولما كان المحدث عنه المخلصين، وهم أهل الجنة كلهم أو جلهم،
وكان الضمير يعود لما سبقه بعينه، وكان مخاطبو هذا القائل إنما هم
شربه، وكان من المعلوم بما مضى من التقابل والتواد والتواصل بالمنادمة
والتساؤل أنهم يتدبون^٦ نديهم إليه و يقبلون قطعاً عليه، وكان النافع
لنا إنما هو قوله فقط في توبيخ عدوه و تغييط نفسه و وليه، لم يجمع
الضمير لثلاثا يلبس فيوم أنه للجميع، و أعاده عليه وحده لنعبر بمقاله،
و تعظ بما قص علينا من حاله فقال : ﴿ فاطلع ﴾ أي بسبب ما رأى
لنفسه^٧ في ذلك من عظيم اللذة، إلى أهل النار ﴿ فراه ﴾ أي ذلك القرن
السوء ﴿ في سوء الجحيم ﴾ أي^٨ في وسطها و غمرتها تضطرم عليه أشد
اضطرام بما كان يضرم في قلبه في الدنيا من الحر كما قال له ذلك المقال^٩،

(١) من ظ و م، وفي الأصل: تعلموا (٢) في ظ و م: تسرو - كذا (م) من
م، وفي الأصل و ظ: شافون (٤) العبارة من هنا إلى « من حاله فقال »
ساقطة من م (٥) من ظ، وفي الأصل: هو (٦) من ظ، وفي الأصل:
يفتديون (٧) من م، وفي الأصل و ظ: نفسه (٨) سقط من ظ و م (٩) في
ظ: المقام .

وسمى الوسط سواء لاستواء المسافة منه إلى الجوانب كمرکز الدائرة، ثم استأنف الإخبار عن مكافأته له بما كان من تقريره و تويخه على التصديق بالآخرة بقوله : ﴿ قال ﴾ أى لقربه ذلك .

ولما كان لا يقع في فكر أنه [كان - '] يلتفت إلى قوله هذا
 ٥ نوع التفات لانه ظاهر البطلان ، ولأن هذا القائل محكوم بأنه من أهل الجنة ، أكد قوله إشارة إلى أنه كان يؤثر فيه قوله في كثير من الأوقات بما يزينه به ^٢ الشيطان وتحسنه النفوس بالشهوات ، والراحة من كلف الطاعات ، وساقه في أسلوب القسم تنبيها على التعجب من سلامته منه فقال : ﴿ تالله ﴾ وزاد التأكيد بعد ما علقه بالاسم الأعظم ١٠ بالمخففة من المثقلة ^٣ فقال : ﴿ ان كدت لتردين لا ﴾ أى إنك قاربت أن تهلكنى ^٤ وتجعلى ^٥ في اردأ ما يكون / من الأماكر ، وفي هذا التأكيد غاية الترغيب في الثبات لمن كان قريبا من التزلزل وفي المبالغة لقرناه السوء .

/ ٣٩٧

ولما ذكر سوء ما كان [يأتى - ٥] إليه ، ذكر حسن أثر الله ١٥ سبحانه عنده ، فقال ^١ لافنا الكلام إلى صفة الإحسان لأنه مقامه ^٢ : ﴿ ولولا نعمة ربى ﴾ أى المحسن إلى بما ربانى به من تثبتي عن أتباعك والتجاوز عني في مخالطتك ﴿ لكنت ﴾ ^٣ كونا ثابتا ﴿ من المحضرين ٥ ﴾
 (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : له (٣) في م : الثقيلة .
 (٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من ظ (٥) زيد من م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقین من م .

أى المكرمين على حضور هذا الوطن^١ الضنك الذى أنت^٢ فيه^٣، فيا الله
ما أعظم إحسان هذه الآية فى التفسير^٤ من العشرة لقرناء السوء لأنها
شديدة الخطر قبيحة الأثر، ولقد أبان نظره هذا عن أنه إن لم يكن
أعلى لذة مما كان فيه فليس بأدنى منه، فانه لا شيء ألد من وقوة العدو
المماكر^٥ الذى طالما أحرق الأكباد وشوش الأفكار، فى مثل ذلك من ه
الإنكار، وعظائم الأكدار، من غمرات النار .

ولما رأى ذاك فيما هو فيه من الجحيم، ورأى نفسه فيما هى
فيه من النعيم، ما ملك نفسه أن قال كما يعرض لمن يكون فى شدة فيآتيه
الفرج^٦ فجاءه فيصير كأنه فى منام أو أضغاث أحلام، لا يصدق ما صار
إليه سرورا: ﴿ افأ ﴾ [أى أنحن يا إخوانى منعمون مخلصون فيتسبب ١٠
عن ذلك أنا ما ﴿ نحن بميتين ٥ ﴾ أى بعد حالتنا هذه، وأكده لأن مثله
لأجل قناسته لا يكاد يصدق، ثم أعرق فى العموم بما هو معياره فقال:
﴿ الا موتنا الاولى ﴾ أى التى كانت فى الدنيا . ولما ذكر نعمة الخلاص
من الموت، ذكر نعمة الإنقاذ من الأكدار فقال: ﴿ وما ﴾ - [٧
﴿ نحن ﴾ وأكد النفي فقال: ﴿ بمعذيين لا ﴾ . ١٥

ولما تذكر هذا فاستغزه السرور، وازدهته^٨ الغبطة والجور،

(١) من م، وفى الأصل وظ : الوطن (٢) سقط من ظ (٣) فى م : به .
(٤) فى ظ : التفسير (٥) من ظ وم، وفى الأصل : المالك (٦) فى م : الفرج .
(٧) زيد ما بين الحاجزين من م (٨) من م، وفى الأصل : اذ ربهته، وفى
ظ : اذهرته .

لم يملك نفسه أن قال في أسلوب التأكيد لما له في ذلك من النشاط لما له من خرق العادة منبها على عظمته لتعظم القبلة : ﴿ان هذا﴾ أى الملك الذى نحن فيه ﴿هو﴾ أى وحده ﴿الفوز العظيم﴾ أى الذى لا شئ يعدله . ولما دل هذا السياق على عظيم ما نالوه ، زاد فى تعظيمه بقوله : ﴿مثل هذا﴾ أى الجزاء ﴿فليعمل العملون﴾ أى لينالوه ، فانهم يقتنون غنى لا فقر بعده بخلاف ما يتنافسون فيه ويتداجون عليه من أمور الدنيا ، فانه مع سرعة زواله منقض بكدره وملاله .

ولما فات الوصف هذا التشويق إلى هذا النعيم ، رعى فى نعته رمية أخرى سبقت العقول وتجاوزت حد الإدراك وعلت عن تخيل ١٠ الوهم فى استفهام منفر من ضده بمقدار الترغيب* فيه لمن كان له لب فقال : ﴿اذلك﴾ الجزء البعيد المنال البديع المثال ﴿خير نزلا﴾ فأشار بذلك إلى أنه إنما هو شئ يسير كما يقدم للضيف عند نزوله على ما لاح فى جنب ما لهم وراء ذلك مما لا تسعه العقول ولا تضبطه الفهوم : ﴿ام شجرة الزقوم﴾ [اى - ٦] التى تعرفها بأنها فى غاية التنن والمرارة* . ١٥ من قولهم : نزقم الطعام - إذا تناوله على كره ومشقة شديدة ، وعادل بين ما لا معادلة بينهما بوجه تنبيها على ذلك ، ولأنهم كانوا يرون

- (١) من ظ و م ، وفى الأصل : مما (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : لتعظيم .
 (٣) فى م : عظم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : ينالوه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الشرغيب (٦) زيد من م (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : المراد .
 (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : من (٩) فى ظ : انهم .

ما سبب ذلك من الاعمال خيرا من أعمال المؤمنين التي سببت لهم النعيم، فكأنهم كانوا يقولون: إن هذا العذاب خير من النعيم، فسيق ذلك كذلك توبيخا لهم [على - ١] سوء اختيارهم^١.

ولما كان قد أخبر أن نباتها في النار، فكان ذلك سببا لزيادة تكذيبهم لأن عدم إيمانهم كان سببا لضيق عقولهم، قال مؤكدا ردا ه على من يظن أنه سبحانه لا يفتن عباده لأنه غنى عن ذلك: ﴿ انا جعلناها ﴾ أى الشجرة بما لنا من العظمة ﴿ فتنة للظالمين ﴾ أى الذين يضعون الاشياء في غير مواضعها كمن هو في الظلام بكونها عذابا لهم في الاخرى وسببا لزيادة ضلالهم في الدنيا، ولو وضعوها مواضعها لعلوا أن من جعل في الشجر الاخضر نارا [لا - ١] تحرقه يستخرجونها هم متى شاؤا ١٠ [فيحرقون بها ما شاؤا - ٢] من حطب و غيره قادر على أن ينبت في النار شجرا^٢ أخضر لا تحرقه النار^٣، ثم نبه على أن محل الفتنة جعلها فيما ينكرونه، فقال تعالى مؤكدا لأجل إنكارهم معللا لجعلها فتنة تخاطبهم فتحيلهم في الدنيا بحرها وفي الاخرى بأثرها: ﴿ انها ﴾ [وحقق أمر نباتها بقوله - ٢]: ﴿ شجرة ﴾ / وزاد الامر بيانا بقوله: ﴿ تخرج ﴾ وأكد به بالظرف ١٥ / ٣٩٨

فقال^٤: ﴿ في اصل ﴾ أى ثابت و قمر و معظم و قرار ﴿ الجحيم ﴾ أى النار الشديدة الاضطرام و فروعها ترتفع إلى دركات^٥ها، ثم زاد ذلك وضوحا

- (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: احتياجه (٣) زيد من م.
(٤) في ظ: شجر (٥) سقط من م (٦) من م، وفي الأصل و ظ: زادوا.
(٧) في ظ: فقالوا.

و تصويرا بقوله : ﴿ طلعتها ﴾ أى الذى هو مثل طلع النخل فى نموه
ثم^١ تشققه عن^٢ ثمره ﴿ كأنه رهوس الشيطان ﴾^٣ فيها هو مثل عند المخاطبين فيه ،
وهو القباحة التى بلغت النهاية ، وهذا المثل واقع فى أتم مواقفه سواء
كان الشيطان عندهم اسما^٤ للحية أو لغيرها ، لأن قبح الشياطين وما يتصل
بهم فى أنهم^٥ شر محض لا يخلطه خير مقرر فى النفوس ، ولهذا كان كل
من استقبح منظر إنسان أو فعله يقول : كأنه شيطان ، كما انطبع فى النفوس
حسن الملائكة وجلالتهم فشبها لهم الصور الحسان ، ولذلك^٦ سمى
العرب ثمر شجر يقال له الاستن بهذا الاسم ، وهو شجر خشن مر متين
منكر الصورة .

١٠. ولما أثبت أمرها بما هو فى غاية الفتنة^٧ لها واللفظ للمؤمنين ،
سبب عن الفتنة بها قوله ، وإذا لإنكارهم أن يأكلوا مما لا يشتهونه^٨ ومكذبا
لما كانوا يدعون من المدافعة : ﴿ فانهم ﴾ أى بسبب كفرانهم بها
وبغيرها^٩ مما أمرهم^{١٠} الله ﴿ لا تكون منها ﴾ أى من هذه الشجرة من
شوكها وطلعها وما يريد الله بما يؤلم منها . ولما كانوا قد زادوا فى باب
١٥ التهم فى أمرها ، زاد التأكيد فى مقابلة ذلك بقوله : ﴿ فالتون منها ﴾
[ومن غيرها فى ذلك الوقت الذى يريد الله أكلهم منها -^{١١}] ﴿ البطون ﴾^{١٢}

(١) من ظ و م ، وفى الأصل « و » (٢) فى ظ : عنده (٣) من م ، وفى
الأصل و ظ : اسم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اسم (٥) من ظ و م ،
وفى الأصل : كذلك (٦) من م ، وفى الأصل : السبب ، وفى ظ : الشبهة
- كذا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يشتهون (٨-٨) فى ظ و م : من أمر .
(٩) زيد من م .

قهرًا على ذلك وإجبارًا . ولما أحرق أكبادهم من 'شديد الجوع' زيادة في العذاب ، ولما جرت العادة بأن 'الآكل المتعم يتفكه بعد أكله بما يبرد غلة كبده' ، قال مشيرًا إلى تناسي شناعة متفكرهم ، وطويل تلهمهم من عطشهم ، بأداة التراخي وآلة التأكيد [لا-١] لهم في ذلك من عظيم الإنكار : (ثم ان لهم عليها) أى على أكلهم منها (لشوبا) هـ أى خلطًا عظيم الإحراق (من حميم) أى ماء حار كأنه يجمع من مياه من عصارات شتى من قيع و صديد ونحوهما - نسأل الله العافية .

ولما كان ما ذكر للفريقين إنما هو النزل الذى مدلوله ما يكون فى أول القدم على حين غفلة ، وكانوا يوردون الحميم كما يورد الإبل الماء ، [و-١] كان قوله تعالى "يطوفون بينها وبين حميم ان" [يدل-١] ١٠ على أن ذلك خارجها أو خارج غمرتها ، كما تكون الأحواض فى الحيشان خارج الأماكن المعدة للابل ، قال مبيّنًا أن لهم ما هو أشد شناعة من ذلك ملوحًا إليه بأداة التراخي : (ثم ان مرجعهم) أى بعد خروجهم من دار ضيافتهم [الزقومية-٢] (لالا الى الجحيم) أى ذات الاضطرام الشديد ، والزفير والبكاء والاعتماد الطويل المديد ، كما أن حزب الله ١٥ يتقلبون من جنات النعيم إلى جنات الماوى مثلاً إلى جنات عدن إلى

(١-١) من م ، وفى الأصل وظ : شدة الجوع زادهم (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ان (٣) من م ، وفى الأصل وظ : اكده (٤) زيد من م . (٥) من م ، وفى الأصل وظ : نحوها (٦) زيد من ظ و م (٧) فى ظ : جانب .

نظم الدرر (سورة الصف ٣٧: ٦٩ - ٧٢) ج - ١٦

الفردوس التي لا يغنون عنها حولا كما ينقل أهل السعة والأكابر من أهل الدنيا ضيوفهم في البساتين المتواصلة والمناظر، وينزهونهم في القصور العالية والساكن.

ولما أخبر عن عذابهم^٢ هذا، وكان سببه الجمود مع العادة الجارية على غير الحق، والتقييد بما ألقته النفس ومال إليه الطباع، بما أصله من يعتقدون أنه أكبر منهم وأتم عقلا، علل ذلك تحذيرا من مثله^٣ لأنه كان سبب هلاك أكثر الخلق، وأكدته لأنهم ينكرون [ضلال-^٤] من أصل لهم، فذلك^٥ الموائد من آباءهم وغيرهم فقال: ﴿انهم الفوا﴾ أى وجدوا وجدانا ألفوه ﴿آباءهم ضالين﴾ أى عريقين / في الضلال، فقام فيه لا يخفى على أحد أنه ضلال يتسبب عنه النفرة عن صاحبه ١٠٠٩
﴿فهم﴾ أى البعداء البغضاء^٦ ﴿على^٧ اثرهم﴾ أى التي لا تكاد تبين لاحد^٨ لحقاء مذهبها^٩ لوهيها وشدة ضعفها وانطلاس معالمها، [لا على غيرها-^{١٠}] ﴿يهرعون﴾ أى كأنهم يلجئون ملجئ إلى الإسراع، فهم في غاية المبادرة إلى^{١١} ذلك من غير توقف على دليل ولا استئذان بحجة

(١) من م، وفي الأصل و ظ : الى (٢) من م، وفي الأصل : اعدهم، وفي ظ : اعدائهم (٣) من م، وفي الأصل و ظ : مثلهم (٤) زيد من ظ و م . (٥) من م، وفي الأصل و ظ : فهلك (٦) من ظ و م، وفي الأصل : منه . (٧-٧) موضع ما بين الرقين في ظ : فيتسبب عنه النفرة أنهم، وفي م : تسبب عنه في موضع النفرة أنهم (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : مذهبها . (١٠) زيد من م (١١) زيد في الأصل و ظ : غير، ولم تكن الزيادة في م لحذفها .

بحيث يلحق صاحب هذا الإسراع من شدة تكالبه عليه شيء^١ هو كالرعدة ،
وذلك ضد توقعهم وجودهم فيما أتاهم به رسولنا صلى الله عليه وسلم من
شجرة الزقوم وغيرها مما هو في غاية الوضوح والجلالة ، فامعنوا في
التكذيب به والاستهزاء ، وأصروا بعد قيام الدلائل ، فكانوا كالجبال
ثباتا على ضلالهم ، والحجارة الصلاب الثقال رسوخا في لازب أوحالهم . هـ
ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد المحبة لهداهم والحزن
على ضلالهم ، والأسف على غيهم ومحالهم ، وكان الضلال مع العقل
أولا ، ثم مع وجود الرسل الذين هم من الصدق والمعجزات والامور
الملجئة إلى الهدى ثانيا كالحال ، سلاه سبحانه [بقوله - ٢] على سبيل
التأكيد لزيادة التحقيق : ﴿ ولقد ضل قبلهم ﴾ أى قبل من يدعوهم في ١٠
جميع الزمان الذى تقدمهم ﴿ اكثر الاولين لا ﴾ بحيث أنه لم يمض قرن^٢
بعد آدم عليه السلام إلا وكله أو جله ضلال .

ولما كان ربما ظن أنه لعدم الرسل ، نفى ذلك بقوله مؤكدا لنحو
ذلك : ﴿ ولقد ارسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة التى توجب الإتيان
بما لا ريب فيه من البيان ﴿ فيهم منذرين هـ ﴾ أى فأنذروهم بأمر الله ١٥
و بينوا لهم أحسن البيان ، ومع ذلك فغلب عليهم الضلال ، وعناد أهل
الحق بالحال ، حتى أهلكهم الله بما له من شديد المجال ، وهو معنى قوله :

(١) زيد فى ظ : ما (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل :
لم يخص قرنا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : حسن (هـ) من ظ و م ، وفى
الأصل : شدة .

نظم الدرر (سورة الصُّفَّت ٣٧ : ٧٣ - ٧٥) ج - ١٦

(فانظر) أى قسب عن الإرسال أنا فعلنا فى إهلاكهم من العجائب ما يستحق التعجيب به و التحذير من مثله بأن يقال لمن تخلف عنهم : انظر (كيف) و لما كان ذلك عادة مستمرة لم تختلف أصلا قال : (كان عاقبة) أى آخر أمر (المنذرين) أى فى إنا أهلكتناهم لتكذيبهم ، فاصبر على الشدائد كما صبروا ، واستمر على الدعاء بالبشارة و النذارة حتى يأتك أمر الله .

و لما أفهم الحكم على الأكثر بالضلال أن الأقل على غير حالهم ، نبه على حال الطائعين بقوله ' مستثنا من ضمير المنذرين : (الا عباد الله) أى الذين استخلصهم سبحانه بما له من صفات الكمال ، فاستحقوا ١٠ الإضافة إلى اسمه الأعظم (المخلصين) أى الذين أخلصهم له فأخلصوا هم أعمالهم فلم يجعلوا فيها شوبا لغيره .

و لما كان مقصود السورة التنزيه الذى هو الإبعاد عن النقائص ، ولذلك كان أنسب الأشياء الإقسام أولها بالملائكة الذين هم أنزه الخلق ، و كان أعلى الخلق من جرد نفسه عن الحظوظ بما يؤتبه الله من ١٥ المجاهدات و المنازلات و المعالجات حتى يلحق بهم فيحوز مع فضلهم معالى الجهاد ، فكان أحق الأنبياء بالذكر من كان أكثر تجريدا لنفسه من الشواغل سيرا إلى مولاه و تعريجا عن كل ما سواه ، وكان الأب (١) من م ، و فى الأصل و ظ : يختلف (٢) فى ظ : بقولهم (٣) من م ، و فى الأصل : تحريا ، و فى م : تجرا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : مشيرا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : على .

الثاني [من - ١] أحقهم بذلك لأنه تجرد في الجهاد بالدعاء إلى الله ألف عام ثم تجرد عن كل شيء / على ظهر الماء بين الأرض والسماء ، فقال تعالى مؤكدا لما تقدم من أنه [دعا - ٢] إلى التأكيد من أن مكنته في قومه المدة الطويلة مبدل لأن يكونوا وافقوه و مالوا معه و تابعوه ، ولأن فعل العرب في التكذيب مع ترادف المعجزات و تواتر العظات عمل من هو مكذب بوقوع النصرة^١ للمرسلين و العذاب للمكذابين ، عطفاً على ما تقديره : فقامى الرسل^٢ من الشدائد ما لاتسعه الأوراق ، و جاهدوهم بأنفسهم و التضرع إلى الله تعالى في أمرهم : ﴿ ولقد نادانا ﴾ لما لنا من العظمة ﴿ نوح ﴾ بقوله ” رب انى مغلوب فانتصر “ ونحوه مما أخبر الله عنه^٣ به بعد أمور عظيمة لقيها منهم من الكروب ، و الشدائد ١٠ و الخطوب ، لنكشف عنه ما أعياء من أمرهم .

و لما أغنت هذه الجملة عن شرح القصة^٤ و تطويلها ، و كان قد تسبب^٥ عن دعائه إجابته ، قال بالتأكيد^٦ بالاسمية و الإشارة إلى القسم و الاداة الجامعة لكل مدح و صيغة العظمة إلى أن هول عذابهم و عظم مصابهم بلغ إلى أنه مع شهرته لا يكاد يصدق ، فهو يحتاج إلى ١٥ اجتهاد كبير و شدة اعتناء ، فكانت الإجابة إجابة من يفعل ذلك و إن

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : مكنته (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : المضرة^٥ (٥) من ظ و م ، وفي الأصل : المرسل . (٦) من ظ و م ، وفي الأصل : عن (٧) من م ، وفي الأصل و ظ : القصيدة . (٨) من م ، وفي الأصل و ظ : سبب (٩) زيد في م : القسم .

كانت الأفعال بالنسبة إليه سبحانه على حد سواء ، لا تحتاج إلى غير مطلق
الإرادة : ﴿ فلنعم المجيئون ﴾ أى كنا بما لنا من العظمة له ولغيره من
كان نعم المجيب لنا ، هذه صفتنا لا تغير لها .

ولما كان معنى هذا : فأجابه إجابة هي النهاية في استحقاق على
المادح من إيصاله إلى مراده من حملة وحمل^٢ من آمن به والانتقام من
كذبه كما هي عادتنا دائما ، عطف عليه قوله : ﴿ ونجيئه ﴾ أى
بما لنا من العظمة ﴿ واهله ﴾ أى الذين واقفوه في الدين
﴿ من الكرب العظيم ﴾ وهو الأذى من الفرق^٣ ﴿ وجعلنا ذريته^٤ ﴾
أى خاصة ﴿ البقين ﴾ لأن جميع أهل الأرض غرقوا فلم يبق منهم
١٠ أحد أصلا ، وأهل السفينة [لم - ٦] يعقب منهم أحد غير أولاده ،
فأثبناه على نزاهته^٥ إن كان هو الأب الثانى ، فالعرب والعجم أولاد سام ،
والسودان أولاد حام ، والترك والصقالبة وباجوج وماجوج
أولاد يافث ، فكل من تبع سنته في الخير كان له مثل أجره .

ولما ذكر أنه بارك في نسله ، أعلم^٦ أنه أدام ذكره بالخير في أهله
١٥ فقال : ﴿ وتركنا عليه^٧ ﴾ أى ثناء حسنا ، لكنه حذف المفعول

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : اما (٢) من ظ و م ، وفي الأصل : فنعنتنا .
(٣) من ظ و م . وفي الأصل : عما وحمله (٤) من ظ و م ، وفي الأصل :
الكرب (٥) من ظ و م و القرآن الكريم وفي الأصل : ذريتهم (٦) زيد
من ظ و م (٧) من ظ و م ، وفي الأصل : نزاهة (٨) من م ، وفي الأصل
و ظ : علم (٩) ليس في الأصل فقط .

وجعله لازما، فصار المعنى: أوقفنا عليه الترك بشيء هو من عظمته وحسن ذكره بحيث يعزّأ وصفه (في الآخرين ^١) أى كل من تأخر عن زمانه إلى يوم الدين . ولما كان قد كتب الله في القدم سلامته من كل سوء على كثرة الأعداء وطول الإقامة فيهم وشدة الخلاف . قال تعالى مستأنفا مادحا: ﴿سلم﴾ أى عظيم ﴿على نوح﴾ من كل هـ حى من الجن والإنس والملائكة لسلام الله عليه . ولما كان لسان جميع أهل الأرض في زمانه عليه السلام واحدا، فكانوا كلهم قومه، ولم يكن في زمانه نبى، فكانت نبوته قطب دائرة ذلك الوقت، فكانت رسالته عامة لأهله، وكان غير الناس من الخلق لهم تبعاء، خصه في السلام بأن قال: ﴿فى العلمين هـ﴾ أى مذكور فيهم كلهم لفظا^٢ ومعنى يسلم عليه ١٠ دائما إلى أن تقوم الساعة، وخصوصية نبينا صلى الله عليه وسلم بأنه أرسل إلى جميع الخلق مع اختلاف الألسنة ومع استمرار الرسالة أبد الآباد، وكون شريعته ناسخة غير منسوخة، وكون جميع الخلق في القيامة تحت لوائه، فهناك يظهر تمام ما أوتي من عموم^٣ البعثة إلى ما ظهر منه فى الدنيا .

١٥

ولما كان التقدير: فعلنا به ذلك لإحسانه، وكان الضالون ينكرون

٤٠١/

أن تنجو الدعاة إلى الله وأتباعهم منهم، أخبر فى / سياق التأكيد أنه يفعل بكل محسن ما فعل به فقال: ﴿انا﴾ أى على عظمتنا ﴿كذلك﴾

(١) من ظوم، وفى الأصل: يعد (٢) من ظوم، وفى الأصل: لفا (٣) من م: وفى الأصل و ظ: عظيم .

أى مثل ذلك الجزاء بالذكر الحسن و النجاة من كل سوء
 ﴿نجزي المحسنين﴾ أى الذين يتجردون من الظلمات النفسانية إلى
 الأنوار الملكية [بحيث^١] لا ينفلون عن المعبود، ولا ينفكون لحظة
 عن الشهود .

و لما أفهمت هذه الجملة - ولا بد - إحسانه إلى المحسن، علل ما
 أفهمته بقوله، مؤكدا إظهارا للاقبال عليه بأن ذكره بما^٢ يرغب فيه،
 و تكذيبا لمن كذبه: ﴿انه من عبادنا﴾ أى الذين هم أهل لأن نضيفهم
 إلى مقام عظمتنا ﴿المؤمنين﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف، المتمكنين
 فيه، فلم أن الإيمان هو المراد الاقصى من الإنسان لانه علل الإنجاء
 ١٠ بالإحسان و الإحسان [باليان^٣] . و لما أفهم تخصيص ذريته بالبقاء
 إهلاك غيرهم، و قدم ما هو أهل له من مدحه اهتماما به و ترغيا فى
 مثله، أخبر عن أعدائه بأنه أوقع بهم لانهم لم يتحلوا^٤ بما كان سبب
 سعادته من الإيمان بقوله، مشيرا إلى العظمة التى أوجدها سبحانه فى
 إغراقهم^٥ بأداة التراخى: ﴿مم اغرقنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا يقوم
 ١٥ لها شئ. ﴿الآخرين﴾ أى الذى غايروه فى الأقوال و الأفعال فاستحقوا
 أضداد^٦ أفعالنا معه و هم أهل الأرض كلهم غير أهل السفينة و كلهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، وفى الأصل و ظ : ما (٣) زيد من م،
 وفى ظ : بالإيمان (٤) من م، وفى الأصل و ظ : لم ينحلوا (٥) من م، وفى
 الأصل و ظ : اعترافهم (٦-٦) من م و ظ، وفى الأصل : بالأفعال
 و الاقوال (٧) سقط من ظ .

قومه كما هو ظاهر الآيات إذا توّمل تعبيرها عن الدعوة والإغراق ودعائه عليه السلام عليهم ، و ظاهر ما رواه الشيخان وغيرهما عن أنس رضى الله عنه في حديث الشفاعة أن الناس يقولون : اتوا نوحا أول نبي بعثه الله إلى [أهل -^١] الأرض . وإنما كانوا قوما لا أكثر ، لأنهم كانوا على لسان واحد قبل ببلبة^٢ الألسن باتفاق أهل التأريخ ، وذلك هـ . كما أن العرب يطلق عليهم [كلهم -^٣] على انتشارهم واتساع بلادهم أنهم قوم ، لاجتماعهم في اللسان مع أنهم قبائل لا يحصيهم العد ، ولا يجمعهم نسب واحد إلا في إسماعيل عليه السلام ، وقيل فيما فوقه ، فإن النساين أجمعوا على أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام ، [قالوا : هو من ولد عدنان -^٤] ، و اختلفوا في قحطان أبي الين وكذا ثقيف ، ف قيل : ١٠ هما من ولد إسماعيل عليه السلام ، وقيل لا ، ثم من قال : إن ثقيفا من ولد إسماعيل عليه السلام ، قالوا : هو من ولد عدنان ، وقال بعضهم : لا ، ثم إن من ولد عدنان ربيعة ومضر ، ومن دون مضر كنانة وهذيل والقارة وخزاعة و^٥ أسد وتميم^٦ ومزينة والرباب وضبة وقيس [و -^٧] دون ذلك باهلة وأشجع وفزارة وكنانة وقريش وخلائق ، ١٥ ومن دون ربيعة بكر بن وائل وغيرهم ، ومن دون ذلك شيان وعبد القيس والنمر وخلائق ، ودون قحطان أبي الين لحسم وجذام وعائلة^٨ وغسان وكندة وهدان والأزد^٩ ، ومنهم الانصار وخلائق غير ذلك ،

(١) زيد من م (٢) من م ، وفي الأصل و ظ : تليه (٣) زيد من ظ .
 (٤-٥) من ظ وم ، وفي الأصل : ما دونهم (٥) زيد ظ وم (٦) في م : عالة .
 (٧) من ظ وم ، وفي الأصل : الاسد .

فهؤلاء كلهم - على هذا الشعب و الانتشار و الاختلاف^٢ في الأديان،
 بل و في بعض اللغة - يسمون أمة واحدة و قوماً لجمع اللسان لهم في أصل
 العربية، و بنو إسحاق ليسوا منهم بلا خلاف، مع أنهم أولاد عهيم
 لمخالفتهم لهم في اللسان على أنهم أقرب من قحطان و ثقيف في النسب
 ه عند من قال إنهم ليسوا من ولد إسماعيل عليه السلام، [و كذا بنو
 إسحاق عليه السلام -^٣] افرقوا بافراق اللسان، فبنو إسماعيل قوم،
 و بنو الغيص - و هم الروم - قوم، و كذا سائر الأمم إنما يفرق بينهم
 اللسان، و عموم دعوته لبي آدم عليه السلام على هذا الوجه لا يقدح
 في خصوصية نبينا صلى الله عليه وسلم بعموم الدعوة و الإرسال إلى غير
 ٤٠٢ / ١٠ / قومه، أما العموم فانه أرسل إلى كل من ينوس من الإنس و الملائكة
 و الجن، و أما دعاء الأقوام فالمراد أنه أرسل إلى الموافق في اللسان
 و المخالف فيه، و أما غيره فما أرسل إلى من خالفه في اللسان و لا إلى
 غير جنسه و إن كان يتدب له أنه يأمر المخالفين في اللسان و ينهاهم من
 باب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من غير وجوب، و لو سلمنا
 ١٥ في نوح عليه السلام أنه لم يبعث إلى جميع أهل الأرض انتقض بآدم^٦
 عليه السلام فانه نبي مرسل، كما روى ذلك الإمام أحمد و أبو داود
 الطيالسي و محمد بن يحيى بن أبي عمر و أبو بكر بن أبي شيبة و الحارث
 (١) من م، و في الأصل و ظ : اختلاف (٢) زيد في الأصل : الألوان و في،
 و لم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م،
 و في الأصل : بنو (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : بنوح .

ابن أبى أسامة وأبو يعلى الموصلى وإسحاق بن راهويه فى مسانيدهم والطبرانى فى معجمه الأوسط عن أبى أمامة الباهلى وأبى ذر رضى الله عنهما وفى بعض طرق أبى ذر التصريح بالإرسال ولا يشك أحد أنه كان رسولا إلى جميع من أدركه من أولاده، وهم جميع أهل الأرض، وكذلك نوح عليه السلام لا يشك أحد أنه كان بعد الفرق رسولا إلى جميع أهل السفينة كما كان قبل ذلك، وهم جميع أهل الأرض، فما قدمت من أن الخصوصية بالإرسال إلى ذوى الألسن المختلفة من جميع بنى آدم، وإلى المخالف فى الجنس من كل من ينوس هو المزيل للأشكال - والله الموفق .

- ولما كان لإبراهيم عليه السلام من التجرد عن النعوت البشرية ١٠ والعلاق النفسانية إلى الأحوال الملكية ما لم يكن لمن بينهما من التبيين من المصارحة بالمعارضة لقومه، والإبلاغ فيها بكسر الأوثان، وتوهمه مذهب الكفران، والافتراء عما سوى الله فى غمرات النيران، حتى عن الدعاء بقلب أو لسان فناء عن جميع الأكوان، ثم بالهجرة عن الأوطان، [ثم - ١] بالخروج عن الأجاب^١ وال الإخوان، بوضع ابنه بكره ١٥ وسريته فى ذلك المكان، الذى ليس به إنس ولا جان، ثم بمعالجة ذبحه بأتم قوة وأقوى جنان. ثم ببناء البيت ذوى الأركان، قبلة للتجرد من أهل الإيمان فى كل أوان، عما سوى الملك الديان^٢، يصفون عند كل
- (١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل: كذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ و م
و مد لحذفناها (٣) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م لحذفناها .

صلاة مثل صفوف الملائكة الكرام ، و كان موافقا لنوح عليه السلام
مع ما تقدم في البركة في نسله بحيث أنهم قريب نصف أهل الارض^١
الآن ، و كان أشهر أمره في النار التي هي [ضد -^٢] أشهر أمر نوح
عليه السلام في الماء ، تلاه به فقال مؤكدا إظهارا أيضا لما له من الكرامة
و المنزلة العالية في الإمامة ، المقتضية للنشاط في الثناء عليه ، المنبهة على ما
ينبغي من إتمام العزم في متابعتة ، و تكذيبا لمن ادعى أنه ابتدع و خالف
من كان قبله : ﴿ و ان من شيعته ﴾ [أى -^٢] الذين خالط سره سرهم
و وافق^٣ أمره أمرهم ، في التصلب في الدين و المصابرة للفسدين
﴿ لابرهم ؟ ﴾ ثم علق بمعنى المشايعة بيانا لما كانت به المتابعة قوله
١٠ على تقدير سؤال من قال : متى شايعة ؟ : ﴿ اذ ﴾ أى حين^٤ ﴿ جاء ربه ﴾
أى المحسن في تربيته ﴿ بقلب سليم ه ﴾ أى بالغ السلامة عن حب غيره ،
و الحجى مجاز عن الإخلاص الذى لاشائبة فيه كما أن الآتى إليك لا يكون
شئ من بدنه عند غيرك ، ثم أبدل من ذلك ما هو دليل عليه فقال :
﴿ اذ قال لايه ﴾ أى الذى هو أعظم الناس عنده و أجلهم في عينه
١٥ و أعزهم لديه ﴿ و قومه ﴾ أى الذين لهم من القوة و الجود ما تهاهم
به الاسود : ﴿ ماذا ﴾ أى ما الذى ﴿ تعبدون ؟ ﴾ تحقيرا لامرهم و أمر
معبوداتهم منها على أنه لا علة لهم في الحقيقة تحمل على عبادتها / غير

/ ٤٠٣

(١) سقط من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، وفى الأصل وظ : خالطه .

(٤) زيد فى الأصل وظ : اذ ، و لم تكن الزيادة فى م لحذفناها .

مكثرت بكثرتهم ولا هائب لقوتهم ولا مراع ليل الطبع البشرى إلى مودتهم .

ولما لوح لهم بالإنكار ، صرح فقال مقدا للفعول تخصيصا :
 ﴿ انفكا ﴾ أى صرفا للحق عن وجهه إلى قفاه . ولما جعل معبوداتهم
 نفس ' الإفك ، أبدل منه قوله : ﴿ 'الهة ﴾ ثم حقر شأنهم بقوله : ه
 ﴿ دون الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ تريدون ؟ ﴾ ولما كان قد غلب
 عليه الشهود عند تحقيره لهم ، سبب عن ذلك تهديدا على فعلهم عظيما ،
 فقال مشيرا إلى أنه يكفى العاقل فى النهى ظن ' العطب : ﴿ فما ظنكم ﴾
 ولما كان كفران الإحسان شديدا ، ذكرهم بإحسانه حافظا لسياق
 التهديد بالإشارة إلى أنه يكفى فى ذلك الخوف من قطع الإحسان فقال : ١٠
 ﴿ رب العالمين ه ﴾ أى الذى توحد بخلق جميع الجواهر والأعراض
 وتربيتهم فهو مستحق لتوحيدهم إياه فى عبادتهم ، أظنون أنه لا يذبكم
 وقد صرقت ما أنعم به عليكم إلى عبادة غيره ، إشارة إلى ٢ إنكار تجوز
 مثل هذا ، وأن المقطوع به أن محسنا لا يرضى بدوام إدارار إحسانه إلى
 من ينسبه إلى غيره .

١٥

ولما أفهم السياق شدة عداوته صلى الله عليه وسلم للشركاء ، وكان
 الله تعالى قد أجرى عادته بأن جعل فى النجوم أدلة على بعض المسائل
 الظنية ' لاسيما البحرات ' فى أنواع ' الاسقام ، وكان أهل تلك البلاد

(١) فى ظ : بنفس (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : عن (م) زيد فى الأصل
 وظ : ان ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (هـ) من م ، وفى الأصل وظ :
 الطيبة (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل : بأنواع .

نظم الدرر (سورة الصف ٣٧ : ٨٨ و ٨٩) ج - ١٦

- وهم الكسدانيون كما تقدم في الأنعام [و - ١] كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما وكما دلت عليه كتب الفتوحات - من أشد الناس نظرا في النجوم والاستدلال^٢ بها على أحوال هذا العالم في بعض ما كان وبعض ما يكون، و [كان - ٢] صلى الله عليه وسلم يريد أن يتخلف عن الذهاب معهم إلى المحل الذي يجتمعون فيه للعبد ليكسر الأصنام ويريد إخفاء وقت الكسر عليهم ليتمكن من ذلك، قال تعالى حاكيا عنه مشيرا إلى ذلك بالتسبب عما مضى: ﴿ فنظر نظرة ﴾ أي واحدة ﴿ في النجوم ٣ ﴾ حين طلبوا [منه - ١] أن يخرج معهم إلى عيدهم لئلا ينكروا تخلفه عنهم موها لهم أنه استدل بتلك النظرة على مرض باطني ١٠ يحصل له، لأنهم ربما أنكروا كونه مريضا إذا أخبرهم بغير النظر في النجوم لأن الصحة ظاهرة عليه ﴿ فقال ﴾ أي عقب هذه النظرة موها أنها سيئه .

ولما كان بدنه صحيحا فكان يصدد أن يتوقف في خبره، أكد فقال: ﴿ اني سقيم ٥ ﴾ فأوهم أن مراده أنه مريض^٤ الجسد وأراد أنه مريض^٥ القلب بسبب آهنتهم، مقسم الفكر في أمرهم لأنه يريد أمرا عظيما وهو كسرها، ومادة "سقم" بتقاليها الخمسة: سقم سقم قسم قسم مقس، تدور على القسم، فالسقام^٦ كسحاب وجبل وقمل: المرض، أي (١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: الاستدلالات (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفي الأصل: انه (هـ-هـ) سقط ما بين الرقين من ظ. (٦) راجع القاموس .

لأنه يقسم القوة والفكر، وقال ابن القطاع^١: سقم: طاوله المرض .
 وقسمه: جزأه، والدر القوم: فرقهم، والقسم - بالكسر: النصيب،
 والقسم أى بالفتح: العطاء، ولا يجمع، والرأى والشك والعيب^٢ والماء
 والقدر والخلق والعادة، ويكر فيها، والتفريق ظاهر فى ذلك كله،
 أما العطاء فيفرق المال ويقسمه، والرأى يقسم الفكر، والشك كذلك، ه
 والعيب يقسم المرض، والماء فى غاية ما يكون من سهولة القسم،
 والقدر يفصل صاحبه من غيره، وكذا / الخلق والعادة، والمقسم كعظم:
 المهموم^٣ - لتوزع فكره^٤، والجمل - لأنه يقسم القول فى وصفه، والقسم
 محركة: اليمين بالله، وقد أقسم، أى أزال تقسيم الفكر، والقسامة:
 الحسن - لأنه يوزع فكر الناظر، و "جوة العطار" - كذلك لطيب ١٠
 ريحها، والقسام - كسحاب: شدة الحر - لأنها توزع الفكر فتقسمه،
 أو هو أول وقت الهجرة أو وقت ذرور الشمس، وهى حيثئذ أحسن
 ما تكون مرآة - فيقسم الفكر فيها لحسنها إذ ذاك وما يطرأ عليها
 بعده . والقمس: الفوص - لأن الغائص قسم الماء بغوصه، والقمس
 أيضا اضطراب الولد فى البطن لأنه يقسم الفكر، ويكاد أن يقسم البطن ١٥
 باضطرابه، والقاموس: معظم البحر^٥ - لأن البحر قسم الأرض، ومعظمه

(١) راجع كتاب الأعمال ٢ / ١٤٩ (٢) فى القاموس: التيث (٣) من م
 والقاموس، وفى الأصل وظ: المهموم (٤) من م، وفى الأصل وظ:
 الفكرة (هـ) من ظ وم والقاموس، وفى الأصل: حوته العطاو - كذا.
 (٦) فى القاموس: معظم ماء البحر .

أحق بهذا الاسم ، و القوامس : الدواهي - لتقسيمها الفكر ، وانقسم
النجم : غرب ، أى أخذ قسمه من الغروب كما أخذه من الشروق ، أو أزال
التقسيم بالسير . ومقسه في الماء : غطه - فانقسم الماء بغمسه فيه ، و القرية :
ملاّما ، فصير^١ فيها من الماء ما يسهل قسمه ، وأخذه^٢ الماء الذي وضعه
٥ فيها تقسيم للماء المأخوذ منه ، و مقس الشيء : كسره ، و الماء : جرى -
فانقسم و قسم الأرض ، و هو يمس الشعر كيف شاء ، أى يقول فيقسمه
من باقى الكلام ، و التقييس^٣ في الماء : الإكثار من صبه ، فان ذلك تقسيم
له ، و سقى سموقا : علا و طال فصار بطوله يقبل من القسمة ما لا يقبله
ما هو دونه .

١٠ ولما فهموا^٤ عنه ظاهر قوله ، و ظنوا فيه ما يظهر من حاله ،
و لكنهم لم يسعهم لعظمته فيهم إلا التسليم ، تركوه فقال تعالى مسيا عن
قوله مشيرا إلى استبعادهم مرضه بصيغة التفعّل : ﴿ قولوا ﴾ أى عاجلوا
أنفسهم و كلفوها أن انصرفوا ﴿ عنه ﴾ [إلى محل اجتماعهم و إقامة عيدهم^٥]
و أكد المعنى و نص عليه بقوله : ﴿ مدبرين ه ﴾ [أى -^٦] إلى معبد
١٥ بخلا له الوقت من رقيب ﴿ فراغ ﴾ أى ذهب في خفية برشاقة و خفة ،
و نشاط و همة ، قال اليبضاوى : و أصله الميل بحيلة ﴿ الى^٧ اهتهم ﴾ أى
أصنامهم التى زعموها آلهة ، و قد وضعوا عندها طعاما ، فخطبها مخاطبة
من يعقل لجعلهم إياها بذلك في عداد من يعقل ﴿ فقال ﴾ منكرها عليها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و صير (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اخذ .
(٣) من القاموس ، و فى الأصول : التقمس (٤) من م ، و فى الأصل و ظ :
افهموا (٥) زيد من م (٦) زيد من ظ و م .

متهمكما بها ظاهرا و موبخا لقومه حقيقة : ﴿ الا ناكلون ﴾ ثم زاد في إظهار الحق و الاستهزاء بانحطاطها عن رتبة عابديها فقال : ﴿ ما ﴾ أى أى شيء حصل ﴿ لكم ﴾ فى أنكم ﴿ لا تنطقون ٥ ﴾ .

و لما أخبر تعالى أنه أظهر ما يعرفه باطنا من الحجة فقال : ﴿ فراغ ﴾ .
 أى سبب^٢ عن إقامته^٣ الحجة أنه أقبل مستعليا ﴿ عليهم ﴾ بغاية النشاط ٥
 و الخفة و الرشاقة يضربهم ﴿ ضربا باليمين ٥ ﴾ أى بغاية القوة ، و جعل السياق للصدر إشارة إلى قوة الهمة بحيث صار كله ضربا . و لما تسبب عن ذلك أنهم لما علوا بكسرها ظنوا فيه لما كانوا يسمعون منه من ذمها و حلفه بأنه ليكيدنها فأتوه ، أخبر عن ذلك بقوله مسيا : ﴿ فاقبلوا ﴾
 و دل على أنه من مكان بعيد [بقوله -] : ﴿ اليه يرفون ٥ ﴾ أى يسرعون ، ١٥
 و قراءة حمزة ٥ بالبناء للفعول أدل على شدة الإسراع لدلالاتها على أنهم جاؤا على حالة كان حاملا يحملهم فيها على الإسراع و قاهرا يقهرهم^٤
 عليه من شدة ما فى نفوسهم من الوجد .

و لما كان من المعلوم أنهم كلبوه فى ذلك فطال كلامهم ، و كان تشوف^٥ النفس إلى جوابه أكثر ، استأنف الخبر عنه فى قوله : ﴿ قال ﴾ ١٥
 غير هائب لهم و لامكثرت بهم لرؤيته لهم فأنين منكرا عليهم : ﴿ اتعبدون ﴾
 و نديهم بالمضارع إلى التوبة و الرجوع إلى الله ، و عبر بأداة ما لا يعقل

- (١) سقط من ظ (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : تسبب (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : إقامة (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع ثر المرجان ٢٧/٦ .
 (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يقرهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : تشوق .

كما هو الحق فقال: ﴿ما تتحون لا﴾ أى إن كانت / العبادة تحق لأحد غير الله فهم أحق أن يعبدوكم لأنكم صنعتموه ولم يصنعوكم . ولما كان المتفرد بالنعمة هو المستحق للعبادة ، و كان الإيجاد من أعظم النعم ، وكان قد بين أنهم إنما عبدوها لأجل عملهم الذى عملوه فيها فصيها ٥ إلى ما صارت إليه من الشكل ، قال تعالى مبينا أنه هو وحده خالقهم و خالق أعمالهم التى ما عبدوا فى الحقيقة إلا هى ، وأنه لا مدخل لمنحوتاتهم فى الخلق فلا مدخل لها فى العبادة : ﴿ والله ﴾ أى و الحال أن الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ خلقكم ﴾ أى أوجدكم على هذه الأشكال ﴿ و ما تعملون ﴾ أى و خلق عملكم و معمولكم ، فهو المتفرد بجميع الخلق من الذوات و المعانى ، و معلوم أنه لا يعبد إلا من كان كذلك لأنه لا يجوز لماعقل أن يشكر على النعمة إلا ربها .

ولما كان السامع يعلم أنهم لا بد و أن لا يحميوه بشئ ، فتشوف إلى ذلك ، أجيب بقوله : ﴿ قالوا ابنوا له ﴾ أى لأجله ﴿ بنيانا ﴾ أى من الأحطاب حتى [تصوير - ٢] كالجبل العظيم ، فأحرقوها حتى يشتد لهبها ١٥ جدا فيصير ججيا ﴿ فالقوه فى ﴾ ذلك ﴿ الجحيم ﴾ أى معظم النار ، . هى [على - ٢] أشد ما يكون إيقادا .

ولما كان هذا مسييا عن إرادتهم لإهاتته قال : ﴿ فارادوا به ﴾ أى إبراهيم عليه السلام بسبب هذا الذى عملوه ﴿ كيدا ﴾ أى تديرا (١) من ظ و م ، وفى الأصل « و » (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : أنه . (٣) زيد من ظ و م .

يطل أمره ليعلوا أمرهم ولا يطل بما أظهر من عجزهم دينهم ﴿ فجعلتهم ﴾
 أى بعظمتنا بسبب علمهم ﴿ الاسفلين ٥ ﴾ المقهورين بما أبطلنا من نارهم
 وجعلناها عليه بردا وسلاما بضد عاداتها فى العمل ، ففقد عملنا^١ وهو
 خارق للعادة وبطل عملهم^٢ الذى هو [على -^٣] مقتضى العادة ، فظهر
 عجزهم فى فعلهم كما ظهر عجزهم فى قولهم ، بما أظهرناه من الحجة على^٥
 لسان خليلنا عليه السلام ، وظهرت قدرتنا [واختيارنا -^٤] ، وإنما
 فسرت الكيد بما ذكرت لأنه المكر والخبث والاحتيال والتخديعة
 والتدبير بحق أو باطل والحرب والخوف ، فكل هذه المعاني - كما ترى -
 تدور على التدبير وإعمال الفكر وإدارة الراى .

و لما كان التقدير : فأجمع النروح^٥ عن بلادهم لأنهم عدلوا عن الحجة ١٠
 إلى العناد^٦ ، عطف عليه قوله : ﴿ وقال ﴾ أى إبراهيم عليه السلام
 لمن يتوسم فيه أن كلامه يحويه من موت الجهل مؤكدا لأن فراق
 الإنسان لوطنه لا يكاد يصدق به^٧ : ﴿ انى داهب ﴾ أى مهاجر من غير
 تردد ، [قالوا -^٨] : وهو أول من هاجر من الخلق ﴿ الى ربى ﴾ أى
 [إلى -^٩] الموضع الذى أمرنى المحسن إلى بالهجرة إليه ، فلا يحجر^{١٥}
 على^٩ أحد فى عبادته فيه .

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : بصد (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : علمنا .
 (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : علمهم (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ،
 وفى الأصل : البروح (٦) فى ظ : عناد (٧) فى ظ : فيه (٨) زيد من ظ و م .
 (٩-٩) من ظ و م ، وفى الأصل : يحجزنى .

نظم الدرر (سورة الصلوة ٢٧: ٩٩ - ١٠١) ج - ١٦

ولما كان حال سامعه جدرا بأن^١ يقول^٢: من لك بالمرقة بما
يحصل قصدك هذا من التعريف بالموضع وبما تفعل فيه عما يكون به
الصلاح، وما تفعل في التوصل إليه؟ قال: (سيهدينه) أى إلى جميع
ذلك بوعد لاخلف فيه إلى كل ما فيه تربة [لى - ٢] فى أمر الهجرة
لأنه أمرنى بها، وهو لا يأمر بشيء إلا نصب عليه دليلا يهذى إليه،
ويسهل لقاصده المجتهد فى أمره سبيله، وقد اختلفت العبارات^٣ عن سير
الاصفياء إلى الحضرات القدسية، فهذه العبارة^٤ عن أمر الخليل عليه
السلام، وعبر عن أمر الكليم عليه السلام بقوله "ولما جاء موسى لميقاتنا"
وعن أمر الحبيب عليه السلام بقوله "سبحن الذى اسرى بعبده"
١٠ قال الأستاذ أبو القاسم القشيري وفصل بين هذه المقامات: إبراهيم عليه
السلام كان بعين الفرق - يعنى أنه بعد ما كان فيه من الجمع حين كسر
الاصنام من الفناء عما سوى الله رجع إلى حال الفرق لأنه لا بد من
ذلك - وموسى / عليه السلام بعين الجمع لأنه أخبر عن فعله من غير
أن ينسب إليه قولاً، ثم أخبر أنه قال "رب ارنى" فلم ير غيره سبحانه
١٥ فطلب أن يريه وهذا هو الفناء، ونبينا صلى الله عليه وسلم [بعين - ٢]
جمع الجمع - لأنه لم ينسب إليه قول ولا فعل، بل هو المراد إلى أن قال
"لنريه من أيننا" فهذا هو الفناء حتى عن الفناء، ثم قال: "انه هو"
(١) من ظ وم، وفى الأصل: بمن (٢) زيد فى الأصل وظ: لك، ولم تكن
الزيادة فى م لحذفها (٣) زيد من ظ وم (٤) فى ظ: العبارة (هـ) من م،
وفى الأصل وظ: العبارات (٦) من ظ وم، وفى الأصل: الخليل .
السمع (٦٥) ٢٦٠

السميع البصير، فأثبت له مع ذلك الكمال .

ولما لم يجد له معينا على الهجرة غير لوط ابن أخيه عليهما السلام،
قال مناديا مناداة^١ الخواص باسقاط الآداة: (رب) أى أيها المحسن
إلى (هب لي من) أى ولدا من (الصلحين) وأسقط^٢ الموصوف
لأن لفظ المهبة غلب في الولد، فتسبب عن دعوته أنا استجبتها له .
(فبشرته بغلم) أى بذكر في غاية القوة التي^٣ يفشأ عنها الغلة .
ولما كان هذا الوصف ربما أفهم الطيش، وصفه بما أتقى صفاءه ونفى
كدره فقال: (حليم) أى لا يعجل بالعقوبة مع القدرة، لأنه في غاية
الرزاة والثبات، فيكون ذلك إشارة إلى حصول [بلاء -] ما يقين^٤
به أنه سر^٥ أيه أن إبراهيم الحليم، والحلم لا يكون إلا بعد العلم، ورسوخ^٦
العلم سبب لوجود الحلم، وهو اتساع الصدر لمساوئ الخلق ومداني^٧
أخلاقهم، وهذا الولد هو إسماعيل عليه السلام بلا شك لوجوه^٨: منها
وصفه بالحليم، ووصف إسماعيل عليه السلام في سورة الحجر بالعليم، ومنها
أن هذا الدعاء عند الهجرة حيث كان شابا يرجو الولد، وهو بكره
الذي ولد له بهذه البشرى، وهو^٩ الذي كان بمكة موضع الذبح، فجعلت^{١٠}

(١) تكرر في الأصل فقط (٢) من م، وفي الأصل و ظ: باداة (٣) زيد في
الأصل و ظ: لفظ، ولم تكن الزيادة في م لحذفها (٤) من ظ و م، وفي
الأصل: الذي (٥) زيد من م (٦) من ظ، وفي الأصل و م: يبين (٧) من م،
وفي الأصل و ظ: أسر (٨) من م، وفي الأصل و ظ: معاني (٩) في الأصول:
وجوده (١٠) من ظ و م، وفي الأصل: هذا .

أفعاله في ذبحه مناسك للحج في منى كما جعلت أفعال أمه في مكة المشرفة
 أول أمره عند ما أشرف على الموت من العطش مناسك ومعالم هناك،
 و أما إسحاق عليه السلام فأتته البشرية فجاءة وهو لا يرجو الولد لكبره
 و يأس إمرأته، و لذلك [راجع - ١] في أمره ولم ينقل أنه فارق
 ه أمه من بيت المقدس، و لو كان هو الذبيح لذكره النبي صلى الله عليه
 وسلم بوصفه حين سئل عن الأكرم^٢ فقال: يوسف نبي الله ابن نبي الله
 ابن نبي الله بن خليل الله، و الرواية التي وردت بالإشارة إلى أنه الذبيح
 ضعيفة، بل صرح^٣ شيخنا ابن حجر في تخریج أحاديث الكشف بأن
 في سندها رضاءاً^٤، و لأن هذه السورة سورة التنزيه، فأحق الناس
 ١٠ بالذكر فيها - كما سلف - أعرق الناس في قدم التجريد، و هو أولى
 الناس بذلك من حين كان حملاً إلى أن عولج ذبحه، و لم يذكر ظاهراً،
 فلو لم يكن المراد بهذا الكلام لكان ترك في هذه السورة - التي حالها
 هذا - من هو أرسخ الناس في الوصف المقصود بها، و ذلك خارج عن
 نهج البلاغة التي هي مطابقة المقال لمقتضى الحال، بل هذا الحال لا يقتضى
 ١٥ ذكر إسحاق عليه السلام، لأنه لم يعلم له تجرد متفق عليه، و ما كان
 ذكره إلا لبيان جزاء إبراهيم عليه السلام لما اقتضاه مقامه في الإحسان
 في باب التجريد و الفناء - والله الموفق .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لو (٣) من م، وفي
 الأصل و ظ: الأكرام (٤) من ظ و م، وفي الأصل: جرح (٥) من م،
 وفي الأصل و ظ: وضعاً (٦) من م، وفي الأصل و ظ: لا .

و لما كانت^١ البشرى من الله لا تتخلف ، كان التقدير : فولد له غلام كما قلنا ﴿ فلما بلغ ﴾ أن^٢ يسمى كائنا ﴿ معه ﴾ أى مع أبيه خاصة [و-^٣] مصاحبا له ﴿ السعى ﴾ الذى يرضى به الآب ويوطن نفسه عنده على الولد و يثق به ، و لا يتعلق مع مبلغ لاقتضائه بلوغهما^٤ معا حد السعى ، و لا معنى لذلك فى حق إبراهيم عليه السلام و لا بالسعى^٥ ، لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه ، ولو أخر عنه لم يفد الاختصاص المفهوم^٦ لصغر سنه المفيد للاعلام بأنه / يبلغ فى ذلك معه ما لا يبلغه مع غيره لعظيم شفقة الآب ، و استحكام ميل الابن [الموجب -^٢] لطاعته ، و اختلف العلماء فى تقدير [ذلك -^٣] بالسن^٦ فقال بعضهم : ثلاث عشر سنة ، و بعضهم : سبع سنين ، و لذلك قيده بالآب لأن غيره لا يشفق على^{١٠} الولد فيكلفه ما ليس فى وسعه ، و هو لم يبلغ كمال السعى ﴿ قال ﴾ أى لإبراهيم عليه السلام : ﴿ يندى ﴾ مناديا له بصيغة التعطف^٧ و الشفقة و التجب ، ذاكرا له بالمضارع الحال^٨ الذى رآه^٩ عليه و مصورا له ، لا لتكرار الرؤيا فانه غير محتاج إلى التكرار و لا إلى التروى ، فان الله تعالى أراه ملكوت السماوات و الأرض ، و أكد لما فى طباع البشر من^{١٥} إحالة أن يقال ذلك على حقيقته ، و إعلاما بأنه منام و حى و لا أضغاث أحلام^٩ :

- (١) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : أى .
 (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بلوغا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الفهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : السن (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : العطف (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الدائرة - كذا .
 (٩) سقط من ظ و م .

نظم الدرر (سورة الصف ٣٧: ١٠٢ و ١٠٣) ج - ١٦

(انى ارنى فى المنام) أى وأنت تعلم أن رؤيا الأنبياء وحى
(انى اذبحك) أى أعالج ذبحك فى اليقظة بأمر [من - ١] الله تعالى
ولذلك كان كما قال، ولو عبر بالماضى لمضى وتم^٢، وإنما كان فى
المنام فى هذا الأمر الخطر جدا ليعلم وثوق الأنبياء عليهم السلام بما
ه. يأتهم عن الله فى كل حال .

ولما كان الأنبياء عليهم السلام أشفق الناس وأنصحهم، أحب
أن يرى ما عنده، فإن كان على ما يحب سر وثبت^٣ وإلا سعى فى جعله
على ما يحب فيلقى البلاء وهو أهون عليه، ويكون ذلك أعظم لاجره
لتمام اقياده، وتكون المشاورة سنة، فانه ما ندم من استشار، سبب
١٠. عن ذلك قوله: (فانظر) [بعين بصيرتك - ٤] (ما ذا) أى ما
الذى (ترى^٥) أى فى هذه الرؤيا، فهو اختبار لصبره، لامؤامرة له
(قال) تصديقا لثناء الله عليه بالحلم: (يأبى) تأدبا معه بما دل
على التعظيم والتوقير (افعل ما تؤمر^٦) أى كل شئ وقع لك به
أمر من الله تعالى ويتجدد لك به أمر منه سبحانه لأنى لا أتهمك فى
١٥ شفتك وحسن نظرك، ولا أتهم الله فى قضائه، والقصة دليل على
وقوع الأمر بالمتع لغيره ولاكثر الأوامر منه. وقد تقدم ذلك
فى البقرة عند "انذرتهم ام لم تنذرهم".

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: قم (٣) من ظ و م، وفى
الأصل: اثبت (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م، وفى الأصل: عليه.

ولا (٦٦) ٢٦٤

و لما علم طاعته، تشوف السامع إلى استسلامه و صبره، فاستأنف قوله: ﴿ستجدني﴾ أى بوعد جازم لا تردد فيه صادق كما أخبر الله تعالى عنه، لاخلف فيه، وكان صادق الوعد . و لما كان من أخلاق الكمل عدم القطع فى المستقبلات لما يعلمون من قدرة الله تعالى على نقض العزائم بالحيلولة بين المرء و قلبه قال: ﴿ان شاء الله﴾ أى الذى اختصه بالإحاطة بصفات الكمال؛ و أكد وعده بهذا الأمر الذى لا يكاد يصدق مثله بقوله: ﴿من الصبرين﴾ أى العريقين فى الصبر البالغين فيه حد النهاية، وهو من أعظم ما أريد بقوله ” وكان صادق الوعد “

و لو يد الحبيب سقيت سما لكان الدم من يده يطيب و جعل هذا الأمر العظيم فى المنام دلالة على صدق أحوال الأنبياء نوما ١٠ و يقظة، و صدق عزائمهم و انقيادهم لجميع الأوامر فى جميع الأحوال، و روى أن الشيطان وسوس له فى ذبحه فعرفه فرماه سبع حصيات فصار ذلك شريعة فى الجمار، و من ألطف ما فى ذلك أنهم [لما - ١] كانوا فى نهاية التجرد عن [علائق - ٢] الشواغل جعلت أفعالهم شعائر و شرائع لعبادة الحج التى روحها التجرد للوفود إلى الله تعالى ١٥

و لما وثق منه، بادر إلى ما أمر به، و دل على قرب زمنه من زمن هذا القول بالقاء فقال: ﴿فلما أسلما﴾ أى القيا بالفعل على غاية الإخلاص حين المباشرة بجميع قواهما فى يد الأمر، و لم يكن عند أحد منهما شئ من / إياه و لا امتناع و لا حديث نفس فى شئ من ذلك

(١-١) من نظم و م، و فى الأصل: فصارت تلك (١٢) ريد من م .

نظم الدرر (سورة الصفت ٣٧ : ١٠٣ - ١٠٧) ج - ١٦

﴿ و تله ﴾ أى صرعه لإبراهيم عليهما السلام صرعا جيدا سريعا مع غاية الرضا منه والمطاوعة من إسماعيل عليه السلام ، ودل على السرعة باللام الواقعة موقع . على ، فقال : ﴿ للجين ﴾ أى أحد شق الجبهة ، وهى هيئة إضجاع^١ ما يذبح ، وهذا من قولهم : تله - إذا صرعه ، وبه سمي التل من التراب ، و تلك فلانا فى يدك أى دفعته سلما ، والجين - قال فى الصحاح : فوق الصدغ ، وهما جينان عن يمين الجبهة وشمالها .

ولما كان من الواضح أن التقدير جوابا لما^٢ عالج ذبحه بعزم أمضى من السنان ، وجنان فى ثباته أيما جنان ، فنحناه من التأثير بقدرتنا ، ورددنا شفرته الماضية عن عنقه اللينة بأيدينا وقوتنا ، عطف عليه قوله : ١٠ ﴿ و نادينه ﴾ ونغم هذا النداء بحرف التفسير فقال : ﴿ ان يابراهيم ﴾ ولما كان محل توقع الشاء [عليه - ٢] قال : ﴿ قد صدقت ﴾ أى تصديقا عظيما ﴿ الرىا ﴾ فى أنك تذبحه ، فأنك قد عاجت ذلك ، وبدلت الوسع فيه ، وفعلت ما رأيته فى المنام ، فما اندبح^٣ لأنك لم تر أنك ذبحته ، فأكف عن معالجة الذبح بأزيد من هذا . ولما كان التقدير : فجزيناك ١٥ على ذلك لإحسانك فوق ما تحب ، وجعلناك إماما للقتين ، وهبناك لسان صدق فى الآخرين ، وجعلناك هم المصطفين ، وملأنا منهم الخافقين ، علله بأن ذلك سنته^٤ دائما قديما وحديثا فقال ما بآتى .

(١) من م ، وفى الأصل وظ : اضطجاع (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لمن (٣) زيد من ظ (٤) من م ، وفى الأصل وظ ادبح (٥) من ظ ، وفى الأصل و م : سنة .

ولما

ولما كان صلى الله عليه وسلم في همه الذبح وعزمه ، فكانت تلك المهمة التي تقصر عنها رتبة السها والسمك ، والعزمة التي تتضاءل دون علي مكاتها وسنى عظمتها عوالى الأفلاك ، لا تسكن عن ثورانها ، ولا تبرد من غليانها وفورانها ، إلا بأمر شديد ، وقول جازم أكيد ، قال مؤكدا تنبها على أن همته قد وصلت إلى ما هذا حده ، وأن امثال الأمره أيسر من الكف بعد المباشرة بالنهى : ﴿ انا كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزء العظيم ﴿ نجزي المحسنين ﴾ .

ولما كان جزاءه عظيما جدا ، دل على عظمه بأن علل إكراهه به بقوله معجبا ومعظما مؤكدا " تنبها على أنه خارق للعادة : ﴿ ان هذا ﴾ أى الأمر والطاعة فيه ﴿ لهو البتة ﴾ أى الاختبار الذى يحيل ما خولط ١٠ به كائنا ما كان ﴿ المبين ﴾ أى الظاهر فى بابه جدا المظهر لرائيه أنه بلاه .

ولما قدم ما هو الأهم من نهيه عن علاجه ، ومن البشارة بالجزاء ، ذكر فداه بما جعله سنة باقية يذكر بها الذكر الجليل على مر الأيام وتعاقب السنين ، ولما كان المفتدى منه من كان الأسير فى يده ، وكان ١٥ إسماعيل فى يد إبراهيم عليهما السلام ، وهو يعالج إتلافه ، جعل تعالى نفسه المقدس قاديا لأن القادى من أعطى الفداء ، وهو ما يدفع لفكك

(١) فى م : شد (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : تأكيد (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : المظهر (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : عمر (٥) سقط من ظ .

نظم الدرر (سورة الصفت ٣٧: ١٠٧ - ١١٢) ج - ١٦

الاسير، وجعل إبراهيم عليه السلام مفتدى منه تشريفا [له - '] وإن كان في الحقيقة كآلة التي لا فعل لها، والله تعالى هو المفتدى منه حقيقة فقال: ﴿ وفديته ﴾ أى الذبيح عن إنقاذ ذبحه وإتمامه تشريفا له ﴿ بذبح ﴾ أى بما ينبغي أن يذبح ويكون موضعا للذبح، وهو كبش من الجنة، قيل: إنه الذى قربه هايل فقبله الله منه ﴿ عظيمه ﴾ أى فى الجنة والقدر والرتبة^١ لأنه مقبول ومستن به ويجعل دينا إلى آخر الدهر.

ولما كان سبحانه إذا من بشيء [علم أنه - '] عظيم، فاذا ذكر العقل وترك المفعول أراد نخامته وعظمته^٢، قال: ﴿ وتركنا عليه ﴾ ١٠. أى على الذبيح شيئا هو فى الحسن بحيث يطول وصفه. ولما كان بحيث لا ينسى قال: ﴿ فى الآخرين طي ﴾ ومن هذا الترك ما تقدم من وصفه بصدق الوعد، لأنه وعد بالصبر / على الذبح فصدق.

ولما عظم الغلام، استأنف تعظيم والده بما يدل مع ' تشريفه^٣ على سلامته بقوله: ﴿ سلم على إبراهيمه ﴾ أى سلامة له ولولده وتسليم ١٥ ونحية وتكريم فى الدارين ولما كان هذا خطابا لمن بعده عليه السلام وهم كلهم محبون مجلون معظمون مبدلون لم يكن هناك حال يحوج إلى تأكيد فقال: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم ﴿ نجزى المحسنين ﴾

(١) زيد من م (٢) من م، وفى الأصل و ظ : الترية (٣) فى م: عظمه (٤) من ظ و م، وفى الأصل : على (٥) زبدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م فحذفناها.

من غير أن يذكر " أن " المؤكدة . ولما كانت أهل الملل كلها متفقة على حبه ، وكان كلهم يدعى اتباعه ورتبة قربيه ، قال معللا لجزائه بهذا المدح في سياق التأكيد استعطافا لهم إلى اتباعه في الإيمان وتكديرا لمن ينكر أن يكون الإيمان موجبا للاحسان : ﴿ انه من عبادنا ﴾ أى الذين يستحقون الإضافة في العبودية والعبادة إلينا ﴿ المؤمنين ٥ ﴾ فلا ٥ يطمع أحد عرى عن الإيمان فى رتبة أتباعه : قال الرازى : الإيمان المطلق الحقيقى شهود جلال الله و وحدانيته و الطمأنينة إليه فى كل محبوب ومكروه ، وترك المشيئة لمشيئته والافتقار لأمره فى جميع أحواله . ولما أنتم قصته فى أمر الذبيح ، و شرع فى ذكر ما جازاه به على ذلك ، جعل منه أمر إسحاق عليه السلام فقال : ﴿ و بشرته ﴾ [أى جزاء - ١٠] على صبره فى المبادرة إلى امثال الأمر فى إعدام إسماعيل عليه السلام ﴿ باسحق ﴾ مولودا ٢ زيادة له بعد ما سلمنا إسماعيل عليه السلام حال كونه ﴿ نبيا ﴾ أى فى قضائنا أو بوجوده مقدرة نبوته ٥ ولما كان هذا اللفظ قد يطلق على المتنبئ ، أزال إشكال هذا الاحتمال وإن كان واهيا بقوله : ﴿ من الصالحين ٥ ﴾ أى العريقين فى رتبة الصلاح ليصلح لأكثر ١٥ الأوصاف الصالحة . ولما أنتم على إبراهيم عليه السلام بما عالج بما [لم - ١] يحصل لغيره مثله ، وكان من أعظم جزاء الإنسان البركة فى ذريته قال : ﴿ و بركنا عليه ﴾ أى على الغلام الحليم وهو الذبيح المحدث عنه الذى جر هذا الكلام كله الحديث عنه ، وكان آخر ضمير محقق عاد عليه

(١) ف : ظ : تم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مولود .

الهاء في " وفديته " ثم في " وتركنا عليه في الآخرين " وهذا عندي
أولى من إعادة الضمير على إبراهيم عليه السلام لأنه استوفى مدحه ،
ثم رأيت حمزة الكرمانى صنع هكذا وقال : حتى كان محمد صلى الله
عليه وسلم والعرب من صلبه . ﴿ وعلى اسحق ﴾ أى أخيه ، قال
هـ حمزة الكرمانى : [حتى - ٢] كان إسرائيل الله والأسباط من صلبه ،
وقال غيره : خرج من صلبه ألف نبى أولهم يعقوب و آخرهم عيسى
عليه السلام . ﴿ ومن ذريتهما ﴾ أى الأخوين^٢ ولا شك أن هذا أقرب
وأقعد من أن يكون الضمير للآب والابن ، لأن قران الأخوين فى
الإخبار عن ذريتهما أولى من قران الابن مع أبيه فى ذلك ، فيكون
١٠ الابن حيثخذ من جملة المخبر عنه بذرية الآب ﴿ محسن وظالم لنفسه ﴾
حيث وضعها بما سبب عن المعاصى فى غير موضعها الذى يحبه ، وهذا
مما يهدم أمر الطبائع حيث كان البر يوجد من الفاجر والفاجر يوجد
من البر .

ولما كان الإنسان ، وإن اجتهد فى الإحسان ، لا بد أن يحتاج
١٥ إلى الغفران ، لما له من النقصان ، لأن رتبة الإلهية لاتصل إلى القيام^٥
بحقها العوائق البشرية . بين أن الظلم المراد هنا إنما هو التجاوز فى^٦
الحدود بغاية الشهوة فقال : ﴿ مبين ع ﴾ وأما غير ذلك فمغفور كما قرر
فى نحو " لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت " هـ ومن هم بسيئة ولم

(١) سقط من م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الآخرين .
(٤) من م ، وفى الأصل وظ : مواضعها (هـ) من ظ و م ، وفى الأصل :
المقام (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عن .

يعملها كتبت له حسنة، " [و-١] ان تجتنبوا كثر ما تنهون عنه
نكفر عنكم سيئكم".

قصة ذبح إيزاهيم لولده عليهما السلام من التوراة
و بيان أنهم بدلوها، قال مترجمهم^٢: ففرس إبراهيم بيتر^٣ سبع / أغرسا،
و بنى هنالك باسم الرب إله العالمين، و سكن إبراهيم أرض فلسطين - ٥
يعنى عند تلك البئر - أياما كثيرة .^٤ ولما كان من بعد هذه الخطوب
امتنحن الله إبراهيم، و قال له : يا إبراهيم ! فقال : لييك، فقال [له - ٥]:
انطلق بابنك الوحيد إسحاق الذى تحبه إلى أرض الامورانيين^٥ - و فى
نسخة : إلى بلد العبادة - و أصعده إلى^٦ قربانا على أحد تلك الجبال
الذى^٧ أقول لك، فأدليج إبراهيم باكرا فأمرج حماره و انطلق بغلاميه ١٠
و إسحاق ابنه، و شق^٨ حطبا للقربان^٩ و نهض^{١٠} و انطلق إلى الموضع^{١١} الذى
قال الله له، و فى اليوم الثالث رفع إبراهيم بصره و نظر إلى ذلك الموضع
من بعيد فقال^{١٢} لغلاميه : امكثا ههنا عند الحمار، و أنا و الغلام نطلق إلى
ههنا نصلى و نرجع إليكما، فأخذ إبراهيم حطب القربان، و حملة إسحاق
ابنه، و أخذ معه نارا و سكيناً، و انطلقا كلاهما جميعا، و قال إسحاق ١٥
لآبيه إبراهيم^{١٣} : يا آبة^{١٤}، فقال له : لييك، فقال له : هذه النار و الحطب،

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع التوراة - أواخر الأصحاح الحادى والعشرين
من التكوين (٣) و من هنا ابتدئ الأصحاح الثانى والعشرون (٤) زيد من م .
(٥) فى التوراة : المريا (٦) فى م : لى (٧) فى م : التى (٨) فى التوراة : شقق .
(٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) فى ظ : المواقع (١١) من م و التوراة،
و فى الأصل و ظ : و قال (١٢-١٢) فى م : لابراهيم آبيه (١٣) من م، و فى
الأصل و ظ : انة - كذا .

٥. أين حمل^١ القربان، فقال إبراهيم: الله^٢ يعد لنا^٣ حملا للقربان يا بني، فانطلقا
 جميعا حتى انتهيا إلى الموضع الذي قال الله، فبنى^٤ هنالك إبراهيم^٥ مذبحا
 ونضد عليه الحطب وكتف^٦ إسحاق فوضعه في أعلى المذبح على الحطب،
 ومد يده إبراهيم فأخذ السكين^٧ ليزبح ابنه، فدعاه ملاك الرب من السماء
 وقال: يا إبراهيم^٨ يا إبراهيم^٩، فقال: ليك^{١٠} فقال: لا تبسط يدك على
 الغلام ولا تصنع به شيئا لأنك قد أظهرت الآن أنك تتق الله إذ لم تمنعني
 ابنك الوحيد^{١١}، فد إبراهيم بصره فاذا كبش معلق في شجرة بقرنيه،
 فانطلق إبراهيم فأخذ الكبش فأصعده قربانا بدل ابنه إسحاق، فسمى إبراهيم
 ذلك الموضع^{١٢} الله يتجلى، كما يقال: الله في هذا الجبل. الله يتجلى، فدعا
 ١٠. ملاك الرب إبراهيم ثانية^{١٣} من السماء وقال: [بي - ١٠] أقسمت، يقول
 الرب: بدل ما صنعت هذا الصنيع ولم تمنعني ابنك الوحيد^{١٤} لأباركك
 بركة تامة ولا كثرن نسلك مثل كواكب السماء، ومثل الرمل الذي على
 شاطئ البحر، ويرث زرعك^{١٥} أراضي أعدائي - وفي نسخة: أعداءه -
 ويتبارك بنسلك جميع الشعوب لأنك أطعني، فرجع إبراهيم إلى غلاميه
 ١٥. وانصرفوا جميعا إلى بئر السبع وأقام^{١٦} ثم - وفي نسخة: وسكن إبراهيم
 (١) من ظ وم، وفي الأصل: عمل (٢-٢) من ظ وم، وفي الأصل: معدنا.
 (٣-٣) من ظ وم، وفي الأصل: إبراهيم لك هناك (٤) من م، وفي الأصل
 وظ: كنف (٥) من م، وفي الأصل وظ: سكيئا (٦-٦) سقط ما بين الرقين
 من ظ (٧) من م، وفي الأصل وظ: التوحيد (٨) وفي التوراة: الرب.
 (٩) من التوراة، وفي الأصول: يأتيه (١٠) زيد من ظ وم (١١) في
 التوراة: نسلك.

بئر السبع - انتهى ما عندهم بلفظه فافطر إليه واجمع بينه وبين ما تقدم
 في البقرة من قصة إسماعيل وإسحاق عليهما السلام تجدهم^١ قد بدلوها بلا شك،
 لأن الكلام يتقضى بعضه بعضا، وذلك أنه قال في هذه القصة «انطلق
 بابتك الوحيد» وكرر وصفه بالوحيد في غير موضع، وهذا الوصف إنما
 يكون حقيقة لإسماعيل عليه السلام وهو دون البلوغ، وإما لإسحاق عليه
 السلام فلم يكن وحيدا ساعة من الدهر، [بل -^٢] ولد وإسماعيل عليه
 السلام ابن ثلاث عشرة سنة ونيف بشهادة ما عندهم من التوراة،
 وقوله في آخر القصة «و يقبارك بنسلك جميع الشعوب» لا يكون في
 غاية الملائمة [إلا -^٣] لإسماعيل عليه السلام، وإما إسحاق عليه السلام
 فانما يورك بنسله الأراضي المقدسة فقط، ولم يتبعهم من غيرهم إلا قليل^٤،
 بل كانوا هم في كل قليل يتبعون غيرهم على عبادة أوثانهم^٥ بشهادة توراتهم^٦
 وأسفار أنبيائهم يوشع^٧ بن نون^٨ ومن بعده عليهم السلام، وأما نسل
 إسماعيل عليه السلام فتبعهم على الدين الحق من جميع الأمم ما لا يحصى
 عدده^٩ ولم يتبعوا هم^{١٠} بعد محمد صلى الله عليه وسلم أحدا من الأمم على
 عبادة غير الله - هذا وفي المتقدم في سورة البقرة أن هبة سارة أمها^{١٥}
 هاجر^{١٦} رضى الله عنها لإبراهيم عليه السلام كان بعد أن سكن كنعان

(١) في ظ : وتجدهم (٢) زيد من ظ وم (٣) في ظ : القليل (٤ - ٤) من ظ
 وم، وفي الأصل : لورايتهم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من م (٦ - ٦) من ظ
 وم، وفي الأصل : لا وسعهم (٧) من ظ، وفي الأصل وم : هاجرة .

بشر^١ سنين، وأن إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم / عليه السلام
 وهو ابن ست وثمانين سنة، وأن الله تعالى أمره بالختان وهو ابن
 تسع و تسعين سنة، وأنه في ذلك الوقت بشر بإسحاق عليه السلام، فخن
 إسماعيل عليه السلام [وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ثم ولد له إسحاق
 عليه السلام -^٢] وقد أتى عليه مائة سنة، ثم قال ما نصه^٣ : وصنع
 إبراهيم يوم فطم إسحاق ابنه مائدة عظيمة فأبصرت^٤ سارة ابن هاجر
 المصرية المولود لإبراهيم عليه السلام^٥ لاعبا، فقالت لإبراهيم عليه السلام :
 أخرج هذه الأمة عني، لأن ابن الأمة لا يرث مع إسحاق ابني^٦، فشق
 هذا الأمر على إبراهيم لمكان ابنه، فقال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام :
 لا يشق عليك حال الصبي وأمتك، أطع سارة في جميع ما تقول لأن
 نسلك إنما يذكر بإسحاق، وابن الأمة أجعله لشعب كثير لأنه من ذريتك،
 ففدا إبراهيم عليه السلام باكرا وأخذ خبزا وأداة من ماء، فأعطاهما
 هاجر وحملها الصبي والطعام - إلى آخر ما في البقرة فقوله : إن هاجر
 طردت بعد فطام إسحاق وابنها تحمل، لا يصح، وقد تقدم أن عمره
 ١٥ يوم فطام إسحاق خمس عشرة سنة، وتقدم أيضا أن سارة أمرته بطردها
 وهي حلي، وأنه سلها لها فطردها، وأن الملك لقيها^٧ فبشرها بإسماعيل

(١) في ظ و م : عشر (٢) زيد من م (٣) راجع آية ٨ من الأصحاح الحادي
 والعشرين من التكوين (٤) من ظ و م، وفي الأصل : فلما بصرت (٥) زيد
 في الأصل : وهو، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٦) من ظ و م،
 وفي الأصل : شيء (٧) من ظ و م، وفي الأصل : آتاه .

ولم يذكر في نسختي - وهي قديمة جدا - شيئا يدل على رجوعها، و أما
في نسخة عندهم فقال: إن الملك قال لها: ارجعي إلى سيدتك واستكدي
تحت يدها - ولم يذكر أنها رجعت، وقد صح الخبر عندنا بقول نبينا صلى
الله عليه وسلم أن إبراهيم عليه السلام وضع هاجر وابنها إسماعيل عليه
السلام عند البيت الحرام وهو يرضع، واستمرا هناك إلى أن ماتت ه
هاجر رضي الله عنها، وتزوج إسماعيل عليه السلام وبنى البيت مع أبيه
عليهما السلام، وقوله ولأن نسلك إنما يذكر بإسحاق عليه السلام،
غير مطابق للواقع، فإن شهرة العرب بإبراهيم عليه السلام [إن -^٢]
لم تكن أكثر من شهرة بنى إسحاق بذلك فهي مثلها، وخبر الله لا يتخلف،
هـل هذا كله أنهم بدلوا القصة وحرفوها، فلا متمسك فيها لهم، ١٠
و دلالتها على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام أولى^٣ من دلالتها على غير
ذلك لوصفه بالوحيد - والله أعلم كيف كانت القصة قبل التبديل؟ وما
يدل على ما فهمت من تبديلهم لها ما قال البغوي^٢: قال القرطبي^١ يعني
محمد بن كعب - : سأل عمر بن عبد العزيز رجلا [كان -^٤] من
علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه: أي ابنى إبراهيم عليه السلام أمر ١٥
بذبحه؟ فقال: إسماعيل يا أمير المؤمنين! إن اليهود لتعلم ذلك ولكنهم
يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبائكم الذي كان من أمر الله

(١) في ظ: غير مطابقة، وفي م: غير مطابق (٢) زيد من م (م) ومن هنا
نستألف نسخة مد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٢٢/٦ (٥) من
م ومد والمعلم، وفي الأصل و ظ: القرطبي (٦) زيد من المعلم.

بذبحه ما كان، و يزعمون أنه أيهم^١، و من الدليل على أنه إسماعيل عليه السلام أن الله تعالى لما بشر بإسحاق بشر بأنه يولد له يعقوب، فلا يليق الامتحان به بعد عليه بأنه لا يموت حتى يولد له، و من الدليل على ذلك أن قرني الكعبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل عليه السلام

ه إلى أن احترق البيت و احترق القرنان^٢ في زمان ابن الزبير و الحجاج، قال^٣ الشعبي: رأيت قرني الكعبش منوطين بالكعبة، و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: و الذى نفسى يده! لقد كان أول الإسلام و إن رأس الكعبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة^٤، و قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح: إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي! ١٠ / ٤١٢ / أين ذهب عقلك؟ متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة و هو الذى بنى البيت مع أبيه - انتهى [ما - ٦] قال البغوى . و فى كتاب الحج من سنن أبى داود^٥ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لعثمان - و هو الحبيب رضى الله عنه - : إني نسيت أن أمرك أن تحضر القرنين فإنه لا ينبغي أن يكون فى البيت شيء يشغل المصلى . و رواه عبد الرزاق ١٥ فى جامعه^٦ و لفظه أن عثمان بن شبة رضى الله عنه قال: إن النبى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : أيهم بوجه (٢) من م و مد و معال التزليل ٢٢/٦، و فى الأصل و ظ : القران (٣) تكررت فى الأصل فقط (٤) زيد فى المعال: و قد وحش يعنى يبس (٥) من م و مد و المعال، و فى الأصل و ظ : سال . (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) راجع باب فى الحجر ٢٠١/١ (٨) أى مصنفه - راجع ٨٨/٥ (٩) العبارة من هنا إلى «هكذا قال: عثمان بن شبة» ساقطة من ظ .

صلى (٦٩) ٢٧٦

صلى الله عليه وسلم قال له : إني رأيت قرني الكباش فقسيت أن آمرك أن تخمرهما^١ فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل مصليا - هكذا قال : عثمان بن شيبة^٢ ، و لعله ابن طلحة ، فيكون المتقدم ويكون تسمية أبيه شيبة و هما ، أو يكون شيبة بن عثمان و هو^٣ ابن عم^٤ الذي عند أبي داود فانقلب - و الله أعلم . و روى عبد الرزاق^٥ أيضا عن ابن جريج^٥ قال : أخبرنا عبد الله بن شيبة بن عثمان ، و سأله هل كان في البيت قرنا كبش ؟ قال : نعم ، كانا فيه ، قلت : رأيتهما ؟ قال : حسبت ، ولكن أخبرني عبد الله بن بابه أن قد رأهما ، قال : و غيره قد رأهما فيه ، قال : و يقولون : إنهما قرنا الكبش الذي ذبح إبراهيم عليه السلام ، قال ابن جريج : و قالت صفية ابنة شيبة : كان فيه قرنا الكبش ، قال ابن جريج : ١٠ و حدثت أن^٦ ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانا فيه . قال : و حدثت عن عجز قالت : رأيتهما فيه . و بما يؤيد القول بأنه إسماعيل عليه السلام [وصف الله تعالى له بأنه صادق الوعد ، و لا صدق في وعد أعظم من صدقه في وعده بالصبر على الذبح ، و من قال من بنى إسرائيل أنه إسماعيل عليه السلام]^٦ [عبد الله بن سلام رضي الله عنه - حكاه [عنه]^٦] ١٥ ابن الجوزي ، و عد القائلين بكل من القولين^٧ من الصحابة و غيرهم فقال :

(١) من م و مد ، و في الأصل و مصنف عبد الرزاق : تخمرها (٢) و ذكر عبد الرزاق عثمان بدون ذكر أبيه (٣-٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يزعم . (٤) راجع من مصنفه ٥ / ٨٧ (٥-٥) في ظ : حديث (٦) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : القائلين .

إن القائلين بأنه إسحاق: عمر و علي و العباس و ابن مسعود و أبو موسى
 و أبو هريرة و أنس رضي الله عنهم، و بأنه إسماعيل: ابن عمر، و أن
 الرواية اختلفت عن ابن عباس رضي الله عنهما، فروى عنه عكرمة أنه
 إسحاق، و عطاء و مجاهد و الشعبي و أبو الجوزاء و يوسف بن مهران أنه
 ٥ إسماعيل، فلم من هذا رجحان القول بأنه إسماعيل، لأن ابن عمر و ابن
 عباس رضي الله عنهما تأخرا بعد من ذكر من أكابر الصحابة رضي الله
 عنهم اجمعين، فلولا أنه رجح عندهما ما خالفا أبيهما، و نقل عكرمة
 عن ابن عباس بموافقة أبيه لا يقدح في ذلك بل يؤيده لأن الأكثر
 كما ترى روي عنه الثاني، فلولا أنه صح عنده ما رجح عن الأول الذي
 ١٠ هو موافق لرأي أبيه، و لأجل ثباته عليه اشتهر عنه - و الله أعلم .

و لما ذكر^٢ هؤلاء السادة الذين لهم من رتبة التجرد و النزاهة ما
 تقدم بيانه، و ختمهم بأخوين ما اجتماعا قط، و كان من أعظم المقاصد
 بذكرهم المنه على من اتصف بمثل صفاتهم بالقرب و النصرة تسليية و ترجية
 للنبي صلى الله عليه و سلم و لمن اتبعه من المؤمنين ممن قارب - من
 ١٥ شدة البلاء و القهر - اليأس من النصر، أتبعهم بأمثالهم في التجرد
 و ابتدأهما بأخوين افتراقا حين ولادة الثاني على^٣ حالة لا يمكن الاجتماع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م مد، و في الأصل: بما (٣) زيد في الأصل:
 به، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م مد، و في الأصل
 و م: ابتدأهم (٥) من ظ و م و م مد، و في الأصل: في .

معها عادة ، ثم اجتماعاً^١ في الباطن مع الافتراق في الظاهر ثم افتراقاً على
حالة يبعد الاجتماع معها عادة ثم اجتماعاً اجتماعاً لم يفتراق منه إلا بالموت
وبدأهما بأول من تجرد منهما من حين ولادته إلى أوان هجرته ،
ثم من حين رجعه إلى أن جرد آله - وهم بعض ذرية إبراهيم
عليه السلام - ، وأنقذهم من علائق الكفرة ، ثم تجرد معهم هو^٥
وأخوه عن المدن والقرى ، وأكثر علائق البشر ، ملازمين البراري
والفلوات حيث يكثر ظهور الكلمة مع إرسال الله إليهما بمعادن الحكمة
إلى أن ماتا / عليهما الصلاة والسلام والتحية والإكرام ، فقال مؤكداً
٤١٣ / تنبيها لمن يعد نصر المؤمنين محالاً ، عاطفاً على ما تقديره : فلقد أنشأنا
منهما من الأمم ما يعجز الوصف ويفوت الحصر ، ومتناً على كثير منهم^{١٠}
بالإحسان من ولد إسماعيل عليه السلام إلى أن غير دينه عمرو بن^٢
لحى ، ومن ولد إسحاق يعقوب والأسباط عليهم السلام ومن شاء
الله من أولادهم : ﴿ ولقد منّا ﴾ [أى - :] أنعمنا إنعاماً مقطوعاً به
بما لنا من العظمة ، على أول من أظهر لسان الصدق لإبراهيم عليه
السلام وذريته إظهاراً تاماً . وبدأهما بأعرقهما - كما تقدم - في^{١٥}
التجرد وأحقهما بالتقدم فقال : ﴿ على موسى ﴾ أحد أعيان المتجربين ،
ومن له القدم الراسخ في ذلك ﴿ وهرون ﴾ أى عين من تجرد مع
أخيه وواقفه آثم موافقة ، ووازره أعظم موازره ، بما أتيا به^٥ من
الصلوات حيث يكثر ظهور الكلمة مع إرسال الله إليهما بمعادن الحكمة
إلى أن ماتا / عليهما الصلاة والسلام والتحية والإكرام ، فقال مؤكداً
٤١٣ / تنبيها لمن يعد نصر المؤمنين محالاً ، عاطفاً على ما تقديره : فلقد أنشأنا
منهما من الأمم ما يعجز الوصف ويفوت الحصر ، ومتناً على كثير منهم^{١٠}
بالإحسان من ولد إسماعيل عليه السلام إلى أن غير دينه عمرو بن^٢
لحى ، ومن ولد إسحاق يعقوب والأسباط عليهم السلام ومن شاء
الله من أولادهم : ﴿ ولقد منّا ﴾ [أى - :] أنعمنا إنعاماً مقطوعاً به
بما لنا من العظمة ، على أول من أظهر لسان الصدق لإبراهيم عليه
السلام وذريته إظهاراً تاماً . وبدأهما بأعرقهما - كما تقدم - في^{١٥}
التجرد وأحقهما بالتقدم فقال : ﴿ على موسى ﴾ أحد أعيان المتجربين ،
ومن له القدم الراسخ في ذلك ﴿ وهرون ﴾ أى عين من تجرد مع
أخيه وواقفه آثم موافقة ، ووازره أعظم موازره ، بما أتيا به^٥ من

(١ - ١) تكرر ما بين الرقين في الأصل وظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقين
من مد (٣) سقط من م (٤) زيد من ظ وم ومد (٥ - ٥) من م ، وفي
الأصل وظ : اتيناه ، وفي مد : اتيا - دون « به » .

النوبة والكتاب وغير ذلك من أنواع الخطاب .

ولما كان جل المقصود - كما مضى - مقام التجرد، والإعلام بنصر المستضعفين من المؤمنين، قال: ﴿ وَنَجِّنْهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴾ أى بنى إسرائيل وقد كانوا مرت لهم دهور فى ذل لا يقاربه ذل المؤمنين من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى أول أمرهم ﴿ من الكرب العظيم ﴾ أى الاستعباد^١، وما يتبعه من عظام الإنكاد، وكان ذلك بهلاك القبط الذين استمروا على الضلال، وهم أضعاف أضعاف بنى إسرائيل، إلى أن أهلكناهم فلم يفلت منهم إنسان، فصح لبنى إسرائيل حينئذ التجرد وزال عنهم ذل التجبر^٢ والتمرد .

١٠ ولما بين^٣ نعمة^٤ النجاة من الأسر^٥، أتبعها نعمة الالتذاذ بالنصر، فقال: ﴿ وَنَصَرْنَهُمْ ﴾ أى موسى وهارون عليهما السلام وقومهما على كل من نازعهما فى ذلك الزمان من فرعون وغيره ﴿ فكانوا هم ﴾ أى خاصة ﴿ الغلبين ﴾ أى على كل من يسومهم سوء العذاب، وهو فرعون وآله وعلى جميع من ناووه أو ناواهم . فاحذروا^٦ يا معشر قريش

(١) من مد، وفى الأصل وظ وم: الاستعباد (٢) سقط من ظ (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: بنى (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: التجرد (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: كان (٦) زيد فى الأصل وظ: التجرد، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الامر (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فاخذوا .

والعرب من مثل ذلك ، و لقد كان ما حذرهم منه 'رسول الله' صلى الله عليه وسلم على أعظم ما يمكن أن يكون إلا أن نبينا صلى الله عليه وسلم لما كان نبي الرحمة لين الله قلوبهم حتى ردم إلى ما اغتبطوا به من متابعتهم ، فصاروا به ملوك الدنيا والآخرة .

و لما كانت فائدة النصرة التمكن من إقامة الدين قال : ﴿ وَاَتَيْنَهُمَا ٥
أَيُّ بَعْظُمَتَا بَعْدَ إِهْلَاكِ عَدُوْمٍ ﴾ (الكتب المستبين ج) أى الجامع البين
الذى هو لشدة بيانه طالب لأن يكون بينا وهو كذلك فانه ليس شيء
من الكتب مثل التوراة فى سهولة مأخذها ، و جمع هارون عليه السلام
معه فى الضمير لانه مثله فى تقبل الكتاب والعمل بجميع ما فيه و الثبات
على ما يدعو إليه و إن كان نزوله خاصا بموسى عليه السلام : ١٠
﴿ وَهَدَيْنَهُمَا الصِّرَاطَ ﴾ أى الطريق الواضح فى الإيصال إلى المقصود
﴿ الْمُسْتَقِيمَ ج ﴾ [أى - ٥] الذى هو لعظيم تقومه كأنه طالب لأن يكون
قويما ، فهو فى غاية المحافظة على القوم فلا يزيغ أصلا ، و لذلك هو
شرائع الدين القيم ٦ .

و لما كان الذكر الجميل عند ذوى الهمم العالية و العزائم الوافية ٨
هو الشرف قال : ﴿ وَرَكْنَا عَلَيْهِمَا ﴾ أى ما تعرفون من انشاء الحسن

(١-١) سقط ما بين الرقنين من م و مد (٢) فى ظ : بذلك (٣) من م و مد ،
وفى الأصل و ظ : من شدة (٤) من م و مد : وفى الأصل و ظ : الكتاب .
(٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : القوة (٧) فى
ظ : القويم (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الرافية (٩) فى الأصل فقط :
عليه - خطأ .

نظم الدرر (سورة الصف ٣٧: ١١٩ - ١٢٣) ج - ١٦

٤١٤ /

(في الآخرين لا) أى كل من يحى بعدهما إلى يوم الدين . ولما ظهر بهذا أن لهما من الشرف والسؤدد أمرا عظيما ، كانت تبيته :
(سلم) / أى عظيم (على موسى) صاحب الشريعة العريق في الاتصاف بمقصود السورة (وهرون) وزيره وأخيه . ولما كان نصر النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه من الضعفاء على قريش وسائر العرب عند قريش في غاية البعد ، وكان التقدير : فعلنا معهما ذلك لإحسانهما ، علله بما يقطع قلوب قريش في مظهر التأكيد فقال : (أنا كذلك) أى مثل هذا الجزاء (نجزي) أى دائما في كل عصر (المحسنين) أى العريقين في هذا الوصف : ثم علل إحسانها وبينه وأكده ترغيا في مضمونه ،
١٠ وتكذبا لمن يقول : إن المؤمنين لا ينصرون ، بقوله : (انها من عبادنا) أى الذين محضوا العبودية والخضوع لنا (المؤمنين) أى الثابتين في وصف الإيمان .

ولما كان إلياس اعظم المتجربين من أتباعها المجددين لما درس من أحكام التوراة ، وكان ترك أحكامها مع ما وصفت به من البيان
١٥ وما دعت إليه من الاستقامة في غاية من الضلال تكاد أن لا يصدق

(١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : لمقاصد (٢) زيد في الأصل و ظ : لان ، ولم تكن الزيادة في م ومد حذفناها (٣) زيد في الأصل : كان ذلك ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد حذفناها (٤) العبارة من هنا إلى «المجددين» ساقطة من ظ (هـ) من م ومد ، وفي الأصل : المتجدين .

مثلها

مثلها، 'أشار إلى الزيف' عنه ياما لأن القلوب بيده سبحانه فقال مؤكدا:
 (وان الياس) أى الذى كان أحد بنى إسرائيل عند جميع المفسرين
 إلا ابن مسعود وعكرمة^٢، وهو من سبط لاوى، ومن أولاد هارون
 عليه السلام، وقال ابن عباس رضى الله عنهما^٣: هو عم اليسع عليهم
 السلام، وأرسلناه إلى من كان منهم فى أرض بعلبك ونواحها، فلما ه
 لم^٤ يرجعوا إليه زعنا عنه الشهوات الإنسانية وخلقناه بالأوصاف الملكية،
 [ولا يبعد أن يكون الداعى إلى تسميته بهذا الاسم ما سبق فى علم الله
 أنه يئأس من يدعوهم إلى الله فيكون من يأتى يوم القيامة وما معه إلا الواحد
 أو الاثنان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان: البخارى
 فى الرقاق^٥ والطب، ومسلم فى الإيمان^٦ عن ابن عباس رضى الله عنهما: ١٠
 عرضت على الأمم فرأيت النبي معه رهيط والنبي معه الرجل والرجلان،
 والنبي ليس معه أحد،^٧ فجعل سبحانه اسمه مناسبا لأمره فى^٨ قومه يئأسه
 منهم حين فر إلى الجبال من شرم، وبأسهم من القدرة على قتله،
 فانهم اجتهدوا فى ذلك حتى أعيامهم، وأدل دليل على هذا المعنى قراءة
 ابن عامر^٩ بخلاف عنه بوصل الحمزة فى الدرج وفتحها فى الابتداء، ١٥
 وإن قال العلماء كما حكاه السمين^{١٠} فى إعرابه: إن ذلك من تلاعب

(١-١) من م ومد، وفى الأصل: اشعار إلى الرفع (٢) فانهما قالا: الياس
 هو لإدريس - كما فى معالم التنزيل بهامش الباب ٢٥/٦ (٣) راجع المعالم بهامش
 الباب ٢٦/٦ (٤) - سقط من ظ (٥) راجع من صحيحه ٩٦٨/٢ (٦) راجع من
 صحيحه ١١٧/١ (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من م (٨) راجع نثر المرجان ٤٥/٦ -
 (٩) هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي
 المتوفى سنة ٧٥٦ .

العرب بالاسماء العجمية، قطعوا همزته تارة ووصلوها أخرى، يعنى
 مخاطبهم سبحانه بما ألفوه من لسانهم - [١] (لمن المرسلين) أى 'إلى من'
 بدل أمر^٢ التوراة ونايذ ما دعت إليه (اذ قال لقومه) منكرا عليهم
 ما [من - ١] حقه الإنكار بقوله: (الاتقون) أى يوجد منكم تقوى
 ٥ وخوف، فان ما أنتم عليه يقتضى شرا طويلا، وعذابا ويلا، وما
 أنتم عليه من السكون والدعة يقتضى أنه لاخوف عندكم أصلا، وذلك
 غاية الجهل والاعترار بمن تعلمون أنه لاخالق لكم ولا رازق غيره .
 ولما كان هذا الإنكار سببا للاصغاء، كرره مفصحا بسببه فقال:
 (اتدعون بعلا) أى إلها وربا، وهو صنم^٣ كان لهم فى مدينة بعلبك
 ١٠ كان من ذهب طوله عشرون ذراعا وله أربعة أرجه، فكان الشيطان
 يدخل فى جوفه و يتكلم بشريعة الضلالة^٤. والسدة يحفظونها. وهم
 أربعائة ويعلمونها الناس . [ويحتمل أن يكون علما على الصنم المذكور
 فيكون المفعول الثانى منويا، وحذف ليفهم الدعاء الذى لا دعاء يشبهه
 وهو الدعاء بالإلهية، ومن قرأ شاذا بعلاء، بوزن دحماء، فهو إشارة
 ١٥ إلى كثرة حث امرأة الملك على عبادة بعل وقتل إلياس عليه السلام،
 وطاعة زوجها لها فى ذلك - كما حكاه البغوى^٥، فاستحق التأنيث لذلك،

(١) زيد ما بين الحاجزين من م ومد (٢-٢) من م ومد، وفى الأصل
 وظ: المؤمن (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٧٣٣/٧ حيث ذكر
 كل ذلك (٥) من ظ وم ومد والبحر، وفى الأصل: الضلال (٦) راجع
 معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٦ وما بعده .

فانت لكثرة ملابتها له ، و الجنسية علة الضم - '] .
 و لما كان دعاؤهم إياه للعبادة^٢ بينه بقوله : (و تذرون) و مادة
 و ذر ، تدور على ما يكره ، فالمعنى : و تترك ترك المهمل الذى من شأنه
 أن يزهد فيه ، و لو قيل : و تدعون - تهافتا على الجناس لم يفد هذا
 و انقلب المراد . و لما كان الداعى لا يدعو إلا بكشف ضرر^٣ أو إلباس^٤
 نفع ، فكان لا يجوز أن يدعو إلا من يقدر على إعدام ما يشاء و إيجاد
 ما يريد ، قال منبها لهم على غلطهم فى الفعل و الترك : (احسن الخالقين لا)
 أى و هو من^٥ لا يحتاج فى الإيجاد و الإعدام إلى أسباب فلا تعبدونه .
 و لما كان الإنسان يعلم يقينا أنه لم يرب نفسه إلا بالإشياء من العدم
 و لا بما بعده ، و كان الإحسان أعظم عاطف للإنسان . قال مينا لمن أراد ١٠
 مذكرا لهم باحسانه إليهم و إلى من يحامون عنهم ، و يوادون من كان
 يوادهم بالتربية بعد الإنشاء من العدم الذى هو أعظم تربية [مفخا للأمر
 و معظما بالإبدال و بجعل البدل اسم الجلالة فى قراءة النصب^٦ ، و زائدا
 فى التعظيم بالقطع بالابتداء فى قراءة الجماعة بالرفع - '] : (الله) فذكر
 بالاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات تنديها على أنه الأول المطلق الذى ١٥
 لم يكن شئ إلا به (ربكم) أى المحسن إليكم وحده . و لما كانوا ربما
 أسندوا إيجادهم إلى من قبلهم غباوة منهم أو غنادا قال :
 (١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى
 ظ و م و مد لحذفها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الضر (٤) سقط
 من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٤٦/٩ .

(و رب اباآئكم الاولين ء) أى الذين هم أول / لكم ، فشمّل ذلك آباءهم
الاقربين ، ومن قبلهم إلى آدم عليه السلام .

ولما كان من أعظم المقاصد - كما مضى - التسليّة و الترجية ،
سبب عن دعائه قوله : (فكذبوه) ولما كانت الترجية مستبعدة ، سبب
عن التكذيب قوله مؤكداً لاجل تكذيبهم : (فانهم لمحضرون ء) أى
مقهورون على إقحامنا إياهم فيما نريد من العذاب الأدنى و الأكبر ،
و ذكرهم بالسوء و اللعن على مر الآباد و إن كرهوا (الاعباد الله)
أى الذين علّوا ما له من مجامع العظمة فعملوا بما علّوا فلم يدعوا غيره
فانهم لم يكذبوا ، ثم وصفهم بما أشار إليه من الوصف بالعبودية
١٠ و الإضاعة إلى الاسم الأعظم فقال: (المخلصين ء) أى لعبادته فلم يشركوا
به [شيئاً - ٢] جلياً و لا خفياً ، فانهم ناجون من العذاب .

ولما جاهد فى الله تعالى و قام بما يجب عليه من حسن الثناء ،
جازاه سبحانه فقال عاطفاً على ء فانهم لمحضرون ، (و تركنا عليه)
[أى - ٢] من الثناء الجميل و جميع ما يسره : (فى الآخرين ء) أى كل
١٥ من كان بعده إلى يوم الدين . ولما كان السلام اسماً جامعاً لكل خير
لأنه إظهار الشرف و الإقبال على المسلم عليه بكل ما يريد ، أنتج ذلك
قوله : (سلم) ولما كان فى اسمه [على حسب تخفيف العرب له - ٢]
لغات إحداها ٢ توافق القواعد ، فكان لافرق فى تأدية المعنى بين
(١) سقط من ظ (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : لفتين احديهما .

الإتيان بما اتفق 'منها'، وكان 'ما كثرت حروفه منها' أضخم وأجل وأنخم، وكان السياق بعد كثير من مناقبه لنهاية المدحة، كان الاحسن التعبير بما هو أكثر حروفاً وهو موافق للفواصل [ليفيد ذلك تمكنه في الفضائل ولتحقق أنه اسم أعجمي لا عربي مشتق من اليأس وإن أوهمت ذلك قراءة ابن عامر بوصل همزته -^٢] فقال: (على ال ياسين هـ) هـ ومن قرأ آل يس فيجوز أن يكون المراد في قراءته ما أريد من القراءة الأخرى لأن أهل اللغة قالوا: إن الآل هو الشخص نفسه، ويس إما لغة في اليأس أو اختصرت اللغة الثانية التي هي إلياسين فحذف منها الهمزة المكسورة مع اللام. ويجوز أن يكون المراد بآله أتباعه، ويكون ذلك أضخم في حقه لما تقدم بما يدعو إليه السياق، ويجوز أن ١٠ يقصد بهذه القراءة جميع الأنبياء المذكورين في هذه السورة الذين هو أحدهم، أي على الأنبياء المذكورين نقب سورة يس دلالة على ما دعت إليه معانيها من الوحدانية والرسالة والبعث وإدلال العاصي وإعزاز الطائع المجرد لنفسه في حب مولاه عن جميع العوائق، [القاطع -^٦] للطيران إليه أقوى العلائق، وخص بهذا هذه^٧ القصة لأنها ختام القصص ١٥ المسلم فيها على أهلها.

- (١-١) من م ومد، وفي الأصل وظ: منها وكانت (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: منها (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: المكسورة (هـ) من م ومد، وفي الأصل وظ: بما (٦) زيد من ظ وم ومد. (٧-٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل وم: بهذه.

ولما أظهر سبحانه شرف إلياس عليه السلام أو الأنبياء الذين هو
أحدهم ، علله مؤكدا له تنبيها على أنه لابد من إعلاء النبي صلى الله عليه
وسلم وأتباعه على كل من بناوهم وإن كذبت بذلك قريش فقال :
(انا كذلك) أى مثل هذا الجزاء العظيم (نجزى المحسنين *) أى
الذين هو من أعيانهم ؛ ثم علل الحكم باحسانه مؤكدا لما مضى في مثله
بقوله : (انه من عبادنا) أى الجديرين بالإضافة إلينا (المؤمنين *)
ويستفاد من التأكيد أيضا التنبيه على رسوخ قدمه في الإيمان وأنه بحيث
تشتد الرغبة ويقوى النشاط في الإخبار به على ذلك الوجه .

ولما أتم ما أراد سبحانه من أمور المحسنين من ذرية إبراهيم عليه
السلام المرسلين إلى ذريته في التسلية ، والترجية^١ وقدمهم لأن المنة عليهم
منة عليه ، والإنسان بآبائه أسر منه بقريبه^٢ ، وهم الذين أظهر الله بهم ما
ترك^٣ عليه ، من لسان الصدق في الآخرين ، أتبعهم قصة ابن أخيه مع
أهل [بلاد -^٤] الأردن من غير قومهم ، فقال مؤكدا للتنبيه^٥ على / نصر
المؤمنين وإن كانوا في القلة والذلة على حال لا يظن انجبارهم^٦ وتكذيبا
١٥ لليهود المكذبين برسالاته أو الشاكين فيها : (وان لوطا) أى الذى
جرد نفسه من مآلوفها من بلاده^٧ وعشائره بالهجرة مع عمه إبراهيم

(١) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : التوجيه (٢) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :
بقومه (٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : نزل (٤) زيد من ظ و م ومد .
(٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : تنبيها (٦) من م ومد ، وفي الأصل
و ظ : الخيارة (٧) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : بلاد .

عليهما السلام ﴿لمن المرسلين﴾ ولما كان جل المقصود تبشير المؤمنين وتحذير الكافرين، وكان مخالفه كثيرا، وكان هو غريبا بينهم، قال في مظهر العظمة: ﴿اذ نجبته﴾ أى على [ما - '] لمخالفته^١ من الكثرة والقوة، ولم يذكرهم لأنهم أكثر الناس انغمسا في العلائق البشرية والقاذورات البهيمية التى لا تناسب مراد هذه السورة المنبئ على الصفات^٢ الملكية^٣ ﴿واهلـه اجمعين لا﴾ ولما كان الكفر قاطعا للسبب القريب كما أن الإيمان واصلا للسبب البعيد قال: ﴿الا عجوزا﴾ أى وهى امرأته فان كفرها قطعها عن الدخول فى حكم أهله فجردوا عنها، كائنة ﴿فى الغيبين﴾ أى الباقيين فى غيرة العذاب ومساءة الانقلاب .

ولما ذكر نجاحه وابتدأ بها اهتماما بالترجئة قال مخوفا معبرا باداة^{١٠} البعد لإفادة مع الترتيب لعظيم رتبة ما دخلت عليه: ﴿ثم دمرنا﴾ أى أهلكتنا بما لنا من العظمة ﴿الآخرين﴾ أى فجردنا الأرض من قاذوراتهم ونزهنا^{١١} البلاد المقدسة منهم ومن أرجاس فعلاتهم^{١٢}، فلم يبق منهم أحدا^{١٣} ولا احتجنا فى إهلاكهم إلى استئذان أحد . ولما كان المقصود من مثل هذا تحذير المخالفين، وكان تجار قریش يرون البقعة التى كانت^{١٥} فيها أماكن قوم لوط، وهى البحيرة المعروفة، ولا يعتبرون بهم، عدوا^{١٤}

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: مخالفته .
(٣) زيد فى الأصل: قال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: فرحنا (هـ-هـ) من م ومد، وفى الأصل وظ: فلم يبق منهم احد (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: غدا .

منكرين للورود عليهم فأبرز لهم الكلام في سياق التأكيد ف قيل : ﴿ وانكم ﴾
 أى فعلنا بهم هذا و الحال أنكم يا معشر قريش ﴿ تبترون عليهم ﴾ أى
 مواضع ديارهم في تجارتكم إلى الشام ﴿ مصبحين لا ﴾ أى داخلين في الصباح
 الوقت الذى قلنا مدائنهم عليهم فيه ، ونص عليه للتذكير بحالهم فيه .

٥ ولما [كان - ٢] لليل منظر في الهول غير منظر النهار قال : ﴿ وباليأس ﴾
 ولما كان أمرهم كافيا للعاقل في التقوى ، أنكر عليهم تماديهم فيما كان
 سبب أخذهم من تكذيب الناصح فقال : ﴿ افلا تعقلون ؟ ﴾ أى يكون
 لكم عقول فتعتبروا بحالهم ، فتخافوا مثل ما لهم ، فتصدقوا برسولكم فانكم
 أجدر منهم بالآخذ لانه منكم و أتم تعرفون من شرف أصله وكرم
 ١٠ قوله و فعله ما لا يعرفه أولئك من رسولهم .

ولما أكمل سبحانه ما أراد من أمور من كان على أيديهم هلاك
 في الدنيا أو في الآخرة ، ختم بمن آل أمر قومه إلى سلامة ، وإيمان
 "ونعمة" وإحسان تغليبا للترجية على التأسية والتعزية فقال مؤكدا لأن
 ما يأتى من ذكر الأباقي ربما أوهم شيئا في أمره : ﴿ وان يونس ﴾
 ١٥ أى أحد أنبياء بنى إسرائيل و هو يونس بن متى عليه السلام ، حكى البغوى
 في قصة إلياس عليه السلام انه لما أرسله الله تعالى إلى سبطه من بنى
 إسرائيل الذين كانوا في مدينة بعلبك ، فكذبوه و أراد ملكهم قتله

(١) زيد في م : في (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد ،
 وفي الأصل و ظ : اسلامه (٥-٥) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : رفعة .
 (٦) راجع معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٢٨ .

٤١٧ /

فاختفى في تلك الجبال ، اشتاق إلى الناس قنزل فكث عند امرأة من بني إسرائيل وهي / أم يونس بن متى عليه السلام ، وكان يونس إذ ذاك رضيعاً ثم رجع إلى الجبال فأتى يونس عليه السلام ، فأتت أمه إلى تلك الجبال ، فما زالت تطوف حتى ظفرت بإلياس عليه السلام ، فسأله أن يدعو ' لابنها فيحييه الله ، فقال لها : إني لم أؤمر بهذا ، وإنما أنا عبد مأمور ، فجذعت فزاد جزعها وتضرعها إليه ، فرق لها ورحمها وسار معها [فوصل - ٢] إلى بيتها بعد أربعة عشر يوماً من حين مات ، وهو مستجى في ناحية البيت ، فدعا الله فاحياه لها ، وعاد إلياس عليه السلام إلى جبله ﴿ لمن المرسلين ٥ ﴾ .

- و لما كان من أعظم المقاصد التسلية على استكبارهم عن كلمة التوحيد ١٠ وقولهم : إنه شاعر مجنون ، ذكر من أمر يونس عليه السلام ما يعرف منه صعوبة أمر الرسالة وشدة خطبها وثقل أمرها [وشدة عنايته سبحانه بالرسل عليهم السلام وأنه ما اختارهم إلا عن علم فهو لا يقوهم وإن اجتهدوا في دفع الرسالة - ٣] ليزدادوا ثباتاً لأعبائها وقوة [في - ٤] القيام بشائها فقال : ﴿ اذابق ﴾ أي هرب حين أرسل من ١٥ سيده الذي شرفه الله بالرسالة ضعفاً عن حملها لأن الأباقي الهرب من السيد إلى حيث يظن أنه يخفى عليه ﴿ إلى الفلك ﴾ أي البيت الذي
-
- (١) زيد في الأصل : الله ، ولم تكن في ظ و م ومد فحذفناها (٢) زيد من م ومد (٣) زيد من مد (٤) زيد من م (٥) العبارة من « ليزدادوا » إلى هنا ساقطة من مد .

يسافر فيه على ظهر البحر . و لما كان فعله على صورة فعل المشاحن^١
 وكان قصده الإيغال^٢ في البعد والإسراع في النقلة قال : (المشحون لا)
 أى الموقر ملا^٣، فلا سعة فيه لشيء آخر يكون فيه ، فليس لأمله حاجة
 في الإقامة لحظة واحدة لانتظار شيء من الأشياء فحين وضع رجله فيه
 ه ساروا ، فاضطرب عليهم^٤ الأمر وعظم الزلزال حتى أشرف مركبهم
 على الفرق على هيئة عرفوا بها أن ذلك لعبد أبق من سيده ، فان عند
 أهل البحر أن السفينة لا يستقيم سيرها و فيها آبق - نقله الكرمانى
 وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فسبب لهم ذلك المساهمة أى
 المقارعة كما هو رسمهم فى مثل ذلك الأمر فاستهموا فسام ، أى قارع
 ١٠ يونس عليه السلام معهم ؛ قال البغوى : و المساهمة إلقاء السهام على جهة
 القرعة . و لما آل وقوع القرعة عليه إلى رميه من السفينة من محل
 علو إلى أسفل ، عبر عن ذلك 'بما يدل' على الزلق الذى يكون من علو
 إلى سفلى فقال مسيبا عن المساهمة : (فكان من المدحذين ٣) أى الموقعين
 فى الدحض ، وهو الزلق ، فنزل عن مكان الظفر بأن وقعت القرعة عليه
 ١٥ فرموه 'فى البحر' (فالتقمه^٥) أى ابتلعه كما تبتلع اللقمة (الحوت)
 أى المعروف من جهة أنه لا حوت أكبر منه . فكانه لا حوت غيره

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الشاحن (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ :
 الإيصال (٣) فى ظ : عليه (٤) راجع العالم بهامش الباب ٦ / ٣١ (٥-هـ) من
 ظ و م ومد ، وفى الأصل : بحال - كذا (٦) من م ومد : وفى الأصل
 وظ : أسفل (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) ساقط من الأصل فقط .

(وهو) أى و الحال أن يونس عليه السلام ﴿ مليمه ﴾ أى داخل فى الملامة .

ولما وقع له ما وقع فتجرد عن نفسه و غيرها تجردا لم يكن لاحد مثل مجموعه لاجرم ، زاد فى التجرد بالفناء^١ فى مقام الوجدانية فلازم التنزيه حتى أنجاه الله تعالى ، و إلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فلو لا أنه كان ﴾ ٥
أى خلقا و خلقا ﴿ من المسبحين ٥ ﴾ أى العريقين فى هذا المقام ، و هو ما يصح إطلاق التسييح فى اللغة عليه من التنزيه بالقلب و اللسان و الأركان بالصلاة و غيرها لأن خلقه مطابق لما هيئ^٢ له من خلقه ، فهو لازم لذلك فى وقت الرخاء و الدعة و الخفض و السعة ، فكيف به فى حال الشدة ، و حملة ابن عباس رضى الله عنهما^٣ على الصلاة ١٠
﴿ للبت فى بطنه ﴾ أى حيا أو [بأن -^٤] يكون غذاء له فتختلط أجزاؤه بأجزائه ﴿ الى يوم يبعثون^٥ ﴾ أى هو و الحوت و غيرها من الخلائق ، و عبر بالجمع لإفادة عموم البعث ، و لو أفرد لم يفد بعث الحيوانات العجم ، و لوثنى لظن أن ذلك له و للحوت خاصة لمعنى يخصهما^٦ فلا يفيد بعث غيرهما ، / و قيل : للبت حيا فى بطنه^٦ ، و فى الآية إشارة إلى حديث ١٥ / ٤١٨
« تعرف إلى الله [فى الرخاء -^٧] يعرفك فى الشدة ، و حث على الذكر

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الفناء (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هيا (٣) راجع معالم التنزيل ٦ / ٣١ (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يخصها (٦) كما ذكره ابن حيان فى النهر من البحر ٧ / ٣٧٤ (٧) زيد من ظ و م و مد .

و تعظيم لشانه .

ولما كان التقدير : ولكنه لما كان ذكرا لله في حال الرخاء
ذكرناه في حال الشدة ، فأنجيناه من بطنه ، وأخرجناه منه سالما ، وكان
ذلك أمرا باهرا للعقل . أبرزه في مظهر العظمة فقال : ﴿تَبَذْنَهُ﴾ أى
ه ألقيناه من بطن الحوت . إلقاء لم يكن لاحد غيره ، وكان ذلك علينا يسيرا
﴿بالعرآء﴾ أى المكان القفر [الواسع -^١] الخالى عن ساتر من نبت
أو غيره ، و ذلك بساحل الموصل ، [و-^٢] قال أبو حيان^٣ : قذفه في نصيين
من ناحية الموصل . ﴿و هو سقيم﴾ أى عليل جدا بما ناله من جوف
الحوت بحيث أنه كان كالطفل ساعة يولد و هو إذ ذاك محمود غير مذموم
١٠ بنعمة الله التى تداركته ، فكان مجتبي^٤ و^٥ من الصالحين ﴿وانبتنا﴾ أى بعظمتنا
في ذلك المكان الذى لا مقتضى^٦ للنبات مطلقا فيه فضلا عما لا يفت
إلا بالماء الكثير .

ولما كان سقمه متناها بالغا إلى حد يحل عن الوصف ، نبه عليه
بأداة الاستعلاء فقال : ﴿عليه﴾ أى ورفعتها حال إنباتنا إياها فوقه
١٥ لتظله كما يظل البيت الإنسان . ولما كان الدباء من النجم ، وكان قد
أعظمها سبحانه لأجله ، عبر عنها بماله ساق فقال : ﴿شجرة﴾ ولما كانت
هذه العبارة مفهومة لأنها بماله ساق ، نص^٦ على خرق العادة بقوله :

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) راجع النهر بهامش البحر المحيط
٣٧٤ / ٧ (٤) زيد في الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد
لحذفها (٥) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : لا يقتضى (٦) زيد في الأصل :
عليه ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها .

﴿ من يقطين ٥ ﴾ أى من الأشجار التى تلزم الأرض ١ أو تقطن فيها و تصلح
لأن يأوى إليها ٢ ويقطن عندها حتى يصلح حاله ، فانه تعالى عظمها
وأخرجها عن عادة أمثالها حتى صارت عليه كالعريش ، و اليقطين : كل
ما يمتد و ينبسط على وجه الأرض و لا يبقى على الشتاء و لا يقوم على ساق
كالبطيخ و القثاء ، و المراد به هنا - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ٣ -
- شجرة القرع لعظم ورقها و برد ظلها و نعومة ملمسها ٤ و أن الذباب
لا يقربها ، قال أبو حيان ٥ : و ماء ورقة ٦ إذا رش به مكان لا يقربه ذباب
أصلا ، و قال غيره : [فيه - ٧] ملائمة لجسد الإنسان حتى لو ذهبت
عظمة من رأسه فوضع مكانها قطعة من جلد القرع نبت عليها ٨ اللحم
و سد مسده ، و هو من قطن بالمكان - إذا أقام به ٩ [إقامة - ١٠]
زائل لا ثابت .

ولما كان النظر إلى الترجية أعظم ، ختم بها إشارة إلى ١١ أنه لا يمينه ١٢
صلى الله عليه وسلم حتى يقر عينه ١٣ بأتمته كثرة و طواعية ١٤ و نعمة فقال :
﴿ و أرسلنه ﴾ أى بعظمتنا التى لا يقوم لها شيء . و لما لم يتعلق الغرض

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) راجع البحر المحيط ٣٧٥/٧ (٣) من ظ
و م و مد ، و فى الأصل : لمسها (٤) من ظ و م و مد و البحر ، و فى الأصل :
اورقة (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه .
(٧) زيد من ظ و م و مد (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انها
لا يمينه (٩-٩) من م و مد ، و فى الأصل : ناميه كثيرة و طوعية ، و فى ظ :
بأتمته كثيرة و طوعية .

بتعيين المرسل إليهم، وهل هم الذين ابق عنهم أولا؟ قال: ﴿إلى مائة ألف﴾
والجمهور على أنهم الذين أرسل إليهم أولا - قاله أبو حيان^{١٠} . ولما
كان العدد الكثير لا يمكن ناظره^٢ الوقوع فيه على حقيقة عدده، بل
يصير - وإن كان أثبت الناس نظرا - يقول^٣: هم كذا يزيدون قليلا
هـ أو ينقصونه، وتارة يحزم بأنهم لا ينقصون عن كذا، وأما الزيادة فمكتنة،
وتارة يغلب على ظنه الزيادة، وهو المراد هنا، قال: ﴿اويزيدون ج﴾
لأن الترجية في كثرة الاتباع أقر للعين وأسر للقلب، وإفهاما لأن
الزيادة واقعة، وهؤلاء المرسل إليهم هم أهل نينوى وهم من غير قومه،
فإن حدود أرض بنى إسرائيل الفرات، و نينوى من شرقى الفرات بعيدة
١٠ عنه جدا .

ولما تسبب عن إتيانه إليهم انشراح صدره بعد ما كان حصل له
من الضيق الذى أوجب له ما تقدم قال: ﴿فأمنوا﴾ أى تجريد^٤ لانفسهم
من الحظوظ / النفسانية و لحوقا بالصفات الملكية . ولما كان إيمانهم سبب
رفع العذاب الذى كان أوجبه لهم كفرهم قال: ﴿فتعتنهم﴾ أى ونحن
١٥ على ما نحن عليه من العظمة لم ينقص ذلك من عظمتنا شيئا ولا زاد
فيها ﴿إلى حين هـ﴾ أى^٥ إلى انقضاء آجالهم التى ضربناها لهم
في الأزل .

/ ٤١٩

(١) فى البحر المحيط ٧ / ٣٧٦ (٢) فى نُظ: لناظره (٣) من ظ و م و مسد،
وفى الأصل: بقول (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: تجريد (هـ) سقط
من ظ .

ذكر قصة يونس عليه السلام من سفر الأنبياء

قال مترجه^١: نبدأ بمعوثة الله وقوته [بكتب نبوة -^٢] يونان ابن متى النبي: كانت كلمة الرب على يونان بن متى، يقول له: قم فانطلق إلى فينوى المدينة العظيمة وناد فيها بأن شرارتكم قد صعدت قدامى، وقام يونان ليفر إلى ترسيس^٣ من قدام الرب، وهبط إلى يافا ووجد ه سفينه تريد تدخل [إلى -^٤] ترسيس فأعطى الملاح أجره ونزلها ليدخل معهم إلى ترسيس هارباً من قدام الرب. والرب طرح ريحاً عظيمة^٥ في البحر، فكان في البحر موج عظيم، والسفينة كانت تتمايل لتتكسر، وفرق الملاحون وجار^٦ كل إنسان إلى إلهه، وطرحوا متاع السفينة في البحر ليخففوا عنهم، بحق هبط يونان إلى أسفل السفينة وتام^٧ فدنا ١٠ منه سيد الملاحين وقال له: لما ذا أنت نائم؟ قم فادع إلهك لعل الله يخلصنا ولا نهلك، وقال الرجل لصاحبه: تعالوا نقترع ونعلم هذا الشر من قبل من جاء علينا؟ فأقترعوا فجاءت القرعة على يونان، فقالوا له: أخبرنا ما هذا الشر؟ وما ذا هو عملك، ومن أين أنت، ومن

(١) راجع سفر يونان الأصحاح الأول - الكتاب المقدس ص: ١٢٣٦ (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: توسيس، وفي سفر يونان: ترشيش - كذا في كل موضع (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) في مد: عظيماً. (٦) من مد، وفي الأصل وظ وم: لتكسر (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: حار (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: قام (٩) في ظ: فقال.

أىّ شعب أنت ، و أيتها أرضك ؟ فقال لهم يونان : أنا عبرانى و لله رب
السما آخى الذى خلق البر و البحر ، ففرق أولئك القوم فرقا شديدا ،
فقالوا له : ما ذا صنعت ؟ لأن أولئك الناس علموا أنه من قدام إلهه
هرب ، فلما أخبرهم قالوا : ما نضع بك حتى يسكن عنا البحر لأن البحر
هو ذا منطلق يزخر^١ علينا ؟ قال لهم يونان : خذونى فاطر حوى فى البحر
فيسكن^٢ عنكم البحر لأنى أعلم أن هذا الموج العظيم من أجلى هاج
عليكم ، فجهد أولئك الناس أن يرجعوا إلى الساحل ، فلم يجدوا إلى ذلك
سيلا ، لأن البحر كان ذاهبا يزخر^٣ عليهم ، ودعوا إلى الرب و قالوا :
أيها الرب لا يحسب علينا دم زكى ، و لانهلك بنفس هذا الرجل من
أجل أنك أنت الرب ، و كل ما شئت تصنع ، فأخذوا يونان و طرحوه
فى البحر ، فاستقر البحر من أمواجه ، و فرق أولئك الناس من قدام
الرب فرقا شديدا ، و ذبحوا ذبائح للرب و نذروا له النذور ، و هيا الرب
سمكة عظيمة فابتلعت يونان ، و كان يونان فى أمعاء السمكة ثلاثة أيام
و ثلاث ليالى و قال : دعوت الرب فى حزنى فأجابنى ، و من بطن
الجحيم تضرعت إليه ، و سمع صوتى^٤ و طرحنى فى الفوط^٥ فى قلب البحر ،
و لأنهار احاطت بى ، و كل أمواجك و أهياجك على [جازت -^٦] .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عللوا (٢) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : يزجر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فسكن (٤) من م و مد ،
و فى الأصل و ظ : صوطى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفرط .
(٦) زيد من م و مد .

أنا بحق قلت : إني قد تباعدت من قدام عينك ، من الآن ^١ أرى ^١
 أعود فأنظر إلى هيكلك المقدس ، وقد أحاطت بي المياه حتى نفسي ^٢
 والاهوال أحاطت بي ، وفي أسفل البحر احتبس ^٣ رأسي ، وإلى أسافل
 الجبال هبطت ، والارض أطبقت أغلاقها في وجهي إلى الدهر ، إذا
 اغتمت نفسي للرب ذكرت ودخلت صلاتي قدامك إلى هيكلك المقدس ، ه
 فكل الذين يحفظون ^٤ الانساك البطالة رحتهم فتركوا ، أنا بحق بصوت ^٥
 الشكر أقرب لك وأذبح ، والذي نذرته أوفيه للرب فأمر الرب السمكة ^٦
 فقذفت يونان في اليبس ، وآتى كلام الرب إليه المرة الثانية ، وقال
 له : قم يا يونان فانطلق إلى نينوى المدينة العظيمة / وناد فيها بالنداء
 ٤٢٠ /

الذي أقوله ^٧ لك ، فقام يونان وانطلق إلى نينوى مثل كلمة الرب ، ونينوى ١٠
 كانت مدينة عظيمة للرب مسيرة ثلاثة أيام ، وتبدأ يونان أن يدخل
 إلى نينوى مسيرة يوم واحد ونادى وقال : من الآن وإلى أربعين يوما
 نينوى تنقلب ، فآمن أهل نينوى لله و فرضوا الصوم ولبسوا المسوح من
 عظائهم حتى صغارهم ، وانتهت الكلمة إلى ملك نينوى ^٨ فقام عن كرسيه ^٩

(١ - ١) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : أرى (٢) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : تعي (٣) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : احتبست (٤-٤) من ظ
 وم ومد ، وفي الأصل : الانسال بطالة ، وهذه الجملة وردت في السفر :
 الذين يراهمون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم (٥) من م ومد ، وفي الأصل
 و ظ : صوت (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : السمك (٧) من ظ وم
 ومد ، وفي الأصل : قول (٨-٨) سقط ما بين الرقين من ظ

١. نزع تاجه، واكتسى مسح شعر، وجلس على الرماح، ونادى فى نينوى^١
 وقال الملك وأشرافه: وكل الناس والغدائر والثيران والغنم فلا
 يذوقون شيئا من الطعام ولا يرعون، وماء فلا يشربون، ولكن فليلبس
 الناس والغدائر ويدعوا الله بالتضرع، ويرجع كل إنسان عن طريقة
 ٥. السوء، وعن الاختطاف الذى فى يده، وقالوا: من ذا الذى يعلم أن
 الله يقبل منا ويترحم علينا ويرد غنا غضبه ورجزه^٢ لكيلا نهلك،
 ونظر الله إلى أعمالهم أنهم قد تابوا عن طرقهم السوء فرد^٣ عنهم غضب
 رجزه^٤ ولم ييدهم، وحزن يونان حزنا شديدا، وتكره من ذلك جدا،
 وصلى قدام الرب وقال: ايها الرب! ألم تكن هذه كلمتى، وأنا بعد
 ١٠. فى بلادى ولذلك^٥ سبقت وفرت إلى ترسيس، قد عرفت بحق أنك
 الرحمن الإله الرؤف، طويل صبرك وكثيرة نعمتك، وترد السوء الآن
 يارب! انزع نفسى منى لأن الموت أنفع [لى - °] من الحياة، فقال
 له: جدا حزنت يا يونان، وخرج يونان من المدينة واتخذ له ثمة مظلة
 وجلس تحتها فى الظل لينظر ما الذى يعرض للمدينة، وأمر الله الرب
 ١٥. أصل القرع، ونبت وارتفع على رأس يونان، فكان ظل^٦ على رأسه
 ففرج^٧ من شدته وفرح [فرحا - °] كثيرا يونان بأصل القرع.

(١-١) سقط ما بين الرقين من ظ (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: زجره.
 (٣) زيد بعده فى الأصل وظ: الله، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها.
 (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: كذلك (٥) زيد من م ومد (٦) فى سفر
 يونان: ظلا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ففرج.

وفي اليوم الآخر أمر الله الرب دودة في مطلع الصبح فضربت أصل
القرع وقرضته، فلما طلعت الشمس أمر الله الرب ريح السموم^١ فبيست
أصل القرع، وحيت الشمس في رأس يونان، واغم وسال الموت
لنفسه [وقال: إنك -^٢] يارب تقدر تنزع نفسى منى، لاني لم أكن
أخبر^٣ من إياي، وقال الرب ليونان: جدا حزنت على أصل القرع، ه
‘ فقال يونان: جدا أحزن حتى الموت، قال له الرب: أنت أشفقت على
أصل القرع^٤ الذي لم تعن^٥ به ولم تربه، الذي في ليلة نبت، وفي ليلة
يبس، فكيف لا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التي فيها أكثر
من اثنتي عشرة روبة من الناس الذين^٦ لا يدرون ما بين يمينهم من
شمالهم وكثرة من الغدائر - انتهى . ولعل أصل القرع المذكور ١٠
هنا كان نبت عليه حين خرج من بطن الحوت، فلما اتفق له ما ذكر
هنا رجع^٧ إليه وقد زاد عظمه فبنى تحته عريشا وجلس تحته، فكان
منه ما كان، فلا يكون حيثذ ما هنا مخالفا لما ذكر أهل الاخبار في
هذه القصة - والله الموفق .

ولما كان الذي سبق ادعاؤه أمرين^٨ أحدهما أن هؤلاء المنذرين ١٥

- (١) زيد في الأصل: فهبت، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد لحذفها.
- (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ و م ومد، وفي الأصل: خيرا.
- (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من ظ (٥) من ظ و م ومد، وفي الأصل و م: لم
- تفنى (٦) من ظ و م ومد، وفي الأصل: اننى (٧) من ظ و م ومد، وفي
- الأصل: الذي (٨) من ظ و م ومد، وفي الأصل: راجع (٩) من مد، وفي
- الأصل و ظ و م: اصران .

نظم الدرر (سورة الصف ٣٧ : ١٤٩ و ١٥٠) ج - ١٦

يسارعون في اقتفاء^١ آثار آبائهم^٢ في الضلال، والثاني أن أكثر الأولين ضلوا، و^٣ سبقت دليلاً^٤ شهودياً على الثاني هذه القصص الست التي ما انتهى من أهلها أمة بكاملها إلا قوم يونس عليه السلام، كان [ذلك -^٥] سبباً للامر بإقامة الدليل على ضلال هؤلاء تبعاً لآبائهم بأمر ليس في بيان الضلال أوضح منه، فقال متهماً بهم [مخصصاً الأمر به صلى الله عليه وسلم إشارة إلى عظم هذه النتيجة وأنه لا يفهمها حق فهمها سواء صلى الله عليه وسلم -^٦] : (فاستفتهم) أى فاطلب من هؤلاء الذين يعرضون عن دعوتك إلى أباطيلهم أن يجيؤك فتوة منهم وكرماً: بأى دليل وبأى حجة حكموا بما يقولونه تبعاً لآبائهم في الملائكة الذين تقدم في فاطر أنهم رسل الله، وفي يس أنهم في غاية الشدة بحيث أن عذاب الأمة الكثيرة^٧ يكنى فيه واحد منهم، وبحيث أن صيحة واحدة من أحدهم يميت الأحياء كلهم، وصيحة أخرى يحيي الأموات كلهم، هذا إلى^٨ ما أفادته^٩ هذه السورة لهم من الصف والجزر والتلاوة حين ابتدأت بالإقسام بهم لأن لمقصودها^{١٠} نظراً عظيماً إلى أحوالهم في تجردهم^{١١} وتقديمهم، ويلزم من هذا الاستفتاء^{١٢} تنزيههم^{١٣} وتنزيه^{١٤} الذى خلقهم وذلك^{١٥}

١٤٢١/

- (١-١) من م، وفي الأصل و ظ : آثارهم بهم، وفي مد : آثارهم.
 (٢-٢) من م ومد، وفي الأصل و ط : سبقت دلالة - كذا (م) زيد من
 ظ و م ومد (٤) زيد من م ومد (٥) في مد : الكبيرة (٦) من ظ و م
 ومد، وفي الأصل : أى (٧) من م ومد، وفي الأصل و ظ : قادته (٨) من
 ظ و م ومد، وفي الأصل : مقصودها (٩-٩) من ظ و م ومد، وفي
 الأصل : تبريتهم وتبرية (١٠) من ظ و م ومد، وفي الأصل : كذلك كان هو.

مقصود

مقصود السورة ، [ولفت الكلام عن مظهر العظمة إلى ما هو دليل عليها
فإن الرسول دال على قدر من أرسله فقال - ١] : (الربك) أى خاصة
وهو الملك الأعلى الذى ربك وأحسن إليك بهدايتك والهداية بك
وغير ذلك من أمرك حتى كنت أكمل الخلق وأعلام فى كل أمر
يكون به الكمال والقرب من الله فاصطفاك لرسالته ، فى أفراد الضمير ه
إشارة إلى أنه لا يختار إلا الأكمل الأشرف الأفضل .

[ولما كان المراد تبكيتهم بكونهم جعلوا الأخس لله ، وكانت
الإناث أضعف من الذكور ، ولكنها قد تطلق الأنوثة على غير الحيوان ،
و كانت الإناث فى بعض الأجناس كالاسحجار أشرف ، عدل عن التعبير
بالإناث وعبر بما ينص على المراد فقال - ١] : (البنات) أى دون ١٠
البنين ، وهم - مع أنهم مربوبون مقهورون - يأقون منهم غاية الأنفة
(ولهم) أى دونه (البنون لا) [مع أن الرب الذى خصوه بأدنى
القبيلين تارة يخلق الذكر من تراب ويديه أحسن تربية ، وأخرى من
غيره أو يخرجهم من بطن حوت أو غمرات نار أو غير ذلك ، فبأى وسيلة
ادعوا له ولدا و الولد لا يكون إلا بالتدرج فى أطوار الخلق من النطفة ١٥
إلى ما فوقها ، ولا يرضى بذلك إلا عاجز فكيف بادعاء أدنى الصنفين
من الولد ، سبحان ربك رب العزة - ١] .

ولما كان دعواهم لأنوثة الملائكة متضمنة لادعاء العلم باختصاصه
عند دعوى الولدية بأدنى القبيلتين أو ادعاء العلم بأنه خلقهم إنانا بمشاهدة ٢

(١) زيد من م ومد (٢) ليس واضحا فى م ومد (٣) من م ومد ، وفى
الأصل وظ : بشاهدة .

منهم أو كتاب منه إليهم، وأما العقل فانه لا مدخل له في ذلك، قال
 معلما بأنهم أهل لأن يكتبوا ويستهزأ بهم لانه لا علم عندهم بأحدى
 الطريقين، ولا يقدرُونَ أن يدعوا ذلك لثلا يفتضحوا فضيحة لا تنجبر
 أصلا، [عائدا إلى التصريح بمظهر العظمة إشارة إلى أن من شأنها كثافة
 ٥ الحجاب - ٢]: (أم خلقنا) أى على ما لنا من العظمة التى إن لم يقتض
 اختيار الأكل لم يقتض [الاختصاص بالأدون لأنها منافية بكل اعتبار
 للدناءة (الملائكة) أى الذين حكموا - ٢] عليهم بالانوثة، وهم من
 أعظم رسلنا وأجل خواصنا ولم يروا منهم أحدا ولا سبيل لهم إلى
 العلم بأحوالهم باعترافهم بذلك، [ولما تعين أن المراد بالانوثة الخساسة،
 ١٠ وكان في بعض الإناث قوة الذكور، عبر بالانوثة إلزاما لهم في حكمهم
 ذلك بخساستين فقال - ٢]: (اناها وهم) [أى والحال أن هؤلاء
 الذين يفسبون إلى الله ما لا يليق به - ٢] (شهودون) أى ثابت
 لهم شهود ذلك لا يغيبون عنه، فانا كل يوم نجد منهم من شئنا، قال
 الرازى: وكل واحد من الملائكة نوع برأسه، أما الآدميون فكلهم
 ١٥ نوع واحد، وهو ناقص في ابتداء الفطرة مستكمل، وله درجات في
 الترقى إلى أن يبلغ مقام المشاهدة، وهو أن تتجلى له حلية الحق
 الأول من ذاته وصفاته وترتيب أفعاله علما لا ينفصل عنه ولا يغيب
 فيترقى في إدراكه عن المحسوسات والخيالات، ويترقى فعله عن أن
 (١) في ظ وم: لا يقدرُوا (٢) زيد من م ومد (٣) زيد من ظ وم ومد.
 (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بلغ (٥) من ظ وم ومد، وفي
 الأصل: جيلة (٦) في ظ ومها.

يكون لمقتضى الغضب أو الشهوة ، و بهذا يقرب من الله تعالى - انتهى .
ولما اشتد تشوف السامع إلى أن يعلم حقيقة قولهم الذى تسبب
عنها هذا الاستفتاء ، أعلم سبحانه بذلك فى قوله مؤكدا إشارة إلى أنه
قول ' يكاد أن لا يقر أحد أنه قاله ، معجبا منهم فيه مناديا عليهم بما أبان
من فضيحتهم بما قدم من استفتائهم : (ألا انهم من افكهم) أى ه
[من أجل أن - '] صرفهم الأمور عن وجوها [عادتهم - ']
(ليقولون لا) أى قولاهم مستمرون عليه وإن كانوا لا يقدررون على
إبرازه فى مقام / المناظرة ، [وعدل عن مظهر العظمة إلى اسم الجلالة العلم
على الذات الجامعة لجميع الصفات إشارة إلى أن كل صفة من صفاته
و نعت من نعوته يأبى الولدية فقال - '] : (ولد الله لا) أى وجد له ١٥
- وهو المحيط بصفات الكمال - ولد وهم على صفة الانوثة [أى أتى
بالولد ، فولد فعل ماض و الجلالة فاعل ، و قرئ شاذا برفع ' ولد ،
على أنه خبر مبتدأ محذوف ، و جر الجلالة بالإضافة ، و الولد فعل بمعنى
مفعول كالقبض ، فلذلك يخبر به عن المفرد و غيره و المؤنث و غيره - '] .
و لما أتى سبحانه بالاسم الأعظم إشارة إلى عظيم تعاليه عن ذلك ، ١٥
صرح به فى قوله دالا على الثبوت مؤكدا لاجل دعواهم أنهم صادقون :
(و انهم لكذوبون ه) و دل على كذبهم أيضا بانكاره موبخا لهم فى أسلوب
الخطاب زيادة فى ٢ الإغضاب فى قوله : (اصطفى) بهمزة الاستفهام
(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قولالا (٢) زيد من م و مد (٣) من
م و مد ، و فى الأصل و ظ : على .

الإنكارى، و من أسقطها فهي عنده مقدرة مرادة، أى أخبروني هل اختار هذا السيد الذى أنتم مقرون بتمام علمه و شمول قدرته و علوه سؤدده [ما تسترذلونهُ . و لما كان التعبير بالبنات أكره إليهم من التعبير بالانثى، و التعبير بالابن أحب إليهم من التعبير بالذكر و أنص على المراد لأن الذكر مشترك بين معان، قال - ١ : ﴿ البنات ﴾ اللاتى تستنكفون أنتم من لحوقهن بكم، و تستحيون من نسبتهن إليكم، حتى أن بعضكم ليصل فى إبعادهن إلى الواد ﴿ على البنين ه ﴾ فكان حيثنظ نظره لنفسه دون نظر أفلكم فضلا عن أجلكم، و لذلك عظم حسنا و تناهى بلاغة قوله: ﴿ ما ﴾ أى [يا - ٢] معاشر العرب المدعين لصحة العقول و سداد ١٠ الأنظار و الفهوم أى شئ ﴿ لكم ه ﴾ من الخير فى هذا المقال؟ ثم زاد فى التقرير عليه بقوله ٢ معجبا منهم ٣: ﴿ كيف تحكمون ه ﴾ أى فى كل ما سألتكم عنه بمثل هذه الأحكام التى لا تصدر عن له أدنى مسكة من عقله، [و عبر بالحكم لاشتهاره فيما يبت فى أبى النقص، فكان التعبير به أعظم فى تقريرهم حيث أطلقوه على ما لا أوهى منه - ٢] .

١٥ و لما كان هذا شديد المنافاة للعقول، عظيم البعد عن الطباع، حسن جدا قوله أيضا مبكتا: ﴿ افلا تذكرون ج ﴾ أى أدنى تذكر بما أشارت إليه قراءة من خفف بما جمعت من التخفيف و الحذف، فان الأمر فى غاية الظهور

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عظيم (٢) زيد من م و مد .
(٣-٣) من مد، و فى الأصل وظ : لكم، و الكلمة ساقطة من م (٤-٤) من م و مد، و موضع ما بين الرقين فى الأصل وظ : يشتد تذكركم .

لما في عقولكم وطباعكم [من - ١] أنكم لا ترضون لاقسكم
 أخس^١ المنازل، فكيف يختاره لنفسه ربكم الذي يده كل شيء؟ وإنه
 لا يكون الولد مطلقا [إلا - ٢] عن^٢ له جنس، فيكون محتاجا إلى
 جنسه، والمحتاج لا يكون إلها بوجه، [وأشارت قراءة الجماعة^٣ بالتشديد
 والإدغام إلى أن الأمر يحتاج إلى مزيد تذكر بما أشار إليه التشديد هـ
 مع دقة بما أشار إليه الإدغام لأجل حل شبهة من يرى أفعال من
 يحى المؤدة فيظن أن ذلك رغبة منهم في الإناث، وليس ذلك إلا رغبة
 في دفع فساد القتل ورحمة للضعيف، ولم يقرأ بالفك إشارة إلى أن
 الأمر غنى عن الدرجة العليا في التأمل - ١] .

ولما قررهم على شهود ذلك بما تضمن إبطاله عقلا، فلم يبق من ١٠
 طرق^٤ الأدلة إلا السمع، عادل به قوله: ﴿ام لكم﴾ أى على ادعاء
 ذلك ﴿سلطن﴾ أى دليل سمعى بخبر سماوى [قاهر - ١]، وأشار إلى
 أنه لا يتكلم في أحوال الملوك^٥ إلا بأمر^٦ واضح بقوله: ﴿مبين لا﴾ .

ولما كان المراد بهذا - ولا بد - البرهان السمعى، بينه بما سبب
 عنه من قوله: ﴿فاتوا بكتبكم﴾ أى الذى أتاكم [بذلك السلطان - ١] ١٥
 من الملك فى أنه اختار لنفسه ذلك، ودل على كذبهم تلويحا بعد أن
 أتى به تصریحا وهو أنكى ما يكون بالإتيان بأداة الشك فى قوله:

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: أحسن (م) زيد
 من ظ وم ومد (٤) فى ظ: لمن (٥) راجع نثر المرجان ٥٤/٦ - ٥٥ (٦) من م
 ومد، وفى الأصل وظ: طريق (٧-٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل:
 الأمر .

نظم الدرر (سورة الصنفت ٣٧: ١٥٧ - ١٦٠) ج - ١٦

{ ان كنتم صدقين } وهذه الآيات صادرة عن سخط عظيم وإنكار فظيع، والأساليب التي وردت عليها ناطقة بتسفيه أحلام المدعى لذلك وبجهل نفوسهم، واستركاء عقولهم، مع استهزاء وتهكم وتعجيب من أن يخطر مثل ذلك على بال فضلا عن^١ أن يتخذ معتقدا، ويظاهر به مذهبها .

ولما تم إظهار ضلالهم، بكتهم في أسلوب آخر معرضا عن خطابهم تخويفا من إحلال عذابهم فقال^٢: { وجعلوا } أى بعض العرب منابذين لما مضى بيانه من الأدلة { بينه وبين الجنة } أى الجن الذين هم شر الطوائف؛ [وأنهم إشارة إلى تحقيرهم عن هذا الأمر الذى أهلوهم ١٠ له -^٤] { نسبوا } بأن قالوا: إنه - جلست سبحات وجهه وعظم تعالى جده - تزوج بنات سروات الجن، فأولده منهم الملائكة، ومن المعلوم أن أحدا لا يتزوج إلا من يجانس، فأبعدوا غاية البعد لأنه لا يجانس له . ولما كان النسب بكرم^٥ ولا يهان قال [مؤثنا لضميرهم زيادة في تحقيرهم -^٤]: { ولقد علمت الجنة } أى مطلقا السروات منهم والأسافل { انهم } ١٥ أى الجن كلهم { لمحضرون لا } أى إليه بالبعث كرها ليعاملوا بالعدل مع بقية الخلائق يوم فصل القضاء /، والتجلى في مظاهر العز والعظمة والكبرياء، فهم أقل من أن يدعى لهم ذلك .

/ ٤٢٣

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ : الآية (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل : على (٣) في ظ : فقالوا (٤) زيد من ومد (٥) في ظ : يكره (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ : مطلق .

ولما (٧٧)

ولما ذكر ذلك اليوم الأعظم الذى يظهر فيه لكل أحد معاهد الصفات ، و تلاشي عند تلك المظاهر أعيان الكائنات ، و تمتع^١ لدى تلك النعوت آثار الفانيات ، و كان ذكره على وجه مبين بعد الجن عن المناسبة ، كان مجزأ للتنزيه و موضعا بعد تلك الضلالات للتقديس نتيجة لذلك ، فقال [مصرحا باسم التسبيح الجامع لجميع أنواعه ، و الجلالة إشارة ه إلى عظم المقام -^٢] : (سبحن الله) أى تنزه^٣ الذى له جميع العظمة تنزها^٤ يفوت الحصر (عما يصفون لا) أى عما يصفه به جميع الخلائق الذين يجمعهم الإحضار ذلك اليوم ، [أو الكفار الذين ادعوا له الولد و جعلوا الملائكة من الولد -^٥] (الا عباد الله) [أى -^٦] الذين يصلحون للاضافة إلى الاسم الأعظم [من حيث إطلاقه على الذات الأعظم ، ١٠ و لذلك أظهر و لم يضمر ، لأن الضمير يعود على عين الماضى ، فربما أومر تقييده بما ذكر في الاول فيفهم تقييد تشریفهم بالتسبيح^٧ (المخلصين ه) من جميع الخلائق أو من العرب و هم من أسلم منهم بعد نزول هذه السورة^٨ فانهم لا يصفونه إلا بما أذن لهم فيه و لأجل أن هذه السورة سورة -^٩] المتجردين عن علائق العوائق عن السير إليه ، كرر وصف ١٥ الإخلاص فيها كثيرا .

ولما تنزه نفسه المقدس سبحانه عن كل نقص ، دل على ذلك بأنهم

- (١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : يتمحى (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من مد (٤) في ظ : تنزيها (٥) زيد من مد (٦-٧) سقط ما بين الرقيين من ظ . (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد .

و جميع ما^١ يعبدونه^٢ من دونه لا يقدر^٣ون على شيء لم يقدره، فقال مسيا
عن التنزيه مؤكدا تكذيبا لمن يظن أن غير الله يملك شيئا [مواجهها لهم
بالخطاب لأنه أنكى وأجدر بالإغضاب - ٣]: (فأنكم وما تعبدون لا)
أى من الأصنام وغيرها من كل من زعمتموه^٤ إلها. [و ابتدأ الخبر عن
و. «ان، فصدره بالنافي فقال - ٣»: (ما).] و غلب المخاطبين المدبر عنهم
بكاف الخطاب على من عطف عليهم و هم معبوداتهم تنبيها على أنهم عدم
كما حقرهم بالتعير عنهم بما دون «من»، فقال مخاطبا - ٢: (أنتم عليه)
أى على [الله - ٥] خاصة (بفتين لا) أى بمغيرين أحدا من الناس
بالإضلال (الامن هو) أى فى حكمه و تقديره (صال الجحيم) أى
١٠ معذب بعذابه لحكمه عليه بالشقاوة فلم أنكم لا تقدر^٥ون أن تغيروا عليه
إلا من غيره هو فحكمه ضل لا بكم، نعوذ بك منك، لا مهرب منك
إلا إليك، و المراد بتقديم الجار أن غيره قد يقدر على أن يفسد عليه
من لا يريد فساده و يعجز عن رد المفسد، [فالتعير بأداة الاستعلاء تهكم
بهم بمعنى أنه ليس فى أيديكم من الإضلال إلا هذا الذى جعله لكم من
١٥ التسبب، فان كان عندكم غلبة قسموه بها، و توحيد الضمير على لفظ
«من» فى الموضعين للإشارة إلى أن الميت على الشرك بعد بعث النبي
صلى الله عليه وسلم^٦ من العرب^٧ قليل، و قرئ شاذا «صالوا» دفعا
لظن أنه واحد - ٢].

(١) فى مد: من (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يعبدونه (٣) زيد ما بين
الحاجزين من م و مد (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: زعموه .
(٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى مد: المفسدين (٧ - ٧) ليس ما بين
الرقين فى مد .

ولما^١ كان من المعلوم أن هذا الاستفتاء من النبي صلى الله عليه وسلم [وقع -^٢] امثالاً للأمر المصدر به ، وبطل بهذه الجملة قدرتهم وقدره معبوداتهم التي يدعون لها بعض القدرة ، قال مؤكداً لذلك ومبطلاً لقدرة المخلصين أيضاً عطفاً على " فانكم وما تعبدون " : ﴿ وما منّا ﴾ أى نحن وأنتم ومعبوداتكم وغير ذلك ، أحد ﴿ الا له مقام معلوم لا ﴾ هـ قد قدره الله تعالى في الازل ، ثم أعلم الملائكة بما أراد منه فلا يقدر أحد من الخلق على أن يتجاوز ما أقامه فيه سبحانه نوع مجازة ، فلكل من الملائكة مقام معروف لا يتعداه ، والاولياء لهم مقام مستور بينهم وبين الله لا يطلع عليه أحد ، والانبيااء عليهم الصلاة والسلام لهم مقام^٣ مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة ، لانهم للخلق قدوة^٤ ، فأمرهم على ١٠

- (١) العبارة من هنا إلى المصدر به و « ساقطة من م (٢) زيد من م .
 (٢) العبارة من هنا إلى « وما تعبدون » ساقطة من نسخة مد ، وورد موضعها فيها « وكان التقدير سلباً لقدرة المخلصين أيضاً ، وما المخلصون بها دين لايه إلا من حكم له بجنات النعيم ، وكان من المعلوم أن الأمور بهذا الاستفتاء صلى الله عليه وسلم يتمثل الأمر فيقول : ما تقديره ؟ أفتوئى أيها الضالون عما أمرت باستفتائكم عنه إن كنتم محقين وعزة ربي ما أتم على تغطية شيء مما فضحتكم به هذه الآيات بما ادعيتموه في الملائكة والجن بقادرين ، عطف عليه قوله تأكيداً لما تقدم من سلب القدرة عن غيره سبحانه إظهاراً للنصفة في الحكم بعموم العجز لكل من سوى الله » (٤) من م ، وفي الأصل و ظ : عطف (٥) في ظ : انه (٦) سقط من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : قدرة .

الشهرة^١، وأمر الأولياء على السّرة - قاله القشيري، وغير المذكورين من أهل السعادة لهم مقام في الشقاوة معلوم عند الله تعالى و عند من أطلعه عليه من عباده .

ولما سلب عن الكل كل شيء من القدرة إلا ما وهبهم، وكان
 ٥ الكفار يدعون أنهم يعبدون الله تعالى و ينزهونه وأن الإشرāk لا يقدر في ذلك، بين أن المخلصين خصوا دونهم بمواقف الصفاء، ومقامات الصدق و الوفاء، لأن طاعتهم أبطلها إشراكهم، فقال مؤكداً وخصصاً :
 ﴿ وانا ﴾ أى يا معشر المخلصين ﴿ لنحن ﴾ أى دونكم ﴿ الصّافون ﴾
 أى أنفسنا في الصلاة و الجهاد و أجنحتنا في الهواء^٢ فيما أرسلنا به وغير ذلك لاجتماع قلوبنا على الطاعة ﴿ وانا لنحن المسبحون ﴾ أى / المنزهون
 ١٠ / ٤٢٤ له سبحانه عن كل نقص ['مما ادعيتموه من البنات' و يجوز أن يكون المعنى : لنا هذا الفعل ، وهو الصف و التسبيح ، ولا ينوى له مفعول البتة - °] .

و لما بين ضلالهم وهداه صلى الله عليه وسلم وهدى من اتبعه -
 ١٥ بما أشار إليه بصفة الربوبية التى أضافها إليه في قوله «الربك» أعلم بأنهم زادوا على عيب الضلال في نفسه عيب الإخلاف^٣ للوعد و النقص لما

(١) من م و مد، وفي الأصل و ظ : الشهود (٢) من ظ و م و مد،
 وفي الأصل : الاشتراك (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل : هو .
 (٤-٥) ليس ما بين الرقيين في م (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، وفي الأصل و ظ : الاخلاص .

أكدوه من العهد، فقال مؤكداً إشارة إلى أنه لا يكاد يصدق أن عاقلاً يؤكد على نفسه في أمر ثم يخلفه [جواباً لمن يقول : هل نزوه كما نزوه المخلصون - ١] : ﴿ وان ﴾ أى فعلوا ذلك [من الضلال بالشبه التى اقتضحت بما كشفناه من ستورها ولم ينزهوا كما نزوه المخلصون - ١]
والحال أنهم ﴿ كانوا ﴾ قبل هذا ﴿ ليقولون ﴾ أى قولاً لا يزالون يحدونه ه
مع ما فيه من التأكيد ﴿ لو ان ﴾ عندنا ذكرًا ﴿ أى على أى حال [كان - ٢] من أحواله من كتاب أو غيره ﴿ من الاولين ﴾ أى من الرسل الماضين ﴿ لكننا عباد الله ﴾ أى بحيث أنا نصير أهلاً للاضافة إلى المحيط بصفات الكمال ﴿ المخلصين ه ﴾ أى فى العبادة له بلا شائبة من شرك أصلاً .

١٠

ولما كان هذا الذكر - الذى اتاهم مع كونه أعظم ذكر أتى مصداقاً لكتب الاولين و كان الرسول الآتى به أعظم الرسل، فكان "لذلك هو" عين ما عقدوا عليه مع زيادة الشرف - سبباً لكفرهم قال : ﴿ فكفروا به ﴾ [أى قسب عما عاهدوا عليه أنهم كفروا بذلك الذكر مع زيادته فى الشرف على ما طلبوا بالإعجاز و غيره - ٢] قسب عن ذلك تهديدهم ١٥
من أخلفوا وعده ، و نقضوا مع التأكيد عهده ، فقال : ﴿ فسوف يعلمون ه ﴾ أى بوعيد ليس هو من جنس كلامهم ، بل هو بما لا خلف فيه بوجه ٦ .

(١) زيد من مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ذلك (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ذكر أى (ه - ه) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كذلك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقيين من م .

'ولما كان التقدير كما أرشد إليه سياق التهديد: فلقد سبقت كلمتنا على'
 من خالف رسلنا بالخذلان المهين، عطف عليه قوله: ﴿ولقد سبقت﴾
 أى فى الأزل ﴿كلمتنا﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿لعبادنا﴾ أى
 الذين اخلصوا لنا العبادة فى كل حركة وسكون ﴿المرسلين﴾ الذين
 زدناهم على شرف الإخلاص فى العبودية شرف الرسالة .

ولما آذنت اللام بعلوم، أوضح ذلك بيان^٢ ما سماه كلمة^٣ لانتظامه
 فى معنى واحد بقوله: ﴿انهم﴾ وزاد فى تأكيده فى نظير ما عند
 الكفرة على ما تدل عليه أعمالهم أنه^٤ فى غاية البعد فقال: ﴿لهم﴾
 أى خاصة ﴿المنصورون﴾ أى الثابت نصرهم فى الجدال والجلاد
 ١٠ وإن وقع للكفار عليهم فى الثانى ظهور ما . ولما خص بذلك
 المرسلين، عم^٥ فقال: ﴿وان جندنا﴾ أى من المرسلين وأتباعهم،
 [ولما كان مدلول الجند فى اللغة العسكر والأعوان والمدينة وصنفا من
 الخلق على حدة، قال جامعا على المعنى دون اللفظ نصا على المراد -^٦]:
 ﴿لهم﴾ أى لا غيرهم ﴿الغلبون﴾ أى وإن رئي^٧ أنهم مغلوبون لأن العاقبة
 ١٥ لهم إن لم يكن فى هذه الدار فهو فى دار القرار، وقد جمع لهذا النبى
 الكريم فيهما . وسمى هذا كله كلمة لانتظامه معنى واحدا، ولا يضر انهزام
 فى بعض المواطن^٨ من بعضهم^٩ ولا وهن قد يقع، وكفى دليلا على هذا

(١-١) سقط ما بين الرقيين من م (٢) من ظ وم و مد، وفى الأصل: بيان.
 (٢) من م و مد، وفى الأصل وظ: كله (٤) فى ظ: انهم (ه) من ظ وم
 ومد، وفى الأصل: اعم (٦) زيد من م (٧) من م و مد، وفى الأصل وظ:
 رأى (٨) فى مد: المواضع (٩) فى ظ: بعض .

سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الثلاثة بعده رضى الله عنهم .
 ولما ثبت لاحالة بهذا أنه صلى الله عليه وسلم هو المنصور لانه
 من المرسلين^١ ومن جند الله ، بل هو أعلام ، سبب عن ذلك قوله :
 ﴿ قَوْلٌ ﴾ أى فكلف^٢ نفسك الإعراض ﴿ عنهم ﴾ أى عن ردم
 عن الضلال قسرا ﴿ حتى حين لا ﴾ أى مبهم ، وهو الوقت الذى عيناه ه
 لنصرك فى الأزل ﴿ وابصرهم ﴾ أى يصرك وبصيرتك عند الحين^٣
 الذى ضربناه لك وقبه : كيف تؤديهم أحوالهم وتقلباتهم كلها ، تقلبوا
 [إلى سفول - °] .

ولما كانوا قبل الإسلام عميا صما لأنهم لا يصدقون وعدا [و-°]
 لا وعيدا ، ولا يفكرون فى عاقبة ، حذف المفعول من فعلهم فقال متوعدا ١٠
 محققا بالتسويق لا مبعدا : ﴿ فسوف يبصرون ه ﴾ أى يحصل لهم الإبصار
 الذى لا غلط فيه بالعين والقلب بعد ما هم فيه من العمى ، وهذا الحين
 واضح فى يوم بدر وما كان من أمثاله قبل الفتح ، فانهم كان لهم فى
 تلك الأوقات نوع من القوة ، فلذلك / اثبتهم نوع إثبات فى أبصرهم^٤ .
 ٤٢٥ /

ولما كانت عادتهم الاستعجال بما يهددون به استهزاء كلما ورد ١٥
 عليهم تهديد ، سبب عن ذلك الإنكار عليهم على وجه هو تهديد آخر
 لهم فقال : ﴿ ابعذابنا ﴾ أى على ما علم له من العظمة باضافته إلينا

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المرسل (٢) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : تكلف (٣) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٤) من م و مد ،
 وفى الأصل و ظ : كما (٥) زيد من م و مد (٦) سقط من ظ (٧) فى
 ظ : ابصر .

(يستعجلون) أى يطلبون أن يعجل لهم فيأتيهم قبل أوانه الذى ضربناه له^١. ولما علم^٢ من هذا^٣ أنه لا بشرى لهم يوم حلوله، ولا قرار عند نزوله، صرح بذلك فى قوله: (فاذا) أى هددناهم وأنكرنا عليهم بسبب أنه اذا (نزل بساحتهم) أى غلب عليها لأن ذلك شأن النازل بالشيء^٤ من غير^٥ إذن صاحبه ولا يغلب عليها إلا وقد غلب على أهلها فبرك عليهم بروكا لا يقدرّون معه على البروز إلى تلك الساحة [وهى الفناء الخالى من الابنية كأنه متحدث القوم وموضع راحتهم - ^٦] فى أى وقت كان بروكه من ليل أو نهار، ولكنه لما^٧ كانت عادتهم الإغارة صباحا، قال على سبيل التمثيل مشيرا بالفاء إلى أنه السبب لا غيره ١٠ (فساء صباح المنذرين) أى الذين هم أهل للتخويف [من هؤلاء وغيرهم - ^٨]، وهذا^٩ التهديد لا [يصلح لأن - ^٩] ينطبق على يوم الفتح، ولقد صار من لم يتأهل لغير الإنذار فيه فى غاية السوء، وهم الذين قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم، ومنهم من تعلق بأستار الكعبة فلم يفده ذلك، ولكنهم كانوا قليلا، والباقيون إن كان ١٥ ذلك الصباح على ما ساءهم منظره فلقد سرهم^{١٠} لعمر الله مخبره^{١١}.

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: لهم (٢-٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بهذا (٣-٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: بغير (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ما (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل: التخويف و، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فخذناها (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) من ظ وم، وفى الأصل وم: شرهم (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: مخبرهم.

و لما كان صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة لا يستأصل قومه بعذاب،
 قال دالاً على ذلك بتكرير الأمر تأكيداً للتسليّة، و وعد النصرة "مع ما
 فيه من زيادة المعنى على الأول"، عاطفاً على "تول"، الأولى؛ ﴿وَأَتُولُ﴾
 أى كلف نفسك الصبر عليهم فى ذلك اليوم الذى ينزل بهم العذاب
 الثانى و الإعراض ﴿عنهم حتى حين لا﴾ و كذا "فعل صلى الله عليه وسلم ه
 فانه حل بساحتهم يوم الفتح صباحاً، فلم يقدرُوا على مدافعة".
 و لما كابر بعضهم و دافع، لم يكن بأسرع من أن ولوا و طلبوا
 السلامة بالدخول فيما جعله صلى الله عليه وسلم علماً على التأمين، و قال
 حماس بن قيس أخو' بنى بكر لما دخل بيته لامرأته: أغلقى على الباب،
 فغيرته بالهزيمة بعد أن كانت "تناه عن" مناظرة المسلمين فلا ينتهى و يقول ١٠
 لها: ١٦ لا بد، أن أخدمك بعضهم^{١٧} :

إنك لو شهدت يوم الخدمة^{١٨} إذ فر صفوان و فر عكرمه

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م : قول (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل :
 كذلك (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مدافعتي (٤) من ظ و م و مد،
 و فى الأصل : آخر (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تهدده على .
 (٦) زيد فى الأصل : بل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد
 فى الأصل : شعرتى المعنى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها، و هذا
 الحذف و الآيات الآتية قد ذكرها ابن هشام فى السيرة ٢ / ٢١٧ (٨) من ظ
 و م و مد و السيرة، و فى الأصل : الخدمة .

و استقبلتنا بالسيوف المسله^١ يقطعن كل ساعد و حجمه
ضربا فلا يسمع إلا غمغه^٢ لهم نهيت^٣ خلقنا و همهم
لم تنطق^٤ في اللوم^٥ أدنى كله

و لما كان هذا منطبقا على يوم الفتح ، وكان ذلك اليوم قد أحل
الكفار محلا صاروا به بحيث لا اعتبار لهم قال : ﴿ و أبصر ﴾ مسقطا
ضميرهم ، أى أبصر ما تريد من شؤنك التى يهملك النظر فيها ، وأما هم
فصاروا بحيث لا يبالى بهم ، ولا يفكر^٦ فى أمرهم و لا يلتفت إليهم ،
فأنا أبدلنا من عزتهم ذلا ، و من كثرتهم قلا ، و جردنا تلك
الأراضى من قاذورات الشرك^٧ ، و أحللنا [بها -^٨] طهارة التنزيه و أقدس
التحميد ، وكذا كان ، فانه صلى الله عليه وسلم قال لهم وهو على درج
الكعبة و هم تحته كالغنم المجموعة فى اليوم المطير بعد أن قال^٩ / ولا إله
إلا الله وحده^{١٠} لا شريك له^{١١} صدق وعده و نصر عبده^{١٢} و أعز جنده و هزم^{١٣}
الأحزاب وحده ، : ما تظنون أنى فاعل بكم^{١٤} يا معاشر قريش ؟ قالوا :

/ ٤٢٦

(١) هناك بعض المغارقات فى السيرة فى ترتيب الأبيات (٢) من ظ و م و مد
و السيرة ، وفى الأصل : فست - كذا (٣ - ٣) من م و مد و السيرة ، وفى
الأصل وظ : بالوم (٤) من م و مد ، وفى الأصل وظ : مهم (ه - ه) من ظ
و م و مد ، وفى الأصل : كان يكن (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل :
المشركين (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كان .
(٨ - ٩) ليس ما بين الرقيين فى ظ و م و مد (١٠) فى ظ و م و مد : فيكم .

خيرا

خيرا، أخ كريم وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، وقال له صفوان بن أمية: اجعلنى بالخيار شهرين، قال أنت بالخيار أربعة أشهر، ولم يكلف أحدا منهم الإسلام حتى أسلوا بعد ذلك طوعا من عند آخرهم. ولما حاصر الطائفة فسرت عليه انصرف عنها، فلما لبثوا أن أرسلوا إليه رسلهم وأسألوا فحسن إسلامهم ولم يرد أحد منهم في الردة، وهذا من معنى ﴿ فسوف يصرون ٥ ﴾.

ولما تقرر له سبحانه من العظمة ما ذكر، فكان الأمر أمره والخلق خلقه، ثبت تنزهه عن كل نقص واتصافه بكل كمال، فلذلك كانت نتيجة [ذلك - ٢] الختم بمجامع التنزيه والتحميد [فقال - ٣]: ﴿ سبِّحْ رَبَّكَ ﴾ أى المحسن إليك بارسالك وإقامة الدليل الظاهر المحرر ١٠ على صدقك بكل ما يكون من أحوال أعدائك من كلام أو سكوت، وتأيدك بكل قوة وإلباسك كل هبة ﴿ رب العزة ﴾ [أى - ٤] التى هو محتص بها - [بما - ٥] أفهمته الإضافة وأفاده شاهد الوجود وحاكم العقل، وقد علم بما ذكر فى هذه السورة أنها تغلب كل شيء ولا يغلبها شيء، وفى إضافة الرب إليه وإلى العزة إشارة إلى اختصاصه صلى الله عليه وسلم وكل من وافقه فى أمره عن جميع الخلق بالعزة وإن روى فى ظاهر الأمر غير ذلك ﴿ عما يصفون ٦ ﴾ مما يقتضى القناص لما ثبت

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: كان (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) زيد من م ومد (٤) فى مد: الذى (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: العز.

من ضلالهم و بعدهم عن الحق .

ولما قدم السلام على من شاء تخصيصه في هذه السورة من رسله
عهم فقال عاطفا على "سبحن" : ﴿وسلم﴾ أى تنزه له وسلامة
وشرف ونحر وعلا ﴿على المرسلين﴾ أى الواصفين له بما هو له
ه أهل، الذين اصطفاهم، الصافين صفا، الزاجرين زجرا، التالين ذكرا، من
البشر والملائكة المذكورين في هذه السورة وغيرهم لاجل ما حكم لهم
به سبحانه في الازل من العز والنصر ﴿والحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف
الكمال ﴿لله﴾ أى الجامع لجميع الاسماء الحسنى التى دل عليها بمجموع
خلقه، وإلى ذلك أشار بقوله : ﴿رب الغلبن﴾ فهو حيثئذ الواحد
١٠ المتعال، الذى تنزه عن الأكفاء والأمثال، والنظراء والأشكال، فى كل
شئ من الأقوال والأفعال، والشئون والأحوال، ولقد توافق
آخرها - كما ترى - وأولها، وتعاقب مفصلها وموصلها - والله الهادى
إلى الصواب ٣ .

* * *

(١) فى ظ : السورتين (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : الذى (٣-٢) - سقط
ما بين الرقين من ظ وم ومد، وكتب هنا بهامش م : وافق الفراغ من
كتابة هذا الجزء على يد أبى البقاء عبد القادر بن عبد العزبانى رابع محرم
الحرام سنة ١٠٧٣ .

سورة ص

المقصود منها بيان ما ذكر في آخر الصفات من أن جسد الله م
 الغالبون - وإن رقى أنهم ضعفاء، وإن تأخر نصرهم - غلبة آخرها سلامة
 للفريقين، لأنه سبحانه واحد لكونه محيطا بصفات الكمال كما أنهم آخر
 الصفات من التنزيه والحمد وما معها^٢، وعلى ذلك دلت تسميتها بحرف ه
 ص، لأن مخرجه من طرف اللسان، وبين أصول الثنتين السفليتين،
 وله من الصفات الخمس والرخاوة والإطباق والاستعلاء والصغير،
 فكان دالاعلى ذلك لأن مخرجه أمكن مخرج الحروف وأوسعها وأخفها
 وأرشفها وأغلبها، ولأن ما له من الصفات العالية أكثر من ضدها
 وأنغم وأعلى وأضخم، ولذلك ذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن
 على أيديهم إهلاك، / بل ابتلوا وعرفوا وسلمهم الله من أعدائهم من
 الجن والإنس، وإلى ذلك الإشارة بما روى عن ابن عباس^٣ رضي الله
 عنهما وعن غيره من أن معناه: [الله - °] صادق فيما وعد، أو صدق
 محمد صلى الله عليه وسلم، أو صاد محمد صلى الله عليه وسلم قلوب الخلق
 واستمالها، وبه قرأ أبو عمرو في رواية شاذة على أنه فعل ماض من ١٥

- (١) وهي ثمان وثمانون آية في الكوفي وست وثمانون في الحجازي والبصري
 والشامي، ونحس وثمانون في عد أيوب بن النوكل وحده - راجع روح
 المعاني ٣٢٦ / ٧ (٢) زيد قبله في الأصل: مقصودها الذكر، ولم تكن
 الزيادة في ظهروم ومد فخذها (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: معها.
 (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٣٤ / ٦ (ه) زيد من ظ وم ومد.

الصيد، وقرأ الحسن و غيره بكسر الصاد^١ على^٢ أنه أمر^٣ من المصاداة
وهي المعارضة^٤ أى^٥ عارض بما أنزلناه إليك^٦ الخلائق^٧ و جادلهم به
فانك تغلبهم لأن^٨ الصدق سيف الله^٩ فى أرضه، ما^{١٠} وضعه على شىء
إلا قطعه، و قد انبسط هذا الصدق الذى أشار إليه الصاد على كل صدق
ه فى الوجود فاستمال [كل - ^{١١}] من فيه نوع من الصدق، ولهذا قال
فى السورة التى بعدها ” و الذى جاء بالصدق و صدق به“^{١٢} فذكر هؤلاء
الأنبياء عليهم السلام شاهد وجودى على ما هو معنى الصاد عند العلماء
الربانيين من أنه مطابقة ما بين الخلق و الامر، و تسمى سورة داود
عليه السلام - كما قاله ابن الجوزى رحمه الله - و حاله صلى الله عليه
١٠ وسلم أدل أحوال من فيها من الأنبياء على هذا المقصود، لما كان فيه
من الضعف أولا و الملك آخر (بسم الله) الذى يعز من اتقى إليه
و إن كان ضعيفا لانه العزيز (الرحمن) الذى له القدرة التامة على
أن يرحم بالضراء كما يرحم بالسراء (الرحيم) الذى أكرم أهل وده،
بالإعانة على لزوم شكره و حمده .

١٥ و لما نزه ربنا سبحانه نفسه الاقدس فى ختام تلك عن كل شائبة

(١) راجع ثر المرجان ٦ / ٦١ (٢ - ٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من
م و مد و ثر المرجان (م) فى مد : المصادرة (٤) فى الأصل و ظ بياض ملأناه
من م، و هذا اللفظ مع ما يليه ساقط من مد (هـ - هـ) من م و مد، و فى الأصل
و ظ : اى (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٧) من ظ و م
و مد، و فى الأصل : اه (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) راجع آية ٣٣ .

نقص، وأثبت له كل كمال ناصا على العزة، وأوجب للرسلين السلامة،
افتتح هذه بالإشارة إلى دليل ذلك بخذلان من ينازع فيه فقال:
﴿ص﴾ أى إن أمرك - يا من أمرناه باستفتاء العصاة آخر الضفت
[و- ١] بشرناه بالنصر - [مهياً - ٢] مع الضعف الذى أتم به الآن
والرخاوة والإطباق، وعلو وانتشار يملأ الآفاق ﴿والقرآن﴾ أى الجامع ه
- مع البيان لكل خير - لا تباع لا يحصيهم العد^٢، ولا يحيط بهم الحد.
ولما كان [القسم - ١] لا يليق ولا يحسن إلا بما يعتقد المقسم له شرفه
قال: ﴿ذى الذكر﴾ أى الموعظة والتذكير بما يعرف، والعلو والشرف
والصدق الذى لا ريب فيه عند كل أحد، فكل من سمعه اعتقد شرفه
وصدق الآتى به ليملاّن شرفه المنزل عليه الأقطار، وليزيدن على كل ١٠
مقدار، كما تقدمت الدلالة عليه بالحرف الأول، والذين كفروا وإن
أظهروا الشك فى ذلك وانتقصوه* [قولا - ١] فانهم لا ينتقصونه علما
﴿بل الذين كفروا﴾ بما يظهرون من تكذيبه ﴿فى عزة﴾ أى عسر
وصعوبة ومغالبة بحمية الجاهلية مطروفون لها، فهى معية لهم عن الحق
لإحاطتها بهم، وأنشأ إشارة إلى ضعفها، وبشارة بسرعة زوالها وانقلابها ١٥
إلى ذل^١ ﴿وشقاق﴾ [أى - ٢] لإعراض وامتناع واستكبار عن
قبول الصدق من لسان^٤ الحال الذى أفصح به الوجود، وقال الذى

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م ومد، وفى
الأصل: العدد (٤) فى م: ليردن (٥) من مد، وفى الأصل و ظ و م:
تنقصوه (٦ - ٦) سقط ما بين الرقين من م (٧) زيد من م ومد (٨) من م
ومد، وفى الأصل و ظ: تساقى.

صرح به الذكر فهداهم إلى ما هو في فطرم و جبلاتهم بارشق عبارة
و أوضح إشارة لو كانوا يعقلون ، فأعرضوا عن تدبره عنادا منهم لا اعتقادا
فانهم لا يكذبونك^١ و لكن الظالمين بأيت الله يحدون ، و تنكيههما
للتعظيم ، قال الرازي : حذف الجواب ليذهب فيه القلب كل مذهب
هـ ليكون أغزر و بحوره^٢ أزخر - انتهى .

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : / لما ذكر تعالى حال الأمم
السالفة مع أنبيائهم في العتو و التكذيب ، و أن ذلك أعقبهم^٣ الأخذ
الويل و^٤ الطويل ، كان هذا مظنة لتذكير حال مشركي العرب و بيان
سوء مرتكبهم و أنهم قد سبقوا إلى ذلك الارتكاب ، فخل بالمعاند
١٠ سوء العذاب ، فبسط حال هؤلاء 'و سوء' مقامهم ليعلم أنه لافرق بينهم
و بين مكذبي الأمم السالفة في استحقاق العذاب و سوء الانقلاب ،
و قد وقع التصريح بذلك في قوله تعالى " كذبت قبلهم قوم نوح و عاد
و فرعون ذو الاوتاد - إلى قوله : ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب "
و لما أتبع سبحانه هذا بذكر استعجالهم في قوله " عجل لنا قطنا قبل يوم
١٥ الحساب " أتبع ذلك بأمر نبيه صلى الله عليه و سلم بالصبر فقال " اصبر
على ما يقولون " ثم آنسه بذكر الأنبياء و حال المقربين الأصفياء
" و كلا نقص عليك من انباء الرسل ما ثبت به فؤادك " - انتهى .

(١) في ظ : لا يكذبوك (٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لجورة .
(٣-٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الويل (٤-٤) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : موسر .

ولما كان للعلم الذى أراد الله إظهاره فى هذا الوجود طريقان :
 حال ومقال ، فأما الحال فهو ما تنطق به أحوال الموجودات التى أبدعها
 سبحانه فى هذا الكون من علوم يدرك منها من أراد الله ما أراد ،
 وأما المقال فهو هذا الذكر الذى هو ترجمة عن جميع الوجود ،
 وكان سبحانه قد قدم الذكر لأنه أبين وأظهر ، وأخبر أنهم ه
 أعرضوا عنه وشاققوه^١ ، وكان من شاقق الملك استحق الهلاك ،
 وكان ما^٢ أبدوه من المغالبة أمرا غائظا^٣ للمؤمنين ، أتبعه ما يصلح
 لتخويف^٤ الكافرين وترجئة المؤمنين بما^٥ أفصح به لسان الحال من إهلاك
 المنذرين ، وهو أبين ما يكون من دلالاته ، وأظهر ما يوجد من آياته ،
 فقال استئنافا : ﴿ كم اهلكنا ﴾ و كأن المنادين بما يذكر كانوا بعض ١٠
 المهلكين ، وكانوا أقرب المهلكين إليهم فى الزمان ، فأدخل الجار لذلك ،
 فقال دالا على ابتداء الإهلاك : ﴿ من قبلهم ﴾ وأكد كثرتهم بقوله
 [ميزا - °] : ﴿ من قرن ﴾ أى كانوا فى شقاق مثل شقاقهم ، لأنهم
 كانوا فى نهاية الصلابة والحدة والمنعة - بما دل عليه « قرن » . ولما
 تسبب عن مسهم بالعذاب دلمهم^٦ قال^٧ « جامعا على معنى « قرن » ، لأنه ١٥
 أدل على عظمة الإهلاك^٨ : ﴿ فنادوا ﴾ أى بما كان يقال لهم : إنه سبب
 للنجاة من الإيمان والتوبة ،^٩ و « استعانوا بمن^{١٠} » ينقذهم ، أو فعلوا النداء

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : شاققوا (٢) فى ظ : من (٣-٢) تكرر
 ما بين الرقين فى الأصل و ظ (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ما .
 (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ولم .
 (٧-٧) سقط ما بين الرقين من م (٨) العبارة من هنا إلى « لا فرار لهم » ص ٢٢٦
 ص ٣ ساقطة من م (٩-٩) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : استعانوا من .

ذعرا و دهشة من غير قصد منادى ، فيكون الفعل لازما ، و قال الكلبي^١ :
كانوا إذا قاتلوا فاضطربوا^٢ تادوا «مناص» أى عليكم بالفرار ، فأجيبوا
بأنه لا فرار لهم .

و لما قرر سبحانه في غير موضع أن التوبة لا تنفع إلا عند التمكن
هـ و الاختيار لا عند الغلبة و الاضطراب ، قال تعالى مؤكدا لهذا المعنى
في جملة حالية بزيادة التاء التي أصلها هاء في «لا» أو في «حين» كما أكدوا
بزيادتها في رب و هم ، و الهاء في أراق^٣ و التاء في^٤ مثال و الان فقالوا :
«ربت و ثمت^٥ و اهراق و تمثال و تالان (و لات) أى و ليس^٦ الحين
(حين مناص هـ) أى فرارا بتحرك بتقدم و لا تأخر ، بحركة قوية
١٠ و لا ضعيفة ، فضلا عن نجاة» قال ابن برجان^٧ : و النوص يعبر به تارة
عن التقدم و تارة عن التأخر و هو كالجحاح^٨ و النفار من الفرس ، و نوص
حمار الوحش رفعه رأسه كأنه نافر جامع .
و لما كان جعل المنذر منهم ليس محلا للعجب فعُدوه^٩ عجا لما ظهر

(١) راجع البحر المحيط ٧ / ٣٨٤ (٢) من البحر ، و في الأصل و ظ ؛
فاضربوا ، و في مد : فاضطربوا (٣-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل^٧ : التال
- كذا (٤-٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ربه و اثمة (هـ) من ظ و م
و مد ، و في الأصل : ليت (٦) هو عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن
بن أبي الرجال أبو الحكم ، لقوى من أهل أشبيلية ، توفى سنة ٩٢٧ هـ - راجع
معجم المؤلفين ٥ / ١٤٤ (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : كالخارج .
(٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فعدوا .

من تقسيمهم^١ القول فيه ، عجب منهم في قوله : (وعجبوا أن) أى لأجل
 أن (جاءهم)^٢ و لما / كان تعجبهم من مطلق نذارته لا^٣ مبالغته فيها أنى^٤
 باسم الفاعل دون فاعيل [فقال -^٥] : (منذر منهم ذ) أى من البشر
 ثم من العرب [ثم -^٦] من قريش ولم يكن من الملائكة مثلاً^٧ وكان
 ينبغي [لهم -^٨] أن لا يعجبوا من ذلك فان كون النذير بما يحل من ه
 المصائب من القوم المنذرين - مع كونه أشرف لهم - أقعد في النذارة
 لأنهم أعرف به وبما هو منطوي عليه من صدق و شفقة و غير ذلك ،
 وهو الذى جرت به العوائد في القديم والحديث 'لكونهم إليه' أمل ،
 فهم لكلامه أقبل .

ولما كانوا أعرف الناس بهذا النذير صلى الله عليه وسلم في أنه
 أصدقهم لحجة وأعلام همة وأنه منى عنه كل قبيصة ووصمة ، زاد في
 التعجب بأن قال 'معبرا بالواو دون الفاء لأن وصفهم له بالسحر
 ليس شبيه هذا العجب'^١ : (وقال) و لما كانوا يسترون الحق مع معرفتهم
 إياه فهم جاحدون لجاهلون ، ومعاندون لا غافلون ، أظهر موضع الإضمار

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : تعنتهم (٢) العبارة من هنا إلى « دون
 فاعيل » ساقطة من م (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : لأن منه (٤) من مد ،
 وفي الأصل وظ : أى (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ
 و م و مد ، وفي الأصل : بملا - كذا (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) من م
 و مد ، وفي الأصل : لكونه ، وفي ظ : لأنه (١٠ - ١٠) سقط ما بين
 الرقين من م .

إشارة إلى ذلك وإيذانا بشديد غضبه في قوله: ﴿الكفرون لهذا﴾
أى النذير .

١٠ لما كان ما يديه من الخوارق إعجازا فعلا و قولاً يجذب القلوب ،
و كان أقرب ما يقدرهون به فيه^٢ السحر قذفوه [به - ٢] ولم يعبروا
بصيغة المباعدة لئلا يكون ذلك إيضاحاً جاذباً للقلوب إليه فقالوا : ﴿سحر﴾
أى لأنه يفرق بما أتى به بين المرء و زوجته ، فاعترفوا - مع نسبتهم له
إلى السحر و هم يعلون أنهم كاذبون في ذلك - أن ما أتى به فوق ما لهم
من القوى ﴿كذاب عظيم﴾ أى فى ادعائه أن ' ما سحر به حق ليس هو
كسحر السحرة ، و أتوا بوقاحة بصيغة المباعدة و قد كانوا قبل ذلك
يسمونهم^٣ الامين و هم يعلون أنه لم يتجدد له شئ إلا إتيانه بأصدق
الصدق و أحق الحق مع ترقيه فى معارج الكمال من غير خفاء على أحد
له أدنى تأمل .

و لما ذكر قولهم الناشئ عن عجبهم ، ذكر سببه ليعلم ان حالهم هو
الذى يعجب منه لا حال من أنذرهم بقوله حاكياً قولهم إنكاراً لمضمون
١٥ ما دخل عليه : ﴿ اجعل ﴾^٤ أى صير بسبب ما يزعم أنه يوحى إليه^٥
﴿الالهة﴾ أى اتى نعبدها ﴿الها واحداً﴾ و لما كان الكلام فى
الإلهية التى هى أعظم أصول الدين ، و كان^٦ هو صلى الله عليه وسلم
و كل من تبعه [بل - ٧] و كل منصف يشكرون أن يكون هذا عجبا .

(١) العبارة من هنا إلى « للقلوب إليه فقالوا » ساقطة من م (٢) فى ظ : فى .
(٢) زيد من مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اى (٥-٥) فى م و مد :
يسمونه قبل ذلك (٦-٦) سقط ما بين الرقين من م (٧) زيد من م و مد .

بل العجب كل العجب ممن يقبل عقله أن يكون الإله أكثر من واحد،
أكدوا قولهم لذلك وإعلاما 'لضعفائهم تثبيتا لهم' بأنهم على غاية الثقة
والاعتقاد لما يقولون، لم يزلهم ما رأوا من مندرهم من الأحوال
الغريبة الدالة ولا بد على صدقه، فسموها سحرا لعجزهم عنها: ﴿ان هذا﴾
أى القول بالوحدانية ﴿لشيء عجاب﴾ أى فى غاية العجب - بما دلت
عليه الضمة والصيغة، 'ولذلك قرئ شاذا بتشديد الجيم، وهى' أبلغ،
قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: فلا هم عرفوا الإله ولا معنى الإلهية،
فان الإلهية هى القدرة على الاختراع، [و تقدير القادرين على الاختراع-^٤]
غير صحيح لما يجب من وجود^٥ التامع بينهما وجوازه، وذلك يمنع من
كاملها، ولولم يكونا [كاملى الوصف لم يكونا-^٤] إلهين، وكل أمر جر ١٠

ثبوته سقوطه فهو باطل مطروح^٦ - انتهى . و ستأتى / الإشارة إلى الرد عليهم
بقوله "العزير الوهاب" ثم بقوله "وما من اله الا الله الواحد القهار".
ولما كان العجب فكيف بالعجاب جديرا بأن يلزم صاحبه ليزداد
الناظر عجبا، بين أنهم فعلوا خلاف ذلك تصديقا لما نسبهم إليه من
الشقاق فقال: ﴿وانطلق﴾ ولما كان ما فعلوه لا يفعله عاقل، فربما ١٥
ظن السامع ان المنطلق منهم أسقاط من الناس من غيرهم قال: ﴿الملا﴾

(١-١) سقط ما بين الرقنين من م (٢) العبارة من هنا إلى هـ هى أبلغ، ساقطة
من م (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: هو (٤) زيد من م و مد (هـ) من م
و مد، وفى الأصل و ظ: جود (٦) من ظ و م و مد. وفى الأصل:
منطرح، وهذه الكلمة قد تقدمت على هـ باطل، فى م و مد.

أى الإشراف، و قال: ﴿منهم﴾ أى لا من غيرهم فكيف بالأسقاط
منهم و كيف بغيرهم، ثم حقق الانطلاق مضمنا له القول لأنه من لوازمه
بقوله: ﴿ان امشوا﴾ أى قائلًا كل منهم لذلك^١ أمرًا لنفسه و لصاحبه بالجد
فى المفارقة حالا و مقالا،^٢ و إذا وقف على «ان» ابتدئ بكسر الهمزة^٣
• لأن أصله: امشوا^٤، فالثالث مكسور كما أنه لو قيل لامرأة: اغزى يتبدأ^٥
بالضم لأن الأصل: اغزوى كاخرجى ﴿واصبروا على^٦ الحتم^٧﴾
أى لزوم عبادتها و عدم الالتفات^٨ إلى ما سواها، قال القشيري: و إذا
تواصى^٩ الكفار فيما بينهم بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون^{١٠} أولى بالصبر على
عبادة معبودهم و الاستقامة فى دينهم •

١٠. و لما كان كل منهم قد أخذ ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم
قلبه و سلب لبه، على ما أشار إليه «ذى الذكر بل» فهو خائف من
صاحبه أن يكون قد استحال عن اعتقاد التعدد بما يعرف من ترحزه
فى نفسه، أكدوا قولهم: ﴿ان لهذا﴾ أى الصبر على عبادة الآلهة
﴿لشيء يراد^{١١}﴾ أى هو أهل^{١٢} للإرادة فهو^{١٣} أهل^{١٤} لثلاث ينفك عنه،

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كذلك (٢) العبارة من هنا إلى
«كاخرجى» ساقطة من م (٣) زيد بعده فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة
فى ظ و مد فحذفها (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: امشوا (٥) من ظ
و مد، وفى الأصل: ابتدئ (٦) فى مد: التفات (٧) من مد، وفى الأصل
و ظ و م: نواصى (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فالمؤمنين (٩) من
م و مد، وفى الأصل و ظ: اصل (١٠) من مد، وفى الأصل و ظ
و م: هو •

أو الذي يدعو إليه شيء يريد^١ هو و لا نعلم نحن ما هو على ما نحن عليه من الحق، فهو شيء لا يعلم في نفسه ،

ولما كان كأنه قيل : فما حال ما يقوله ؟ قالوا جوابا واقفا مع التقليد والعادة التي وجدوا عليها أسلافهم : (ما سمعنا بهذا) أي الذي تذكره من الوحدانية (في الملة الأخيرة ط) و تقييدهم لها يدل على ه أنهم عالمون به في الملة الأولى ، وأنهم عارفون بأن إبراهيم عليه السلام ومن وجد من أولاده الذين هم آباؤهم^٢ إلى عمرو بن لحي^٣ كانوا بعيدين من الشرك ملازمين للتوحيد وأنه لا شبهة لهم إلا كونه سبحانه لم يغير عليهم في هذه المدد الطوال^٤ ، وكانوا أيضا يعرفون البعث ولكنهم تناسوه ، ذكر ابن الفرات في تأريخه يوم حليلة من أيام العرب وقال : ١٠ إن حجر بن عمرو أكل المرار [سار - °] إلى بنى أسد فقتلهم و سيرهم إلى تهامة فقال عبيد بن الأبرص من أبيات :

و منعتهم^٥ نجدا فقد حلوا على [وحل^٦ تهامة - °]

أنت المليك^٧ عليهم وهم العبيد إلى القيامة

وروى الإمام أحمد^٨ عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه ١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يرد^٩ (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : أو باؤهم - كذا (٣) زيدت الواو في ظ (٤-٤) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : هذا المد الطويل ، و العبارة من بعده إلى « القيامة » ساقطة من م (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، وفي الأصل : صعتهم (٧) ليس واضحا في م (٨) من ظ و مد ، وفي الأصل : المليك - كذا (٩-٩) ما بين الرقين يياض في الأصل ملائناه من مد (١٠) في مسنده ١ / ٤٤٦ .

عليه وسلم قال : إن أول من سيب السوايب وعبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر وأنا رأيت يجر أمعاءه في النار .^١ وروى الطبراني^٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أول من غير دين إبراهيم عليه السلام عمرو بن لحي بن قعدة^٣ . وروى البخاري في فتح مكة^٤ عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أخرج من البيت صورة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في أيديهما الأزلام فقال : قاتلهم الله ! لقد علموا ما استقسما بها قط . فبطل ما يقال [من - *] أن أهل الفترة جهلوا جهلا أسقط عنهم اللوم ، ويؤيده ما في الصحيح عن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال :
 ١٠ يا رسول الله ! أين أبي ؟ قال : في النار ، فلما قفي^٥ دعاه فقال : إن أبي وأباك في النار - أخرجه مسلم في آخر كتاب الإيمان^٦ . وقد مر في سبحان في قوله تعالى ” وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا “ ما ينفع هنا ، والقاطع للنزاع في هذا قوله ” ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه^٧ ضلالة “ فارتكت هذه الآية أحدا حتى شملته وحكت عليه بالجنة أو النار .

(١) العبارة من هنا إلى « بالجنة أو النار » من ١٦ ساقطة من م (٢) راجع مجمع الزوائد ١ / ١١٦ (٣) زاد في المجمع : بن خندف أبو خزاعة (٤) راجع من صحيحه ٢ / ٦١٤ (٥) زيد من ظ ومد (٦ - ٦) من مد ، وفي الأصل وظ : قال (٧) راجع باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار ١١٤ / ١١٤ .
 ولما (٨٣) ٣٣٢

ولما كان قوله صلى الله عليه وسلم [وحده - '] جديراً بأن
يزلزلهم فكيف إذا انضم إليه عليهم بأن أسلافهم لاسيما إسماعيل وأبوه
إبراهيم عليهما السلام كانوا عليه^٢، أكدوا قولهم^٣: (ان) أى ما
(هذا) أى الذى يقوله (الا اختلاق) أى تعد الكذب مع أنه
لاملازمة بين^٤ عدم سماعهم فيها وبين كونه اختلاقاً، بل هو قول
يعرف معانيه بأدنى تأمل، روى الترمذى^١ - وقال: حسن صحيح - والنسائى^٥
[و -^٦] ابن حبان فى صحيحه وأحمد^٧ وإسحاق^٨ وأبو يعلى والطبرى^٩
وابن [أبى -^{١٠}] حاتم^{١١} وغيرهم^{١٢} عن ابن عباس رضوا الله عنهما قال:
مرض أبو طالب فجاءته قريش، وجاءه النبي صلى الله عليه وسلم وعند
أبى طالب مجلس رجل فقام^{١٣} أبو جهل كى يمنعه، قال: وشكوه إلى
أبى طالب - زاد النسائى فى الكبير^{١٤} وأبو يعلى: وقالوا^{١٥}: يقع فى آلهتنا

- (١) زيد من م ومد (٢) سقط من ظ (٣) فى م: قوله (٤) العبارة من هنا
إلى «بأدنى تأمل» ساقطة من م (٥) من مد، وفى الأصل وظ: عين (٦) راجع
جامعه ١٥٥/٢ (٧) راجع الدر المنثور للسيوطى ٢٩٥/٥ حيث أخرج
الحديث من رواية النسائى وابن أبى حاتم وغيره (٨) زيد من ظ وم ومد.
(٩) راجع مسنده ٢٢٧/١ (١٠) من م ومد، وفى الأصل وظ: أبو إسحاق.
(١١) راجع تفسيره ١٩/ ٧١ [طبعة قديمة] (١٢) زيد من م ومد (١٣) مثلاً
ابن المنذر والحاكم وابن أبى شيبه وابن مردويه - كما فى الدر المنثور.
(١٤) من مد والجامع، وفى الأصل وظ وم: فقال (١٥) فى م: الكبرى.
(١٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: قال.

فقال: يا ابن أخى! ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب وتودى إليهم المعجم الجزية، قال: كلمة واحدة، قال: كلمة واحدة، فقال: وما هى؟ فقال: يا عم، قولوا: لا إله إلا الله، فقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة. إن هذا إلا اختلاق، قال: فنزل فيهم القرآن، ص و القرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق - إلى قوله: اختلاق، وفى التفسير أنهم قالوا: كيف يسع الخلق كلهم؟ إله واحد.

ولما كان مرادهم بهذه التأكيدات، الدلالة على أنهم فى غاية الثبات على ما كانوا عليه قبل دعائه، وأبى الله أن يبقى باطلاً بغير ١٠ إماراة يقرنه بها تفضحه، وسلطان يطله ويهتكه، أتبع ذلك حكاية قولهم «الذى جعلوه دليلاً على حرمهم، فكان -» [دالا على عدم صدقهم فى هذا الحكم الجازم غاية الجزم بالاختلاق] المنادى عليهم بأن أصل دائهم والحامل لهم على تكذيبهم إنما هو الحسد، فقال ١٥ [دالا بتعبيرهم بالإزال على أنه صلى الله عليه وسلم كان جديراً بأن يتوهم فيه النبوة بما كان له قبل الوحي من التعبد والأحوال الشريفة

(١ - ١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢) من ظ و م و مد و الجامع، وفى الأصل: واحد (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: التأكيد (٥) زيد من مد (٦) من مد، وفى الأصل و ظ و م: الدال (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: باختلاف (٨) زيد فى الأصل و ظ و م: إياكيا، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

وقدموا ما يدل على اختصاصه عنادا لما يعلون من أحواله المقتضية
للخصوصية بخلاف ما يذكر في القمر، وعبروا بحرف الاستعلاء
إشارة إلى أن مثل هذا الذي يذكره لا يقوله إلا من غلب على عقله
فقالوا - ١ : ﴿ انزل عليه ﴾ أى خاصة ﴿ الذكر ﴾ [أى - ٢] الذى
خالف ما نحن عليه وصار يذكر به، [وزادوا ما دلوا به على الاختصاص هـ
تصريحا فقالوا - ١ : ﴿ من بيننا ﴾ ونحن أكبر سنا وأكثر شيئا،
وهذا كله كما ترى مع مناداته عليهم بالحسد العظيم ينادى عليهم غاية
المناداة بالفضيحة، لأنه إن كان المدار على رعاية حق الآباء حتى
لا يسوغ لأحد تغيير دينهم والظن عليهم بدين محدث وإن قامت عليه
الأدلة وتعاضدت على حقيقته البراهين فآبائهم غيروا دين آبائهم لأجل ١٠
ما أحدثه عمرو بن لحي - شخص ليس من قبيلتهم، وشهدوا على آبائهم
بالضلال وهم عالمون بأن ما غيروه دين إسماعيل ومن قبله إبراهيم ومن
تبعهما من صالحى أولادهما عليهم السلام، وإن كان المدار على المحدث
حتى ساغ تغيير دين الأنبياء ٢ ومن تبعهم باحسان عليهم السلام بما أحدثه
عمرو بن لحي / فإلهم لا يغيرون ٣ ما ابتدع من الضلال بما آتاهم به النبي ١٥ / ٢ -
صلى الله عليه وسلم وسموه محدثا، وإن كان المدار على الحق فإلهم
لا ينظرون الأدلة ويتبعون الجميع .

ولما كان هذا دالا على أنهم ليسوا على ثقة مما جزموا به قال ٥ :

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفى
الأصل : الآباء (٤) من م ومد، وفى الأصل و ظ : لا يغير (هـ) فى ظ : قالوا .

(بل) أى إنهم ليسوا جازمين بما قالوا وإن أكدوه غاية التأكيد،
 بل (هم فى شك) أى تردد^۱ محيط بهم 'متدئى لهم' (من ذكرى ع)
 [أى -^۲] فلهذا لا يثبتون [فيه -^۳] على قول واحد، أى إن أحوالهم
 فى أحوالهم وأفعالهم أحوال الشاك^۴ . وعدل عن مظهر العظمة إلى
 الأفراد لأن هذا السياق للتوحيد فالأفراد^۵ أولى به وليكون^۶ نصا على
 المراد بعد ذكر آلهتهم قطعاً شبه متعنتهم .

ولما كانوا^۷ فى الحقيقة على ثقة من حقيقته^۸ وإن كان قولهم
 وفعلهم قول الشاك قال: (بل) أى ليسوا فى شك منه فى نفس
 الأمر وإن كان قولهم قول من هو فى شك . ولما كانوا قد
 ۱۰ جرت لهم مصائب ومحن، وشدائد^۹ وفتن^{۱۰}، ربما ظنوا أنه لا يكون
 شيء من العذاب فوقها، نفي أن يكونوا ذاقوا شيئاً من عذابه الذى
 يرسله عند إرادة الانتقام، فعبر بما يفيد استغراق النفي فى جميع الزمن
 الماضى فقال: (لما يذوقوا) من أول أمرهم إلى الآن (عذاب^{۱۱})
 أى الذى أعدده للكاذبين فهم فى عزة وشقاق، ولو ذاقوه لانحلت
 ۱۵ عرى عزائمهم، وصاروا أدل شيء وأحقره أدناه وأصغره^{۱۲} ! وإطباق^{۱۳}

(۱-۱) سقط ما بين الرقین من م (۲-۲) سقط ما بين الرقین من مد (۳) زيد
 من م و مد (۴) العبارة من هنا إلى « شبه متعنتهم » ساقطة من م (۵) من
 ظ و مد، وفى الأصل : فالأفراد (۶) من ظ و مد، وفى الأصل : يكون .
 (۷) من ظ و م و مد، وفى الأصل : كان هولا (۸) فى م : حقيقته (۹) من
 م و مد، وفى الأصل و ظ : أن .

أهل الرسم وأكثر القراء على حذف يائه رسماً وقراءة إشارة إلى أنه العذاب الأدنى المذهب لحجة الجاهلية، وإثبات يعقوب وحده لها في الحاليين إشارة إلى أنه العذاب المعد لإهلاك الأمم الطاغية لامطلق العذاب.^١
 و لما أرشد إنكارهم خصوصيته بالذكر بنفى^٢ شكهم اللازم منه إثبات أنهم على علم بأنه مرسل، وأنه أحقهم بالرسالة إلى [أن - ٢] التقدير: ه
 أفهم غيره من هو أهل لتلقى هذا الذكر حتى ينزله الله عليه ويترك هذا البشير النذير صلى الله عليه وسلم، عادل به قوله: (أم عندهم)
 أى خاصة دون غيرهم (خزائن رحمة)، ولما كان إنزال الوحي إحساناً إلى المنزل عليه، عدل^٣ عن أفراد الضمير إلى صفة لإحسان المفيدة للتربية، فقال مخاطباً له صلى الله عليه وسلم لانه أضخم لشأنه، وأنخم^{١٠} لمقداره ومكانه: (ربك) أى المحسن إليك بانزاله لخصوا^٤ به من شاؤا و يمنعوا من شاؤا " أم يقسمون رحمة ربك " ولما كان لا يصلح للربوبية إلا الغالب لكل ما سواه، المفيض على من يشاء، ما يشاء،^٥ قال: (العزيز الوهاب) [أى - ٨] الذى يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء،
 و يفيض^٦ على جهة التفضل^٧ ما يشاء على من يريد، وله صفة الإفاضة^{١٥}

- (١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: يتقى.
 (٢) زيد من ظ وم ومد (٤) العبارة من هنا إلى « لمقداره ومكانه »
 ساقطة من م (٥) من مد، وفي الأصل وظ: دل (٦) من ظ وم ومد،
 وفي الأصل: لحصوا - كذا (٧) العبارة من هنا إلى « التفضل ما يشاء »
 ساقطة من مد (٨) زيد من م.

متكررة الآثار على الدوام ، فلا معطى لما منع ولا مانع لما أعطى .
ولما سلب عنهم التصرف في الخزائن ، أتبعه نبي الملك عما
شاهدوا منها وهو جزء يسير جدا فقال : ﴿ ام لهم ﴾ أى خاصة
﴿ ملك السنوات والارض ﴾ ولما كان الحكم على ذلك لا يستلزم
٥ الحكم على القضاء قال : ﴿ وما بينهما ﴾ أى لتكون كلمتهم في هذا
الكون هى النافذة ويتكلموا فى الامور الإلهية ويسندوا ما شاؤا من
الامور الجلية إلى من شاؤا ، ثم بين عجزهم وبكنتهم وقرعهم وبخهم
بما سبب عن ذلك من قوله : ﴿ فليرتقوا ﴾ أى يتكلفوا الرقى إن كان
لهم / ذلك ﴿ فى الاسباب ﴾ أى الطرق الموصلة إلى السماء ليستروا على
١٠ العرش الذى [هو - '] أمانة الملك فيدبروا العالم فيخصوا من شاؤا
بالرسالة ليعلم أن لهم ذلك وأنه لا يسوغ لاحد أن يختص
دونهم بشئ .

ولما اتنى عنهم بما مضى وعن كل من يدعون بما لآته وناصرته
من آلهتهم وغيرها خصائص الإلهية ، أنتج ذلك^٢ أنهم من جملة عباده
١٥ سبحانه ، فعبر عن حالهم بأعلى ما يصلون إليه من التجمع والتعاقد
الذى دل عليه ما تقدم الإخبار عنه من عزتهم وشقاقهم ، ونفرتهم
عن القبول و انطلاقهم ، فقال مخبرا عن مبتدأ حذف^٣ لوضوح العلم به :
(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ
وم ومد فحذفناها (٣) العبارة من هنا إلى « لوضوح العلم به » - آقطة من م .
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : محذوف .

(جند ما) أى ليسوا فى شيء عما مضى وإنما هم جند حقيرون من بعض جنودنا 'متعاونون فى نجدة بعضهم لبعض' ، قال أبو حيان^٢ : ويجوز أن تكون 'ما' صفة أريد بها 'التعظيم على سبيل الهزة [بهم - '] أو' التحقير لأن 'ما' الصفة تستعمل لهذين المعنيين . و بين بعدهم عن غير ما أقامهم فيه واستعملهم له من الرتبة التى فرضها لهم هـ و سفلوهم عنها بقوله 'واصفا لجند' : (هنالك) أى فى الحضيض عن^٦ هذه المرامى العالية ، و بين أنه كثيرا ما تحزب أمثالهم على^٨ الرسل فما ضروا إلا أنفسهم بقوله واصفا بعد وصف مفردا تحقيرا : (مهزوم) أى له الانهزام [صفة -^{١٠}] راسخة ثابتة (من الاحزاب هـ) أى الذين^{١١} جرت عادتهم عزة و شقاقا بالحزب على الأنبياء ثم تكون عليهم الدائرة^{١٢} ، ١٠ و للرسل^{١٣} عليهم [السلام -^{١٤}] العاقبة ، فلا تكثر بهم أصلا ، قال ابن برجان : فكان أول جند مهزوم منهم جند غزوة بدو ، ثم انبسط

- (١-١) - سقط ما بين الرقين من م (٢) فى البحر المحيط ٣٨٦/٧ (٣) فى البحر : به (٤) زيد من البحر (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل و م « و » (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الترتب (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فى . (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عن (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : وصفا ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من م إلى « تحقيرا » . (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : الذى . (١٢) فى مد : الدبرة (١٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الرسل . (١٤) زيد من م و مد .

صدق الحديث على جنود كثيرة في وقائع مختلفة .

ولما أوجب ذلك التشوف إلى بيان الأحزاب الماضية ، وكانوا أحقر شيء بالنسبة إليه سبحانه مع شدتهم في أنفسهم ، بين ذلك بالثناء الدالة على الرتبة الثانية المؤخرة ، وهي رتبة التأنيث اللازم منه الضعف ه فقال : ﴿ كذبت ﴾ [ولما كانت نيتهم التكذيب لا إلى آخر ، عدوا مستغرقين للزمان فنزع الجار وفيل - ٢] : ﴿ قبلهم ﴾ أى مثل تكذيبهم .
ولما كان لأول المكذبين من الكثرة والقوة والاجتماع على طول الأزمان ما لم يكن لمن بعدهم ، كانوا مع تقدمهم في الزمان أحق بالتقديم في هذا السياق فقال : ﴿ قوم نوح ﴾ واستمروا في عزتهم وشقاقهم ١٠ إلى أن رأوا الماء قد أخذهم ، ولم يسمحوا بالإذعان ولا بالتضرع إلى نوح عليه السلام في أن يركبوا معه أو يدعو لهم فينجوا .

ولما كان لقوم هود عليه السلام بعدهم من الضخامة والعز ما ليس لغيرهم مع قوة الأبدان وعلو الهمم واتساع الملك حتى بنوا جنة في الأرض ، أتبعهم بهم ، ومن مناسبتهم لهم في أن عذابهم بالريح التي ١٥ هي سبب السحاب الحامل للماء فقال : ﴿ وعاد ﴾ مسميا لهم بالاسم المنبه على ما كان لهم من المكنة بالملك ، واستمروا في شقاقهم إلى أن خرجت عليهم الريح ، ورأوها تحمل الإبل فيما بين السماء والأرض ، وهجم

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : وجب (٢) زيد من مد (٣) من مد ،
وفي الأصل وظ وم : قبل (٤) من ظ وم ، وفي الأصل ومد د و .
(٥) فم ومد : لينجوا .

عليهم أوائلها وهم يرون^١ هودا عليه السلام ومن معه من المؤمنين
رضى الله عنهم في عافية منها، ولم يدعهم^٢ الشقاق يسألونه في الدعاء لهم
ولا يذعنون لما دعاهم إليه .

ولما كان لهم من القوة والملك في جميع الارض و بناء إرم ذات
العماد ما يتضاد معه ملك كل ملك، أتبعهم ملكا ضخما قهر غيره بعز ه
سلطانه وكثرة / أعوانه، حتى ادعى الإلهية في زمانه، و تكبر بسعة
ملكه و الانهار الجارية من تحته مع^٣ ما له من الوفاق لهم بأن عذابه
كان بالريح باطنا وإن كان بالماء ظاهرا، وذلك أن موسى عليه السلام
لما ضرب البحر أرسل الله الريح ففرقه طرقا^٤ وأيست تلك الطرق،
ولما خلاص^٥ بنو إسرائيل أمرها الله تعالى فسكنت، فانطبق البحر على ١٠
فرعون وآله، فقال تعالى : ﴿ وفرعون ﴾ ذكره باسمه نصا على حقيقة
أمره وتصريحا بكفره لإبطالا لما أظهره بعض الأخابث من شره طعنا
في الدين وتشكيكا لضعفاء المسلمين .

ولما نص على كفره، وصفه^٦ بما يدل مع الدلالة على مشاركته
عاد في ضخامة الامر على كفر قومه فقال : ﴿ ذرأ الاوتاد لا ﴾ أى الأسباب ١٥
الموجبة لثبات الملك وتقويته من علو السلطان بكثرة الأعوان والتفرد

(١) في مد: يريدون (٢) زيدت الواو في م (٣) في ظ: من (٤) من: ظ
ومد، وفي الأصل وم: فرقا (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: خاض .
(٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لضعف (٧) من م ومد، وفي
الأصل وظ: وضعفه .

بالأوامر وسعة العقل ودقة المكر وكثرة الحيل بالسحر وغيره وجودة
التدبير بالعدل فيما يزعم وصولة القهر، قال أبو حيان: وأصله من^٢
البيت المطيب بأوتاده^٣ - قال الأفوه الأودى^٤ :

والبيت لا يتيقن إلا له عمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

ه واستمروا في عزة وشقاق وهم يضربون تارة بالطوفان وتارة بالجراد
وتارة بالقمل، وأخرى بالصفادع وبغير ذلك، إلى أن رأوا آية البحر
التي هي الغاية ولم يردم شيء من ذلك عن شقاقهم إلى أن غرقوا على
كفرهم عن بكرة أبيهم كما صرحت به هذه الآية .

و لما كانت ثمود أضخم الناس بعدهم بما لهم من إتقان الأبنية في
١٠ الجبال والسهول والتوسع بعمارة الحدائق وإنباط العيون وغير ذلك
من الأمور، مع مناسبتهم لهم في رؤية^٥ الآيات المحسوسة الظاهرة العظيمة
أتبعهم بهم فقال: ﴿ و ثمود ﴾ واستمروا فيما هم فيه إلى أن رأوا
علامات العذاب من صفرة الوجوه ثم حمرتها ثم سوادها، ولم يكن
لهم في ذلك زاجر يردمهم عن عزتهم وشقاقهم .

١٥ و لما كان الحامل لثمود على المعصية الموجبة العذاب النساء لأن
عافر الناقة ما اجتراً على عقرها إلا لامرأة منهم جعلت له على عقرها

(١) في البحر المحيط ٣٨٦/٧ (٢) زيد في البحر: ثبات (٣) من مد والبحر،
وفي الأصل وظ وم: بأوتاد (٤) في البحر: العوذى (٥) من م ومد
والبحر، وفي الأصل وظ: لا يتيقن (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ:
ما (٧) من م ومد، وفي الأصل وظ: رواية .

زواجها، و كان الموجب لعذاب قوم لوط لإتيان الذكور، فالجامع بينهم شهوة الفرج مع الطباقي بالذكور و الإناث، و^١ مع أن عذاب ثمود برجف ديارهم، و عذاب قوم لوط بقلع مدائنهم و حملها ثم قلبها، أتبعهم بهم فقال معبرا بما يدل على قوتهم [مضيئا لهم إلى نبيهم عليه السلام - ^٢] : ٥
 ﴿ و قوم لوط ﴾ [أى - ^٢] الذين لهم قوة القيام بما يحاولونه و استمروا في عزتهم و شقاقهم حتى ضربوا بالعشا و طمس الاعين، و لم يقدروا على الوصول إلى ما أرادوا من الدخول إلى بيت لوط عليه السلام و لا التمكن مما أرادوا و لم يردم^٣ ذلك عن عزتهم و شقاتهم، بل توعده و بطلوع النهار .

١٠

و لما ذكر أهل المدر، أتبعهم طائفة من أهل الوبر يقاربونهم في الاستعصاء بالشجر^٤، مع أن عذابهم بظلة النار^٥ كما كان لقوم لوط عليه السلام حجارة من نار فقال: ﴿ و اصْحَبْ لَشَيْكَهٖ ﴾ ثم عظم أمرهم تهوينا لأمر قريش و ردعاهم بالحث على استحضار عذابهم فقال: ﴿ اُولَٰئِكَ ﴾ أى العظماء في التجند و الاجتماع على من يناوونه ﴿ الاحزاب ٥ ﴾ أى ١٥ الذين أقصى رتب هؤلاء في المخالفة أن يكونوا مثل حزب منهم .

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد في الأصل و ظ : عن ، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٥) في ظ : يفارقونهم (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : بالسحر (٧) من مد، و في الأصل و ظ و م : النهار .

و لما / كان في معرض المعارضة لتأليبهم و شقاقهم ، و تجمعهم على المناوأة باطلا و اتفاقهم ، و لما كانوا لما عندهم من العناد و حية الجاهلية ربما أنكروا أن يكون هلاك هؤلاء الأحزاب لأجل التكذيب ، و قالوا : هو عادة الدهر في الإهلاك و التخالف في أسباب الهلاك ، قال مؤكدا ه . بأنواع التأكيد : (ان) أى ما (كل) من هذه الفرق كان لهلاكه سبب من الاسباب (الا) أنه (كذب الرسل) أى كلهم بتكذيب رسوله ، فان من كذب رسولا واحدا مع ثبوت رسالته فقد استهان بمن أرسله ، و ذلك ملزوم لتكذيب جميع من يرسله لتساوى أقدام المعجزات التى ثبتت رسالتهم بها في إيجاب التصديق (فحق) أى ١٠ . فتسبب عن ذلك التكذيب أنه حق (عقاب ع) أى ثبت عليه فلم يقدر على التخلص منه بوجه من الوجوه [و العدول إلى أفراد الضمير مع أسلوب التكلم لأن المقام للتوحيد كما مضى و هو أنص على المراد ، و تقدم السر في حذف الباء رسما في جميع المصاحف ، و قراءة عند أكثر القراء في إثباتها في الحالين ليعقوب وحده - ٢] .

١٥ و لما كان السياق للشقاق و الإذعان للذكر الذى هو الموعظة دات الشرف :

و لا يسلّم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
كان الحال مقتضيا للعقوبة بخلاف ما في ” ق ” فان السياق لإنكارهم البعث

(١) م م و م د ، و في الأصل و ظ : تثبت (٢) زيد من م د .

وصحة النذارة وإثبات المجد، فكان الوعيد في ذلك كافيا .
ولما كان التقدير: فلقد أعقبنا كلا من أولئك الأحزاب لما حق
عليهم العقاب بنوع من الأنواع لا شك فيه عند أحد ولا ارتياب،
عطف عليه قوله: ﴿وما﴾ ولما كانت قریش في شدة العناد والتصميم
على الكفر والاستكبار عن الإذعان للحق وتعاطى جميع أسباب العذاب ٥
كأنهم ينتظرونه^١ ويستعجلونه، عبر بما يدل على الانتظار . ولما كانوا
لمعرفتهم بصدق الآتي إليهم والقطع بصحة ما يقول كأنهم يرون^٢ العذاب
ولا يرجعون، جرد ففعل الانتظار^٣ فقال: ﴿ينظر﴾ وحقهم بقوله:
﴿آهولاء﴾ أى الذين أدبروا عنك في عزة وشقاق، غاية جهدهم أن
يكونوا من الأحزاب الذين تحزبوا على جندنا فأخذناهم بما هو مشهور ١٠
من وقائنا و معروف من أيامنا بأصناف العذاب، ولم تغن عنهم كثرتهم
ولا قوتهم شيئا ولم يضر جندنا ضعفهم ولا قلتهم ﴿الاصيحة﴾ وحق
أمرهم بالإشارة إلى أن أقل شيء من عذابه كافٍ في إهلاكهم فقال:
﴿واحدة﴾ ولما كان السياق للتهديد فعلم به ان الوصف بالوحدة^٤ للتعظيم،
بينه بقوله: ﴿مالها﴾ أى الصيحة ﴿من فواق ٥﴾ أى مزيد أى شيء ١٥
من جنسها يكون فوقها، يقال: فاق أصحابه فوقا وفواقا: علام، وقرأه

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: ينظرونه (٢) من م ومد، وفي الأصل
وظ: يردون (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ (٤) زيد في الأصل: ما،
ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فخذناها (٥) سقط من م (٦) من ظ وم
ومد، وفي الأصل: بالواحدة .

حزمة بالضم^١ فيكون كناية عن سرعة الهلاك بها من غير تأخر أصلاً،
 فان الفواق كغراب ما يأخذ المحتضر^٢ عند النزاع، والمعنى أنه لا يحتاج
 في إهلاكهم إلى زيادة على الصيحة الموصوفة لأنه [لا - ٢] صيحة
 فوقها، ففي ذلك تعظيم أقل شيء من عذابه وتحقير أعلى شيء من أمرهم
 ٥ ويجوز أن تكون القراءةان من فواق الحلب، قال الصغاني^٣ : [والفواق
 والفواق أى بالضم والفتح : ما بين الحلبتين من الوقت - ٣] لأنها تحلب
 ثم تترك سريعة يرضعها الفصيل / [لتدر : قال في القاموس - ٥] : أو ما
 بين فتح يدك وقبضها على الضرع، فالمعنى : ما لها من رجوع كما يرجع
 اللبن في الضرع عند الفواق وكما يرجع المريض بالإفاقة من المرض إلى
 ١٠ الصحة، أو ما لها من انفصال وإفراق بقدر ما يتنفس فيه أحد أقل
 نفس وأقصره زمناً كما هي عادة الأصوات المألوفة يكون فيها ترجيع^٤
 يوجب في الصوت تقطعاً يصير به وقعه ضعيفاً فأثراً، واعتماده على مخرجه
 رخواً، بل هي صماء على نمط واحد لا تفجأ أحداً إلا مات إلا من ثبته
 الله تعالى، ويجوز أن يكون من فواق^٥ المحتضر، أى [أنه - ٢] ليس
 ١٥ فيها مقدمة للوت غير قرع الصوت، وهذا موافق لقولهم : [ما لها - ٢]
 (١) راجع نثر المرجان ٧٣/٦ (٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ : المختصر .
 (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ : الصغاني (٥) زيد
 من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل : ترجع (٧) من ظ
 و م و مد، وفي الأصل : فوات .

من فطرة^١ وراحة - والله اعلم .

ولما عجب منهم بما مضى ، وأبطل شبههم وعرفهم أنهم قد عرضوا
أنفسهم للهلاك تعريضا قريبا ، أتبع ذلك "تعجبا أشد" من الأول فقال :
(وقالوا) أى استهزاء غير هائبين ما هددناهم به ولا ناظرين فى عاقبه :
(ربنا) أى أيها المحسن إلينا (عجل لنا) أى إحسانا إلينا (قطنا) هـ
أى نصيبنا من العذاب الذى توعدنا به وكتابنا الذى كتبت فيه ذلك
و أحصيت فيه^٢ أعمالنا ، [وأصله من قط الشيء - إذا قطعه ، ومنه
قط القلم ، وأكثر استعماله فى الكتاب - ٤] .

ولما كان المراد بهذا المبالغة فى الاستهزاء بطلب العذاب فى جميع
الأزمان التى بينهم وبين القيامة ، أسقطوا حرف الجر^٣ وقالوا : ١٠
(قبل يوم الحساب هـ) فجعلوا جميع الزمان^٤ الذى بينهم وبينه ظرفا
لذلك ، وجعلوا تعجيله من الإحسان ليهم دلالة على الإعراق فى الإستهزاء ،
وعبر بالقط زيادة فى التنبيه على ركوب الهوى من غير دليل فان مادته
دائرة فى الأغلب على ما بكرة ، [و - ٥] اشتقاقه من القط وهو القطع ،
فالقط النصيب [والصك - ٦] وكتاب المحاسبة لأنه قطعة من الورق ، ١٥

- (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فطرة (٢ - ٢) من م و مد ، وفى
الأصل و ظ : تعجبا أكثر (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فيها (٤) زيد
من مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الجد (٦) فى ظ : الأزمان .
(٧) زيد من ظ و م و مد .

و الحساب قطعة من الامور، وهو يقطع^١ فيه بما هو له، و الساعة -
لأنها قطعة من الزمان، و تقطقط الرجل: ركب رأسه^٢ أى تبع هواه
الذى هو قطعة من أمره، وجاءت الخيل ققاطط^٣ أى قطعاً و جماعات
فى تفرقه، و القط: القطع، و القطط: القصير الجعد، و الطقطقة^٤: حكاية
٥ صوت الحجارة، فكأنهم قالوا: [عجل -] من ذلك ما يكون مقطوعاً
به لاشك فيه و يسمع صوته على غاية الشدة فيهلك و يفرق بين الاحباب
و يكتب فى كل صك، و يتلى خبره فى سائر الاحقاب، فان ذلك هو
أنا لا نرجع عنه لشيء^٥ أصلاً، فسبحان الحليم الذى أكرمنا و رحماً بنبي
الرحمة، فلم يعجل لنا النعمة، و أقبل بقلوبنا إليه، و قصر هممنا بعد أن
١٠ كانت فى أشد بعد عليه. و لما بلغ السيل^٦ - فى ركوبهم الباطل عناداً - الزبي^٧،
و تجاوز فى طغيانه رؤس الربى، و كان سؤا لهم فى تعجيل العذاب
استهزاء مع ما قدموا من الإكذاب، و الكلام البعيد عن الصواب، ربما
اقتضى أن يستل فى تعجيل ما طلبوا، و ربما أوقع فى ظن أن إعراضهم
و الابتلاء بهم ربما كان لشيء فى البلاغ أو المبلغ، بين تعالى أن عادته
١٥ الابتلاء للصالحين رفعة لدرجاتهم، فقال تعالى مسلياً و معزياً و مؤسياً
لهذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم بمن^٨ تقدمه من إخوانه الأنبياء

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقع (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ :
رايه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قطا ط (٤) من م و مد، و فى
الأصل و ظ : الققططة (٥) زيد من م و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ
و م: بشيء (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: السيل (٨) فى الأصل و ظ
بياض، ملأناه من م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ممن .

٤٣٧ /

و المرسلين، مذكرا له بما قاسوا^١ من الشدائد وما لاقوا من المحن، و حاثا على العمل بأعمالهم آمرا بالتأني و التؤدة و الحلم، و محذرا من العجلة و التبرم و الضجر، و بدأ بأهل الشرف لأن السياق لشرف القرآن الذى يلزم منه شرف صاحبه، تعريفا بأنه لا يلزم / من الشرف الراحة فى الدنيا، و منها على أن شرفه محوج عن قرب بكثرة الاتباع إلى الحكم بين ذوى ٥ الخصومات و النزاع الذى لا قوام له إلا بالحلم و الأناة والصبر، و بدأ من أهل الشرف بمن كان أول أمره مثل أول [أمر - ٢] هذا النبى الكريم فى استضعاف قومه له^٢ و آخر أمره ملكا ثابت الأركان مهيب السلطان، ليكون حاله مثالا له فيحصل به تمام التسلية : (عصبر) و أشار بحرف الاستعلاء إلى عظيم الصبر فقال : (على ما) و زاد فى الحث ١٠ عليه بالمضارع فقال : (يقولون) أى يجددون قوله فى كل حين من الأقوال المنكية^٣ الموجعة المبكية^٤، فانه ليس لنقص فيك، ولكنه لحكم تجل عن الوصف، مدارها زيادة شرفك و رفعة درجاتك، [و صرف الكلام إلى مقام العظمة لاقتضاء ما يذكر من التسخير لذلك - ٦] :

(و اذكر عبدنا) أى الذى أخلصناه لنا و أخلص نفسه للنظر إلى عظمتنا ١٥ و القيام فى خدمتنا، [و أبدل منه أو بينه بقوله - ٦] : (داود ذا الابد ٥) أى القوى^٥ العظيمة فى تخلص نفسه من علائق الأجسام، فكانت قوته

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قاموا (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المكنية (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : المبكئة (٦) زيد من مد (٧) فى م و مد : القوة .

في ذلك سبيلاً لعروجه إلى المراتب العظام .

ولما كان أعظم الجهاد الإنقاذ من حفائر الهفوات وأوامر الشهوات ، بالإصعاد^١ في مدارج^٢ الكمالات ، ومعارض الإقبال ، وكان ذلك لا يكاد يوجد في الآدميين لما حفوا به من الشهوات وركز في طباعهم من الغفلات ، علل قوته بقوله مؤكداً : ﴿ انه اوابه ﴾ أي رجاع إلى الله تعالى ليصير إلى ما خلقه عليه من أحسن تقويم بالعقل المحض أطلق العلو درجة على الرجوع ، لأن ذلك دون الرتبة التي تكون نهاية عند الموت ، فكان المقضى له بها أنزل نفسه عنها ، ثم صار يرجع إليها كل لحظة بما يكابد من المجاهدات والمنازلات والمحاولات حتى وصل إليها بعد التجرد عن الهوى كله . ولما كان الإنسان لا يزال يتقرب إلى الله تعالى حتى يحبه فاذا أحبه صار يفعل به سبحانه ، وظهرت على يديه الخوارق ، قال مستأنفا جواباً لمن سأل عن جزائه^٣ على ذلك الجهاد ، مؤكداً له لما طبع عليه البشر من إنكار الخوارق لتقيده بالمألوفات^٤ : ﴿ انا ﴾ أي على ما^٥ لنا من العظمة التي لا يعجزها شيء ١٥ ﴿ سخرنا الجبال ﴾ أي التي هي أقصى من قلوب قومك فانها أعظم الأرض صلابة وقوة وعلوا ورفعة . بأن جعلناها متقادة ذلولاً كالجلجالات ، ثم قيد ذلك بقوله : ﴿ معه ﴾ أي مصاحبة له فلم يوجد ذلك التسخير

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : في الإصعاد (٢) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : مدارجات (٣) سقط من ظ (٤-٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ليعيد بالمألوفات (٥-هـ) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بما .

ظاهراً لأحد بعده ولا قبله . ولما كان وجود التسييح من الجبال شيئاً
 فشيئاً أعجب لأنها جماد^١، عبر بالفعل المضارع، فقال مصوراً لتلك الحال^٢
 [معبراً بضمير الإنثاء إشارة إلى أنها بعد ما لها من الصلابة صارت
 في غاية اللين والرخاوة، يسبح كل جبل منها بصوت غير مشبه بصوت
 الآخر، لأن ذلك أقرب إلى التمييز والعلم بتسييح كل على انفراده - ٢] : هـ
 (يسبحن) [ولم يقل : « مسبحه ، أو « تسبح ، ثلثا يظن أن تسييحها
 بصوت واحد ليشكل الأمر في بعضها - ٢] ، وهو يمكن أن يكون
 استئنافاً أن يكون حالاً بمعنى أنهم ينقدن له بالتسييح قالاً وحالاً انقياد
 المختار المطيع لله .

ولما كان في سياق الآية ، وكان آخر النهار وقت الرجوع لكل ١٠
 ذى إلف إلى مألفه مع أنه وقت الفتور [و - ١] الاستراحة من المتعب
 قال : ﴿ بالعشى ﴾ أى تقوية للعامل و تذكيرا للغافل . ولما كان في
 سياق الفيض و التشریف بالقرآن قال : ﴿ والاشراق لا ﴾ أى [فى - ١]
 وقت ارتفاع الشمس عند انتشاب^٣ الناس فى الأشغال ، و اشتغالهم بالمال كل
 و الملاذ من الأقوال و الأفعال ، تذكيرا لهم و ترجيعا عن مألوفاتهم ١٥
 إلى تقديس ربهم سبحانه ، و ليس الإشراف طلوع الشمس ، إنما هو صفاؤها

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من
 م و مد ، وفى الأصل و ظ : الجبال (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد .
 (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، وفى
 الأصل و ظ : انساب .

و ضوؤها، و شروقها طلوعها، [و - '] روت أم هانئ رضي الله عنها
 أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بيتها الضحى و قال لها : هذه صلاة
 الإشراق^١ / . و في الجامع لعبد الرزاق^٢ أن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
 صلاة الضحى في القرآن، و لكن لا يغوص عليها إلا غائص، ثم قرأ
 ه هذه الآية . و إليها الإشارة أيضا - والله أعلم - بصلاة الاواين
 " و اذكر عبدنا داود ذا الاید انه اواب " " و وهبنا لداود سليمان نعم
 العبد انه اواب " " يُجبال اوبى معه " " و الطير محشورة كل له اواب "
 روى مسلم في صحيحه و عبد بن حميد في مسنده و الدارمی في جامعه
 المسمى بالمستند عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه
 و سلم قال : صلاة الاواين حين ترمض الفصال، و لفظ الدارمی أن
 النبي صلى الله عليه و سلم خرج عليهم و هم يصلون بعد طلوع الشمس
 فقال : صلاة الاواين إذا رمضت الفصال، [و لفظ عبد أن النبي صلى الله
 عليه و سلم أتاهم في مسجد قباء فرآهم يصلون الضحى فقال : هذه صلاة
 الاواين و كانوا يصلونها إذا رمضت الفصال -]، أى بركت من شدة
 ١٥ الحر و إحراقه أخفافها، من الرمض - بالتحريك، و هو شدة الشمس
 على الرمل و غيره، ، الرمضاء : الشديدة الحر .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) أورده السيوطى في الدر المنثور ٢٩٨ / ٥
 من عدة طرق و بعض المفارقات (٣) راجع ٧٩ / ٣ (٤) أورده السيوطى
 في الدر المنثور ٢٩٩ / ٥ عن ابن أبي شيبة و مسلم و الطبرانى (٥) زيد ما بين
 الحاجزين من م و مد .

ولما أخبر سبحانه عن تسخير أثقل الأشياء وأثبتها له، أتبعها أخفها
وأكثرها انتقالا، وعبر فيها بالاسم الدال على الاجتماع جملة^١ والثبات
لأنه أدل على القدرة فقال [معبرا باسم الجمع دون الجمع إشارة إلى
أنها في شدة الاجتماع كأنها شيء واحد، ذكر حالها في وصف صالح
للواحد، وجعله مؤثرا إشارة إلى ما تقدم من الرخاوة اللازمة للأناث هـ
المقتضية لغاية الطواعية والقبول لتصرف الأحكام - ٢]: ﴿والطير﴾
أى سخرناها له حال كونها ﴿محشورة﴾ أى مجموعة إليه كرها من كل
جانب [دفعه واحدة - بما دل التعبير بالاسم دون الفعل وهو أدل على
القدرة - ٢] وهى أشد نفرة من قومك وأعسر ضبطا^٢ وهذا كـ^٣ كان الحصى
يسبح فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم^٤، وفى يد بعض أصحابه، وكما
تحرك الجبل فضر به برجله وقال «اسكن» [أحد - ٥]، فسكن^٥، وكما حشر
الدبر على رأس عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح رضى الله عنه فمنع من
أخذه ليتلعب به، فلما جاء الليل أرسل الله سيلا فاحتمله إلى حيث لم يعرف
له خبر ولا وقف له على أثر^٦ ﴿كل﴾ أى كل واحد^٨ من الجبال
والطير^٩ ﴿له آواب﴾ أى رجاء لأجل داود عليه السلام [خاصة - ٢] ١٥

(١) سقط من مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣-٣) من ظ وم و مد،
وفى الأصل: لهذا (٤) مضى فيما تقدم (٥) زيد من م و مد (٦) راجع
صحيح البخارى ١/ ١٩٥ فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (٧) ذكره
ابن سعد فى طبقاته ٣٣ - ٣٤ / ٣ / ٢ (٨-٨) من مد، وفى الأصل
و ظ و م: منها.

عن مألوفه [لابمعى آخر عما ألقته -'] ، فكلمنا رجوع هو عن حكمه وما هو [فيه -'] من الشغل بالخلق إلى تسييح الحق رجعت معه بذلك الجبال و الطير ، [وجعل الخبر مفردا إشارة إلى أنها فى الطواعية فى التأديب قد بلغت الغاية حتى كأنها الشئ الواحد ، ولم يجعل مؤثرا ٥ إشارة إلى شدة زجلها بالتأديب وعظمت ، والإفراد أيضا يفيد الحكم على كل فرد ، ولوجع لطرقه احتمال أن الحكم على المجموع بقيد الجمع -'] ، فكان داود عليه السلام يفهم تسييح الجبال و الطير ، ويقاد له كل منها إذا أمره بالتسييح ، وكل من تحقق بحاله ساعده كل شئ - قاله القشيري ، ففى هذا إشارة إلى ٢ النبى صلى الله عليه وسلم بأننا متى شئنا ١٠ جعلنا قومك معك فى التسخير هكذا ، فلا تيأس منهم على شدة قنرتهم وقوة سماجتهم وغرتهم ، فانا جعلناهم كذلك لروض نفسك بهم وتزداد بالصبر عليهم جلالا ، وعلوا ورفعة وكالا - إلى غير ذلك من الحكم التى لا تسعها العقول ، ولا تيأس من لينهم لك ورجوعهم إليك فانهم لا يعدون أن يكونوا كالجبال قوة وصلابة ، أو الطير قرة وطيشا ١٥ وخفة ، ففى شئنا جعلناهم لك مثل ما جعلنا الجبال و الطير مع داود عليه السلام ، بل أمرهم أيسر وشأنهم أهون .

ولما كان هذا دالا على الملك من حيث أنه التصرف فى الاشياء العظيمة قسرا ، فكان كأنه قيل : كل ذلك إثباتا لنبوته وتعظيما للملك ،

(١) زيد من مد (٢) زيد بعده : ف .

قال : ﴿ وشدنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ملكة ﴾ بغير ذلك بما يحتاج إليه الملك ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : كان أشد ملوك الأرض سلطانا .

ولما كان أعظم المثبتات للملك المعرفة قال :: ﴿ واثنين ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الحكمة ﴾ أى النبوة التى ينشأ عنها العلم بالأشياء على ما هى عليه ، ووضع الأشياء فى أحكم مواضعها ، فالحكمة العمل بالعلم . ولما كان تمامه بقطع النزاع قال : ﴿ وفصل الخطاب ﴾ أى ومعرفة الفرق بين ما يلتبس فى كلام المخاطبين له من غير كبير روية فى ذلك ، بل يفرق بديهية بين التشابهات^٢ بحيث لا يدع لبسا يمكن أن يكون معه نزاع لغير معاند^٣ وكسونه عزا وهية وقارا يمنع أن يجترئ أحد^٤ على العناد^٥ .

فى شئ من / أمره بعد ذلك البيان الذى فصل بين التشابهات ، و [مبني^٦] / ٤٣٩

بين المشكلات الغامضات ، وإذا تكلم وقف على المفاصل ، فيبين من سرده للحديث معانيه . ويضع الشئ فى أحكم مبابيه .

ولما كان السياق للتدريب على الصبر والتثبيت الشافى والتدبر^٧ التام والابتلاء لأهل القرب ، وكان المظنون بمن^٨ أوتى فصل الخطاب^٩ ١٥

- (١) سقط من ظ (٢) ذكر قوله فى معالم التنزيل بهامش الباب ٦ / ٣٧ .
- (٣) فى ظ ومد : المشبهات (٤) العبارة من هنا إلى «العناد» ساقطة من مد .
- (٥) زيد بعده فى الأصل : من حقها ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها .
- (٦) من م ، وفى الأصل و ظ : العباد (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : التدبير (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : ظن .

أن لا يقع له لبس في حكم ولا عجلة في أمر، وكان التقدير: هل أتاك هذه الأنباء، عطف عليه - مبينا عواقب العجلة معلما أن علي^١ من أعطى المعارف أن لا يزال ناظرا إلى^٢ من أعطاه ذلك سائلا له التفهيم، استعجازا لنفسه متصورا لمقام العبودية التي كرر التنبيه عليها في هذه السورة بنحو قوله «نعم العبد» - [قوله -^٣] في سياق ظاهره الاستفهام وباطنه التنبيه على ما في ذلك من الغرابة والعجب لتعظم الرغبة في سماعه فيوعى حق الوعى: ﴿و هل انتك نبؤا الخصم﴾ أى خبره العظيم جدا، [وأفرده وإن كان المراد الجمع دلالة على أنهم على كلمة واحدة في إظهار الخصومة لا يظهر لاحد منهم أنه متوسط مثلا ونحو ذلك -^٤].

١٠. ولما كان الخصم مصدرا يقع على الواحد فافوقه ذكرا كان أو أنثى، [وكان يصح تسمية ربة المتخاصمين خصما لأنهم في صورة الخصم -^٥] قال: ﴿اذ﴾ أى [خبر -^٦] تخاصمهم حين ﴿تسوروا﴾ أى صعدوا السور ونزلوا منه هم ومن معهم، أخذوا من السور وهو الوثوب ﴿المحارب﴾ أى أشرف ما في موضع العبادة الذى كان داود عليه السلام به، وهو كناية عن أنهم جاؤه في يوم العبادة [و -^٧] من غير الباب، يخالفوا عادة الناس في الأمرين، وكأن المحارب الذى تسوروه كان فيه باب من داخل باب آخر، فبه على ذلك بأن أبدل

(١ - ١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: على ان (٢) زيد في ظ: ان.

(٣) زيد من م (٤) زيد من مد (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: تشرف.

(٦) زيد من ظ و م ومد.

من «اذ»، الأولى قوله: ﴿اذ﴾ أى حين ﴿دخلوا﴾، وصرح باسمه رفعا للبس وإشعاراً بما له من قرب المنزلة وعظيم الود فقال: ﴿على داود﴾ ابتلاء منا له مع ما له من ضخامة الملك وعظم القرب منا، وبين أن ذلك [كان - ٢] على وجه يهول أمره إما لكونه فى موضع لا يقدر عليه أحد أو غير ذلك بقوله: ﴿ففرع﴾ [أى ذعر و فرق و خاف - ٤] ٥ ﴿منهم﴾ أى مع [ما - ٢] هو فيه من ضخامة الملك وشجاعة القلب و علم الحكمة وعز السلطان .

ولما كان^١ كأنه قيل : فما قالوا له ؟ قال : ﴿قالوا لا تخف ج﴾ و لما كان ذلك موجبا لذهاب الفكر فى شأنهم كل مذهب ، عينوا^٢ أمرهم بقولهم : ﴿خصن﴾ أى نحن فريقان فى خصومة ، ثم بينوا ذلك بقولهم : ١٠ ﴿بغى بعضنا﴾ [أى طلب طلبة علو واستطالة - ٢] ﴿على بعض﴾ فأبهم أولا ليفصل ثانيا فيكون أوقع فى النفس . و لما تسبب عن هذا سؤاله فى الحكم قالوا : ﴿فاحكم بيننا بالحق﴾ أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع ، وإنما سألاه ذلك مع العلم بأنه لا يحكم إلا بالعدل ليكون أجدر بالمعاتبه عند أدنى هفوة ﴿ولا تشطط﴾ أى لا توقع البعد و مجاوزة ١٢ الحد لا فى العبارة^٣ عن ذلك بحيث يلتبس^٤ علينا المراد ولا فى غير ذلك ،

(١) فى ظ : فيه (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، وفى الأصل وظ : «و» (٤) زيد من مد (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل وظ و م : العبادة (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا يلتبس .

نظم الدرر (سورة ص ٢٨ : ٢٢ - ٢٤) ج - ١٦

أو [و-'] لاتمن في تتبع مذاق الأمور فاني أرضى بالحق على أدنى الوجوه، [ولذا أتى به من الرباعي والثلاثي بمعناه، قال أبو عبيد: شط في الحكم وأشط - إذا جار، ولذا أيضا فك الإدغام إشارة إلى أن النهى إنما هو عن الشطط الواضح جدا - ٢] . ولما كان الحق له أعلى ه وأدنى وأوسط، طلبوا التعريف بالأوسط فقالوا: ﴿ واهدنا ﴾ أى أرشدنا ﴿ إلى سواء ﴾ أى وسط ﴿ الصراط ﴾ أى الطريق الواضح، فلا يكون بسبب التوسط ميل إلى أحد الجانبين: الإفراط في تتبع مذاق الأمور والتفريط في إهمال ذلك .

ولما كانت هذه الدعوى بأمر مستغرب يكاد أن لا يسمعه أحد ١٠. إلا أنكروه، ساق الكلام مؤكدا فقال: ﴿ ان هذا ﴾ يشير إلى شخص من الداخلين، ثم أبدل منه قوله: ﴿ اخي ﴾ أى فى الدين والصحة، ٤٤٠ / ثم أخبر عنه بقوله: ﴿ له تسع وتسعون نعمة ﴾ ويجوز أن يكون " اخي " هو الخبر والتأكيد حيث لا أجل استبعاد مخاصمة الأخ وعدوانه على أخيه و يكون ما بعده استثناء ﴿ ولى ﴾ أى أنا أيها المدعى ﴿ نعمة ﴾ ١٥ ولما كان ذلك محتملا لأن يكون جنسا أكده بقوله: ﴿ واحدة ﴾ ﴿ ثم - ٢ ﴾ سبب عنه قوله: ﴿ فقال ﴾ أى الذى له الأكثر: ﴿ اكفليها ﴾ أى أعطيها لاكون كافلا لها ﴿ وعزنى ﴾ أى غلبنى [وقوى على واشتد وأعظ بى - ٢] ﴿ فى الخطاب ه ﴾ أى الكلام الذى له شأن من جدال

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ وم ومد .

و غيره

وغيره بأن حاورني إلى أن أمتنى فسكت عجزا عن التهادي معه ، ولم يقنع مني بشيء دون مراده .

ولما تمت الدعوى ، حصل التشوف إلى الجواب فاستؤنف^١ قوله :
 ﴿ قال ﴾ أى على تقدير صحة ما قلت ، وذلك أنه لما رأى الخصم قد سكت ولم ينكر بما قال المدعى شيئا ، وربما أظهر هيئة تدل على تصديقه ه قال^٢ ذلك فعوتب وإن كان له مخرج ، كل ذلك تدريبا على الثبوت فى القضاء وأن لا ينحى نحو القرائن ، وأن لا يقنع فيه^٣ إلا بمثل الشمس ، وأكد قوله فى سياق القسم ردعا للظالم على تقدير صحة الدعوى بالمبالغة فى إنكار فعله لأن حال من فعل شيئا مؤذنا بإنكار^٤ نه ظلما وكون فعله ظلما ، مفتحا لقوله بحرف التوقع لاقضاء حال الدعوى له : ١٠
 ﴿ لقد ظلمك ﴾ أى والله قد أوقع ما فعله معك فى غير موقعه على تقدير صحة دعواك ﴿ بسؤال نعتك ﴾ أى بأن [سألك أن -^٥] يضمها ، [وأفاد أن ذلك على وجه الاختصاص بقوله -^٦] : ﴿ الى نعاجه^٧ ﴾ [بنفسه أو بغيره نيابة عنه ولذا لم يقل : بسؤاله -^٨] ، ثم عطف على ذلك أمرا كلييا جامعا لهم ولغيرهم واعظا ومرغبا ومرهبا ، ولما كانت ١٥ الخلطة موجبة لظن الألفة لوجود العدل والنصفة واستبعاد وجود البغى معها ، أكد قوله واعظا للباغى^٩ إن كان وملوحا بالإغضاء والصلى

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : فاستأنف (٢) زيدت الواو فى الأصل وظ وم ، ولم تكن فى مد فخذفناها (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : به . (٤) زيد من مد (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لساعى .

للاظلم: ﴿وان كثيرا من الخطاء﴾ أى مطلقا منكم ومن غيركم
 ﴿ليغى﴾ أى يتعدى [ويستطيل -^١] ﴿بعضهم﴾ [عاليا -^١] ﴿على بعض﴾
 فيريدون غير الحق ﴿الا الذين آمنوا﴾ [من الخطاء -^٢] ﴿وعملوا﴾
 أى تصديقا لما ادعوه من الإيمان^٣ ﴿الصلاحت﴾ [أى -^٢] كلها
 ٥ فانهم لا يقع منهم بغي ﴿وقليل﴾ وأكد قلتهم وعجب منها بما أيهم
 فى قوله: ﴿ما﴾ مثل نعماء ولا مرما ﴿م -^٤﴾ [وأخر هذا المبتدأ
 وقدم الخبر اهتماما به لأن المراد التعريف بشدة الأسف على أن العدل
 فى غاية القلة -^٢] ، أى قانس^٦ بهم أيها المدعى وكن منهم أيها
 المدعى عليه .

١٠ ولما آتم ذلك ذهب الداخلون عليه فلم ير^٧ منهم أحدا^٨ فوقع فى
 نفسه أنه لاختصومة ، وأنهم إنما أرادوا أن يجربوه فى الحكم ويدرؤوه
 عليه ، وأنه يجوز للشخص أن يقول ما^٩ لم يقع إذا انبنى عليه فائدة
 عظيمة تعين ذلك الكلام طريقا للوصول إليها أو كان أحسن الطرق مع
 خلو الأمر عن فساد ، وحاصله أنه تذكر كلام ، والمراد به بعض لوازمه ،
 ١٥ فهو مثل دلالة التضمن فى المفردات ، وهذا مثل قول سليمان عليه السلام
 «اثبتنى بالسكين أشقه بينهما» وليس مراده إلا ما يلزم عن ذلك من

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل وظ : أى ،
 ولم تكن الزيادة فى م ومد فخذناها (٤) من مد ، وفى الأصل وظ و م : منهم .
 (٥) سقط من مد (٦) من مد ، وفى الأصل وظ و م : قياس (٧-٧) فى م
 و مد : احدا منهم (٨) من م و مد ، وفى الأصل وظ : لا .

معرفة الصادقة والكاذبة بآباء الأم لذلك وتسليم المدعية كذبا، وتحقيقه أنه لا ملازمة بين الكلام وإرادة المعنى المطابق لمفردات ألفاظه بدليل لغو اليمين، وقول النبي صلى الله عليه وسلم لصفية رضي الله عنها «عقرى حلتى»، ولأم سلمة رضي الله عنها «رَبَّتْ يَمِينُكَ»، وقوله صلى الله عليه وسلم «ثلاث جدهن جد وهزلهن جد، مشير» إلى أن الكلام قد لا يراد به معناه، ومن هنا كان الحكم في ألفاظ الكنايات أنه لا يقع بها شيء إلا إن اقترن بقصد المعنى، ولما كان هذا القدر معلوما عطف عليه قوله: ٤٤١ /

(و ظن داود) أى بذهانهم قبل فصل الأمر، وقد دهمه من ذلك أمر عظيم من عظمة الله لاعهد له بمثله (انما فتش) أى اختبرناه بهذه الحكومة في الأحكام التى يلزم الملوك مثلها ليتبين أمرهم فيها. ١٠

وعلم أنه بادر إلى نسبة المدعى عليه إلى أنه ظلم من قبل أن يسمع كلامه ويسأله المدعى الحكم، فعاتبه الله على ذلك، والانبيا عليهم السلام لعلوم مقاماتهم يعاتبون على مثل هذا، وهو من قصر الموصوف على الصفة قلبا، أى هذه القصة مقصورة على الفتنة لا تعلق لها بالخصومة، ولو كان المراد ما قيل من قصة المرأة التى على كل مسلم تنزيهه وسار ١٥ إخوانه عليهم السلام عن مثلها لقل «وعلم داود»، ولم يقل: وظن -

(١) من م و مد، وفى الأصل وظ: المطابق (٢) من م و مد، وفى الأصل وظ: مشيرا (٣) من م و مد، وفى الأصل وظ: اقرء (٤) العبارة من هنا إلى «له بمثله» ساقطة من ظ (٥) سقط من مد (٦) من مد، وفى الأصل وظ و م: يسلمه (٧-٧) سقط ما بين الرقين من م.

كما يشهد بذلك كل من له أدنى ذوق في المحاورات - والله الموفق،
 وقال الزمخشري^١: وعن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علي
 ابن أبي طالب رضى الله عنه قال: من حدثكم بحديث داود على ما يرويه
 القصاص جلده مائة وستين، وهو حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام،
 ٥ وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز، وعنده رجل من أهل
 الحق، فكذب المحدث به وقال: إن كانت القصة على ما في كتاب
 الله عز وجل فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعظم بأن يقال غير ذلك،
 وإن كانت على ما ذكرت^٢ وكف^٣ الله عنها سترا على نبيه صلى الله
 عليه وسلم فما ينبغي إظهارها عليه^٤، فقال عمر^٥ بن عبد العزيز: لسماعى
 ١٠ هذا الكلام أحب إلى مما طلعت عليه الشمس. وتلك القصة وأمثالها
 من كذب اليهود، وأخبرني بعض من أسلم منهم أنهم يعتمدون ذلك
 في حق داود عليه السلام لأن عيسى عليه السلام من ذريته ليجدوا
 السيل إلى الطعن فيه^٦.

ولما ظن هذا، سبب له تحقيق ما وصفه الله به من الآوبة
 ١٥ فعبّر عن ذلك بقوله: ﴿فاستغفر﴾^١ ولما استغفرته العظمة التي هذا مغزها،
 رجع إلى ذكر^٢ الإحسان واللطف فقال: ﴿ربه﴾ أى طلب الغفران
 (١) راجع الكشف ٣/ ٣٦٦ (٢-٢) من م ومد والكشاف، وفي الأصل وظ:
 فكف (٣) من م ومد والكشاف، وفي الأصل وظ: عليهم (٤-٤) في م
 ومد: رحمه الله (٥-٥) سقط ما بين الرقيين من م (٦) العبارة من هنا إلى
 «واللطف فقال» ساقطة من م (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: ذلك (٨) من
 ظ وم ومد. وفي الأصل: طالب.

من مولاه الذى أحسن إليه باحلاله ذلك المحل العظيم من أن يعود للحكم للأول^١ بدون أن يسمع الآخر^٢ (وآخر) أى سقط من قيامه توبة لربه عن ذلك . و لما كان الحرور قد يكون لغير العبادة قال :
(راكعاً) أى ساجدا لأن الحرور لا يكون [إلا -^٣] للسقوط على الأرض ، و لأن النبی صلى الله عليه وسلم فسرهُ بالسجود فيما روى^٤ .
النسائي عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبی صلى الله عليه وسلم سجد فى "ص" وقال : سجدها داود توبة ونسجدها شكراً . و عبر بالركوع عن^٥ السجود ليفهم أنه كان عن قيام وأنه^٦ فى غاية السرعة لقوة الاهتمام به و توفر الداعى إليه بحيث أنه وصل إلى السجود فى مقدار ما يصل غيره إلى الركوع ، قال ابن التبان^٧ فى كتابه الموعب : وكل شيء [يكب -^٨] ١٠ لوجهه فتمس ركبته الأرض بعد أن يطأطئ رأسه فهو راکع . ابن دريد : الراكع الذى [يكبو -^٩] على وجهه - انتهى . و الركعة - بالضم : الهوة من الأرض ، كأنها سميت بذلك لأنها تسقط فيها على الوجه ، وكأنها هى أصل المادة ، و قال فى القاموس : ركع أى صلى ، فحيث

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الأول (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يروى ، و راجع لرواية النسائي الدر المنثور ٣٠٤ .
(٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دون (٥) زيد فى الأصل : كان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفها (٦) هو تمام بن غالب بن عمر الرسى الأندلسى ، أديب لغوى ، توفى سنة ٤٣٦ هـ ، و قيل عن كتابه « الموعب » : لم يؤلف مثله اختصاراً و اكتنازاً - راجع الأعلام ٧٠/٢ (٧) زيد من م و مد .

يكون المعنى : سقط مصليا ، و معلوم أن صلاتهم لا ركوع فيها و قد تقدم ذلك في ١ آل عمران والبقرة (و أناب السجدة) / أى تاب أى رجع عن أن يعود لمثلها . ٢ و لما كان الحال قد يشكك في الإخبار عن المغفرة لو عبر بضمير الغائب لإيهام أن ربه غير المتكلم ، وكان الغفران لا يحسن إلا مع القدرة ، عاد إلى مظهر العظمة إثباتا للكمال ٣ و قيا ٤ للنقص فقال : (قففرنا) أى بسبب ذلك [و - ٥] في أثره على عظمتنا و تمام قدرتنا غفرا يتناسب مقداره ما لنا من العظمة (له ذلك ٦) أى الوقوع في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه ، و كان النبي صلى الله عليه وسلم اشترط على ربه سبحانه لأجل هذه القصة أن كل ١٠ من سبه أو دعا عليه و ليس أهلا لذلك أن يكون ذلك له صلاة و بركة و رحمة ، و الحاصل أن هذه القضية لتدريب النبي صلى الله عليه وسلم على الصبر على قومه ، و الثاني فإن هذه السورة على ما روى عن جابر ابن زيد من أوائل ما أنزل بمكة ، و على هذا دل الحديث السابق عن ابن عباس رضى الله عنهما في شكوى المشركين منه صلى الله عليه وسلم ١٥ إلى عمه أبي طالب الوقوع في آهتهم فانه كان في أوائل الأمر ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ٦ أول ما دعاهم لم يؤمر بذكر آهتهم فلم يجيبوه و لم يبعدوا عنه كل البعد ، ثم أمره الله بذكر آهتهم فذاكره حينئذ

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : من (٢) العبارة من هنا إلى «لنقص فقال»
 ساقطة من م (٣ - ٣) في الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من م (٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٩ عن أبي هريرة (٧-٧) ورد ما بين الرقيين في ظ قبل «مرة بعد أخرى» ص ٣٦٥ م ١.

و باعدوه ، و تقدموا ذلك بالشكوى إلى أبى طالب مرة بعد أخرى ليرده عنه^١ ، فكانت هذه الدعوى تدريبا لداود عليه السلام فى الأحكام ، و ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم تدريبا له^٢ على الإنابة فى جميع أموره على الدوام . ولما [كان -^٣] ذكر هذا ربما أوم شينا فى مقامه صلى الله عليه وسلم ، سيق فى أسلوب التأكيد قوله : ﴿ و ان له ﴾ أى مع الغفران ، هـ و عظم ذلك بمظهر العظمة لأن ما ينسب إلى العظيم لا يكون إلا عظيما فقال : ﴿ عندنا ﴾ و زاد فى إظهار الاهتمام بذلك نفا لذلك الذى ربما توهم ، فأكد قوله : ﴿ لزلنى ﴾ أى قرينة عظيمة ثابتة بعد المغفرة ﴿ و حسن ماب ﴾ أى مرجع فى كل ما يؤمل من الخير ، و فوق ذلك فهذا معلوم و لابد بأن هذه القضية لم يجر إلى ذكرها إلا الترقية فى رتب ١٠ الكمال لا^٤ غير ذلك ، و أدل^٥ دليل على ما ذكرته - أن هذه الفتنة إنما هى بالتدريب فى الحكم لا بامرأة ولا غيرها و أن ما ذكروه من قصة المرأة باطل و إن اشتهر ، فكم من باطل مشهور و مذكور [هو -^٦] عين الزور - قوله تعالى عقبها على هيئة الاستمرار منها^٧ صارفا القول عن^٨ مظهر

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و ظ : عنهم (٢-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الإنابة (٣) زيد من ظ و م (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٥) زيد فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : أول (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) العبارة من هنا إلى « بين الأحباب » ص ٣٦٦ س ١ ساقطة من م (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى .

العظمة إلى المواجهة بلذيد الخطاب ، على نحو ما يجرى بين الاحباب :
(يداود) .

ولما كان مضمون الخبر لزيادة عظمه مما من شأنه ان تستنكره
نفوس البشر ، أكدده لذلك و إظهارا لانه مما يرغب فيه لحسنه و جميل
ه أثره و ينشط غاية النشاط لذكره فقال : (انا) أى على ما لنا من
العظمة (جعلتك) فلا تحسب لشيء من أسبابه حسابا ولا تخش له
عاقبة (خليفة) أى من قبلنا تنفذ أوامرنا فى عبادنا فحكمك^٢ حكمنا ،
و حذف ما يعلم أنه مراد من نحو " قلنا " إشارة إلى أنه استقبل بهذا
الكلام الالذ عند فراغه من السجود إعلاما بصدق ظنه ، و قال :^٣

١٠ (فى الارض) أى كلها إشارة إلى إطلاق أمره فى جميعها . فلا جناح

[عليه - '] فيما فعل فى أى بلد أرادها . ولم يذكر المخلف تعظيما له

بالإشارة إلى أن كل ما جوزه العقل فيه [فهو - '] كذلك فهو كان

خليفة فى بيت المقدس بالفعل^٤ على ما اقتضاة صريح الكلام بالتعبير

بني ، و أشار الإطلاق / و التعبير بال إلى^٥ أنها الأرض الكاملة لانبساط^٦ / ٤٤٣

١٥ الحق منها بإبراهيم عليه السلام و ذريته على سائر الأرض و هو خليفة

فى جميع الأرض بالقوة بمعنى انه مهما حكم [به - '] فيها صح ، و ذلك

أن النى صلى الله عليه وسلم كان يرسل إلى قومه خاصة فيكون

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تحشر (٢) من ظ و م و مد ، و فى

الأصل : محكنا (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٤) زيد من

م و مد (٥-٥) -قط ما بين الرقين من م (٦) فى ظ : ان ، و فى م : وهى .

(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانبساط .

ما يؤديه إليه واجبا عليه، و أما بقية الناس فأمره معهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما فعله منه صح و مضى، ثم كان خليفة في جميع الأرض حقيقة بالفعل بابنه سليمان عليه السلام فاستوفى الإطلاق "وَال" المسكلة أقصى ما يراد منه، إعلاما بأن كلام القدير كله كذلك وإن لم يظهر في الحالة الراهنة، وذلك كما أن المنزل عليه هـ هذا الذكر وبسبه محمد صلى الله عليه وسلم كان خليفة بالفعل في أرض العرب التي هي الأرض كلها، لأن الأرض دحيت منها، و بيتها أول بيت وضع للناس، وهو قيام لهم، ومنه اتبسط القيام بالنور والعدل على جميع الأرض 'وفي جميع الأرض' بالقوة بمعنى أنه مهما حكم به فيها مضى، فقد أعطى تيمما الداري رضى الله عنه أرض^{١٠} بلد الخليل من بلاد الشام قبل أن يفتح و صح و نفذ، وأعطى شويلا رضى الله عنه بنت بقبيلة^{١١} من أهل الحيرة^{١٢} و صح ذلك و نفذ و قبض كل منهما عند الفتح ما اعطاه صلى الله عليه وسلم، ثم يكون خليفة في جميع الأرض بالفعل بخليفته الذي أيده الله به في دينه عيسى عليه السلام الذي هو من ذرية داود عليه السلام ثم في جميع الوجود يوم القيامة^{١٥} يوم الشفاعة العظيم يوم يكون الأنبياء [كلهم - ٦] تحت لوائه، و يغبطه الأولون و الآخرون بذلك المقام المحمود.

- (١) من م و مد، وفي الأصل و ظ: الكلمة (٢-٣) سقط ما بين الرقنين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بقبيلة (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الحيرة (٦) زيد من م و مد.

و لما تمت النعمة، سبب عنها قوله : ﴿ فاحكم بين الناس ﴾ أى
الذين يتحاكون إليك من أى قوم كانوا ﴿ بالحق ﴾ أى الامر الثابت
الذى يطابقه الواقع . و لما كان أعدى عدو للانسان نفسه التى بين جنبيه
لما لها من الشهوات، و أعظم جناياته و أقبح خطاياها ما تأثر عنها من
غير استناد إلى أمر الله، قال مشيرا بصيغة الافتعال إلى أنه سبحانه عفا
عن الخطرات، و ما بادر الإنسان الرجوع عنه و الخلاص منه توبة
إلى الله تعالى : ﴿ و لا تتبع الهوى ﴾ أى ما يهوى بصاحبه فيسقطه من
أرج الرضوان إلى حضيض الشيطان، ثم سبب عنه قوله : ﴿ فيضلك ﴾
أى ذلك الاتباع أو الهوى لأن النفس إذا ضربت على ذلك صار لها
١٠ خلقا^١ فقلب^٢ صاحبها عن^٣ ردها عنه^٤، و لفت القول عن مظهر العظمة
إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع الاسماء الحسنى و الصفات العلى تعظيما
لأمر سيده، وحثا على لزومه و التشرف بحملوه، فقال : ﴿ عن سبيل الله ﴾
أى طريقه التى شرعها للوصول إليه بما أنزل من النقل المؤيد بأدلة ما
خلق من العقل، و لا يوصل إليه بدونها لأن^٥ اتباعه يوجب الانتهاء
١٥ فى الذات^٦ الجسمانية، و الإهمال لتكميل القوى الروحانية، الموصلة إلى
السعادة الأبدية، فان دراعى البدن و الروح متضادتان فبقدر زيادة
إحداها تنقص الأخرى .

(١) فى م : خلقا (٢) من مد، وفى الأصل و ظ و م : فغلبت (٣) من ظ
و م و مد، وفى الأصل : على (٤ - ٥) سقط ما بين الرقيين من م (٥) من ظ
و م و مد، وفى الأصل : كان (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الذات .
و لما (٩٢)

و لما كانت النفس نزاعة إلى الهوى، ميالة^١ عن السوى، قال معللا
للهي مؤكدا لما للنفس من التعللات عند المخالفة بالكرم و المغفرة الدافع
للعذاب: ﴿ ان الذين يضلون ﴾ أى يوجدون الضلال باهمالهم التقوى
^٢الموجب لاتباع الهوى المقتضى لأن يكون / متبعه ضالا^٣ ﴿عن سبيل الله^٤﴾ ٤٤٤ /
أعاده تفخيما لأمره و تيمنا بذكره^٥ و إيدانا بأن سبيله مأمور به مطلقا ه
من غير تقييد بداود عليه السلام و لا غيره^٦ فيه ﴿ لهم عذاب شديد ﴾
أى بسبب ضلالهم .

و لما أمر سبحانه و نهى، و ذكر أن السبب فى النهى كراهة الضلال
و علم منه أن سبب الضلال الهوى، ذكر سبب هذا السبب فقال معبرا
بالنسيان إشارة إلى أنه من شدة ظهوره كما كان محفوظا فنى، و فك ١٠
المصدر لأنه أصرح لأنه لو عبر بالمصدر لأمكن إضافته إلى المفعول،
و اختيرت^١ " ما " دون [" ان " - "] لأن صورتها صورة الموصول
الاسمى، وهو أبلغ مما هو حرف صورة و معنى^٢: ﴿ بما نسوا يوم الحساب ع ﴾
أى عاملوه معاملة المنسى بعضهم بالإنكار و بعضهم بنجث الأعمال، فانهم
لو ذكروه حقيقة لما تابعوا الهوى المقتضى للضلال على أنه مما لا يجمله ١٥
من له أدنى مسكة من عقل فانه لا يخطر فى عقل عاقل أصلا أن اقل
الناس واجهالهم يرسل أحدا إلى مزرعة له يعملها، ثم لا يحاسبه عليها

- (١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مبات (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من
م (٣-٣) ليس فى الأصل و ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اختير .
(٥) زيد من مد (٦) العبارة من « و فك المصدر » إلى هنا ساقطة من م .

فكيف إذا كان حكيمًا فكيف إذا كان ملكًا فكيف وهو ملك الملوك،
 ١ وقال الغزالي في آخر كتاب العلم من الإحياء^٢ في الكلام على العقل :
 ثم لما كان الإيمان مركزًا في النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى من
 أعرض فني، وهم الكفار، وإلى من جال فكره فتذكر، وكان كمن
 ٥ حل شهادة فنيها بغفلة ثم تذكرها، ولذلك قال تعالى ”لعلهم يتذكرون“
 ”وليتذكر أولوا الالباب“ ”واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي
 واثقكم به“ ”ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر“ وتسمية هذا
 النمط تذكرًا ليس ببعيد، وكأن التذكر ضربان: أحدهما أن يذكر
 صورة كانت حاضرة الوجود في قلبه، لكن غابت بعد الوجود،
 ١٠ والآخر أن يكون عن صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة، وهذه حقائق
 ظاهرة لناظر نور البصيرة ثقيلة على من يستروح إلى السماع والتقليد
 دون الكشف والعيان - انتهى . وقد علم من هذه القصة وما قبلها
 أن المعنى: اصبر على ما يقولون الآن، فلتنصرتك فيما يأتي من الزمان.
 ولتؤيدك كما أيدنا داود العظيم الشأن.

١٥ ولما كان التقدير: فما قضيناه^٣ في الأزل يوم الحساب وتوعدنا

به سدى، [عطف -^٤] عليه قوله^٥ صارفا الكلام [عن الغيبة -^٦] إلى

مظهر العظمة إشارة^٧ إلى أن العظيم^٨ تآبى له عظمته غير الجد العظيم:

(١) العبارة من ها إلى « والعيان انتهى » ساقطة من م (٢) ما وجدناه في

مظانه (م) في ظ و م و مد: قضينا (٤) زيد من م و مد (٥) العبارة من ها

إلى « غير الجد العظيم » ساقطة من م (٦) زيد من مد (٧-٧) في الأصل و ظ

ياض ملأناه من مد .

(و ما خلقنا) أى على ما لنا من العظمة، و^١ يجوز أن تكون الجملة
حالية . و لما كان السياق لما وقع منهم من الشقاق عنادا لاجهلا ،
ذكر من السماوات ما لا يمكن النزاع فيه مع أن اللفظ للجنس فيشمل
الكل فقال : (السماء) أى التى ترونها (و الارض و ما بينهما)
بما تحسونه من الرياح وغيرها خلقا^٢ (باطلا^٣) أى لغير غاية أردناها
بذلك من حساب من فيها^٤ كما يحاسب أقل من فيكم أجزاء ، و مجازاة
من فيها بالثواب لمن أطاع و العقاب لمن عصى كما يفعل أقل ملوككم
فان [أدنى -^٥] الناس عقلا لا يبنى^٥ بناء ضخما إلا لغاية أرادها ، و تلك
الغاية هى الفصل بين الناس الذين أعطيناهم القوى و القدر فى هذه
الدار ، و بثنا بينهم الأسباب الموجبة لانتشار الصفاء فيهم / و الأكدار ، ١٠ / ٤٤٥
و أعطيناهم العقول تنبيها على ما يراد بهم ، و أرسلنا فيهم الرسل ، و أنزلنا
إليهم الكتب ، بالتعريف بما يرضينا و يسخطنا ، فتابذوا كل ذلك فلو تركناهم
بلا جمع لهم و لا إنصاف بينها لكان هذا الخلق كله باطلا لاحكمة فيه
أصلا ، لأن خلقه للضر أو النفع أو [لا -^٦] لواحد منهما ، و الأول
باطل لأنه [غير -^٦] لائق بالرحيم الكريم ، و الثالث باطل لأنه كان ١٥
فى حال العدم كذلك ، فلم يبق للايجاد مرجح ، فتعين الوسط و هو النفع ،
و هو لا يكون بالدنيا لأن ضرها أكثر من نفعها ، و تحمل ضر كثير لنفع
(١) سقطت الواو من ظ (٢) سقط من م (٣) فى ظ : فيها (٤) زيد من ظ
وم و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا ينسى (٦) زيد من
م و مد .

قليل غير لائق بالحكيم^١ الكرم ، فتعين ما وقع الوعد الصادق به من
نفع الآخرة المطابق لما ذكر من عقل العقلاء وسير النبلاء .

ولما كان هذا - وهو منابذة الحكمة - عظيما جدا ، عظمه بقوله :
(ذلك) أى الامر البعيد عن الصواب (ظن الذين كفروا) أى
من أوقع هذا الظن فى وقت ما ، فقد أوجد الكفر لأنه جحد
الحكمة التى هى البعث لإظهار صفات الكمال والمجازاة بالثواب والعقاب ،
ومن جحد الحكمة فقد سفه الخالق ، فكان إقراره بأنه خالق كلا إقرار^٢
فكان كافرا به ، ثم سبب عن هذا الظن قوله : (فويل) أى هلاك
عظيم بسبب هذا الظن ،^٣ وأظهر فى موضع الإضمار تعميما وتعليقا
١٠ للحكم بالوصف فقال : (للذين كفروا) أى مطلقا بهذا الظن وبغيره
(من) أى مبتدأ من (النار) أى الحكم عليهم بها .

ولما كان التقدير : أفنحن^٤ نخلق ذلك باطلا ؟ فلا يكون [له -^٥]
مآل يظهر فيه حكمته ونحن منزهون^٦ عن العبث ، عطف عليه قوله
إنكارا لما يلزم من ترك البعث من التسوية بين ما حقه المفاوطة فيه ،
١٥ وذلك أشد من العبث وإن كان له أن يفعل ذلك لأنه لا يصح منه
شئ : (أم نجعل) أى على عظمتنا (الذين آمنوا) أى امتثالا

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالحلم (٢) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : كلا إقراره (٣-٢) سقط ما بين الرقعتين من م (٤) العبارة من هنا إلى
« وبغيره » ساقطة من م (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : لهذا (٦) من ظ
وم و مد ، وفى الأصل : فنحن - بدون همزة الإستفهام (٧) زيد من م
ومد (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ينزهون .

لاوامرنا ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿ الصلحت ﴾ من
الاعمال 'كالذين افسدوا و عملوا السيئات أم نجعل المؤمنين المصلحين
فى الأرض' ﴿ كالمفسدين ﴾ أى المطبوعين على الفساد الراضخين فيه
﴿ فى الارض ﴾ أى بالكفر وغيره ، و التسوية بينهم لا يشك عاقل
فى [أنها - ٢] سفه ﴿ ام نجعل ﴾ على ما لنا من العز و المنعة 'الذين ه
اتقوا كالذين فجروا أم نصير' ﴿ المتقين ﴾ أى الراضخين من المؤمنين فى
التقوى الموجبة للتوقف عن كل ما لم يدل عليه دليل ﴿ كالفجاره ﴾ أى
الخارجين من غير توقف عن دائرة التقوى من هؤلاء الذين كفروا
أو من غيرهم فى أن كلا من المذكورين يعيش على ما أدى إليه الحال فى
الدنيا ، و فى الاغلب يكون عيش الطالح أرفع من عيش الصالح ، ثم ١٠
يموت و لا يكون شئ بعد ذلك ، و لا شك أن المساواة بين المصلح
و المفسد و المتقى و المارق لا يراها حكيم و لا غيره من سائر أنواع العقلاء
فهو لا يفعلها سبحانه و إن كان له أن يفعل ذلك ، فانه لا يجب عليه شئ
و لا يقبح منه شئ^٣ ، و قد علم أن الآية من الاحتباك ، و أنه مشير إلى
احتباك آخر ، فانه ذكر "الذين آمنوا" أو لا دليلا على "الذين افسدوا" ١٥
ثانيا ، و ذكر "المفسدين" ثانيا دليلا على المؤمنين ، أولا . و أنهم ذلك
ذكر "الذين اتقوا" و أضدادهم / و سر ما ذكر و ما حذف أنه ذكر
أدنى اسنان الإيمان تنبئها على شرفه و أنه سبب السعادة و إن كان على
(١-١) سقط ما بين الرقين من م (٢) زيد من م و مد (٣) العبارة من هنا إلى
" إلى أوجها " ص ٣٧٤ س ٤ ساقطة من م (٤ - ٤) ما بين الرقين بياض فى
الأصل و ظ ملائناه من مد .

أدنى الوجوه و ذكر أعلى أحوال الفساد، إشارة إلى^١ أنه يغفر ما دون ذلك [لمن يشاء -^٢] و ذكر أعلى أحوال التقوى [إمء - إلى -^٣] أنه لا يوصف بها و يستحق جزاءها إلا الراسخ فيها ترغيا للمؤمن في أن يترقى إلى أوجها .

٥ ولما ثبت بما ذكر من أول السورة إلى هنا ما ذكر في هذا الذكر من البراهين التي لا ياباها إلا مدخول الفكر مخالط العقل، ثبت أنه ذو الذكر والشرف الأعظم فقال تعالى منها على ذلك تنبيهها على أنه القانون الذي يعرف به الصلاح ليقع و الفساد ليجنب^٤ مخبرا عن مبتدأ^٥ تقديره هو: ﴿كُتِبَ﴾ أى له من العظمة ما لا يحاط [به -^٦]،^٧ ووصفه ١٠ بقوله: ﴿انزلته﴾ أى^٨ بما لنا من العظمة ﴿إليك﴾ و ذلك من عظمته لأنك أعظم الخلق، ثم^٩ أخبر عن مبتدأ آخر مبين لما قبله على طريق الاستئناف فقال^{١٠}: ﴿مُبْرَكٌ﴾ أى دائم الخير كثير النفع ثابت^{١١} كل ما^{١٢} فيه ثباتا^{١٣} لا يزول أبدا و لا ينسخه كتاب و لا شيء .

ولما ذكر ما له من العظمة إشارة و عبارة، ذكر غاية إنزاله ١٥ المأمور بها فقال: ﴿لِيَذْبُرُوا﴾^{١٤} بالفوقانية و تخفيف الدال بالخطاب

(١ - ١) ما بين الرقيين بياض في الأصل و ظ ملثناه من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « تقديره » ساقطة من م . (٥) من مد ، وفي الأصل و ظ : ابتدا (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧-٧) سقط ما بين الرقيين من م (٨) سقط من م (٩-٩) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : كلها (١٠) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : ثابتا (١١) العبارة من هنا إلى قوله « جمعه و قرآنه » ص ٣٧٥ س ٦ ساقطة من م .

في قراءة أبي جعفر^١ مشرفاً للامة بضمهم^٢ بالخطاب^٣ إلى حضرة الشاه
صلى الله عليه وسلم ، ولافتاً للقول في قراءة الجماعة بالغيب و تشديد الدال
إلى من يحتاج إلى التنبيه على العلل ، لما له من^٤ الشواغل الموقعة في الخلل ،
و أما هو صلى الله عليه وسلم ففي غاية الإنعام للنظر ،^٥ والتدبر^٦ بأجلى
الفكر ، من حين الإنزال ، لعله بعلّة الإنزال بحيث أنه من شدة إتماعه
لنفسه الشريفة أمر بالتخفيف و ضمن له تعالى جمعه و قرآنه (آيته)
أى لينظروا في عواقب كل آية وما تؤدي إليه و توصل إليه من المعاني
الباطنة التى أشعر^٧ بها طول التأمل في الظاهر ، فمن رضى بالاقصر على
حفظ حروفه كان كمن له لقحة درور^٨ لا يحلبها ، ومهرة تتوج لا يستولدها ،
وكان جديراً بأن يضيع حدوده فيخسر خسرانا مينا . و لما كان كل ١٠
أحد مأمورا بأن يتبّه بكل ما يرى و يسمع على ما وراءه^٩ ولم يكن
في وسع كل أحد الوصول إلى النهاية في ذلك ، قنع منهم بما دونها
فأدغمت تاء الفعل في [فاء -] الكلمة إشارة إلى ذلك^{١٠} كما تشير إليه
قراءة أبي جعفر ، وربما كانت قراءة الجماعة^{١١} إشارة إلى الاجتهاد في فهم

(١) راجع نثر المرجان ٦/ ٨٥ (٢) من ظ و مد ، وفي الأصل : بعضهم (٣) في
ظ ا في الخطاب (٤-٥) من مد ، وفي الأصل وظ : لئال - كذا مع قدر اصبع
من البياض (٥-٥) في الأصل و ظ بياض ملاءه من مد (٦) من مد ، وفي
الأصل و ظ : بعد (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : شعر (٨) من ظ
و م و مد ، وفي الأصل : درو (٩) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : رواه .
(١٠) زيد من م و مد (١١-١١) في م ا كانت .

خفاياه - [والله أعلم - ١] .

ولما كان السياق للذكر، وأسند إلى خلاصة الخلق، وكان استحضار ما كان عند الإنسان و غفل عنه لا يشق لظهوره، أظهر التاء حثا على بذل الجهد في إعمال الفكر و المداومة على ذلك فانه يفضى بعد المقدمات
 ه الظنية إلى أمور يقينية قطعية إما محسوسة أولها شاهد في الحس فقال :
 ﴿وليتذكر﴾ أى بعد التدبر تذكر^٢ عظيما جليا - بما أشار إليه الإظهار^٢
 ﴿اولوا الالباب ه﴾ أى كل ما أرشد^٢ إليه مما عرفه الله لهم فى أنفسهم
 وفى الآفاق فانهم يحكدون ذلك معلوما لهم بحس أو غيره فى أنفسهم
 أو غيرها، لا يخرج شيء مما فى القرآن عن النظر إلى شيء معلوم للانسان
 ١٠ لا نزاع له فيه أصلا، ولكن الله تعالى يديه لمن يشاء ويخفيه عن
 يشاء "سنزيهم أيتنا فى الآفاق وفى أنفسهم" وأظهره يوم القيامة فانه
 مركوز فى طبع كل أحد أن الرئيس لا يدع من تحت يده بغير
 حساب أصلا .

ولما كان / الإنسان وإن أطال^٢ التدبر وأقبل بكلية على التذكر
 ١٥ لا بد له من نسيان و غفلة و ذهول، ولما كان المدحوح إنما هو الرجاء
 ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم، وكان الله
 تعالى هو الملك الذى لا شريك له و المالك الذى له الملك كله فهو يرفع

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقعين من م (٣) من ظ و م
 و مد، وفى الأصل : ارشدوا (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ : طال .

من يشاء من^١ لا يخطر في وهم أن يرتفع ، و ينخفض من يشاء من علا في الملك حتى لا يقع في خاطر أنه يحصل له خلل و لاسيما إن كان على [أعلى -^٢] خلال الطاعة ليعين لكل ذى لب أن الفاعل لذلك^٣ هو الفاعل المختار ، فلا يزال خيره مرجوا ، و انتقامه مرهوبا مخشيا ، قال تعالى : ﴿ ووهبنا ﴾ أى بما لنا من الحكمة و العظمة ﴿ لداود سليمان ﴾ فجاءه عديم النظير في ذلك الزمان دينا و دنيا و علما و حكمة و حلما و عظمة و رحمة ، و لذلك نبه على أمثال هذه المعاني باستئناف الإخبار عما حرك النفس إلى السؤال عنها من إسناد الهبة^٤ إلى نون^٥ العظمة فقال : ﴿ نعم العبد ﴾ و لما كان السياق لسرعة الانتباه من الغفلات ، و التفصي من المفوات ، و التوبة من الزلات ، و بيان أن الابتلاء ليس منحصرا ١٠ في العقوبات ، بل قد يكون لرفعة الدرجات ، و كان هذا بعيدا من العادات ، علل مدحه مؤكدا [له -^٦] بقوله : ﴿ انه اواب ﴾ أى رجاع إلى الازدياد من الاجتهاد^٧ في المبالغة في الشكر و الصبر على الضر كلما علا عن مقام بالاستغفار منه و عده مع ما له من الكمال بما يرغب عنه .

و لما كانت الخيل من أعظم ما زين للناس من حب الشهوات ، ١٥

- (١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٢) زيد من م و مد (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٤-٥) سقط ما بين الرقنين من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حكما (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الهيبة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نور . (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجهاد .

وكان السياق للعزة والشقاق الدالين على عظيم الاحتياج إلى ما يكف ذلك مما أعظمه الخيل، ذكر فيها أمرا له صلى الله عليه وسلم، دل على أنه مع ما له من عظمة الملك كثير الآوبة عظيمها لأن من لم يكن ذلك له طبعاً لم يقدر على ما فعل فقال: ﴿ اذ ﴾ أى اذكر لتقف على شاهد ٥ ما أخبرناك به حين ﴿ عرض عليه بالعشي ﴾ أى فيما بعد زوال الشمس ﴿ الضفنت ﴾ أى الخيول العربية الخالصة التى لا تكاد تتمالك بجميع قوائمها الاعتماد على الأرض اختيالا بأنفسها و قربا من الطيران بلطاقتها و همتها و إظهارا لقوتها و رشاقها و خفتها، قال فى القاموس: صفن الفرس يصفن صفونا: قام على ثلاث قوائم و طرف حافر الرابعة، و قال القزاز: ١٠ قام على ثلاث قوائم و قائمة يرفعها عن الأرض أو يتال سنبكها الأرض ليستريح بذلك، و أكثر ما تصفن الخيل العتاق، قال: و قالوا: كل ذى حافر^١ يفعله ولكنه من الجياد أكثر، لا يكاد يكون إلا فى العراب الخالص، و قيل: الصافن الذى يجمع يديه و يثنى طرف سنبك إحدى رجله، و قيل: الصافن الذى يرفع سنبك إحدى يديه فاذا رفع [طرف -^٢] ١٥ سنبك إحدى رجله فهو مخيم، و قد أخام - إذا فعل ذلك .

ولما تحرر أنه يجوز أن يحمل الصافن على غير العتيق^٣ وإن كان قليلا، حقق [أن -^٢] المراد الوصف بالجودة واقفة و جارية فقال: ﴿ الجياد^٤ ﴾ أى التى تجود فى جريها بأعظم ما تقدر عليه، جمع جواد.

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: حافطر - كذا (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الخاصر (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، وفى الأصل: المضيق، وفى ظ: الضيق .

فلم تزل تعرض عليه حتى فاتته صلاة آخر النهار، وكان المفروض على من تقدمنا ركعتين أول النهار وركعتين آخره، فاتبه في الحال .

ولما كان يان ضخامة ملكه وكثرة هيبته وعزته مع زيادة أوبته لتحصل التأسية به / في حسن اتيامه [و اتيامه - ٢] والتسلية بابتلائه مع ذلك من شرفه وبهائه ٢، أشار إلى كثرة الخيل جدا وزيادة محبته لها وسرعة أوبته * بقوله : ﴿ فقال ﴾ ولما كان اللائق بحاله والمعروف من فعالة أنه لا يؤثر على ذكر الله شيئا فلا يكاد أحد ممن شاهد ذلك يظن به ذلك بل يوجهون له في ذلك وجوها ويحملونه على محامل ٤ تليق بما يعرفونه من حال من الإقبال على الله والغنا عما سواه، أكد قوله تواضعا لله تعالى ليعتقدوا أنه بشر يجوز عليه ما يجوز ١٠ عليهم لو لا عصمة الله : ﴿ انى ﴾ ولما كان الحب أمرا باطنا لا يظهر في شيء إلا بكثرة الاشتغال به ، وكان الاشتغال قد يكون لغير الحب فهو غير دال عليه إلا بقرائن قال اعترافا : ﴿ احببت ﴾ أى أوجدت وأظهرت بما ظهر منى من الاشتغال بالخيال مقرونا ذلك بأدلة الود ﴿ حب الخير ﴾

- (١) من م ومد، وفي الأصل وظ : كبر (٢) زيد من م ومد (٣) من مد، وفي الأصل وظ وم : مهابة، وزيدت الواو بعده في الأصل ولم تكن في ظ وم ومد فخذفناها (٤) من م ومد، وفي الأصل وظ : سرعتة (٥) زيد في الأصل وظ : لها، ولم تكن الزيادة في م ومد فخذفناها (٦) في م ومد : أنعاله (٧) من ظ وم مد، وفي الأصل وم : بما (٨-٨) من م ومد، وفي الأصل وظ : في محال .

و هو المال 'بل خلاصة' المال و سبب كل خير دنيوى و آخرى
 ه الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة ، أظهرت ذلك بغاية
 الرغبة غافلا ﴿عن ذكر ربى ٤﴾ المحسن إلى بهذه الخيل التى شغلت ،
 وغيرها ، فلم أذكره بالصلاة التى كانت وظيفة الوقت وإن كان غرضى
 ه لها لكونه فى طاعته ذكرا له . ولم يزل ذلك بى ﴿حتى توارت﴾ أى
 الشمس المفهومة من العشى ، ﴿بالحجاب وقت﴾ وهى الأرض التى حالت
 بيننا وبينها فصارت وراءها حقيقة .

و لما اشتد تشوف السامع إلى الفعل الذى أوجب له الوصف بأواب
 بعد سماع قوله فى لومه نفسه ليجمع بين معرفة القول و الفعل ، أجيب
 ١٠ بقوله : ﴿ردوها﴾ أى قال سليمان عليه السلام : ردوا ﴿على﴾ الخيول
 التى شغلتنى . ولما كانت [التقدير - ١] : فردوها عليه ، نسق به قوله :
 ﴿فطفق﴾ أى أخذ يفعل ظافرا [بمراده - ٢] لازما له مصمما عليه
 واصل له معتمدا على الله فى التقوية على العدو لا على الأسباب التى من
 أعظمها الخيل مفارقا ما كان سبب ذهوله عن الذكر معرضا عما يمكن
 ١٥ أن يتعلق به القلب متقربا به إلى الله تعالى كما يتقرب فى هذه [الملة - ٣]

(١ - ١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بلاخاصة (٢) من م و مد ، وفى
 الأصل وظ : لكونها (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل وم : ذاكرا (٤) العبارة
 من هنا إلى ه القول و الفعل ، ساقطة من م (٥) فى ظ : لومه ، وفى مد :
 لوم (٦) زيد من م و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و مد ، وفى
 الأصل و م : متعمدا .

بالضحايا (مسحا) أى يوقع المسح - أى القطع - فيها بالسيف إيقاعا عظيما . ولما كان السيف إنما يقع فى جزء يسير من العضوين أدخل الباء فقال : (بالسوق) أى منها (والاعناق) يضربها ضربا بسيف ماض وساعد شديد و صنع شديد يمضى فيها من غير وقفة أصلا حتى كأنه يمسحه مسحا على ظاهر جلودها كما يقال : مسح علاوته ، أى ه ضرب عنقه - والله أعلم .

و لما ظهر بهذا ما له من ضخامة الملك و عز السلطان ، وكانت الآوبة عظيمة جدا ، وكان الثبات على مقام الشهود مع حفظه من جميع جهاته أعظم ، نبه عليه بقوله مؤكدا لما طبعت عليه القوس من ظن أن الآواب لا ينبغي أن يواجه بالعتاب : (ولقد فتنا) أى بما لنا ١٠ من العظمة (سليمن) أى مع إسرعه بالرجوع إلى الله و التنبه لما فيه رضاه نوعا من الفتنة ، الله أعلم بحقيقتها ، فأسفرت تلك الفتنة عن رسوخه فى مقام الآوبة فتنبه لما أردنا بها من تدريبه على ما أقناه فيه كما فعلنا بأبيه داود عليهما السلام فاقتد بهما فى الاستبصار بالبلاء ، فانا نريد بك أمرا عظيما جليلا شريفا كريما (والقينا) أى بما لنا من ١٥ العظمة (على كرسيه) / الذى كانت تهابه أسود الفيل .

٤٤٩/

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يضرب (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : النبات (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : طلعت (٤-٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الادب (٥-٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فاستقرت (٦-٦) فى ظ : كريما شريفا (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا .

ولما كانت العبرة إنما هي بالمعاني، فن^١ كان معناه ناقصا كان كانه
 جسد لا روح فيه^٢، له صورة بلا معنى، قال: (جسدا) فغلب على
 ذلك المكان الشريف مع ما كنا شرفناه به من هبة النبوة المقرونة
 بالملك بحيث لم يكن أحد^٣ يظن أن احدا يقدر على أن يدنو إليه فضلا
 ٥ عن أن يغلب عليه، فكنا هذا الجسد منه تمكينا لا كلفة عليه فيه، بل
 كان ذلك بحيث كأنه ألقى عليه بغير اختياره ليعلم أن الملك إنما هو لنا،
 ففعل ما نشاء بمن^٤ نشاء، فالسعادة لمن رجا^٥نا والويل لمن يأمن مكرنا
 فلا يخشانا، فعما قليل تصير هذه^٦ البلدة في قبضتك^٧، وأهلها مع العزة
 والشقاق طوع مشيئتك، ويكون لك بذلك أمر لا يكون لاحد بعدك
 ١٠ كما أنه ما كان لاحد كان قبلك من نفوذ الامر وضخامة العز وإحلال^٨
 الساحة الحرام بقدر الحاجة^٩، وسعة الملك وبقاء الذكر، والذي أنت فيه
 [الآن -^{١٠}] ابتلاء واختبار وتدريب على ما يأتي من الأمور الكبار .
 ولما كان المراد باطلاق الجسد عليه التعريف بأنه لا معنى له .
 لا^{١١} أنه لا روح فيه، اطلقه ولم يتبعه ما يبين^{١٢} أنه جماد كما فعل في

(١) من ظ و م و مد . وفي الأصل : فما (٢) سقط من ظ و م و مد .
 (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : احدا (٤) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : بما (٥) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : رجا (٦) من ظ و م
 و مد ، وفي الأصل : ولا (٧) من ظ و م و مد . وفي الأصل : هذا .
 (٨) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : قبضتنا (٩) من م و مد ، وفي الأصل
 وظ : اجلال (١٠) من م و مد ، وفي الأصل وظ : الساحة (١١) زيد من م
 و مد (١٢) من م و مد ، وفي الأصل وظ : الا (١٣) من م و مد ، وفي
 الأصل وظ : بين .

العجل حيث قال له خواره، فبين بذلك أنه لا روح له، وإن صح أن هذا الجسد هو صخر الجنى وأن سيده مجهود الجرادة امرأة سليمان عليه السلام لصورة أيها^١ بغير علم نبي الله سليمان عليه السلام ولا إرادته، فالإشارة بذلك في التسلية أنا سلبنا الملك من صفينا لصورة رفع مجهود بعض من ينسب إليه لها في يتنه بغير أمره ولا إرادته ولا علمه، فكيف بمن ه يسجد لهذه الاوثان في البيت الحرام فمما قليل نزيل أمرهم ونحمد شرهم ونمحو^٢ ذكرهم.

ولما كانت الإنابة رجوعا إلى ما كان، فهي استرجاع لما فات قال: ﴿ثم اناب ه﴾ وفسر الإنابة ليعلم أنه تعالى فتنه مع أنه عبد. عظيم المنزلة مجاب الدعوة بقوله جوابا لمن سأل عنها: ﴿قال رب﴾ أى أيها المحسن ١٠ إلى ﴿اغفر لي﴾ أى الأمر الذى كانت الإنابة بسببه. ولما قدم أمر الآخرة، أتبعه قوله: ﴿و هب لي﴾ أى بخصوصي ﴿ملكا لا ينبغي﴾ أى لا يوجد طلبه وجودا تحصل معه المطابقة والتسهيل ﴿لاحد﴾ فى زمان ما طال أو قصر [سواء كان كاملا فى الصورة والمعنى أو جسدا غالبا عن العز كما حصلت به الفتنه من قبل، وبقض الزمان بذكر الجار ١٥ فقال - ١]: ﴿من بعدى ع﴾ حتى أتمكن من كل ما أريد من التقرب

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: جواة (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ابعما (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ: تمحوا (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الى ما (٥) زيد فى الأصل: أشار، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذها (٦) زيد من مد.

إليك وجهاد من عاداك ، ويكون ذلك أمارة لى على قبول توبى
ولا تحصل لى فتنه بالقاء شىء على مكان حكى ولا غيره، وهذا يشعر
بأن الفتنة كانت فى الملك ، وكذا ذكر الإلقاء على الكرسي مضافا إليه
من غير أن ينسب إليه هو صلى الله عليه وسلم شىء ، وهو مناسب لعقر
الحيل الذى هو لإذهاب ما به العز - والله أعلم ، وبهذا التقدير علم
أنه لو ذكر الظرف من غير حرف لأوهم تقيد الدعوة بملك يستغرق
الزمان الذى بعده ، ثم علل ما طلبه من الإعطاء والمنع بقوله على 'سيل
التأكيد إسقاطا لما غلب على النفوس من رؤية الأسباب : ﴿انك انت﴾
أى وحدك ﴿الوهاب﴾ أى العظيم المواهب مع التكرار كلما أردت ،
١٠ فتعطى بسبب و بغير سبب من تشاء وتمنع من تشاء .

/٤٥٠

ولما تسبب عن دعائه الإجابة ، أعلم به سبحانه / بقوله : ﴿فسخرنا﴾
أى ذللنا بما لنا من العظمة ﴿له الرجح﴾ لإرهاب العدو و بلوغ المقاصد
عوضا عن الحيل التى خرج عنها لأجلنا ؛ ثم بين التسخير بقوله مستأنفا :
﴿تجرى بأمره رخاء﴾ أى حال كونها آتية^٢ غاية اللين منقادة يدرك
١٥ بها ما لا يدرك بالحيل "غدوها شهر ورواحها شهر" وكل من ترك
شيئا لله عوضه الله خيرا منه ، وهو هنا مبالغة من الرخاوة . ولما كانت
إصابته لما يشاء ملازمة لإرادته ، عبر بها عنها لأنها المقصود بالذات فقال :
﴿حيث اصاب لا﴾ أى أراد إصابة شىء من الأشياء ، وقد جعل الله
(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لا (٢) من م ومد ، وفى الأصل
وظ : لينتهى .

لنينا صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك وهو أن العدو يرغب منه إلى مسيرة شهر من جوانبه الأربعة فهي أربعة أشهر (و الشياطين) أى الذين عندهم خفة الريح مع الاقتران بالروح مخزناهم له ؛ ثم نبه على منفعتهم بالإبدال^١ منهم فقال : (كل) وعبر ببناء المبالغة^٢ لانه في سياق الامتتان فقال : (بناء و غواص لا) أى عظيم في البناء صاعدا في جو السماء ه والغوص نازلا في أعماق الماء ، يستخرج^٣ الدر وغيره من منافع البحر . ولما دل على مطلق تسخيرهم ، دل على أنه عن قهر و غلبة كما هو شأن أباله الملك و صولة العز فقال : (و آخرين) أى مخزناهم له من الشياطين حال كونهم (مقرنين) بأمره إلى من يشاكلهم أو مقرونة أيديهم بأرجلهم^٤ أو بأعناقهم . وعبر به مثقلا دون «مقرونين» مثلا ١٠ إشارة إلى شدة وثاقهم و عظيم تقرينهم . ولما كانت مانعة لهم من التصرف في أنفسهم ، جعلوا كأنهم بأجمعهم فيها^٥ وإن لم يكن فيها إلا بعض أعضائهم مثل «جعلوا أصابعهم في أذانهم» فقال : (في الاصفاده) أى القيود التي يوثق بها الأسرى^٦ من حديد أو قيد^٧ أو غير ذلك ، جمع صفد - بالتحريك ، روى البخارى^٨ و مسلم^٩ عن أب هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله ١٥

(١) في ظ : في الإبدال (٢) من مد ، وفي الأصل وظ و م : المتابعة (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يسخر (٤-٤) من م و مد ، وفي الأصل وظ : بأيديهم وأرجلهم (٥) من م و مد ، وفي الأصل وظ : فيه (٦) من م و مد ، وفي الأصل وظ : الأسر (٧) من مد ، وفي الأصل وظ و م : قد (٨) راجع كتاب التفسير من صحيحه ٢ / ٧١٠ (٩) راجع كتاب المساجد من صحيحه ١ / ٢٠٠ .

عليه و سلم قال : إن عفريتاً من الجن تفلت^١ على البارحة ليقطع على صلاتي فأمكنى الله منه فأخذه فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخى سليمان "هب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي" فرددته خاسثاً،^٢ وقد حكمه الله في بعض الجن، فحصى من الذين يطمنون دار مولده و دار هجرته، روى أحمد في مسنده^٣ بسند حسن إن شاء الله عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : المدينة و مكة محفوتان بالملائكة، على كل نقب منها ملك، فلا يدخلهما الدجال و لا الطاعون . هذا في البلدين، و أما المدينة خاصة ففيها أحاديث عدة عن عدة من الصحابة في الصحيحين ١٠. و غيرهما، و قد عوض الله^٤ نبينا صلى الله عليه و سلم عن الشياطين التأييد بجيوش الملائكة في غزواته^٥، و قد كان نبينا عبداً كما اختار فلم يكن له حاجة بغير ذلك .

و لما كان ذلك ملكاً عظيماً، نبه على عظيمته بكثرتة و دوامه و عظمته مؤتبه فقال مستألفاً^٦ بتقدير : قلنا له و نحوه^٧ : ﴿ هذا ﴾ أى الأمر الكبير ﴿ عَصَاؤُنَا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ؛ ثم سبب عن ذلك

(١) من ظ و مد و صحيح البخارى، و فى الأصل و م : تغلب، و فى صحيح مسلم : يفتك (٢) العبارة من هنا إلى « الصحيحين و غيرهما » ساقطة من مد . (٣) راجع ٢ / ٤٨٣ (٤) ليس فى م و مد (هـ) من م و مد، و فى الأصل و ظ : غزاته (٦-٦) ما بين الرقين بياض فى الأصل و ظ ملأناه من م و مد إلا أن العبارة فى م وردت قبل " فامتن " ص ٣٨٧ س ٣ .

٤٥١ /

إطلاق التصرف الذي هو أعظم المقاصد، فكم من / مالك لشيء وهو مغلول
 اليد عن التصرف فيه، فقال 'بادئا بما يوجب الحب ويقبل بالقلوب دالا
 على عظمته وظهور أمره بفك الإدغام': (فامن) أى أعط من شئت
 عطاء مبتدئا من غير تسبب من المعطى: (او امسك) أى عمن شئت .
 ولما كان هذا عطاء يفوت الوصف عظمه، زاده تعظيما بكثرته .
 وتسهيله وسلامة العاقبة فيه فقال: (بغير) أى كائنا كل ذلك من
 العطاء والمن خاليا عن (حساب) لأنك لا تخشى من نقصه [و-] ^٢
 ربك هو المعطى والأمر، ولا من كونه مما يسأل عنه في الآخرة لأنه قد أذن
 لك، فنفي الحساب عنه يفيد شيئين الكثرة وعدم الدرك في إعطاء
 أو منع، وجعله مصدرا مزيدا يفهم أنه إنما ينفي عنه حساب يعتد به .
 لا مطلق حسب بالتخمين كما يكون في الأشياء التي تعي الحاصرة فيقرب
 أمرها بنوع حدس .

ولما رفع ^٢ الحرج عنه ^٣ في الدارين . أثبت المزيد فقال عاطفا على ما
 تقديره: هذا له في الدنيا . مؤكدا زيادة في الطمأنينة لكونه خارقا لما
 حكم به من العادة ^٤ في أنه ^٥ كل ما زاد عن الكفاف في الدنيا كان ناقصا ^{١٥}

(١-١) وقم ما بين الرقين في الأصل وظ وم قبل « هذا أى الأمر » ص ٣٨٦
 ص ١٤ والترتيب من مد (٢) من ظ وم مد، وفي الأصل وم: ما (٣) زيد
 من ظ وم وم مد (٤) من ظ وم وم مد، وفي الأصل: تقييد (٥-٥) ما بين
 الرقين يياض في الأصل وظ ملأناه من م وم مد (٦) من مد، وفي الأصل
 وظ وم: الخاضين (٧-٧) من م وم مد، وفي الأصل وظ: عنه الحرج .
 (٨-٨) من م وم مد، وفي الأصل وظ: فانه .

للحظ في الآخرة: ﴿وان له﴾ أى خاصا به ﴿عندنا﴾ أى في
 الآخرة ﴿لنلقى﴾ أى قرب عظمة ﴿وحسن مأب﴾ أى مرجع .
 ولما انقضى الخبر عن الملك الآواب الذى ملك الدنيا بالفعل قهرا
 وغلبة شرقا وغربا، وكان أيوب عليه السلام في زروة الملوك وإن
 لم يكن ملكا بالفعل، وكان تكذيب من كذب بالنبي صلى الله عليه
 وسلم إنما هو بتسليط الله الشياطين بسوسه عليهم، وأمره سبحانه
 بالصبر على ذلك وقص عليه من أخبار الآوابين تعليما لحسن الآوبة
 إن وهن الصبر، اتبعه الإخبار عن الصابر الآواب الذى لم يتاوه إلا من
 وسوسة الشيطان لزوجته بما كان يفتنها ليزداد النبي صلى الله عليه وسلم
 ۱۰ بذكر هذه الأخبار صبرا^۱ ويتضاعف إقباله على الله تعالى [وتضرعه
 له اقتداء باخوانه الذين لم تشغلهم عنه منحة السراء ولا محنة الضراء، وتذكيرا
 لقدرة الله - ۴] على كل ما يريد تنبيها على أنه قادر على رد قریش
 عما هم فيه ونصر المستضعفين^۵ من عباده عليهم بايسر سعى فقال:
 ﴿واذكر عبدنا﴾ [أى - ۶] الذى هو أهل للاضافة إلى عظيم
 ۱۵ جناننا، ويته بقوله: ﴿أيوب﴾ : هو من الروم من أولاد عيص بن
 إسحاق عليهم السلام لتأسى بحاله فتصبر على قومك وإن رأيت ما لا

(۱) في ظ و مد : الأخرى (۲) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بذكره .
 (۳) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : صبر (۴) زيد ما بين الحاجزين من م
 و مد (۵) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : للمستضعفين (۶) زيد من
 ظ و م و مد .

صبر لك عليه دعوت الله في إصلاحه .

ولما أمره بذكره، بين أن معظم المراد بعض أحواله الشريفة

ليتأسى به فقال مبدلاً منه بدل اشمال: ﴿ اذ ﴾ أى اذكر 'حاله الذى'

كان حين: ﴿ نادى ﴾ [و صرف القول عن مظهر العظمة إلى صفة

الإحسان لأنه موطنه لاقتضاء حاله ذلك فقال -^١]: ﴿ ربّه ﴾: أى المحسن •

إليه [الذى -^٢] عرف إحسانه إليه في تربيته بيلائه كما عرف امتنانه بظاهر

نعمائه وآلاته، ثم ذكر المنادى به حاكياً له بلفظه فقال مشيراً بالتأكيد

إلى أنه - وإن كان حاله فيما عهد من شدة صبره مقتضياً عدم الشكوى -

أنه ما لا صبر عليه: ﴿ انى ﴾ أى رب أدعوك بسبب أنى • ولما كان

هنا في سياق التصيير، عظم الأمر باستناد الضر إلى أعدى الأعداء إلهاباً ١٠

إلى الإجابة ' وأدبا' مع الله فقال: ﴿ متنى ﴾ أى وأنا من أوليائك

﴿ الشيطان ﴾ أى المحترق باللعة البعيد من الرحمة بتسليطك له ﴿ بنصب ﴾

أى ضر ومشقة وهم وداء ووجع وبلاء يثقل صاحبه فيتعبه ويغيبه

ويكده* ويجهده ويصل به إلى الغاية من كل ذلك، و قرئ بضم الصاد

أيضاً و قرئ / بالتحريك كالرشد والرشد، وكان ذلك إشارة إلى أحوال ١٥ / ٥٢ ع

الضر في الشدة والخفة فالمسكن أدناه، والمحرك أوسطه، والمثقل

[بالضم -^٣] أعلاه ﴿ وعذاب هـ ﴾ أى نكد قوى جداً دائم مانع من

(١-١) من م و مد، وفى الأصل وظ: حال (٢) زيد ما بين الحاجزين من م

ومد (٣) زيد من ظ و م ومد (٤-٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل:

عادياً (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: يكدره (٦) راجع نحو

الرجان ٦ / ٩٢ •

كل ما يلد، ويمكن أن يساغ ويستطعم أجله، ونكره تنكير لتعظيم
استغناؤه^١ على وجازته عن جل طوال ودعاء عرض إعلاماً بأن السيل^٢
قد بلغ الزبي^٣، وأوهن البلاء القوى، ولم يذكره بلفظ إبليس الذي
هو من معنى اليأس وانقطاع الرجاء دلالة على أنه هو راج فضل الله
غير آيس من روحه، وذلك أن الله تعالى سلطه على إهلاك أهله
وولده وماله فصبر ثم سلطه على بدنه إلى أن سقط لمح واستمر
على ذلك مدداً طويلاً، فلذلك ثم تراءى لزوجته^٤ رضى الله عنها في
زى طيب وقال لها: أنا أداويه ولا أريد [إلا - °] أن يقول لى،
إذا عوفى أنت شفيتى، وقيل: قال لها: لو سجد لى بمجدة واحدة شفيت،
١٠ فأتته وحدثته بذلك فأخبرها وعرفها^٥ أنه الشيطان، وحذرهما منه
وخاف غائته عليها، فدعا الله بما تقدم وشدد التنكير والتعظيم لما وسوس
لها به بأن حلف ليضربنها مائة ضربة، ردعا لها عن الإصغاء إلى شيء
من ذلك، وتهوينا لما يلقاه من بلائه في جنبه .

ولما تشوف السامع إلى جوابه عن ذلك، استأنف قوله:

١٥ ﴿ اركض ﴾ أى قلنا له: اضرب الأرض [وأوجد الركض وهو

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مستغناؤه (٢) من م و مد، وفى الأصل
وظ: السيل (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الزل (٤) فى ظ و م
و مد: لزوجته (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) فى ظ و م و مد: فعرفها .
(٧) العبارة من هنا إلى « عطف عليه قوله » ص ٣٩١ س ٧ ساقطة من ظ .

المشي والتحريك والإصراع والاستحاث-^١] ﴿برجلك ج﴾ يخرج منها ماء نافع حسن لغتسل فيه و تشرب منه ففعل فأنبعنا له عينا، فقيل له: ﴿هذا﴾ بإشارة القريب لإشارة إلى تسهله ﴿مغتسل﴾ أى ماء يغتسل به [و موضعه وزمانه-^١] ﴿بارد﴾ أى يبرد حر الظاهر ﴿وشراب ه﴾ يبرد حر الباطن .

و لما كان التقدير: ففعل اغتسل و شرب فبرأ ظاهره و سر باطنه ، عطف عليه قوله [صارفا القول إلى مظهر الجلال تنبيها على عظمة الفعل -^١]: ﴿ووهبنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿له أهله﴾ أى الذين كان الشيطان سيطر عليهم بأن أحييناهم، [و جمع اعتبارا بالمعنى لانه أغخم و أقرب إلى فهم المراد فقال -^١]: ﴿ومثلهم﴾ [و أعلم باجتماع الكل فى آن ١٠ واحد فقال -^١]: ﴿معههم﴾ جددناهم له ليعلم من يسمع ذلك أنه لا عبرة بشيء من الدنيا و أنها وكل ما فيها عرض زائل لا ثبات له أصلا إلا ما كان لنا، فانه من الباقيات الصالحات، فلا يغير أحد شيء منها ولا يشتغل عنا أصلا، و يعلم من هذا من صدقه القدرة على البعث بمجرد تصديقه له و من توقف فيه سأل أهل الكتاب فلم ذلك بتصديقهم له^١، ثم ١٥ علل سبحانه فعله ذلك بقوله: ﴿رحمة﴾ و لما كان فى مقام الحث على الصبر عظم الأمر بقوله: ﴿منا﴾ فانه أعظم من التعبير فى سورة الأنبياء بعندنا، ليكون ذلك أحث على لزوم الصبر، و إذا نظرت إلى ختام الآيتين عرفت تفاوت العبارتين و لاح لك أن مقام الصبر لا يساويه

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ: به (٣) راجع آية ٨٤ .

شيء، لأن الطريق إليه سبحانه لا يتفك شيء منه عن صبر وقهر للنفس
وجبر، لأنها بالإجماع خلاف ما تدعو إليه الطباع (وذكرى)
[أى - ٢] إكراما وتذكيرا عظيما (لاولى الالباب) أى الافهام الصافية،
جعلنا ذلك لرحمته ولتذكير غيره من الموصوفين على طول الزمان ليتأسى
به كل مبتلى ويرجو مثل ما رجا، فان رحمة الله واسعة، وهو عند
القلوب المتكسرة، قايضه وبين الإجابة إلا حسن الإنابة، فن دام إقباله
عليه أغناه عن غيره :

لكل شيء إذا فارقه عوض وليس لله إن^٢ فارقت من عوض
ولما أجمل العذاب الصالح لآلم الظاهر، وذكر المخلص منه، اتبعه
٤٥٣ / ١٠. التثنية على أعظمه وهو ألم / الباطن، بل أبطن الباطن التعلق بالاعتقاد
فيما وسوس لزوجته رضى الله عنها بما كاد^٢ يزها فحلف ليضربنها^٣ مائة
لئلا تعود إلى شيء من ذلك فيزها عن مقامها^٤ كما أزل^٥ غيرها
فأرشدته سبحانه وتعالى إلى المخلص [من ذلك الحلف على أخف وجه
لأنها كانت صابرة محسنة، فشكر الله لها ذلك، وجعل هذا المخلص -^٦]
١٥ بعدها ستة باقية لعباده تعظيما لأجرها وتطيبا لذكرها فقال عاطفا على

(١) في ظ و مد : الطباع (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد .
وفي الأصل : اذ (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : كان (٥) من م
و مد ، وفي الأصل و ظ : ليضربها (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
مقلها (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : اعزل (٨) زيد ما بين الحاجزين
من م و مد .

”اركض“ : ﴿ وخذ يدك ﴾ أى التى قد صارت فى غاية الصحة
 ﴿ ضغثا ﴾ أى حزمة صغيرة من حشيش فيها مائة عود كشمراخ
 النخلة، قال القراء : هو كل ما جمعه من شئ مثل الحزمة الرطبة، [وقال
 السمين^١ : وأصل المادة يدل على جمع المختلطات - ٢] ﴿ فاضرب به ﴾
 أى مطلق ضرب ضربة واحدة ﴿ ولا تحث ﴾ فى يمينك [أى تأثم ٥
 بترك ما حلفت على فعله - ٢]، فهذا تخفيف على كل منها لصبوره،
 ولعل الكفارة لم تكن فيهم وخصنا الله بها مع شرعه فينا ما أُرخصه
 له تشريفا لنا، وكل هذا إعلاما بأن الله تعالى ابتلاه صلى الله عليه وسلم
 فى بدنه وولده [وماله - ٢]، ولم يبق له إلا زوجة غوسوس لها الشيطان
 طمعا فى إيدائهما كما آذى آدم وحواء عليهما السلام، إلى أن قارب ١٠
 منها بعض ما يريد، والمراد بالإعلام به تذكير النبي صلى الله عليه
 وسلم بأنه إن [كان - ١] مكن^٢ الشيطان من الوسوسة لأقاربه والإغواء
 والإضلال فقد من عليه بزوجه أعظم وزراء الصدق وكثير من أقاربه
 الأعمام وبنى الأعمام وغيرهم، وحفظ له بدنه وماله ليزداد
 شكره لله تعالى، وفى القصة إشارة إلى أنه قادر على أن يطيع له من ١٥
 يشاء، فإنه قادر على التصرف فى المعانى كقدرته على التصرف فى الذوات،
 وأنه سبحانه يهب لهذا النبي الكريم قومه العرب الذين هم الآن أشد الناس

(١) زيد فى ظ : كل (٢) مر التعليق عليه (٣) زيد من م ومد (٤) من ظ
 وم ومد، وفى الأصل : فى (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل : لعل .
 (٦) زيد من مد (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : امكن .

عليه وغيرهم فيطيعه الكل .

ولما كان الصبر و الافعال المرضية عزيزة في العباد لا تكاد توجد
فلا يكاد يصدق بها، علل سبحانه هذا الإكرام له صلى الله عليه وسلم
وأكدته، فقال على سبيل الاستنتاج مما تقدم ردا على من يظن أن
الشكوى إليه تنافي الصبر، وإشارة إلى أن السر في التذكير به الناسي
في الصبر: ﴿ انا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ وجدته ﴾ أى في
عالم الشهادة طبق ما كان [لنا - ٢] في عالم الغيب ليتجدد للناس من
العلم بذلك ما كنا به عالمين . ولما كان السياق للحث على مطلق الصبر
في قوله تعالى ” واصبر على ما يقولون “ أتى باسم الفاعل مجردا عن
١٠ مبالغة فقال: ﴿ صابرا ﴾ ثم استأنف قوله: ﴿ نعم العبد ﴾ ثم علل
بقوله مؤكدا لئلا يظن أن بلاءه قادم في ذلك: ﴿ انه اواب ﴾ أى
رجاع بكيته إلى الله سبحانه على خلاف ما يدعو إليه طبع البشر، قال
الرازي في اللوامع: قال ابن عطاء: واقف معنا بحسن الأدب لا يغيره
دوام النعمة، ولا يزججه تواتر البلاء والمحنة . روى عبد بن حميد في مسنده
١٥ عن أبي سعيد رضى الله عنه قال: وضع رجل يده على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال: والله ما أطيق أن أضع يدي عليك من شدة
حماك. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنا معشر الانبياء بضاعف لنا

(١-١) من م ومد، وفي الأصل وظ: عليهم ودغيرهم (٢) ريد من م
ومد (٣-٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: انه (٤) من ظ وم ومد،
وفي الأصل: واقف (٥-٥) من م ومد، وفي الأصل وظ: اضبع يدك عن .

البلاء

البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، إن كان النبي من الأنبياء ليقبَل بالقبَل
حتى يقتله وإن كان النبي من الأنبياء ليقبَل بالفقر / حتى يأخذ العباءة^١
فيحويها وإن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء .

ولما ذكر سبحانه من ابتلاه في بدنه وماله وولده ثم جعل له
الماء بردا وسلاما^٢ وعافية ونظاما وشفاء وقواما^٣، عطف عليه من ه
ابتلاه بالنار على أيدي الجبابرة فجعلها عليه بردا وسلاما باعتماده عليه
وصبره لديه ، ونجاة من كيدهم^٤ ، وجعل أيده بمفرده فوق أيدهم ، ثم
ابتلاه بالهجرة لوطنه وأهله وعشيرته وسكنه ، ثم بذبح ابنه . فصبر على
ذلك كله ، اعتمادا على فضل الله ومنه فقال : ﴿ واذكر ربنا ﴾ بالتوحيد
في رواية [ابن - *] كثير للجنس أو لإبراهيم وحده عليه السلام لأنه ١٠
أصل من عطف عليه ديننا وأبوة ، [فين الله أساس عطفه عليه في المدح
بالعبودية أيضا - *] . ثم بين المراد بقوله : ﴿ إبراهيم ﴾ وعطف^٥ على
العبد^٦ [لأعلى مبيته لثلا يلزم بيان واحد بجماعة إذا أريد به إبراهيم
وحده لا الجنس - *] ابنه لصبره على دينه في الغربة بين عباد الأوثان
ومباعدي الإيمان ، فلم يلتفت^٧ لفتهم ولا دأبهم ، بل أرسل إلى أقاربه في ١٥

(١) من مد ، وفي الأصل وظ و م : العبادة (٢) زيد في الأصل : باعتماده
عليه وصبره . ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفها (٣) من ظ و م
و مد ، وفي الأصل : قياما (٤) من م و مد ، وفي الأصل وظ : كفرهم .
(٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : ربنا (٧-٧) من
م و مد ، وفي الأصل وظ : عليه (٨) من مد ، وفي الأصل وظ و م :
م يلتفت .

بلاد الشرق . فزوج منه من وافقته على دينه الحق ، واستمر على إخلاص
العبادة لا يأخذه في الله لومة لائم إلى ان مضى لسبيله فقال : ﴿ واسحق ﴾
ثم أتبعه ولده الذي قفا أثره . وصبر صبره ، وابتلى بفقد ولده ، وبهجة
كبده ، فصبر آثم الصبر في ذلك الضر ، وأبلغ في الحمد والشكر ، فقال
ه تعالى : ﴿ ويعقوب ﴾ و أحفظهما سبحانه بأيها [بعد أن بينت قراءة الأفراد
إصاليته في المدح بالعبودية فعطفهما عليه نفسه - ٢] في قراءة غير ابن كثير
” عبادنا “ بالجمع كما قال تعالى ” والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم
بإيمان الحقنا بهم ذريتهم “ .

ولما اجتمعوا بالعطف أو البدل^٢ وصفهم بقوله : ﴿ اولى الايدي ﴾
١٠ أى القوة ، الشديدة و الأعمال السديدة لأن الايدي أعظم آلات ذلك
﴿ و الابصار ﴾ أى الحواس الظاهرة و الباطنة التى هى حقيقة بأن تذكر
و تمدح بها لقوة إدراكها وعظمة نفوذها فيما هو جدير بأن يراعى من
جلال الله و مراقبته فى الحركات و السكينات مرا و علنا ، و عبر عن
ذلك بالأصار لأنها أقوى مبادئه ، و من لم يكن مثاهم كان مسلوب
١٥ القوة و العقل ، فلم يكن له عقل فكان عدما . فهو أعظم توبيخ لمن
رزقه الله قوة و عقلا . ثم لا يصرفه فى عبادة الله و المجاهدة
فيه سبحانه .

(١) زيد فى الأصل و ظ : على ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) زيد
من م و مد (٣) من م و مد . وفى الأصل و ظ : ابدل (٤) فى م : القوى .
(٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لأنه .

و لما اشتد تشوف السامع لما استحقوا به هذا الذكر . قال مؤكدا
 لإشارة إلى محبته سبحانه مدحهم وردا على من ينسب إليهم أو إلى أحد
 منهم ما لا يليق كما كذبه اليهود فيما بدلوه^١ من التوراة في حق إسحاق
 عليه السلام في بعض المواضع [معديا للفعل بالهمزة إشارة إلى أنه جذبهم
 من العوائق إليه جذبة واحدة هي في غاية السرعة -^٢]: ﴿أَنَا أَخْلَصْتَهُمْ﴾ ٥
 أى لنا إخلاصا يليق بعظمتنا التي لا تدانيها عظمة ﴿بِخَالَصَةٍ﴾ أى أعمال
 وأحوال ومقامات وبلايا ومحن^٣ [هي سالمة عن شوب ما -^٢] ، فصاروا^٤
 بالصبر عليها في غاية الخلوص .

و لما كان سبب الإخلاص تذكر يوم الدين [و -^٥] ما يبرز
 فيه من صفات الجلال والجمال وينكشف فيه من الأمور التي لا توصف ١٠
 عظمتها ، بينها بقوله: ﴿ذَكَرَى الدَّارَ عِ﴾ [أى -^٥] تذكرهم تلك الخالصة
 تذكيرا عظيما لا يغيب عنهم أصلا الدار التي لا يستحق غيرها أن يسمى
 دارا بوجه بحيث نسوا بذكر هذا الغائب [ذكر ما يشاهدونه من دار
 الدنيا فهم لا ينظرون إليه أصلا بغضا فيها ، فقد أنساهم هذا الغائب -^٥]
 الثابت الشاهد الزائل عكس ما عليه العامة ، وإضافة نافع [و أبى جعفر ١٥
 وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه -^٥] لخالصة مؤيد لما قلت من أن ذكرى بيان
 لأنها إضافة / الصفة إلى الموصوف ، والمعنى أنهم لا يعملون شيئا إلا وهو

٤٥٥ /

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : يذكر (٢) زيد من مد (٣) زيد من م
 و مد (٤) من مد ، وفي الأصل و ظ و م : صاد (٥) زيد من ظ و م و مد .
 (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لخالصة (٧) من م و مد ، وفي الأصل
 و ظ : لا يعملون .

مقرب للآخرة، فالمعنى أن ذكرهم لها خالص عن سواء لا يشاركه فيه شيء ولا يشوبه شوب أصلا .

ولما دلت هذه الجملة على هذا المدح البليغ، عطف عليه ما يلزم الإخلاص فقال مؤكداً لمثل ما تقدم من التنبيه على أنهم ممن يقتبط بمدحهم، وردا على من ربما ظن خلاف ذلك بكثرة مصائبهم في الدنيا :
 ﴿وانهم عندنا﴾ أى على ما لنا من العظمة والخبرة ﴿لمن المصطفين﴾
 المبالغ في تصفيتهم مبالغة كأنها بعلاج ﴿الاخياره﴾ الذين كل واحد منهم خير بليغ في الخير، وإصابتنا إياهم بالمصائب دليل ذلك لا دليل عكسه كما يظنه من طمس قلبه. [و الآية من الاحتباك : ذكر «أخلصناهم» ، ١٠. أولا دليلا على «اصطفيناهم» ثانيا، و «المصطفين» دليلا على «المخلصين» ، أولا، وسر ذلك أن الإخلاص يلزم منه الاصطفاء، لاسيما إذا أسنده إليه بخلاف العكس بدليل «ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظلم لنفسه» - ٣] .

ولما آتم الأمر بذكر الخليل وابنه عليهما السلام الذي لم يخرج ١٥ من كنفه قط وناقلته المبشر به للناسي بهم في صبرهم على الدين وإن خالفهم من خالفهم، أتبعه ولده الذي أمر بالتجرد عنه مرة بالإسكان عد البيت الحرام ليصير أصلا برأسه في أشرف البقاع، ومرة بالأمر بذبحه في تلك المشاعر الكرام، فصار ما أضيف إليه من الأحوال

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : يظن (٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : بصره (٣) زيد ما بين الحاذرين من مد .

و الأفعال من المناسك العظام عليه الصلاة و السلام، و أفرد بالذكر دلالة على أنه أصل عظيم برأسه من أصول الأئمة الاعلام، فقال: ﴿واذكر اسمعيل﴾ أى أباك و ما صبر عليه من البلاء بالغربة و الانفراد و الوحدة و الإشراف على الموت فى الله غير مرة و ما صار إليه بعد ذلك البلاء من الفرج و الرئاسة و الذكر فى هذه البلدة ﴿و اليسع﴾ ٥ أى الذى استخلفه لإلياس عليه السلام على بنى إسرائيل لجمعهم الله عليه بعد ذلك الخلاف الشديد الذى كان منهم لإلياس عليه السلام ﴿و ذا الكفل﴾ أى النصيب العظيم بالوفاء بما يكفله من كل أمر على، و عمل صالح زكى .

و لما تقدم [وصف - ٢] من قبل إبراهيم عليه السلام بالآوبة ١٠ و خصوا بالتصريح، لما كان لهم من الشواغل عنها بكل من منحة السراء و محنة الضراء [و كذلك الوصف بالعبودية سواء - ٤]، و كان الأمر بالذكر - مع حذف الوصف المذكور لأجله و الإشارة إليه بالتلويح و لإمانع من ذكره - دالا على غاية المدح له لذهاب الوهم فى تطلبه كل مذهب، قال معما للوصف [بالعبودية و الآوبة - ٤] بها جميع المذكورين، عاطفا ١٥ بما أرشد إليه العطف على غير مذكور على [ما - ٢] تقديره: إنهم أو ابون، ليكون تعليلا ٦ لذكرهم بما علل به ذكر أول مذكور فيهم:

- (١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يكلفه (٢) زيد من ظ و م و مد .
 (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منحه (٤) زيد من م و مد (٥) سقط
 من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل: طلبه، و فى ظ: مطلبه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تقيلا .

(وكل) أى من هؤلاء المذكورين فى هذه السورة من الأنبياء
 [١] قائمون بحق العبودية فهم من خيار عبادنا من هؤلاء الثلاثة ومن
 قبلهم - [٢] (من الاختياره) أى كما أن كلا منهم أواب بالعراقة فى
 وصف الصبر - كما مضى فى الأنبياء، وبغير ذلك من كل خير على
 ه أن الصبر جامع لجميع الطريق، فهم الذين يجب الاقتداء بهم فى الصبر على
 الدين ولزوم طريق المتقين^٣.

ولما أتم سبحانه ما أراد من ذكر هؤلاء الأصفياء عليهم السلام
 الذين عاقام بصبرهم وعانى من دعوهم، فجعلهم سبحانه سبب الفلاح
 ولم يجعلهم سببا للهلاك. [قال مؤكدا لشرفهم - ٤] وشرف ما ذكروا
 ١٠ به، حاثا على^٥ إدامة تذكره وتأمله وتدبره للعمل به، مبينا ما^٦ لهم فى
 الآخرة على ما ذكر من أعمالهم وما^٧ لمن^٨ نكب عن طريقهم^٩ على
 سبيل التفصيل : (هذه) أى ما تلوناه عليك من أمورهم وأمور غيرهم
 (ذكر^{١٠}) أى شرف فى الدنيا وموعظة من ذكر القرآن ذى الذكر،
 ثم عطف على قوله "ان الذين / يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد"
 ١٥ ما لأضدادهم، فقال مؤكدا ردا على من ينكر ذلك من كفار العرب

/ ٤٥٦

(١-١) ليس ما بين الرقین فی مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، وفى
 الأصل و ظ : اليقين (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل و ظ :
 ان، ولم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها (٦) من م و مد، وفى الأصل
 و ظ : مما (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل : لما (٨-٨) من مد .
 وفى الأصل و م : يكب على طريقه، وفى ظ : نكب عن طريقه .
 ٤٠٠ (١٠٠) وغيرهم

وغيرهم : ﴿ وان ﴾ ويجوز - وهو أحسن - أن يكون معطوفا على "هذا" و تقديره : هذا ذكر للصابرين .

ولما أدام [إليه صبرهم في الدنيا وأن لهم على ما وهبناهم -^١] من الأعمال الصالحة التي يجمعها الصبر لمرجعا حسنا ، ولكنه أظهر الوصف الذي أدام إلى هذا المآب تعميما لكل من اقتدى بهم حثا على الاقتداء . فقال : ﴿ للتقين ﴾ أى جميع [العريقين في وصف التقوى -^١] الذين يلزمون لتقوam الصراط المستقيم ﴿ لحسن مآب لا ﴾ أى مصير و مرجع ؛ ولما شوق سبحانه إلى هذا الجزاء [أبدل منه أو -^١] بينه بقوله : ﴿ جنت عدن ﴾ أى إقامة [في استمرار و طيب عيش و نمو و امتلاء و شرف أصل -^١] .

ولما كانت من الأعلام * الغالبة ، نصب^١ عنها على الحال قوله : ﴿ مفتحة ﴾ أى تفتيحا كثيرا و بليغا [من غير أن يعانون في فتحها شيئا من نصب أو طلب أو تعب ، وأشار جعل هذا الوصف مفردا أن تفتيحها على كثرتها كان لهم في آن واحد حتى كأنها باب واحد -^١] ﴿ لهم ﴾ أى لا لغيرهم ﴿ الابواب ج ﴾ التي لها والتي فيها فلا يلحقهم ١٥ في دخولها ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان ، تستقبلهم الملائكة

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد . وفي الأصل وظ : يجمعها (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : مرجعا (٤) زيد من مد (٥) من م و مد ، وفي الأصل وظ : الأعمال (٦) من م و مد ، وفي الأصل وظ : نصب (٧) من مد ، وفي الأصل وظ و م : تفتحا .

بالتبجيل والإكرام .

ولما ذكر إقامتهم و يسر دخولهم ، 'وصف حالهم' إذ ذاك فقال :
 ﴿متكئين فيها﴾ أي ليس لهم شغل سوى النعيم ولا عليهم كلفة أصلا .
 ولما كان المتكى لا يتم نعيمه إلا أن كان مخدوما ، دل على سوددهم^٢
 بقوله : ﴿يدعون فيها﴾ أي كلما أرادوا من غير مانع أصلا ولا حاجة
 إلى قيام ولا قعود يترك به الانتكاه . ولما كان أكلهم^٣ إنما هو للتفكه
 لا لحفظ الجسد من آفة قال : ﴿بفاكهة كثيرة﴾ فسمى جميع ما أكلهم
 فاكهة . ولما كانت الفاكهة لا يمل منها ، والشراب لا يؤخذ منه إلا بقدر
 الكفاية ، وصفها دونه فقال : ﴿وشراب﴾ .

١٠ ولما كان الأكل والشرب داعيين إلى النساء لاسيما مع الراحة
 قال : ﴿وعندهم﴾ أي لهم من غير مفارقة أصلا .^٤ ولما كان سياق
 الامتنان مفهما كثرة الممتن به لاسيما إذا كان من العظيم^٥ ، أتى بجمع
 القلة مريدا به الكثرة لأنه أشهر وأوضح وأرشق من «قواصر» المشترك
 بين جمع قاصر وقوصرة - بالتشديد والتخفيف - لوعاء التمر فقال :
 ١٥ ﴿قصرت﴾^٦ ولما كن على خلق واحد في العفة و كمال الجمال وحد فقال^٧ :

(١ - ١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : وصفهم (٢) ليس في الأصل فقط .
 (٣) من م ومد ، وفي الأصل وظ : تودهم (٤) من ظ وم ومد ، وفي
 الأصل : كلهم (٥) العبارة من هنا إلى «لوعاء التمر فقال» ساقطة من م (٦) في
 الأصل وظ بياص . ملأناه من مد (٧) وقع في الأصل وظ قبل «ولما كان
 سياق الامتنان» والترتيب من مد (٨ - ٨) وقع ما بين الزنقين في الأصل وظ
 بعد «غير مفارقة أصلا» والترتيب من مد ، والعبارة ساقطة من م .

(الطرف) أى طرفهن لعفتهن^١ و طرف أزواجهن لحسنهن،
 [ولما لم تنقص صيغة جمع القلة المعنى، لكونه في سياق المدح والامتان،
 وكان يستعار للكثرة، أتى على نمط الفواصل بقوله -^٢]: (اتراب)
 أى على سن واحد مع أزواجهن وهو الشباب، سمي القرين ترابا لئلا
 التراب جلده و جلد قرينه في وقت واحد، قال البغوى^٣: بنات ثلاث ه
 وثلاثين سنة . لأن ذلك ادعى للتآلف^٤ فإن التحاب بين الأقران
 أشد وأثبت .

ولما ذكر هذا النعيم لأهل الطاعة، وقدم ذلك العذاب لأهل
 المعصية قال: (هذا) أى الذى ذكر هنا والذى مضى (ما)
 وبني للفعول اختصارا^٥ وتحقيقا للتحتم قوله: (توعدون) من الوعد ١٠
 والإيعاد، [وقراءة الغيب على الأسلوب الماضى، ومن خاطب لفت
 الكلام للتأنيذ بالخطاب تنشيطا لهمهمم وإيقاظا لقلوبهم -^٦]
 (ليوم الحساب) أى ليكون في ذلك اليوم .

ولما كان هذا يصدق بأن يوجد ثم ينقطع كما هو المعهود من
 حال الدنيا، أخبر أنه على غير^٧ هذا المنوال^٨ فقال: (ان هذا) أى ١٥
 المشار إليه إشارة^٩ الحاضر الذى لا يغيب (لرزقنا) أى للرزق الذى

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: لعفتهم (٢) زيد من مد (٣) راجع معالم
 التنزيل بهامش الباب ٢/٥٢ (٤) من مد، وفي الأصل وظ و م: للتأنيف.
 (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اختار (٦) زيد من م و مد (٧-٧) من
 م و مد، وفي الأصل وظ: منوال (٨) زيد في الأصل وظ: كما هو، ولم
 تكن الزيادة في م و مد فحذفناها .

يستحق الإضافة إلينا في مظهر العظمة، فلذلك كانت ' النتيجة :
 ﴿ ما له من نفاق ﴾ أى فناء و انقطاع ، بل هو كالماء المتواصل في نبعه ،
 كلما أخذ منه شيء أخلف في الحال بحيث أنه لا يميز المأخوذ من الموجود
 بوجه من الوجوه، فيكون [فى - '] ذلك تليذ و تنعيم لأهل الجنة
 ه بكثرة ما عنده ، و بمشاهدة ما كانوا يعتقدونه و يثبتونه لله تعالى من
 القدرة على الإعادة فى كل وقت ، جزاء وفاقا / عكس ما يأتى
 / ٤٥٧ لأهل النار .

ولما كانت النفوس نزاعة للهوى ميالة إلى الردى ، فكانت محتاجة
 إلى مزيد تخويف و شديد تهويل ، قال تعالى متوعدا لمن ترك الناس
 ١٠ بهؤلاء السادة فى احوال العبادة ، مؤكدا لما مضى من إبعاد العصاة و تخويف
 العتاة : ﴿ هذا ١ ﴾ [أى - ٢] الأمر العظيم الذى هو جدير بأن يجعل
 نصب العين و هو أنه لكل من الفريقين ما ذكر و إن أنكره
 [الكفرة - ٢] ، و حذف الخبر بعد إثباته فى الأول أهول؛ ليذهب
 الوم فيه كل مذهب* ﴿ وان للظفين ﴾ أى الذين لم يصبروا على تنزيلهم
 ١٥ [أنفسهم - ٣] فى منازلها بالصبر على ما أمروا به فرفعوا أنفسهم فوق
 قدرها ، و تجاوزوا الحد و علوا فى الكفر به و أسرفوا فى المعاصى و الظلم
 و تجبروا و تكبروا فكانوا أحق الناس ﴿ لشر ما ب ﴾ أى مصير و مرجع ،

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : كان (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من
 ظ و م و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : احوال (٥) العبارة من
 و حذف الخبر ، إلى هنا ساقطة من م .

و أبدل منه أو^١ بينه بقوله : ﴿ جهنم ج ﴾ أى الشديدة الاضطرام الملاقية لمن يدخلها بغاية العبوسة و التجهم .

ولما كان اختصاصهم بها ليس بصريح في عذابهم ، استأنف التصريح به في قوله : ﴿ يصلونها ج ﴾ أى يدخلونها فيباشرون شدائدنا . ولما أنهم هذا غاية الكرامة [لها -^٢] وأنه لا فراش لهم غير جمرها ، فكان التقدير : هـ فيكون مهادا لهم لتحيط بهم فيعمهم صليها^٣ ، سبب عنه قوله : ﴿ فبئس المهاده ﴾ أى الفراش هى ، فان فائدة الفراش تنعيم الجسد ، وهذه تذيب الجلد و اللحم ثم يعود فى الحال كلما ذاب عاد عقوبة لهم ليربهم الله ما كانوا يكذبون به من الإعادة فى كل وقت دائما أبدا ، كما كانوا يعتقدون ذلك دائما أبدا جزاء وفاقا عكس ما لأهل الجنة من التنعيم و التلذذ ١٠ بإعادة كل ما قطعوا من فاكهتها و أكلوا من طيرها ، لأنهم يعتقدون الإعادة فنالوا هذه السعادة .

ولما قدم أن لأهل الطاعة فاكهة و شرابا ، وكان ما وصف به مأوى العصاة لا يكون إلا عذابا ، وكان مفهما لا محالة أن الحرارة تسيل^٤ من أهل النار عصارة من صديد وغيره قال : ﴿ هذا لا ﴾ أى العذاب ١٥ للطاغين ﴿ فليذوقوه ﴾ ثم فسره بقوله : ﴿ حميم ﴾ أى ماء حار ، و أشار بالعطف بالواو إلى تمكنه فى كل من الوصفين فقال : ﴿ وغساق لا ﴾

- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ « و » (٢) زيد من م و مد (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : حيلها (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كما . (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل و ظ : لا تسيل .

أى سيل متين عظيم جدا بارد أسود مظلم شديد فى جميع هذه الصفات
من صديد ونحوه، وهو فى قراءة الجماعة^١ بالتخفيف^٢ اسم كالعذاب
و النكال من غسقت عينه، أى سالت، و غسق الشيء، [أى -^٣ امتلا،
و منه الغاسق للقمر لامتلائه و كماله، و فى قراءة حمزة و الكسائى
٥ و حفص بالتشديد صفة كالخباز و الضراب، تشير إلى شدة أمره فى
جميع ما استعمل فيه من السيلان و البرد و السواد .

و لما كان فى النار - اجارنا الله منها بعفوه و رحمته - ما لا يعد
من^٤ أنواع العقاب^٥، قال [عاطفا على هذا -^٦]، ﴿ و آخر ﴾ أى من
أنواع المذوقات - على قراءة البصريين بالجمع^٧ لآخرى، و مذوق على قراءة
١٠ غيرهما بالإفراد، وهو حيثئذ للجنس، [و أخبر عن المبتدأ بقوله -^٨] :
﴿ من شكلة ﴾ أى شكل هذا المذوق و لما كان المراد الكثرة فى
المعذنين و هم الطاغون و فى عذابهم مع اقترانه^٩ بالأنواع و إن اتحد فى
جنس العذاب، صرح بها فى قوله : ﴿ ازواج ه ﴾ أى هم أو هى^{١٠} أو هو،
أى جنس عذابهم أنواع كثيرة .

١٥ و لما كان مما أفهمه الكتاب فى هذا الخطاب أن الطاغين الداخلين
إلى جهنم أصناف كثيرة، وكانت العادة جارية بأن الأصناف إذا اجتمعوا

(١) فى م و مد : الجمهور (٢) راجع نثر المرجان ١٠٠/٩ و ١٠١ (٣) زيد من م
و مد (٤ - ٥) من م و مد . وفى الأصل و ظ : الأنواع (٥) من م و مد،
و فى الأصل و ظ : اقترانه (٦) زيد فى م : أى المذوقات .

٤٥٨ /

كانت بينهم محاورات ولا سيما إن كانوا من الطغاة العتاة ، تحرك البيامع
إلى تعرف ذلك فقال تعالى مستأنفا جوابه بما يدل على تقاولهم بأقبح
[المقالة - ١] وهو التخاصم الناشئ عن التباغض والتدابير الذى من
شأنه أن يقع بين الذين / دبروا أمرا فعاد عليهم بالوبال فى أن كلا
منهم يحيل ما وقع به العكس على صاحبه ، وذلك أشد لعذابهم : هـ
(هذا) أى قال أطفى الطغاة لما دخلوها أولا كما هم أهل له لأنهم
ضالون مضلون و^٢ رأوا جمعا^١ من الاتباع داخلا عليهم : هذا (فوج)
أى جماعة كثيفة مشاة مسرعون . ولما كانوا يدخلونها من شدة ما
تدفعهم الزبانية على هيئة الواهب قال^٣ مشيرا بالتعبير بالوصف مفردا إلى
أنهم فى الموافقة فيه و التسابق كأنهم نفس واحدة^٢ : (مقتحم) أى رام ١٠
بنفسه فى الشدة بشدة فجاءه بلا روية كائنا (معكم ج) .

ولما كان أهل النار يؤذى بعضهم بعضا بالشهيق والزفير والزحام
والدفاع والبكاء والمويل وما يسيل من بعضهم على بعض من القيح
والصدید وغير ذلك من أنواع النكد . ولا سيما إن كانوا أتباعا لهم
فى الدنيا ، فصاروا مشتهم فى ذلك الدخول فى الرتبة . لا يتحاشون عن ١٥
دفاعهم وخصامهم وزاعهم ، قالوا استنفا : (لا مرحبا) ثم بينوا المدعو
عليه فقالوا : (بهم^٤) وهى كلمة واقعة فى آثم مواقعها لأنها دالة على

(١) زيد من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : رواها -
كذا : (٣-٣) سقط ما بين الرقين من م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بين ،
والعبارة من « ثم بينوا » إلى « فقالوا » ساقطة من مد .

التضجر و البغضة مع الصدق في أهل مدلولها الذي هو مصادقة الضيق ،
مفعل من الرحب مصدر مبني و هو ' السعة ' ، ' أى لا كان بهم ' سعة
أصلا و لا اتسعت بهم هذه الأماكن ' و لاهذه الأزمان ' و لاحصلت
لهم و لا بهم ' راحة ، و لذلك عللوا استحقاقهم لهذا الدعاء بقولهم مؤكدين
٥ لما كان استقرار في نفوسهم و تطاول عليه الزمان من إنكارهم له :
(انهم صالوا النار) أى و من صليها ' صادف من الضيق ما لم يصادفه
أحد و آذى ' كل من جاوره .

و لما كان من المعلوم على ما جرت به العوائد أنهم يتأثرون من
هذا القول فيحصل التشوف إلى ما يكون من أمرهم هل يجيئونهم أم
١٠ تمنعهم هيبتهم على ما كانوا في الدنيا ، أعلم بما يعلم منه انقطاع الاسباب
هناك ، فلا يكون من أحد منهم خوف من آخر ، فقال مستأنفا :
(قالوا) ! أى الاتباع المعبر عنهم بالفوج لسفولهم و بطون أمرهم :
(بل انتم) أى خاصة أيها الرؤساء (لا مرحبا) و بينوا بقولهم :
(بكم) أى هذا الذى دعوتكم به علينا أنتم أحق به منا ، [ثم -^١] عللوا
١٥ قولهم بما أفهم أنهم شاركهم في الضلال و زادوا عليهم بالإضلال^١

(١) من مد ، و فى الأصل وظ و م : هى (٢) العبارة من هنا إلى سعة أصلا
ساقطة من م (٣) من مد ، و فى الأصل وظ : لهم (٤-٤) سقط ما بين الرقين
من م (٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : لهم (٦) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : صلاها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آوى (٨) زيد من م
و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل وظ : ردوا (١٠) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : فى الإضلال .

قالوا: ﴿ انتم ﴾ أى خاصة ﴿ قدمتموه ﴾ أى الاقتحام فى العذاب بما أقحمتمونا^١ فيه [من أسبابه -^٢] و قدمتم فى دار الغرور^٣ من تزيينه ﴿ لناج ﴾ و لما كان الاقتحام و هو الوثوب أو الدخول على شئ بسرعة كأنها الوثوب ينتهى منه إلى استقرار، و كان الفريقان قد استقروا فى مقاعدهم فى النار، سيوا عن ذلك قولهم: ﴿ فبئس القرار ﴾ أى قراركم . ٥
و لما كان قول الاتباع هذا مفهما لأنهم علوا أن سبب ما وصلوا إليه من الشقاء هو الرؤساء، و كان هذا موجبا لنهاية غيظهم منهم، تشوف السامع لما يكون من أمرهم معهم ؟ هل يكتفون بما أجابوهم به أو يكون إنهم شئ آخر ؟ فاستأنف^٤ قوله لإعلاما بأنهم لم يكتفوا بذلك و علوا أنهم لا يقدررون على الانتقام^٥ منهم : ﴿ قالوا ﴾ أى الاتباع : ١٠
﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا الذى منعنا هؤلاء عن الشكر له ﴿ من قدم لنا هذا ﴾ أى العذاب بما قدم [لنا -^٦] من الأسباب التى اقتحمناه، و قدموا ذلك اهتماما به و أجابوا الشرط بقولهم : ﴿ فزده ﴾ أى على العذاب الذى استحقه بما استحققنا به نحن و هو الضلال ﴿ عذابا ضعفا ﴾ أى زائدا / على ذلك مرة أخرى بالإضلال، و قيده ١٥ / ٤٥٩
طلبا لفخامته بقولهم^٧ معبرين بانظر فى الإفهام الضيق الذى تقدم الدعاء^٨

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م : اقتحمونا (٢) زيد من ظ و م و مد.

(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : العز (٤) من ظ و م و مد، و فى

الأصل : استأنف (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : انتقام (٦) زيد من م

و مد (٧-٨) سقط من ما بين الرقعتين من م .

'المجاب فيه به ليكون عذابا آخر فهو أبلغ مما في الأعراف لأن السياق هنا للطاغين و هناك لمطلق الكافرين' ﴿ في النار ﴾ 'أى كائنا فيها'، وهذا مثل الآية الأخرى ربنا 'انهم ضعفين من العذاب' و العنهم لعنا كبيرا' أى مثل عذابنا مرتين .

٥ ولما ذكر من اقتحامهم في العذاب و تقاولهم بما دل على خزيهم و حسرتهم و حزنهم ، أعلم بما دل على زيادة خسراتهم^٢ و حسرتهم و هوانهم بمعرفتهم بنجاة المؤمنين الذين كانوا يهزؤون بهم و يذلونهم فقال : ﴿ وقالوا ﴾ أى الفريقان : الرؤساء و الاتباع بعد أن قضوا و طرهم بما لم يغن عنهم شيئا من : تخاصمهم : ﴿ ما ﴾ أى أى شيء حصل ﴿ لنا ﴾ مانعا فى أنا ١٠ ﴿ لا نرى ﴾ أى فى هذا المحل الذى أدخلناه ﴿ رجلا ﴾ يعنون فقراء المؤمنين ﴿ كنا نعدم ﴾ أى* فى دار الدنيا ﴿ من الاشارة ﴾ أى الاراذل الذين لاخير فيهم ، بأنهم قد قطعوا الرحم ، و فرقوا بين العشيرة و افسدوا ذات البين ، وغيروا الدين بكونهم لايزالون يخالفون الناس فى أقوالهم و أفعالهم . مع ما كانوا فيه من الضعف و الذل و الهوان ١١ و سوء الحال فى الدنيا ، فيظن أهلها نقص حظهم منها و كثرة مصائبهم^٣ فيها لسوء حالهم عند الله و ما دروا انه تعالى يحمى احياءه^٤ منها كما

(١-١) سقط ما بين الرقيين من م (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .
(٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بما .
(٣) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : صابهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل و م : احياءه .

يحمي الإنسان عليه الطعام والشراب ومن يرد به خيرا يصب منه .
ولما كانوا يسخرون من المؤمنين ويستهزؤن بهم ، وهم ليسوا
موضعا لذلك ، بل حالهم في جِدم و جِدم في غاية البعد عن ذلك ،
قالوا مستفهمين ، أما على قراءة الحرمين وابن عامر وعاصم فتحقيقا ،
وأما على قراءة غيرهم فقديرا : ﴿ اتخذنهم ﴾ أى كلفنا أنفسنا وعالجناها ه
في أخذهم ﴿ سخرنا ﴾ أى نسخر منهم ونستهزئ بهم - على قراءة
الكسر ، ونسخرهم أى نستخدمهم على قراءة الضم . وهم ليسوا أهلا
لذلك ، بل كانوا خيرا ما ظم يدخلوا هنا لعدم شرارتهم ، [وكأنهم كانوا
إلى تجويز كونهم في النار معهم ومنعهم من رؤيتهم أميل ، فدلوا على
ذلك بتأنيث الفعل ناسبين خفاءهم عنهم إلى رخاوة في أبصارهم على قوتها ١٠
في ذلك الحين فقالوا -] : ﴿ أم زاعغت ﴾ أى مالت متجاوزة ﴿ عنهم ﴾ .
ولما كان تعالى يعيد الخلق في القيامة على غاية الإحكام في ابدانهم
ومعانيها فتكون أبصارهم أحد ما يمكن أن تكون وأنفذه " اسمع بهم
وأبصر يوم يأتونا فبصرك اليوم حديد " عدوا أبصارهم في الدنيا بالنسبة
إليها عدما ، فلذلك عرفوا قولهم : ﴿ الابصاره ﴾ أى منا [التى لا أبصا ره ١٥
في الحقيقة سواها ٢] فلم نرمهم وهم فينا ومعنا في النار ، ولكن حجبتهم
عنا بعض أوديتها وجبالها ولهبها ، ف " ام " معادلة لجملة السخرية ، وقد
(:) زيد في الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة في ظ و م ومد فحذفناها .
(٢) راجع نثر المرجان ٦ / ١٠٣ (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفي
الأصل و ظ : أبعد .

علم بهذا التقرير ان معنى الآية إلى انفصال حقيق معناه : أم معنا أم لا ؟
 فهي من الاحتباك : أثبت الاتخاذ المذكور الذى يلزمه بحكم العناد
 بين الجملتين عدم كون المستسخر بهم [معهم -^٤] فى النار أولا دليلا
 على ضده ثانيا ، و هو كونهم معهم فيها ، و أثبت زيغ الابصار ثانيا
 ٥ . اللازم منه بمثل ذلك كونهم معهم فى النار دليلا على ضده أولا و هو
 كونهم ليسوا معهم ، و سر ذلك [أن -^٥] الموضع لتحريم و لوهم
 لانفسهم ، فى غلطهم و الذى ذكر عنهم أقعد فى ذلك .

و لما كان هذا أمرا رائعا جدا زاجرا لمن له عقل قتائله مجردا
 لنفسه من الهوى ، و كانت الحدود تمنعهم عن التصديق به ، كان موضعا
 ١٠ . لتأكيد الخبر عنه فقال : ﴿ ان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى تقدم
 الإخبار به ﴿ لحق ﴾ أى ثابت لا بد من وقوعه إذا وقع مضمونه
 و افاق الواقع منه هذا الإخبار عنه . و لما كان أشق ما فيه عليهم
 ٧ أنكار تخاصمهم^٧ جعله هو الخبر به وحده ، فقال / مينا له مخبرا عن مبتدئ
 استنفا تقديره : هو ﴿ تخاصم اهل النار ﴾ لأنه ما أناره لهم إلا الشر
 ١٥ و النكد فسمى تخاصما^٨ .

/ ٤٦٠

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ
 و م ، مد فحذفها (٣-م) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : العبارتين (٤) زيد
 من ظ و م و مد (٥) فى م و مد : الحظوظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل :
 و ظ : اذ (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انكار تخاصمهم (٨) من م
 و مد ، و فى الأصل و ظ : تخاصمهم .

ولما كانت قد جرت عادتهم عند التخويف أن يقولوا: عجل لنا
 هذا إن كنت صادقاً فيما ادعيت، ومن المقطوع به أنه لا يقدر على
 ذلك إلا الإله فصاروا كأنهم نسبوه إلى أنه ادعى الإلهية، قال تعالى
 منها على ذلك أمراً له بالجواب: ﴿ قل ﴾ أى لمن يقول لك ذلك:
 ﴿ انما انا منذر مبلّغ ﴾ أى مخوف لمن عصى، ولم أدع' أنى إله، يطلب ه
 منى ذلك فانه لا يقدر على مثله إلا الإله، فهو قصر قلب للوصوف على
 الصفة، وأفرد قاصراً للصفة في قوله: ﴿ وما ﴾ وأعرق في النفي بقوله:
 ﴿ من اله ﴾ أى معبود بحق لكونه محيطاً بصفات الكمال. ولما كان
 السياق للتوحيد الذى هو أصل الدين، لفت القول عن مظاهر العظمة إلى
 أعظم منه وأبين فقال: ﴿ الا الله ﴾ وللإحاطة عبر بالاسم العلم الجامع ١٠
 لجميع الاسماء الحسنى ولو شاركه شيء لم يكن محيطاً وللنفرد قال مبرها
 على ذلك: ﴿ الواحد ﴾ أى بكل اعتبار فلا يمكن أن يكون له جزء
 أو يكون له شبيه فيكون محتاجاً مكافئاً ﴿ القهار ﴾ أى الذى يقهر غيره
 على ما يريد، وهذا برهان على أنه الإله وحده وان آلهتهم بعيدة
 عن استحقاق الإلهية لتعددتها وتكافؤها بالمشابهة واحتياجها. ١٥
 ولما وصف نفسه سبحانه بذلك، دل عليه بقوله: ﴿ رب السموات ﴾
 أى مبدعها وحافظها على علوها وسعتها وإحكامها بما لها من الزينة
 والمنافع. وجمع لأن المقام للقدرة، وإقامة الدليل على تعددها سهل
 (١) من مد، وفى الأصل وظ وم: لم ادعى (٢) من م ومد، وفى
 للأصل وظ: العلم (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الرتبة.

﴿و الارض﴾ على سعتها و ضخامتها و كثافتها و ما فيها من العجائب .
 ولما كان القائل مخيرا كما قال ابن مالك في الكافية الشافية عند
 اختلاط العقلاء بغيرهم في إطلاق ما شاء من «مَن» التي أغلب إطلاقها
 على العقلاء و «ما» التي هي بعكس ذلك، وكان ربما وقع في وهم أن
 تمكنه تعالى من العقلاء دون تمكنه من غيرهم لما لهم من الحيل التي
 يحرزون بها عن المحذور، و ينظرون بها في عواقب الأمور، أشار إلى
 أن حكمه فيهم حكمه في غيرهم من غير فرق بالتعبير عنهم بـ «ما»
 التي أصلها و أغلب استعمالها لمن لا يعقل، و سياق العظمة بالوحدانية
 و آثارها دال على دخولها في العبادة قطعا فقال : ﴿و ما بينهما﴾ أي
 ١٠ الخافقين من الفضاء و الهواء] و غيرهما من العناصر و النبات و الحيوانات
 «العقلاء - ١» [و غيرها، رنى كل شيء من ذلك إيجادا و إبقاء على ما يريد
 و بن كره ذلك المربوب، فدل ذلك على قهره . و تفرده في جميع
 أمره^١

و لما كان السياق للأنذار، كرر ما يدل على القهر فقال :
 ١٥ ﴿العزيز﴾ أي الذي يعز الوصول إليه، و يغلب كل شيء و لا يغلبه
 شيء^٢، و لما ثبت أنه يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء . و كانت دلالة الوصفين
 «العظيمين على الوعيد أظهر من إشعارها» بالوعد . كان موضع قولهم :

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ : اموره .
 (٣) العبارة من هنا إلى « لا يغلبه شيء » ساقطة من ظ (٤) زيد في الأصل :
 على . و لم تكن الزيادة في م و مد لخذفها (٥) في م : إشعارهما .

فأله لا يعجل بالهلاك لمن يخالفه فقال: ﴿ الغفارة ﴾ أى المكرر ستره لما يشاء من الذنوب حلما إلى وقت الماحى لها بالكلية [بالنسبة - ٢] إلى من يشاء من العباد كما فعل مع أكثر الصحابة رضى الله عنهم حيث غفر لهم ما اقترفوه قبل الإسلام .

ولما ثبت بهذا وحدانيته وقدرته ولم يزعمهم ذلك عن ضلالهم ، ه
ولا ردم عن عتوم / ومحالهم ، مع كونه موجبا لأن يقبل كل أحد
٤٦١ / عليه ولا يعدل أبدا عنه ، قال آمرا له بما^٥ ينبههم على عظيم خطائهم :
﴿ قل هو ﴾ أى هذا الأمر الذى تلوته عليكم من الأخبار عن الماضى^٦
و الآتى^٦ من القيامة^٦ المشتعلة على^٦ التخاصم المذكور وغيرها والأحكام
و المواعظ ، فثبت بمضمونه الوحداية ، وتحقق بأعجازه مع ثبوت الوحداية ١٠
و تمام القدرة و جميع صفات الكمال انه كلام الله : ﴿ نبؤا عظيم ﴾^٧ أى
خبر يفوت الوصف فى الجلال و العظم بدلالة العبارة^٩ و "صفة لا يعرض
عن مثله إلا غافل لا وعى له ولا شئ من رأى .

ولما كانوا يدعون انهم أعظم الناس إقبالا على الغرائب ، وتنقيا
عن الدقائق و الجلائل من المناقب . بكتهم بقوله واصفا له : ﴿ اتم عنه ﴾ ١٥

(١) - سقط من ظ (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لمن (٣) زيد من م
و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يرغمهم (٥) فى م : لما ، وفى مد :
بان ٦ - ٦ من م و م و مد ، وفى الأصل : الآتى و الماضى (٧) من ظ ،
وفى الأصل و م و مد : القيمة (٨) زيد فى الأصل و ظ : الخصومة و ، ولم
تكن الزيادة فى م و مد فحذفها (٩) من م و مد ، وفى الأصل
و ظ : العبادة .

أى خاصة لآعن غيره 'و الحال ان غيره' من المهملات . ولما كان
أكثرهم متهمين 'للاسلام و الرجوع عن الكفران لم يقل : مدبرون ،
ولا 'مرضون' بل قال : (مرضون هـ) أى ثابت لكم الإعراض في هذا
الحين ، وقد كان ينبغي لكم الإقبال عليه خاصة والإعراض عن [كل -^٢]
هـ ما عداه ؛ لأن في ذلك السعادة الكاملة . ولو أقبلتم عليه بالتدبر لعلمتم
قطعا صدق و أنى ما أريد بكم إلا السعادة في الدنيا والآخرة ، فبادرتم
الإقبال إلىّ و القبول لما أقول .

و لما قصر نفسه الشريفة على الإنذار ، وكانوا ينازعون فيه و ينسبون
إلى الكذب ، دل على صدقه و على عظم هذا النبأ بقوله : (ما كان لى)
١٠ و أعرق في النفي بالتأكيد في قوله : (من علم) أى من جهة أحد
من الناس كما تعرفون ذلك من حالى له إحاطة [ما -^٥] (بالملا)
أى الفريق المتصف بالشرف (الاعلى^٢) و هم الملائكة أهل السموات
العلی و آدم و إبليس ، و كأن مخاطبة الله لهم [كانت -^٢] بواسطة ملك
كما [هو -^٦] ألقى بالكبرياء و الجلال ، فصح أن المقابلة^٢ بين الملا^٢
١٥ (اذ) أى حين . و لما أفرد وصف الملا^٢ إيدانا بأنهم في الاتفاق في
علو رتبة الطاعة كأنهم شيء واحد ، جمع ثلاثا يظن حقيقة الوحدة فقال :
(يختصمون هـ) أى في شأن آدم عليه السلام ، أول خليفة في الأرض

(١-١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : مهيا .
(٣) زيد من م و مد (٤) في مد : سواء (هـ) زيد من مد (٦) زيد من ظ
وم و مد (٧) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : المقالة .

بل الخليفة المطلق ، لأن خلافة أولاده من خلافة ، وفي الكفارات
الواقعة من بينه ، كما أنه ما كان لي من علم بأهل النار إذ يختصمون ،
ولا بالخصم الذين دخلوا على داود عليه السلام الذي جملة الله تعالى خليفة
في الأرض إذ يختصمون ، وقد علمت ذلك علما مطابقا للحق بشهادة
الكتب القديمة وأنتم تعلمون أي لم أخاطب عالما قط ، فهذا علم من ه
أعلام النبوة واضح في أي لم أعلم ذلك إلا بالوحي لكوني رسول الله ،
وعبر هنا بالمضارع - وإن كان قد وقع ومضى من أول الدهر -
تذكيرا بذلك الحال وإعلاما بما هم فيه الآن من مثله في الدرجات ، كما
سيأتي قريبا في الحديث القدسي ، وعبر في تخاصم أهل النار - وهو لم يأت -
بالماضى تنبيها على أن وقوعه مما لا ريب فيه ، فكأنه وقع وفرغ منه ١٠
لأنه قد فرغ من قضائه من لا يرد له قضاء ، لأنه الواحد فلا شريك
له ولا منازع .

ولما كانوا ربما قالوا في تمتهم : فلعله مثل ما أوحى إليك بعلم
ما لم تكن تعلم ، يوحى إليك بالقدرة على ما لم تكن تقدر عليه ، فتعجل
لنا الموت ثم البعث لنرى ما أخبرتنا به من التخاصم مصورا ، لعننا ١٥

٤٦٢ /

نصدقك فيما أنيت به ، / قال مجيبا^١ لهم قاصرا^٢ للوحي على قصره على النذارة
وهي إبلاغ ما أنزل إليه ، لا تعجيل شيء مما توعدوا به : ﴿ ان ﴾ أي
ما ﴿ يوحى ﴾ [أي - ٤] في وقت من الاوقات ، وبناء للفعول لأن

(١) في ظ : بمن (٢) في ظ : موجبا (٣) من ظ و م ومد ، وفي الأصل :
قاصر (٤) زيد من ظ و م ومد .

ذلك كاف في تنبيههم على موضع الإشارة في أن دعواه إنما هي النبوة
لا الإلهية ﴿إلى الآ﴾ ولما كان الوحي قولاً قرأ أبو جعفر [بكسر -^١]
﴿إنما أنا نذير﴾ أى قصرى^٢ على النذارة لا أنى^٣ أنجز ما يتوعد به الله :
فإنما مفعول [«يوحى» -^٤] القائم مقام الفاعل في القراءتين وإن
هـ اختلف التوجيهان فالتقدير على قراءة الجماعة بالفتح : إلا الإنذار أو إلا
كونى نذيراً، وعلى قراءة الكسر : إلا هذا القول وهو أنى أقول لكم
كذا ﴿مين﴾ أى لا أدع لبساً فيما أبلغه بوجه من الوجوه .

ولما دل على أنه نذير، وأزال ما ربما أوردوه^٥ عليه، أتبعه ظرف
اختصاص الملا^٦ الأعلى، أو بدل «اذ» الأولى فقال : ﴿اذ﴾ أى حين
١٠ ﴿قال﴾ ودل على أن هذا كله إحسان إليه وإنعام عليه بذكر الوصف
الدال على ذلك، ولقت القول عن التكلم^٧ إلى الخطاب لأنه أقعد^٨ في
المدح وأدل على أنه كلام الله كما في قوله «قل من كان عدوا لجبريل»
دليلاً يوم أنه ظرف ليوحى أو لنذير فقال : ﴿ربك﴾ أى المحسن
إليك بمملك خير المخلوقين وأكرمهم عليه فانه أعطاك الكوثر، وهو كل
١٥ ما يمكن أن تحتاج إليه ﴿للتشك﴾ وهم الملا^٩ الأعلى وإبليس منهم

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل : قصدى (٣) من ظ
وم ومد، وفي الأصل : ان (٤) زيد في الأصل وظ : به، ولم تكن الزيادة
في م ومد لخذناها (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ : أوردته (٦) من
م ومد، وفي الأصل وظ : للتكلم (٧) من م ومد، وفي الأصل
وظ : أوقع .

لأنه كان إذ ذاك معهم وفي عدادهم . ولما كانوا عالمين [بما - ١]
 دلهم عليه دليل من الله كما تقدم في سورة البقرة أن البشر يقع منه
 الفساد، فكانوا يبعدون أن يخلق سبحانه من فيه فساد لأنه الحكيم
 الذي لا حكيماً سواه، أكد لهم سبحانه قوله: (إني خالق بشر) أي
 شخصاً ظاهر البشرة لاسأتره من ريش ولا شعر ولا غيرهما ليكون التأكيد
 دليلاً على ما مضى من مراجعتهم لله تعالى التي أشار إليها بالاختصاص،
 وبين أصله بقوله معلّقاً بخالق أو بوصف بشر: (من طينه) أجعله
 خليفتي في الأرض وإن كان في ذلك فساد لأنني أريد أن أظهر حلمي
 ورحمتي و عفوئ وغير ذلك من صفاتي التي لا يحسن في الحكمة إظهارها
 إلا مع الذنوب . لو لم تذبوا قستغفروا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون ١٠
 فيغفر لهم ، قال القشيري : وإخاره للملائكة بذلك يدل على تفخيم شأن آدم
 عليه السلام لأنه خلق "ما خلق" من الكونين والجنة والنار والعرش
 والكرسي والملائكة ، ولم يقل في صفة شيء منها ما قال في صفة
 آدم عليه السلام وأولاده . ولم يأمر بالسجود لشيء غيره .

ولما أخبرهم سبحانه بما يريد أن يفعل ، سبب عنه قوله: (فاذا سويته) ١٥
 أي هيأته باتمام خلقه لما يراد منه من قبول الروح وما يترتب عليه
 (و نفخت فيه من روحي) فصار حساساً متفهماً ، شبه سبحانه إفاضته
 الروح بما يتأثر عن نفخ الإنسان من لهب النيران ، وغير ذلك من
 التحريك والإسكان ، والزيادة والنقصان ، وأضافه سبحانه إليه تشريفاً له ،

(١) زيد من م ومد (٢-٣) سقط ما بين الرقین من ظ .

(فقعوا له أى خاصة) (سجدين هـ) أى اسجدوا له للتكرمة امتثالا
 لأمرى سجودا هو بغاية ما يكون من الطوعية والاختيار والمحبة
 لتكونوا كأنكم وقمتم بغير اختيار، ففعلوا ما أمرهم [به - '] سبحانه
 من غير توقف. ولذلك ذكر 'فعلهم مع' جواز تأنيته فقال: (فسجد)
 هـ أى عند ما نفخ فيه الروح (المشكاة) على ما أمرهم الله. ولما كان
 / إسناده الخبر إلى الجمع قد يراد به أكثرهم، أكد بقوله: (كلهم)
 ٤٦٣
 إرادة لرفع المجاز.

ولما كان لا يقدح في ذلك واحد مثلاً أو قليل لا يعبأ بهم لضعف
 أثر نحوه، رفع ذلك بقوله: (اجمعون لا) مع إفادة أن السجود كان
 ١٠ في آن واحد إعلاما بشدة انقيادهم، وحسن تأديتهم للطاعة واستعدادهم،
 ثم زاد في إيضاح العموم بالاستثناء الذى هو معياره فقال: (إلا إبليس)
 عبر عنه بهذا الاسم لكونه من الإبلas وهو انقطاع الرجاء إشارة إلى
 أنه في أول خطاب الله له بالإنكار عليه كان على كيفية علم منها تأبد
 الغضب عليه وتحتم العقوبة له.

هـ ولما عرف بالاستثناء أنه لم يسجد، وكان مبنى السورة على
 استكبار الكفرة بكونهم* في عزة وشقاق، بين أن المانع له من السجود

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فعلها.
 (٣) من ظ و م و مد. وفي الأصل: قليلا (٤) زيد في الأصل: كلهم،
 ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لحذفها (هـ) من م و مد، وفي الأصل
 و ظ: لكونهم.

الكبر تنفيرا عنه مقتصرًا في شرح الاختصاص عليه وعلى ما يتصل به فقال: ﴿استكبر﴾ أى طلب أن يكون أكبر من أن يؤمر بالسجود له وأوجد الكبر على أمر الله، وكان من المستكبرين العريقين في هذا الوصف كما استكبرتم أيها الكفرة على رسولنا، وسنرفع رسولنا صلى الله عليه وسلم كما رفعنا آدم صفينا عليه السلام على من استكبره عن السجود له، ونجعله خليفة هذا الوجود كما جعلنا آدم عليه السلام، وأشرنا إلى ذلك في هذه السورة بافتتاحها بخليفة واختتامها بخليفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكر كل من أحوالها.

ولما كان الفعل الماضى ربما أوعم أنه حدث فيه وه ف لم يكن، وكان التقدير: فكفر بذلك، عطفًا عليه يانا لأنه جبل على الكفر ١٠ ولم يحدث منه إلا ظهور ذلك للخلق قوله: ﴿وكان﴾ أى جلة وطبعا ﴿من الكافرين﴾ أى عريقا في وصف الكفر الذى منشأه الكبر على الحق المستلزم للذل للباطل، فالآية من الاحتباك: ذكر فعل الاستكبار أولا دليلا على فعل الكفر ثانياً، ووصف الكفر ثانياً دليلا على وصف الاستكبار أولا، وسر ذلك أن ما ذكره أقعد في التحذير بأن من ١٥ وقع منه كبر جره إلى الكفر.

ولما كان من خالف أمر الملك جديرا بأن يحدث إليه أمر ينتقم به منه، فتشوف السامع لما كان من الملك إليه. استأنف البيان لذلك بقوله: ﴿قال﴾ وبين أنه بمحل البعد بقوله: ﴿يآ﴾ وبين يأسه من

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من ظ .

الرحمة وأنه لاجواب له أصلاً بتعبيره بقوله : ﴿ ابلّيسُ ما ﴾ أى ، أى^٢
 شيء ﴿ منعك ان تسجد ﴾ وبين ما يوجب طاعته ولو أمر بتعظيم
 ما لا يعقل بقوله معبراً بأداة ما لا يعقل عن كان عند السجود له عاقلاً
 كامل العقل : ﴿ لما خلقت ﴾ فأنا العالم به وبما يستحقه دون غيره ،
 وما أمرت بالسجود له إلا لحكمة في الأمر وابتلاء للغير ، ويؤكد بيان
 ذلك بذكر اليد و تفتيتها فقال : ﴿ يدي ﴾ أى من غير توسط سبب
 من بين هذا النوع وما ذاك إلا لمزيد اختصاص ، والمراد باليد هنا صفة
 شريفة غير النعمة والقدرة معلومة له سبحانه ولمن تبحر في علمي اللغة
 والسنة ، خص بها خلق آدم عليه السلام تشريفاً له وفي تهيئة اليد
 ١٠ إشارة إلى أنه ربما أظهر فيه معاني الشئال وإن كان كل من يديه مباركا ،
 ثم قدم المانع إلى طلب العلو ووجود العلو مع الإنكار عليه في الاستناد
 إلى شيء منها ، فقال في صيغة استفهام التقرير^٢ / مع الإنكار والتقريع ،
 بيانا لأنه يلزمه لاحالة زيادة على ما كفر به أن يكون على أحد هذين
 الأمرين : ﴿ استكبرت ﴾ أى طلبت أن تكون اعلى منه وانت تعلم
 ١٥ أنك دونه فأنت بذلك ظالم ، فكنت من المستكبرين العريقين في وصف
 الظلم ، فان من اجترأ على أدناه أو شك أن يصل إلى أعلاه ﴿ ام كنت ﴾
 أى بمالك من الجبله الراضية ﴿ من العالين ﴾ أى الكبراء المستحقين
 للكبر وأنا لا أعلم ذلك فنقصتك من منزلتك فكنت جارا في امرى
 (١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : الاستناد (٢) من ظ و م و مد ، وفي
 الأصل : التقريع .

لك بما^١ أمرتك به ، فلذلك علوت بنفسك فلم تسجد له ، هذا المراد لا ما^٢
يقوله بعض الملاحدة من أن العالمين جماعة من الملائكة لم يسجدوا لأنهم
لم يؤمروا لأن ذلك قدح في العموم المؤكد هذا التأكيد العظيم ، وفي
تفسير العلماء له من غير شبهة ، والآية من الاحتباك : دل فعل الاستكبار
أولا على فعل العلو ثانيا ، ووصف العلو ثانيا على وصف الاستكبار ه
أولا ، وسر ذلك أن إنكار الفعل المطلق مستلزم لإنكار المقيد لأنه
المطلق بزيادة ، وإنكار الوصف مستلزم لإنكار الفعل^٣ لأنه جزؤه مع
أن إنكار الفعل من هذا مستلزم لإنكار^٤ الفعل من ذاك ، فيكون كل
من الفعلين مدلولاً على إنكاره مرتين : تارة بإنكار فعل عدله وأخرى
بإنكار وصفه نفسه ، والوصفان كذلك ، وفعل الكبر أجدر بالإنكار ١٥
من فعل العلو و^٥ أم^٦ معادلة لهزمة الاستفهام وإن حذفت من قراءة
بعضهم لدلالة^٧ " أم " عليها وإن اختلف الفعل ، قال أبو حيان^٨ : قال
سيبويه : تقول : أضربت زيدا أم قتله ، فالبدء^٩ هنا بالفعل^{١٠} أحسن لأنك
إنما تسأل عن أحدهما لاتدرى^{١١} أيهما كان ، ولاتسأل عن موضع
أحدهما كأنك قلت : أى ذلك كان - انتهى .

١٥

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : نيا (٢) في م : لما (٣ - ٣) سقط ما بين
الرقين من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٤١٠ / ٧ (٥) من ظ و مد والبحر
المحيط ، وفي الأصل و م : فالبدء (٦) ريد في الأصل : اولى و ، ولم تكن
الزيادة في ظ و م و مد والبحر المحيط لحذفها (٧) من مد والبحر المحيط ،
وفي الأصل و ظ و م : لا يدري .

ولما صدعه سبحانه بهذا الإنكار ، دل على إبلاسه بقوله مستأنفا :
 ﴿ قال ﴾ مدعيا لأنه من العالين : ﴿ انا خير منه ﴾ أى فلا حكمة فى
 أمرى بالسجود [له - '] ، ثم بين ما ادعاه بقوله : ﴿ خلقتنى من نار ﴾
 [أى - '] وهى فى غاية القوة والإشراق ﴿ و خلقتنى من طين ﴾ أى
 هـ وهو فى غاية الكدورة والضعف ، واستوقف^٢ يان ما حصل التشوف^٣
 إليه من علم جوابه بقوله معرضا عن القدح فى جوابه لظهور سقوطه
 بان المخلوق المربوب لا اعتراض له على ربه بوجه : ﴿ قال فاخرج ﴾ أى
 بسبب تكبرك ونسبتك الحكيم الذى لا اعتراض عليه إلى الجور ﴿ منها ﴾
 أى من الجنة محل الطهر عن الأدواء الظاهرة والباطنة ، ثم علل ذلك بقوله
 ١٠ مؤكدا [لأجل - °] ادعاء أنه أهل لأقرب القرب : ﴿ فانك رجيم ﴾
 أى مستحق للطرد والرجم^٤ وهو الرمي بالحجارة الذى هو للبالغنة
 فى الطرد

ولما كان الطرد قد يكون فى وقت يسير ، بين انه دائم بقوله ،
 مؤكدا إشارة إلى الإعلام بما فى نفسه من مزيد الكبر : ﴿ وان عليك ﴾
 ١٥ أى خاصة . ولما كان السياق هنا للتكلم^٥ فى غير مظهر العظمة لم يأت بلام
 الكلام بخلاف الحجر فقال : ﴿ لعنتى ﴾ أى إبعادى مع الطرد والحزى
 والهوان^٦ والذل مستعل ذلك عليك دائما قاهرا لك لاتقدر على

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : هـى (٣) من م
 ومد ، وفى الأصل و ظ : استأنف (٤) فى م : التشوف (٥) زيد من م و م
 ومد (٦) من م و م ومد ، وفى الأصل : لأنه (٧) من م ومد ، وفى
 الأصل و ظ : للتكلم (٨) فقط من م و ظ .

الانفكاك عنه بوجه ، و أما غيرك فلا يتعين للعن^١ بل يكون بين الرجاء
و الخوف لا علم للخلاق بأنه مقطوع بلعنه ما دام حيا / إلا من أخبر
عنه نبي من الأنبياء بذلك ، ثم غي هذا اللعن بقوله : ﴿ الى يوم الدين ٥ ﴾
أى فاذا جاء ذلك اليوم أخذ في المجازاة لكل عامل بما عمل ولم يبق
للمذنب وقت يتدارك فيه ما فاتة ، و حينئذ يعلم أهل الاستحقاق للعن كلهم^٥ ،
و لم يبق علم ذلك خاصا بابليس ، بل يقع العلم بجميع أهل اللعنة ، فالغاية
لعلم الاختصاص باللعن لا اللعن .

ولما كان ذلك ، تشوف السامع إلى ما كان منه فأخبر سبحانه
[به - ٢] في سياق معلم أنه منعه التوفيق فلم يسأل التذليل ، و لا عطف
نحو التوبة ، بل أدركه الخذلان بالتمادي في الطغيان ، فطلب ما يزداد ١٠
به لعنة من الإضلال و الإعراق في الضلال [ضد - ٢] ' ما أنعم به '
على آدم عليه السلام ، فقال ذاكرنا صفة الإحسان و التسبيح^٥ لسؤال
الإنظار لما جرأه عليهما من ظاهر العبارة^٦ في أن اللعنة مغياة^٧ يوم^٨ الدين :
﴿ قال رب ﴾ أى^٩ أيها المحسن إلى^{١٠} بإيجادي و جعلى في عداد الملائكة
الكرام ﴿ فانظرني ﴾ أى بسبب ما عذبتنى به من الطرد ﴿ الى يوم يعثون ٥ ﴾ ١٥
أى آدم و ذريته الذين تبعثهم يبعث جميع الخلاق : ﴿ قال ﴾ مؤكدا لأن
(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لامين (٢) - سقط من ظ (م) زيد
من م و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقين من ظ (٥) من م و مد ، و فى
الأصل و ظ : التسبب (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبادة (٧) فى م ،
ليوم (٨) سقط من م .

[مثل - ١] ذلك في خرقه للعادة لا يكاد يتصور : ﴿ فانك ﴾ اى بسبب هذا السؤال ﴿ من المنظرين لا ﴾ وهذا يدل على أن مثل هذا الإنظار لغيره أيضا .

ولما دمج في عبارته بما يقتضى السؤال في أن لا يموت ، فان يوم البعث ظرف لفيض الحياة لا لغيضا و " لبطها لا لقبضا ، منه ذلك بقوله : ﴿ الى يوم الوقت ﴾ ولما كان تديجه في السؤال قد أفهم تجاهله بما هو ، أعلم الخلق به من تحتم الموت لكل من لم يكن في دار الخلد الذى أبلغ الله تعالى في الإعلام به ، قال : ﴿ المعلوم ﴾ وهو الصعقة الأولى " و ما يتبعها " .

١٠ ولما كانت هذه الإجابة سببا لأن يخضع وينيب^١ شكرا عليها ، وأن يطنى ويتمرد ويحجب لأنها تسليط وتهية للشر ، فاستشرف السامع إلى معرفة ما يكون من هذين المسبين ، عرف أنه منعه الخذلان من اختيار الإحسان بقوله : ﴿ قال فعزتك ﴾ اى التى أبت أن يكون لغيرك فعل لا بغير ذلك . ويجوز أن تكون الباء للقسم ﴿ لاغبينهم ﴾ اى ذرية آدم عليه السلام ﴿ اجمعين لا ﴾ قال القشيري : ولو عرف عزته لما

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد في الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فخذفناها (٣) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م و مد فخذفناها (٤) زيد في الأصل : من ، ولم تكن الزيادة في ط و م و مد فخذفناها . (٥ - ٥) سقط ما بين الرقین من م (٦) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : ثيب (٧) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : لآه .

أقسم بها على مخالفته .

ولما كان عالماً بأن القادر ما خلق آدم عليه السلام و شرفه بما شرفه به ليشقى ذريته كلهم قال : ﴿ الا عبادك ﴾ فأضافهم إليه سبحانه تديها على أن غيرهم قد انسلخوا من التقشف بعبوديته بالنسبة إلى من أطاعوه . ولما كان يمكن أن يكون المستثنى من غير البشر قيد بقوله : ﴿ منهم المخلصين ﴾ أى الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته فأخلصوا قصدم لها ، وعرف من الاستثناء أنهم قليل وأن القواة هم الأصل .

ولما حصل "تشوف إلى جوابه ، دل عليه بقوله : ﴿ قال فالحق د ﴾ أى فبسبب إغوائك و غوايتهم أقول الحق ﴿ والحق ﴾ أى لا غيره ابداً ﴿ اقول ج ﴾ أى لا أقول إلا الحق ، فان كل شئ قلته ثبت ، فلم يقدر ١٠ [أحد - '] على نقضه ولا نقضه . ولما كانت إجابته بالإنتظار ربما كانت سبباً لطمعه فى الخلاص ، قطع رجاءه بما أبرزه فى أسلوب التأكيد من قوله جواباً " لقسم مقدر / : بيانا للحق . وفى قراءة عاصم و حمزة " برفع " فالحق " يكون هو المقسم به أى فالحق قسمى ، " والجواب "

﴿ لاملئن ﴾ وما بينهما اعتراض مبين أن هذا لما لا يتخلف أصلاً ١٥ ﴿ جهنم ﴾ أى النار العظيمة التى من شأنها بجهم من حكم بدخوله إياها ﴿ منك ﴾ أى نفسك و كل^١ من كان على شاكلتك من جنسك من

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) ريد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بما (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : جوابه (٥) راجع ثر المرجان ٦ / ١١١ (٦ - ٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : الجواب . (٧) سقط من مد .

جميع الجن (٢) وعن (٣) .

ولما كان الأغلب على سياقات هذه السورة سلامة العاقبة، كان
توحيد الضمير في " تبع " أولى، وليفهم الحكم على كل فرد ثم الحكم
على المجموع فقال : (تبعك) ولما كان ربما قال متعت : إن المالى
هـ لجهنم من غير البشر قال : (منهم) أى الناس الذين طلبت الإمهال
لأجلهم، وأكد ضمير " منك " والموصول في " بمن " بقوله :
(اجمعين هـ) لا تفاوت في ذلك بين أحد منكم، وهذا الخصام الذى بين
سبطانه أنه كان بين الملا الأعلى كان سيالهم إلى انكشاف علوم
كثيرة منها أن السجود والتحيات والاستغفار والكفارات سبب
١٠ الوصول إلى الله والقربى، فصاروا بعد ذلك يختصمون فيها، فكانت
هذه القضية^٤ سببا لإطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على أسرار الملك
والمملوك، وإلى ذلك الإشارة بالحديث الذى رواه أحمد^٥ والترمذى^٦
- قال : حسن عريب - والدارمى^٧ والبيهقى^٨ فى تفسيره عن ابن عباس
رضى الله عنهما أن نبي صلى الله عليه وسلم قال : إن نعت فاستقلت^٩
(١) من ظ و م ومد . وفى الأصل : الأبلغ (٢) من ظ و م ومد، وفى
الأصل : العفة (٣) فى م : يجهم (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ : القصة .
(٥) فى مستند ١٠٦٨٠ - ١٠٦٩ فى جامعه باب تفسير سورة ص ١٥٥ - ١٥٦ .
(٦) فى مستند ٢٠٤٠ كتاب الرؤيا باب فى رؤية الرب تعالى فى النوم ص ٢٥٤ .
(٧) فى معالم التنزيل - راجع هامش لبب التأويل ٦ / ٥٣ - ٥٤ (٨) من م
ومد والجامع، وفى الأصل وظ : فاستقلت .

فوما فأتاني ربي - وفي رواية : آت من ربي - في أحسن صورة ، فقال لي :
يا محمد ، قلت : لبيك ربي وسعديك ، قال : هل تدري فيم يختصم ' الملا ' الأعلى ، فقلت : لا يارب - وفي رواية : قلت : أمت أعلم أي رب مرثين - قال : فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي^٢
- أو^٣ قال : نحري - فعلت ما في السموات وما في الأرض - وفي رواية : ه
ما بين المشرق والمغرب - وفي رواية الدارمي والبعقوي : ثم تلا هذه الآية " وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين " قال : يا محمد ! هل تدري فيم يختصم ' الملا ' الأعلى ، قلت : نعم ، في الدرجات والكفارات ، قال : وما هن ؟ قلت : المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في المكاره - وفي رواية : في السبرات - وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، قال : من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، وقال : يا محمد ، قلت : لبيك وسعديك ، قال : إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لي وترحمي ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك ١٥

(١) من م ومد والمراجع ، وفي الأصل وظ . اختصم (٢) في الأصل ياض ، ملائقاه من ظ وم ومد والمراجع (٣) من ظ وم ومد ومسند أحمد ، وفي الأصل « و » (٤) زيد في الأصل : في - مكورا . ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد ومسند أحمد لحذفها .

غير مفتون ، قال : و الدرجات إفشاء السلام و إطعام الطعام و الصلاة
 بالليل و الناس يام ، قال المنذرى : الملا الأعلى : [الملائكة - ']
 المقربون ، و السبرات - بفتح [السين - '] المهمة و سكون الباء الموحدة :
 جمع سبرة ، و هى شدة البرد ، و عزاه شيخنا فى تخريج أحاديث الفردوس
 ٥ إلى أحمد و الترمذى عن معاذ رضى الله عنه أيضا و قال : و فى الباب
 عن ثوبان رضى الله عنه عند أحمد بن منيع و عن أبي هريرة و أبي
 سعيد الخدرى ، و أبي رافع و أبي أمامة و أبي عبيدة و أسامة و جابر
 ابن سمرة و جبير بن مطعم و أسامة بن عمير و أنس رضى الله عنهم عند
 أحمد ، فهذا اختصاص سبب العلم بتفاصيله الاختصاص الأول و هو ما فى
 ١٠ شأن آدم عليه السلام و ذريته ، و العلم الموهوب لمحمد صلى الله عليه
 و سلم [بسبب السؤال عن هذا الاختصاص كالعالم الموهوب لآية آدم
 عليه السلام - *] بسبب ذلك الاختصاص ، و هذا الاختصاص - و الله
 أعلم - هو اختلافهم فى مقادير جزاء العاملين من الثواب المشار إليه
 بالدرجات الحامل عليها العقل الداعى إلى أحسن تقويم ، و العقاب المشار
 ١٥ إليه بالكفارات الداعى إلى أسبابها الوسوس الشيطانية الرادة إلى أسفل
 سافلين انتهى [سال - *] إبليس الإنظار لأجلها ، و سبب اختلافهم فى

/ ٤٦٧

(٢) فى الترغيب و الترهيب (٢) زيد من ظ و م و م و م (٢ - ٢) فى ظ و م
 و م : أيضا رضى الله عنه (٤) ليس فى م و م (٥) زيد من م و م (٦) من
 ظ و م و م ، و فى الأصل : تقارير (٧) م م و م ، و فى الأصل و ظ :
 المعطين .

مقادير الجزاء اختلاف مقادير الاعمال الباطنة من صحة النيات وقوة العزائم وشدة المجاهدات ولينها على حسب دراعى الحفظ والشهوات التى كان سبب عليهم بها الاختصاص فى أمر آدم عليه السلام وما شأ عنه من تفصيله بأمر دقيقة المأخذ المظهرة لأن الفضل ليس بالأمور الظاهرة، وإنما هو بما يهبه الله من الأمور الباطنة، وسمى تقاؤلهم فى ذلك اختصاصا دلالة على عظمة ما تقاؤلوا فيه، لأن الخصومة لا تكون إلا بسبب أمر نفيس^١، فالمعنى أن الملائكة كل واحد منهم مشغول بما أقيم فيه من الخدمة، فليس بينهم تقاؤل يكون بغاية الجد والرغبة كما هو شأن الخصام إلا فى هذا^٢ لشدة عجبهم منه لما يعلمون من صعوبة هذه الأمور على الآدمى لما عنده من الشواغل والصوارف عنها بما وهبهم الله^٣ من العلم جزاء لانقيادهم للطاعة بالسجود بعد ذلك الخصام فزوغ الآدمى عن صوارفه وحظوظه إلى الملائكة من الصفوف فى الطاعة والإعراض أصلا عن المعصية غاية فى العجب، وعليه صلى الله عليه وسلم لما فى السماوات وما فى الأرض علم لما كان فى حين الرؤيا ظهر له به ملكوتها، ونسبة ذلك كله إلى علم الله تعالى كالنسبة التى ذكرها الخضر لموسى^٤ عليهما السلام فى نقرة العصفور من البحر، والذي ذكره العلماء فى ذلك أنه تقريب للفهم فانه لا نسبة فى الحقيقة لعلم أحد من علمه تعالى ولا ينقص علمه أصلا سبحانه عما^٥ يلم بنقص أو يدنى إلى وهن "قل

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تقيس (٢) فى ظ: هذه (٣) فى ظ: بما .

لو كان البحر مدادا " الآية " ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام " الآية " يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا اجبتم قالوا لا علم لنا " ويقال للنبي صلى الله عليه وسلم فى ناس اختلجوا دونه عن حوضه : انك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ؟ فيقول : فسحقا سحقا .

و لما تم ما أراد من الدليل على أن ما ذكره لهم نبأ عظيم هم عنه معرضون بما أخبر به من الغيب مع ما له من الإعجاز ، ثبت بذلك ما اقتضى أنه صادق فى نسبته إلى الله تعالى ، وختم بالتحذير من اتباع إبليس ، أمره بالبراءة من طريقه ^۱ وأن ينفي عن نفسه ما قد يحمل على القول ^۲ بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لامتك : ﴿ ما استلکم ﴾ ^۳ سؤالا مستعليا ، ^{۱۰} و علق به لا " باجر " قوله : ﴿ عليه ﴾ أى على التبليغ و الإنذار بما أنتم متعرضون له من الهلاك بالإعراض ، فأداة الاستعلاء للاحتراز عن سؤال المودة فى القربى و حسن الاتباع فانهما مسؤولان و هما روح الدين ، و لكن سؤالهما [ليس - *] مستعليا على الإبلاغ بحيث أنهما لو اتفيا اتقى . و أعرق فى النفي بقوله : ﴿ من اجر ﴾ أى فيكون لكم فى الرد شبهة ^{۱۵} ﴿ و ما انا من المتكفين ^۵ ﴾ أى المتحلين بما ليسوا من أهله من قول

(۱) زيدى م : امر (۲) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : القول (۳) من م و مد و القرآن الكريم ، وفى الأصل و ظ : سالتكم (۴) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : سؤلها (۵) زيد من م و مد (۶) من م و مد و القرآن الكريم ، وفى الأصل و ظ : المكفين .

ولا فعل، الذين يكلفون أنفسهم زوير الكلام والتصنع فيه وترتيبه
على طريق من الطرق بنظم أو نثر يجمع أو يخطب أو غير ذلك، أو وضع
أنفسهم في غير مواضعها، كما فعل إبليس، لست منهم بسيل^١ ولا أعد
في عدادهم بوجه، لا أفعل أفعالهم ولا أحجم ولا أتعصب لهم، فهو
أبلغ من «وما أنا متكلفاء قد عرفتموني طول عمرى كذلك، ومن هـ
المعلوم أن^٢ ذلك لو كان في غريزتي / لما كفت عنه طول [زمانى - ٣]
٤٦٨ / النمو من الصبي والشباب اللذين توجد فيها الفرائز ولا توجد بعدهما،
فاذا ثبت أن ذلك لم يكن لى إذ ذاك ثبت أنه متعذر بعده، لما تقرر
من أنه لا توجد غريزة بعد الوقوف عن النمو في سن الثلاث والأربعين،
فاذا علم أنى لست كذلك علم أنى مأمور بما أنا فيه من القول والفعل، ١٠
فأنا من المكلفين لا المتكلفين، فكل من قال أو فعل ما لم يؤمر به فهو
متكلف، وروى^٤ الثعلبي بسنده^٥ من حديث سلمة بن فضيل رضى الله عنه
مرفوعا والبيهقي في الشعب من قول علي بن ارقطاة وأبونعيم في الحلية^٦
من قول وهب: علامة المتكلف ثلاث: ينازع من فوقه، ويتعاطى
ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم.

١٥

ولما أثبت المقضييات لأنه من عند الله وأزال الموانع، بين حقيقته
التي لا يتعداها لى ما نسوه إليه بقوله: (ان) أى ما (هو الا ذكر)
١) من م ومد، وفي الأصل وظ: لسيل (٢) تكرر في الأصل فقط.
٣) زيد من م ومد (٤) من مد، وفي الأصل وظ وم: رواه (هـ) من م
ومد، وفي الأصل وظ: بسند (٦) راجع ٤ / ٤٧.

أى عظة و شرف ﴿ للعلين ٥ ﴾ اى كلهم يفهم كل فرد منهم ما تحمله قواه^١ [منه - ٢] ذكيا كان أو غيا على ما هو عليه من العلو^٢ الذى لا يدانيه فيه كلام بخلاف الشعر و الكهانة التى محطها السجع و الكذب فى الإخبار ببعض المغيبات ، فانها مع سفول رتبتهما لا يفهمهما ٥ من العالمين إلا ذاك و ذاك .

و لما كان التقدير : أنا عالم بذلك ، عطف عليه قوله جوابا لقسم : ﴿ ولعلن ﴾ اى أنتم ايضا ﴿ نبأه ﴾ اى صدق فى جميع ما أنبأتم به^٣ فيه و عنه من الأخبار العظيمة و فيما أشار إليه افتتاح هؤلاء الأنبياء المذكورين فى هذه السورة بخليفة و ختامهم بخليفة من أن عزتكم تصير ١٠ إلى ذل و شقاقكم^٤ يصير إلى مسالة و آفة ، و كثرتكم تصير إلى قل ، و أنا ما أنا فيه الآن يفضى بى إلى خلافة الله فى أرضه ، و أن أوسط أمرى يصير إلى مثل خلافة الأول فى جميع جزيرة العرب التى هى أرض المسجد الأعظم الذى هو قبل المسجد الأقصى الذى هو محل خلافته ، ثم يزداد أمر خلافتى فى سائر البلاد و لا يزال حتى يعم^٥ الأرض بطولها ١٥ و العرض على^٦ يد ابنه^٧ عيسى عليه السلام خاتمة [أكابر - ٢] اتباعى

(١) من ط و م و مد ، وفى الأصل : قوا (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المعلوم (٤) زيدت الواو فى الأصل وظ ، ولم تكن فى م و مد فحذفناها (٥) من ط و م و مد ، وفى الأصل : شقاقكم (٦) سقط من ظ (٧) من م و مد ، وفى الأصل وظ : يعمر (٨-٨) من م و مد ، وفى الأصل وظ : ابيه .

و أنصاري و أشياعي . و ترك الجار إعلاما باستغراق العلم لزمان البعد
 فقال : ﴿ بعد حين ١ ﴾ أى مبهم عندكم معلوم لى فى الدنيا إذا ظهر
 عبادى عليكم و فى الآخرة مطلقا ، وإنما أخروا إلى هذا الحين ليبلغ فى
 الإعذار إليهم فتقطع حججهم و تنهاى ذنوبهم التى يستحقون الأخذ بها ،
 و لقد و الله علوا ذلك ثم ندموا من مات منهم و من عاش قبل مضى عشرين ٥
 سنة من إعلاء كلمته و إظهار رسالته و إتمام دينه ، و استمر العلم لهم و لمن
 بعدهم بما بث فيه من العلوم ، و جمع فيه من شريف الرسوم ، و أظهر
 بما تقدم الوعد به فيه إلى هذا الزمان ، و إلى أن يفنى كل فان ، ثم
 يعيشوا إلى الجنان أو النيران ، فقد أثبتت هذه الآية من كون القرآن
 ذكرا ما أثبتته أول آية فيها على آتم وجه مع زيادة الوعيد ، فانعطف ١٠
 الآخر على الأول . و اتصل به احسن اتصال و أجمل ، و نظر إلى أول
 الزمر أعظم نظر و أكمل ، فله در هذا الانتظام ، فهو لعمري أضوأ
 من شمس الضحى و آتم من بدر التمام ، فسبحان من [أنزله و - ١]
 أجمله و فصله ، ٢ و فضله و شرفه و كرمه - و الله أعلم ٣ .

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ و م و مد .

سورة الزمر و تسمى تنزيل و الغرف

٤٦٩ / مقصودها الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، وأنه غالب لكل شيء، فلا يجعل لأنه لا يفوته شيء، و يضع الأشياء في أوفق محالها يعرف ذلك أولوا الأبواب المميزون بين القشر و اللباب، وعلى ذلك دلّت تسميتها "الزمر" لأنها إشارة إلى أنه أنزل كلا من المحشورين ه داره المعدة له بعد الإعذار في الإنذار، و الحكم بينهم بما استحقته أعمالهم عدلا منه سبحانه في أهل النار، و فضلا على المتقين الأبرار، وكذا تسميتها "تنزيل" لمن تأمل آياتها، و حقق عبارتها وإشارتها، وكذا "الغرف"، لأنها إشارة إلى حكمة سبحانه في الفريقين أهل الظلل النارية و الغرف النورية، تسمية للشئ بأشرف جزئيه، فاقول ١٠ فيها كالفول في الزمر سواء، و يزيد أهل الغرف ختام آيتهم "وعد الله لا يخلف الله الميعاد" ﴿بسم الله﴾ الذي تمت كلمته فخر أمره ﴿الرحمن﴾ الذي وضع رحمته العامة احكم وضع فدق لذى الافهام سره ﴿الرحيم﴾ الذي خص أوليائه بالتوفيق لطاعته ففهم بره .

(١) التسعة ، اثلاثون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آياتها خمس و سبعون في الكوفي و ثلاث في الشامي و اثنتان في الباقي - راجع روح المعاني ٢٨٠ / ٥ (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالزمر (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : كذلك (٤) من ظ و مد ، و في الأصل و م : آياتها . (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لأنه (٦) من ظ و مد ، و في الأصل و م : جزئياته .

لما تبين من التهديد^١ في ص آه سبحانه قادر على ما يريد، ثم ختمها بأن القرآن ذكر للعالمين، وأن كل ما فيه لا بد أن يرى لآله واقع^٢ لا محالة لكن من غير عجلة، فكانوا ربما قال متعنتهم: ما له إذا كان قادرا لا يعجل ما يريده بعد حين، علل ذلك بأنه (تنزيل) أي بحسب التدرج لمواقفة المصالح في أوقاتها و تقريره^٣ [للا فهم على ما له من العلوه حتى صار ذكرا للعالمين، ووضع موضع الضمير قوله -^٤]: (الكتب) للدلالة على جمعه لكل صلاح، أي لا بد أن يرى جميع ما فيه لأن الشأن العظيم إزاله على سبيل التنجيم للتقريب في فهمه وإيقاع كل شيء منه في أحسن أوقاته من غير عجلة ولا توان، ثم أخبر عن هذا التنزيل بقوله: (من الله) أي المتصف بجميع صفات الكمال (العزبز) فلا يغلبه شيء وهو يغلب كل شيء (الحكيم) الذي يضع الأشياء في محالها التي هي أوفق لها، فلكونه منه لا من غيره كان ذكرا للعالمين، صادقا في كل ما ينجز به، حكما في جميع أموره.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما بنيت سورة ص على ذكر المشركين و عنادهم و سوء ارتكابهم و اتخاذهم الأنداد و الشركاء، ناسب ١٥ ذلك ما افتتحت به سورة الزمر من الأمر بالإخلاص الذي هو تقيض

(١) من م و مد، وفي الأصل و ظ: التهديد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: واضح (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تعريفه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) ليس في الأصل و ظ (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: احسان (٧) في ظ: كل.

حال من تقدم، وذكر ما عنه يكون وهو الكتاب، فقال تعالى "نزِيل
الكتب من الله العزيز الحكيم" "انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله
مخلصا له الدين" "الا لله الدين الخالص" وجاء قوله تعالى "والذين
اتخذوا من دونه اولياء" - الآية في معرض "أن لو" قيل: عليك بالإخلاص
و دَع من أشرك ولم يخلص، فسترى حاله، و هل ينفعهم اعتذارهم بقولهم
"ما نعبدكم الا ليقربونا الى الله زلفى" و هؤلاء هم الذين بنيت سورة ص
على ذكرهم، ثم وبخهم الله تعالى وقرعهم فقال^٢ "لو اراد الله ان يتخذ
ولدا لاصطفى" - الآية، فنزه نفسه عن عظيم مرتكبهم بقوله سبحانه
"هو الله الواحد القهار" ثم ذكر بما فيه أعظم شاهد من خلق السماوات
١٠ و الأرض و تكوير الليل على النهار [و تكوير النهار على الليل -^٤]
و ذكر آيتي^٥ النهار و الليل^٥ ثم خلق [الكل من -^٤] البشر من نفس
واحدة، و هي نفس آدم عليه السلام، و لما حرك تعالى إلى الاعتبار^٦
بعظيم هذه الآيات^٧ و كانت أوضح شيء و أدل شاهد، عقب ذلك بما
/ يشير إلى معنى التعجب من توقفهم بعد^٨ وضح الدلائل، ثم بين تعالى
١٥ انه غنى عن الكل بقوله "ان تكفروا فان الله غنى عنكم" ثم قال

/ ٤٧٠

(١-١) من ظ و م و مد، و في الأصل: لو ان (٢) زيد في الأصل و م: لهم،
و لم تكن الزيادة في ظ و مد لحذفها (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل:
فقالوا (٤) زيد من م و مد (٥-٥) من م و مد، و في الأصل: ظ: الليل
و النهار (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: الاختيار (٧-٧) سقط ما بين
الرقمين من ظ .

” ولا يرضى لعباده الكفر “ فين أن من اصطفاه وقربه واجتبه من العباد لا يرضى له بالكفر، وحصل من ذلك مفهوم الكلام أن الواقع من الكفر إنما وقع بإرادته ورضاه لمن ابتلاه به^١ ثم آس من آمن ولم يقب سبيل الشيطان^٢ وقيلته من المشار إليهم في السورة قبل فقال تعالى ” ولا تزر وازرة وزر أخرى “ ” ان احسنتم احسنتم لانفسكم “^٥ ” ولا تكسب كل نفس الا عليها “ ثم تأنجت الآي والتحمت الجمل إلى خاتمة السورة - انتهى .

ولما أخبر أنه من عنده، علل ذلك بما ثبت به جميع ما مضى من الخير، فقال صارفا القول عن الغية منها على زيادة عظمته بذكر إنزاله ثانيا، مبرزاً له في أسلوب العظمة محترفاً أنه خص به أعظم خلقه،^{١٠} معبراً بالإنزال الظاهر في الكل تجوزاً عن الحكم الجازم الذي لا مرد له : (**إِنَّا**) أى على ما لنا من العظمة (**أَنزَلْنَا**) أى بما لنا من العظمة، وقرن هذه العظمة بحرف الغاية المقتضى للواسطة إشارة إلى أن هذا كان في البداية بدلالة اتباعه بالأمر بالعبادة، بخلاف ما يأتي في هذه السورة فإنه للنهاية بصيرورته خلقاً [له - ^١] صلى الله عليه وسلم،^{١٥} فكان بحرف الاستعلاء أنسب دلالة على أن ثقله^{*} الموجب لتفطر القدم وسبب اللطم خاص به صلى الله عليه وسلم، ومن قرب منه

(١) سقط من ظ و م (٢) في ظ بياض، وفي مد : اهـ (٣) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م ومد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) من م ومد، وفي الأصل وظ : نقل .

و يسره و سهولته لأتمه فقال : ﴿ اليك ﴾ أى خاصة بواسطة الملك ،
لا يقدر أحد من الخلق أن يدعى مشاركتك فى شيء من ذلك ، فتكون
دعواه موجبة لنوع من اللبس ، و أظهر موضع الإضمار تفخيماً بالنتية
على ما فيه من جمع الأصول و الفروع و اللطائف و المعارف ﴿ الكتب ﴾
• أى الجامع لكل خير مع البيان القاطع و الحكم الجازم بالماضى و الآتى
و الكائن ، متلبساً ﴿ بالحق ﴾ و هو مطابقة الواقع لجميع أخباره ، فالواقع
تابع لأخباره ، لا يرى له خبر إلا طابقه مطابقة لا خفاء بشيء منها ، لاحتية
له و لا لباس إلا الحق ، فلا دليل أدل على كونه من عنده من ذلك ،
فليتبعوا خبره ، و لينظروا عينه و أثره .

١٠ و لما ثبت بهذا أنه خصه سبحانه بشيء عجز عنه كل أحد ، ثبت
أنه سبحانه الإله وحده ، فتسبب عن ذلك قوله لفتا للقول عن مظهر
العظمة إلى أعظم منه بلحظ جميع صفات الكمال لأجل العبادة تعظيماً لقدرها
لأنها المقصود بالذات : ﴿ فاعبد الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال
حال كونك ﴿ مخلصاً ﴾ و الإخلاص هو القصد إلى الله بالنية بلا علة
١٥ ﴿ له ﴾ أى وحده ، ﴿ الدين ﴾ بمعاقبة الأمر على غاية الخضوع لأنه
خصك بهذا الأمر العظيم فهو أمرك منك لذلك و خساً عنك الأعداء .
فلا أحد منهم يقدر على الوصول إليك بما يوهن شيئاً من أمرك فأخلص
لتكون رأس المخلصين الذين تقدم آخر سورة ص أنه لاسيل للشيطان

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الميل (٢) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : حية .

عليهم' و تقدم ذكر كثير من رؤسهم ، و وقع الحث على الاقتداء بهم
بما ذكر من أمداحهم لأجل صبرهم في إخلاصهم ، قال الرازي : قال الجنيد :
الإخلاص أصل كل عمل و هو مربوط بأول الأعمال ، و هو تصفية
النية و منوط بأواخر الأعمال بأن لا يلتفت إليها' و لا يتحدث بها' و يضر
في جميع الأحوال ، و هو إفراد الله بالعمل . و في الخبر / ه أنا أغنى الشركاء ه / ٤٧١
عن الشرك ، .

و لما أمره سبحانه بهذا الأمر ، نادى باستحقاقه لذلك و أنه لم يطلب
غير حقه ، و أن ذلك لا يتصور أن يكون لغيره ، فقال في جواب من
كانه قال : لم منعه من الالتفات إلى غيره ؟ متاديا إشارة إلى أنه لا مكافئ
له فلا 'يسع أحدا' يبلغه هذا النداء إلا الخضوع طائعا' أو كارها : ١٠
(الله) أى الملك الأعلى وحده (الدين الخالص) لأنه له الأمر
و الخلق لا يشركه فيه أحد ، فكما تفرد بأن خلقك و خلق كل مالك
من شيء فكذلك ينبغي أن تفرده بالطاعة ، و لأنه إذا عبده أحد مخلصا
كفاه [كل شيء - ٧] ، و أما غيره فلو أخلص له أحد لم يمكن أن
يكفيه شيئا من الأشياء فضلا عن كل شيء ، و الدين الذى هو أهل ١٥
للاخلاص هو الإسلام الذى كان في كل ملة المنبئ على القواعد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يهم (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل
و م : لا يه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به (٤ - ٤) من ظ و م
و مد ، و فى الأصل : يسم أحد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طائع .
(٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الخلق و الأمر (٧) زيد من م و مد .

الخمس المثبتة بالإخلاص المحض الناشئ من المراقبة في الأوامر^١ والنواهي
 وجميع ما يرضى الشارع للدين أو يسخطه، فكون جلته لله من
 غير شهوة ظاهرة أو باطنة في شهوة^٢ ولا غيرها، وإما استحققه سبحانه
 دون غيره لأنه هو الذي شرعه ولا أمر لأحد معه فكيف يشركه من
 ه لا أمر له بوجه من الوجوه، وأما ما كان فيه أدنى شرك فهو رد على
 عامله والله غنى حميد، وهذه كما ترى مناداة لعمرى تخضع لها الأعناق
 فتكسر الرؤس ولا يوجد لها جواب إلا بنعم وعزة [وأي -^٣]
 وكبرياته وعظمتها، قال "تفسيرى": وما للعبد فيه نصيب فهو غنى
 الإخلاص بعيد^٤ [اللهم إلا أن يكون بأمره فانه إذا أمر العبد أن يحتسب
 ١٠ الأجر على طاعته فأطاعه لا يخرج عن الاحتساب -^٥] باحتسابه أمره فيه،
 ولو لا هذا لما صح أن يكون في العالم مخلص، قال ابن برجان: وذلك
 - أي ترك الإخلاص - كله مولد عن حب البقاء في الدنيا ونسيان
 لقاء الله تعالى، ثم قال ما معناه: إن ذلك من الشرك، وهو ثلاثة
 أنواع: شرك في الإلهية وهو [أن -^٦] يرى مع الله إلهًا آخر، وهو
 ١٥ شرك الجحوس والمجسمة: ولوثية. وبضاهيه غلط القدرية، الثاني شرك
 في العبادة بالرياء وإضافة العمل إلى النفس. والثالث الشرك الخفي وهو
 الشهوة الخفية. وهو أن يخفى عمل ويخاف من إظهاره ويحب لو اطلع
 عليه ومدح بأسراره. ومن أحسن العون على الإخلاص الحياء من الله

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الأمر (٢) في م: شهوة (٣) زيد من ظ وم
 ومد (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: المحسة - كذا.

أن تزين لغيره بعمل الهلك^١ إياه وقواك [عليه -] و خلعت فيه وزعمت
تطلب التقرب إليه فاتاك عدوه إبليس الذي عاداه فيك فقطيعه فيما يضرك
ولا ينفعك ، فاستغن على عبادتك^٢ بالستر فاستر حسناتك كما تستر سيئاتك ،
فان عمل السريز يد على عمل العلانية سبعين ضعفا ، وذلك كالشجرة
إذا ظهرت عروقها ضعف شربها ، وأضر بها حرارة الهواء وبرده ، ه
و تعرضت الآفات من قطع و يبس و غير ذلك ؛ ولم^٣ تحسن فروعها
و خف ورقها فقل نفعها ، وإذا غاضت عروقها غابت عن الآفات
و أمنت القطع من أيدي الناس ، فكثير شربها لجرى ماؤها فيها ،
فتزايدت لذلك فروعها و اخضر ورقها و كثر خيرها و طاب ثمرها لجانيها ،
فكذلك العمل إذا كانت له اصول في القلب مستورة زكا في نفسه ١٠
و ظهر من الأدناس و كثر خيره و طاب ثوابه لعماله ، وإذا بدا
لم يؤمن عليه من ابصار الناظرين ، وإذا خفي لم يبق ما يخاف منه إلا
العجب و محبة أن يطلع عليه ، رهي الشهوة الخفية ، و من قولهم
/ من عرف الله بعد الضلالة و عرف الإخلاص بعد الرياء و أزل
الموت حق منزلته لم يغفل عن الموت و الاستعداد له بما أمكنه ، انتهى . ١٥
ولما أخبر سبحانه عماله وحده ، و كان محط أمر الإنسان بل
جميع الحيوان* على الهداية إلى مصالحه ليفعلها و مفسده ليركها ، و ارشد
(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الهلك (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ
و م و مد ، و في الأصل : عبادك (٤-٥) من ظ و م و مد . و في الأصل :
هم (هـ) من م و مد . و في الأصل و ظ : الحيوانات .

السياق إلى أن التقدير: فمن أخلص له الدين هداه في جميع أموره، وإن اشتد الإشكال، وتراكت وجوه الضلال، عطف عليه الإخبار عن لزوم الضلال، والنفي والمحال، فقال محذرا من مثل حاله، بما حكم عليه في مآله: ﴿والذين﴾ ولما كان الإنسان مفطورا على الخضوع للملك الديان، ولا يلتفت إلى غيره إلا بمعالجة النفس بما لها من الهوى والطغيان، عبر بصيغة الافتعال فقال: ﴿اتخذوا﴾ أى عاجلوا عقولهم حتى صرفوها عن الله فآخذوا، ونبههم على خطائهم في رضام بالآذنى على الأعلى بقوله: ﴿من دونه﴾ ومعلوم أن كل شيء دونه ﴿أولياء﴾ أى يكون إليهم أمورهم، ويدخل فيهم الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله مع اعترافهم بأن الله تفرد بخلقهم ورزقهم.

ولما كان من العجب العجيب فعلهم، هذا بين ما وجهوا به فعلهم ليكون آية بينة في أنه لا هدى لهم فقال: ﴿ما﴾ أى قائلين لمن أخلصوا له الدين إذا أنكروا [عليهم - '] أن يتخذوا من دونه وليا: ما ﴿نعمهم﴾ لشيء من الأشياء ﴿الليقربونا﴾ ونبه سبحانه على بعدم ١٥ عن الصواب بالتعبير بالاسم الأعظم مع حرف الغاية فقال: ﴿إلى الله﴾ الذى له معاقرة العز وجامع العظمة، تقريبا عظيما على وجه التدرج ويزلفونا إليه ﴿زلفى﴾ أى تقريبا حسنا سهلا بهجا زائدا ناميا متعاليا، قال القشيري: ولم يقولوا هذا من قبل الله ولا بآذنه، وإنما حكموا بذلك من ذات أنفسهم، فرد الله عليهم. وفي هذا إشارة إلى ما يفعله العبد

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فعلتم (م) زيد من م و مد.

من القرب بنشاط نفسه من غير ان يقتضيه 'حكم الوقت'. فكل ذلك اتباع هوى - انتهى - والآية من الاحتباك : ذكر فعل التقريب أولا دليلا على فعل الزلف ثانيا. واسم الزلف ثانيا دليلا على الاسم من التقريب أولا، وسره أنهم أرادوا بهذا الاعتذار المسكت عن قبيح صنيعهم، فأتى سبحانه في حكايته عنهم بالتأكيد على أبلغ وجه لأن ^٥ الدلالة على المعنى بلفظين أجدر في ثباته و تكثيره من لفظ واحد، وبدأ، بأرشق الفعلين وأشهرهما وأخفهما وأوضحهما. وقد خسر لعمري غاية الحسارة قوم تمذهبوا بأقبح المذاهب وجعلوا 'عذرهم هذه' الآية التي ذم الله المعتذر بها. وعلى ذلك فقد راج اعتذارهم بها على كثير من العقول، وهم أهل الاتحاد الذين لا 'أنخف من عقولهم ولا أجد ^{١٠} من أذهانهم.

ولما كان إنما محط دينهم الهوى. وكان كل من تبع الهوى لا ينفك عن الاضطراب في نفسه، فكيف إذا كان معه غيره فكيف إذا كانوا كثيرا فيكثر الخلاف والنزاع. وإن لم يحصل ذلك بالفعل كان بالقوة. ولذلك كان لكل قبيلة ممن يعبد الأصنام صنم غير صنم الأخرى. وكان ^{١٥} بعض القبائل يعبد الشمسى. وبعضهم يعبد الملائكة. وبعضهم غير ذلك

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : بقضيه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل : انها (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل : لقد. (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : عديم هذا (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل وم. الا.

”ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء فقطعوا امرهم
بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون“ به على ذلك مهددا لهم بقوله
خبرنا مؤكدا لاجل إنكارهم: (ان الله) أى الذى له جميع صفات
الكمال . ولما لم يقيد الحكم بالقيامة وكانوا معترفين بأن المصائب في
الدنيا منه قال: (يحكم بينهم) من غير تأكيد آخر أى بين جميع
المخالفين في الأديان وغيرها من المتخذين للأولياء من دينه ومن المخلصين
وغيرهم فلا بد أن ينصر أهل الحق على جميع أهل الباطل .

ولما كانوا أوزاعا أكثر قبائلهم على خلاف ما يعتقدونه غيرها،
[قال- ٩]: (في ما) أى في الدين الذى والأمر الذى . ولما كان
١٠ تحكيمهم للهوى مرفرا لدواعيهم على الاختلاف، و كان الاتخاذ الذى
به الكلام عليه له نظر عظيم إلى علاج الباطن بخلاف سورة يونس أثبت
الضمير هنا فقال: (هم) أى بضائرهم (فيه يختلفون) أى ليس
لهم أصل يضبطهم . فهم لا يرجعون إلا إلى الخلف كيف ما تقلبوا لأنهم
مضطربون لذلك العمل الذى مبناه لهوى الذى هو منشأ الاختلاف،
١٥ فكيف إذا انضم إلى ذلك خلاف المخلصين وإنكارهم عليهم الذى أرشد
إليه اعتذارهم . فظهر من هذا أن اختلاف الأئمة في فهم كتاب الله
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقواعد استنبطوها من ذلك لا يخرجون

(١) من ظ و م و مد : وفي الأصل : المتحالفين (٢) من م و مد ، وفي
الأصل و ظ : قبائلهم (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : يعتقد (٤) زيد
من ظ و م و مد (٥) راجع آية ٩٣ .

عنها ليس خلافا بل وفاق لوحدة ما يرجعون إليه من الأصل الصحيح
الثابت عن الله، ومن هذا إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على عمر وأبي
وغيرهما رضى الله عنهم لما أنكر كل منهم على من خالفه في القراءة
وقال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تختلفوا، فلا فرق
بين أن يستند كل من الأمرين إلى النبي صلى الله عليه وسلم نقلا ه
أو اجتهدا لأنه في قوة الاتفاق لوحدة مرجعه - والله الموفق، ويجوز
أن يكون الضمير في «بينهم» لهم ولعبوداتهم فانهم ليس منهم معبود
صامت ولا ناطق إلا وهو صارخ بلسان حاله إن لم ينطق لسان قاله
بأنه مقهور مريب عابد لامعبود، فهم مع من يعبدهم في غاية الخلاف.
ولما كان [من - ٢] الأمر الواضح أن الدين لا يكون صالحا إلا ١٠
إن تنظم بنظام غير مختل، وكان الدين إذا كان معوجا داعيا إلى
التفرق مناديا على نفسه بالانحلال عنه والبعد منه. فكان الحال مقتضيا
للتعجب ممن تدبى به، فضلا عن يدوم^١ عليه. فضلا عن لا ينتبه عند
التبعية. فضلا عن يقاتل دون ذلك. أجاب من كانه قال: ما سبب
عكوفهم على هذا الضلال الذي اوجب لهم قطعاً الاختلاف بالفعل ١٥
أو بالقوة، فقال مؤكدا تكذيبا لمن ينكر ما تضمنه هذا الإخبار وإن

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: معبودهم (٢) من ظ و م و مد، وفي
الأصل: يبد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
الصاح (٥) من ظ و مد، وفي الأصل و م: عنه (٦) من م و مد، وفي
الأصل و ط: لا يدوم.

ظهر لبعض العمى غير ذلك مما يبدو من الكذبة والكفرة من اعمال
مزينة وافكار دقيقة فتظن هدى وإنما هي استدراج . ولما أرشد
السياق إلى أن المعنى : لانهم غير مهتدين لأن الله لم يخلق الهداية في قلوبهم ،
نسق به قوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك القادر القاهر الحكيم . ولما كان
الاصل : لا يهديهم ، وأراد سبحانه التعميم وتعليق الحكم بالوصف تنفيرا
عنه قال : ﴿ لا يهدى ﴾ أى لا يخلق الهداية في قلب ﴿ من هو ﴾ أى
لضميره ﴿ كذب ﴾ أى مرتكب الكذب عريق فيه حتى أداه كذبه
إلى أن يقول على ملك الملوك [أن ^١] شيئا يقرب إليه بغير إذنه ،
ويخضع بالعبادة التى هى نهاية التعظيم . فهى لاتليق بغير من ينعم غاية
الإنعام لمن لا يملك ضرا ولا نقعا ، و ^٢ لم يعبر ^٣ فى الكذب بصيغة مبالغة
لأن الذين السياق لهم لم يقع منهم كذب إلا فى ادعائهم / أنهم
يقربونهم ^٤ .

/ ٤٧٤

ولما كان من كفر فى ^٥ حين [من ^٦] الدهر قد ضاعف كفره
لكثرة ما على الوحداية من الدلائل وما لله عليه من الإحسان ، وكان
هؤلاء الذين لهم السياق قد كفروا بتأهيلهم لشركائهم للعبادة و لعبادتهم بالفعل
ولادعائهم فيهم التقريب ^٧ قال ﴿ كفار ﴾ بصيغة المبالغة . والاحسن ان

(١) من م و مد ، وفى الاصل و ظ . الكذب (٢) زيد من م و مد
(٣-م) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لا يعبر (٤) من ظ و م و مد ، وفى
الأصل : يقربونهم (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٦) زيد من ظ
وم و مد (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ . التقرر .

يقال : إن المبالغة لإفهام^١ أن الذي لا يهديه إنما هو من ختم عليه سبحانه الموت على ذلك ، قال القشيري : و الإشارة إلى تهديد من يتعرض لغير مقامه و يدعى شيئا ليس بصادق فيه ، فأنه لا يهديه قط إلى ما فيه سداده و رشده ، و عقوبته أن يحرمه ذلك الشيء الذي تصدى له بدعواه قبل تحققه بوجوده و ذوقه .

٥

ولما أخبر سبحانه بالحكم بينهم . فكان ذلك مع تضمنه التهديد وافيًا بنبي الشريك ، كافيًا في ذلك لأن المحكوم فيه لا يجوز أن يكون قسيما للحاكم ، فلم يبق في شيء من ذلك شبهة إلا عند ادعاء^٢ الولدية ، قال نافيا لها على سبيل الاستئناف جوابا لمن يقول : فما حال من يتولى الولد ؟ - قال القشيري : و الحال يذكر على جهة الإبعاد أن لو كان كيف حكمه :- ﴿ لو أراد الله ﴾ أي الذي له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ أن يتخذ ﴾ أي يتكلف كما هو دابكم ، و لا يسوغ في عقل أن الإله يكون متكلفا ﴿ ولدا ﴾ أي كما زعم من رسم ذلك . و لما كان الولد لا يراد إلا أن يكون خيارا ، و كان الله قادرا على كل شيء ، عدل عن أن يقول " لا تتخذ " إلى قوله : ﴿ لا صطنى ﴾ أي اختار على سبيل التبيين^٣ ١٥

﴿ بما يخلق ﴾ أي يبدعه في أسرع من الطرف ، و عبر بالأداة التي أكثر استعمالها فيما لا يعقل إشارة إلى أنه قادر على جعل أقل الأشياء

(١) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : للإفهام (٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : دعا (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : أن (٤) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : السى - كذا .

أجلها على سبيل التكرار والاستمرار - كما أشار إليه التعبير بالمضارع
 فقال : ﴿ ما يشاء لا ﴾ أى مما يقوم مقام الولد فانه لا يحتاج إلى التطوير
 فى إتيان الولد إلا من لا يقدر على الإبداع بغير ذلك .

ولما كان لا يرضى إلا بأكمل الأولاد وهم الإبناء ، لكنه لم يرد ذلك
 ه فلم يكن ، فهذا ' أقصى ما ' يمكن أن يحوز فى العقل أن يخلق خلقا
 [شريفا - ٢] ويسميه ولدا . إشارة إلى شدة إكرامه له و تشريفه
 إياه . أو يقربه غاية التقريب كما فعل بالملائكة وعيسى عليهم السلام ،
 فكان ذلك سببا لغلاطكم فيهم حتى ادعيتهم أنهم أولاد ثم زعمتم أنهم بنات ،
 فكنتم كاذبين من جهتين ، هذا غاية الإمكان ، وأما أنه يحوز عليه التوليد
 ١٠ فلا ، بل هو مما يحيله العقل ، لأن ذلك لا يكون إلا للمحتاج ، والإله لا يتصور
 فى عقل أن يكون محتاجا أصلا . قال ابن برزجان ما معناه : كان معهود
 الولادة على وجهين . فولد منسوب إلى والده بنوة و ولادة و رحما ،
 فهذا ليس له فى الوجود العلى وجود ، ولا فى الإمكان تمكن ، ولا فى
 الفعل مسوغ بوجه من لوجوه . و ولد بمعنى التنى والاتخاذ ، وقد
 ١٥ كانت العرب و غيرها ر من الأمم - ٢] يفعلونه حتى نسخ القرآن ،
 فلا يبعد أن تكون هذه العبارة ' كانت جائزة فى الكتب قبلنا ، فلما اعتزل

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ . وهذا (٢) من م و مد ، وفى الأصل
 و ظ : مما (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ :
 وكذا (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ولادة (٦) من م و مد ، وفى
 الأصل و ظ : العقل (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد ، وفى الأصل
 و ظ : العبادة .

[نهم - ٩] الداء والحدوا في ذلك عن سواء "نقص الذي هو الاصطفاء إلى بنوة" الولادة أضلهم الله وأعمى ابصارهم وسد السيل عن العبادة عن ذلك، وكشف معنى الاصطفاء، وأظهر معنى الولاية، ونسخ ذلك بهذا، لأن هذا لا يداخله لبس، وذلك كله لبيان كمال هذه الأمة وعلوها في كل أمر .

/ ولما كانت نسبة الولد إليه كنسبة الشريك أو أشنع، واتفق الأمران بما تقدم من الدليل بالحكم باعترافهم بأن حكمه سبحانه نافذ في كل شيء لشهادة الوجود، ولقيام الأدلة على عدم الحاجة إلى شيء أصلاً فضلاً عن الولد، نزه نفسه بما يليق بجلاله من التنزيه في هذا المقام، فقال: ﴿سبحته﴾ أي له التنزيه التام عن كل نقيصة، ثم أقام الدليل ١٠ على هذا التنزيه المقتضى لتفردة فقال: ﴿هو﴾ أي الفاعل لهذا الفعل، والقائل لهذه الأقوال، ظاهراً وباطناً ﴿الله﴾ أي الجامع لجميع صفات الكمال، ثم ذكر من الأوصاف ما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿الواحد﴾ أي الذي لا ينقسم أصلاً، ولا يكون له مثل فلا يكون له صاحبة ولا ولد، لأنه لو كان شيء من ذلك لما كان لا مجانسا ولا جنس له ولا شبه ١١ بوجه من الوجوه في القهاره ﴿أي الذي له هذه الصفة، فكل شيء تحت قهره ألهتهم وغيرها﴾ على سبيل التكرار والاستمرار - [

- (١) زيد من م ومد م من ومد، وفي الأصل وظ وم: الحد .
(٢-٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لا بنوة (٤) سقط من ظ .
(٥) زيد من م ومد .

فصح من غير شك أنه لا يحتاج إلى شيء أصلاً، ومُجِيل ما لا حاجة إليه ولا داعي يبعث عليه عبث ينزه عنه العاقل فكيف من له الكمال كله .

ولما أثبت هذه الصفات التي نفت أن يكون له شريك أو ولد،
 ٥ و أثبت له الكمال المطلق، دل عليها بقوله : ﴿ خلق السموات والارض ﴾
 أي أبدعهما من العدم ﴿ بالحق ﴾ أي خلقا متلبسا بالأمر الثابت الذي
 ليس بخيال ولا سحر، على وجه لا نقص فيه بوجه، ولا تفاوت ولا خلل
 يقول أحد^١ فيه انه مناف للحكمة . ولما كان من أدل الأشياء على
 صفى^٢ الوحداية والقهر . وتام القدرة و كمال الأمر، بعد إيجاد الخافقين
 ١٠ اختلاف الملوك، وكان التكوير^٣ - وهو إدارة^٤ الشيء على الشيء بسرعة
 وإحاطته به بحيث يعلو عليه ويغلبه ويغطيه - أدل على صفة القهر من
 الإيلاج^٥ . قال مينا لوقت إيجاد الملوك : ﴿ يكور ﴾ أي خلقها أي
 صورهما في حال كونه يلف ويلوى ويدبر فيغطي مع السرعة والعلو
 والغلة تكويرا كثيرا متجددا مستمرا إلى أجله^٦ ﴿ ليل على النهار ﴾
 ١٥ بأن يستمر به لا يدع له أثرا^٧ . ولعظمة هذا الصنع أعاد العامل فقال :
 ﴿ ويكور النهار ﴾ عاليا تكويره و تغطيته ﴿ على الليل ﴾ فيذهب كذلك

(١ - ١) من م ومد . وفي الأصل و ظ : مقول (٢) من ظ وم مد، وفي
 الأصل وم : صفة (م) في ظ : التكوين (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل :
 ارادة (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل : الإيلاج (٦) من م ومد . وفي
 الأصل و ظ : أجل (٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل : أثر .

و يدخل في هذا^١ الزيادة في كل منهما بما^٢ ينقص من الآخر لأنه إذا ذهب أحدهما و أتى الآخر مكانه . فكأن الآتى لف على الذاهب و ألبسه كما يلف اللباس على اللابس ، أو^٣ أنه شبه الذاهب في خفائه بالآتى بشئ^٤ ظاهر لف عليه ما غيه عن مطامح الابصار ، أو^٥ أن كلا منهما لما كان يكر على الآخر كرورا متابعا شبه ذلك بتتابع^٦ أكوار العمامة . بعضها على بعض ، فتغيب ما تحتها .

ولما كانت الظلمة سابقة على الضياء ، وكان الليل إنما هو ظلمة يسبقها ضياء بطلوع الشمس ، رتب سبحانه هذا الترتيب^٧ على حسب الإيجاد ، ولذلك قدم آية النهار فقال معبرا^٨ بالماضى بخلقه الآيتين مسخرتين^٩ على منهاج^{١٠} معلوم لكل منها لا يتعداه ، و حد محدود لا يتخطاه (و سخر)^{١١} أى ذلل و أكره و قهر^{١٢} و كلف لما يريد من غير تقع للسخر (الشمس)^{١٣} أى التى تحت^{١٤} ما كان من الظلام فأوجبت اسم النهار (و القمر)^{١٥} أى آية الليل . ولما أخبر بقهرهما ، بين ما صرفهما فيه . فقال بيانا لهذا

- (١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : هذه ، و بين سطرى م : أى التكوير .
- (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بما (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : دو ، (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : شئ . (٥) فى الأصل و ظ بياض ، ملأناه من م و مد (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : على .
- (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مؤكدا (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : المسخرتين (٩) زيد فى م : واحد (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اقهر (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تحت .

...التفسير: ﴿ كل ﴾ أى منها ﴿ يجرى ﴾ أى بقضائنا الذى لا مرد له، وهذا آية لاختلاف أحوال العبد لأن خلقه جامع، فيختلف في القبض والبسط والجمع والفرق / و الاخذ والرد والصحو والسكر، وفى نجوم العقل، وأقمار العلم، وشموس المعرفة، ونهار التوحيد، و ليل الشك والجحد، ونهار الوصل وليالى الهجر^١ والفراق، وكيفية اختلافها ٥ وزيادتها ونقصانها - قاله القشيري .

/ ٤٧٦

ولما كان من مقصود السورة العزة التى محطها الغلبة، وكان السياق للقهر، وكان القضاء لعله لا يتخلف^٢ عنها المعلول أدل على القهر من ذكر الغاية مجردة عن العلة قال : ﴿ لاجل مسمى^٣ ﴾ أى لمتهى الدور ومنقطع الحركة . ولما ثبت بهذا قهره، قال مناديا رشقا فى قلوب المنكرين^٤ : ﴿ الاله ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ ولما كان ربما قال متعنت : فإله لا يأخذ من يخالفه ؟ وكانت صفة القهر والعزة ربما أفنطت العصاة فأخرتهم عن الإقبال، قال مبينا لسبب التأخير ومستعظفا : ﴿ الفقار ﴾ أى الذى له صفة الستر على الذنوب متكررة فيمحو ذنوب من يشاء^٥ ١٥ عينا، وأثرا بمغفرته و يأخذ من يشاء بعزته .

ولما كان خلق الحيوان أدل على الوحداية والقهر بما خالف به الجمادات من الحياة التى لا يقدر على الانفكاك [عنها - °] قبل أجله،

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : البحر (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : لا يختلف (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ : التكبرين . (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ : شاء (٥) زيد من م ومد .

وبما

وبما له من أمور اضطرارية لا يحصى له عنها، وأمر اختياري موكولة^١ في الظاهر إلى مشيئته، وكان^٢ أعجبه خلقا^٣ الإنسان بما له من قوة النطق، قال دالا على ما دل عليه بخلق الخاقين لاقتا^٤ القول إلى خطاب النوع كله إيذانا بتأملهم للخطاب، و ترقبهم في علل الأسباب، من غير عطف إيذانا بأن كلا من خلقهم وخلق ما قبلهم مستقل بالدلالة على ما ه سبق له: (خلقكم) أى أيها الناس المدعون لإلهية غيره (من نفس واحدة) هى آدم عليه السلام.

ولما كان إيجادنا منها بعد شق الانثى منها، قال عاطفا على ما تقديره: أوجدها من تراب، مينا بلفظ الجعل أن الذكر^٥ هو سببها ومادتها منها بأداة التراخي على القهر الذى السياق له بالتراخي في الزمان بتأخير المسبب ١٠ عن سببه المقتضى له إلى حين مشيئته لأن إيجادها منه كان بعد مدة [من -^٦] إيجادها، والأصل في الأسباب ترتب المسببات عليها من غير مهلة وعلى التراخي في الرتبة أيضا بأن ذلك - لكونه شديد المباينة لأصله - من أعجب العجب: (ثم) أى بعد حين، وعبر بالجعل لأنه كاف في [نق -^٧] الشركة التى هذا^٨ أسلويا وليين أنه ما خلق آدم عليه السلام إلا ١٥ ليكون سببا لما يحدث عنه من الذرية ليترب على ذلك إظهار ما له

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: موكده (٢-٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ: أعجب خلق (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: على فتا . (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ: مستقلا (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الذاكر (٦) في م: بعده (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: هى .

سبحانه من صفات الكمال فقال: ﴿ جعل منها ﴾ أى تلك النفس
 ﴿ زوجها ﴾ أى و قلكم [بعد خلقكم - '] منه إليها ثم أبرزكم إلى
 الوجود الخارجى منها، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون المعنى لأن
 السياق لإحاطة العلم المدلول عليه بانزال الكتاب و ما تبعه: قدر خلقكم
 ٥ على ما أتم عليه من العدد و الألوان و جميع الهيئات حين خلق آدم
 بأن هياه لأن تفيضوا منه، فلا تزيدون على ما قدره شيئاً ولا تنقصون،
 و أن تفيض منه زوجه، و ذلك قبل خلق حواء منه، ثم أوجدها
 فكان الفيض منها فيضا منه فالكل منه، ولهذا ورد الحديث فى مسند
 أحمد بن منيع^٢ عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
 ١٠ وسلم قال: خلق الله آدم يوم خلقه و ضرب على كتفه اليمنى فأخرج
 ذرية^٣ يضاء كأنهم الذر، و ضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية^٤ / سوداء
 كأنهم الحمم، فقال للذى فى يمينه: إلى الجنة و لا أبلى، و قال للذى فى
 يساره: إلى النار و لا أبلى.

/ ٤٧٧

ولما كان تنويع الحيوان إلى أنواع متباينة أدل على القدرة التى
 ١٥ هى منشأ القهر، و كان سبحانه موصوفاً بالعلو، و كان أكثر الأنعام
 أشد من الإنسان، و كان تسخير له [وتذليله^٥] إنزالاً له عن قوته

(١) زيد من م و مد (٢) من م : مد، وفى الأصل و ظ : لا (٣) أوردته
 الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨٥/٧، من رواية أحمد و البزار و الطبرانى (٤) من
 م و مد و الجمع، وفى الأصل و ظ : ذريته (٥) من الجمع، وفى الأصول:
 الحميم (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ : موصفاً (٧) زيد من مد،
 و موضعه فى ظ : أشد - كذا.

وإيهانا لشدة، قال دالا على ذلك الإشاء والجعل بلفظ الإنزال :
 ﴿وازل لكم﴾ أى خاصة ﴿من الانعام﴾ أى الإبل بنوعيهما، والبقر
 كذلك، والضأن والمز. ولما لم يكن عند العرب البخان والجواميس
 لم يذكرها سبحانه، واقتصر على ما عندهم، وقال : ﴿ثمنية أزواج﴾
 أى من كل نوع زوجين ذكرا وأنثى، والزواج امم لواحد معه آخر،
 لا يكمل نفعه إلا به، وإذا نظرت هذه العبارة مع العبارة عن خلق الإنسان
 فهت أن الأنعام خلق كل من ذكرها وأنثاها على انفرادها، لا أن أحدا
 منها من صاحبه. وذلك أدل على إطلاق التصرف وتويعه مما لو جعل
 خلقها مثل خلق آدمى.

ولما كان تكوينهم في تطویرهم عجا، قال مستأنا بيانا لما أجمل ١٠
 قبل : ﴿يخلقكم﴾ أى يقدر إيجادكم أتم و الانعام على ما أنتم عليه
 من أخلاط العناصر ﴿في بطون أمهتكم﴾ ولما كان تطویر الخلق داخل
 البطن حيث لا تصل إليه يد مخلوق ولا بصره. قال دالا على عظمته
 ودلالته على تمام القدرة والقهر : ﴿خلقاً﴾ و دل على تكوينه شيئا
 بعد شيء باثبات الحرف فقال : ﴿من بعد خلق﴾ أى في تقلبات الأطوار ١٥
 و تقلبات الأدوار. ولما كان الحيوان لا يعرف ما هو [إلا - °]

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل : النجاس (٢) العبارة من هنا إلى
 « والقهر » سافطة من م (٣) زيد في الأصل و ظ : فقال، ولم تكن الزيادة
 في م ومد فحذفنا (٤) زيد في الأصل : الأطوار، ولم تكن الزيادة في ظ
 وم ومد فحذفنا (٥) زيد من م ومد.

في التطوير الرابع، وكان الجهل ظلة قال: ﴿ففي ظلمت ثلث﴾ ظلة
 النطفة ثم العلقه ثم المضغة، فإذا صار عظاما مكسوة لحا عرف هل هو
 ذكر أو أنثى فزالت^٢ عنه ظلمات الجهل، و صار خلقا آخر، وقيل: ظلة
 البطن والرحم والمشيمة^٣ - نقل عن ابن عباس^٤ رضى الله عنهما وعزاه
 ه ابن أبي الدنيا في [كتاب -] القناعة إلى عيسى ابن مريم عليه السلام .
 و لما ثبت له سبحانه كمال العظمة والقهر، قال مستأنفا ما أتجه
 الكلام السابق معظما بأداة البعد وميم الجمع: ﴿ذلك﴾ أى العالى المراتب
 بشهادتكم أيها الخلق كلكم، بعضكم بلسان قاله، وبعضكم بنطق حاله،
 الذى جميع ما ذكر من أول السورة إلى هنا أفعاله . و لما أشار إلى
 ١٠ عظمتها بأداة البعد . اخبر عن اسم الإشارة فقال^٥: ﴿الله﴾ أى [الجامع -]
 لجميع صفات الكمال، و نه على جهلهم^٦ بما يعلمون من ربوبيته لعملهم
 بالشرك عمل جاعل بذلك فقال واصفا: ﴿ربكم﴾ أى المالك والمربي
 لكم بالخلق والرزق . و لما كان المربي قد لا يكون ملكا قال نتيجة
 لما سبق: ﴿له﴾ أى وحده ﴿المالك﴾ و لما كان المختص بالملك قد
 ١٥ لا يكون^٧ إلها، قال مثبتا له الإلهية على ما يقتضيه من الوحدانية^٨ و هو^٩

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كان (٢) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل: فتزات (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المشية - كذا .
 (٤) راجع لباب التأويل - ٥٧ هـ (٥) زيد من م و مد (٦-٧) سقط ما بين
 الرقين من م (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) العبارة من هنا إلى - واصفا
 ساقطة من م (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: جعلهم (١٠) من م و مد،
 وفى الأصل و ط: لا يصل .

بمنزلة نتيحة النقيجة^١ : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

ولما تكفل هذا السياق بوجوب الإخلاص في الإقبال عليه والإعراض عما سواه، لأن الكل تحت قهره، وشمول نهيه وأمره، سبب [عنه - ٢] قوله : ﴿ فَأَنَّى ﴾ [أى - ٣] فكيف ومن أى وجه ﴿ تصرفون ؟ ﴾ أى قهرا عن الإخلاص^٤ له إلى الإشراك به بصارف ما ه وإن كان عظيما، ونبه بالبناء للفعول مع هذا على أنهم مقهورون في فعل ما هم عليه لأنهم تابعون للهلاك المحض، تاركون للأدلة التي لا خفاء في شيء منها، ومعلوم أنه لا يترك أحد الدليل في المياني / المعطشة الذي ٤٧٨ / إن تركه هلك إلا قهرا؛ وأن الناس هيثوا لطريق الهدى بما خلقوا عليه من أحسن تقويم بسلامة الفطر واستقامة العقول، وأشار إلى ١٠ هذا لأنهم يأتفون^٥ من النسبة إلى القهر وأن يفعلوا شيئا بغير اختيار لما عندهم من الأنفة وعلو الهمم والعظمة .

ولما ظهرت الأدلة وبهرت الحجج . بين ما على من غطاها بالإصرار . وما لمن تاب ورجع التذكار . فقال^٦ مستأنفا لما هو نتيحة ما مضى، معرفا لهم نعمته عليهم بأنه ما تعبد لشيء^٧ يخصه من فقع أو ضر، ١٥ و إنما هو لمصالحهم خاصة بادئا بما هو من درء المفساد : ﴿ إِنَّكَ تَكْفُرُونَ ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقيين من م (٢) زيد من م ومد (٣) زيد من م و م
ومد (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ : اخلاص (٥) من م ومد، وفي
الأصل و ظ : على (٦) من م ومد . وفي الأصل و ظ : يتفون (٧) سقط
من مد (٨) من م ومد، وفي الأصل و ظ : بشيء .

أى تستروا الأدلة قصرًا على الانصراف عنه بالإشراك (فان الله)
 لانه^١ الجامع لصفات الكمال (غنى عنكم) أى^٢ فلا يضركم كفركم
 ولا تنفعه طاعتكم، وأما أنتم فلا غنى لكم عنه بوجه. ولا بد أن يحكم
 بينكم فلم تضروا^٣ إلا أنفسكم (ولا يرضى) لكم - هكذا كان الأصل
 ٥ بدليل ما سبقه وحقه، وإنما أظهر ليعلم وليذكرهم بما يجدونه في أنفسهم
 من أن أحدا [منهم - ^٤] لا يرضى لعبده أن يودى خرجه^٥ إلى غيره
 بغير إذنه فقال: (لعباده) أى الذين تفرد بإيجادهم وتربيتهم (الكفرج)
 بالإقبال على^٦ سواه وأنتم لا ترضون ذلك لبيدكم مع أن ملككم لهم في
 غاية الضعف، ومعنى عدم الرضى أنه لا يفعل فعل الرضى بأن يأذن
 ١٠ فيه ويقر عليه أو يثيب فاعله ويمدحه، بل يفعل فعل الساخط بأن
 ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبه (وان تشكروا) أى بالعبادة
 والإخلاص فيها (يرضه) أى الشكر الدال عليه فعله (لكم^٧) أى
 الرضى اللائق بجنابه سبحانه بأن يقركم عليه أو^٨ يامركم به ويثيبكم على فعله،
 والقسمان بارادته، واختلاف القراء في هاته دال على مراتب الشكر -
 ١٥ والله أعلم. فالواصل للواصلين^٩ إلى النهاية على اختلاف مراتبهم في

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ: أى (٢) سقط من ظ ومد (٣-٢) من
 ظ وم ومد، وفي الأصل لا تنفسك (٤) من م ومد، وفي الأصل و ظ:
 ليذكركم (٥) زيد من م ومد (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل. خواجه.
 (٧) زيد في الأصل و ظ: ما، ولم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها (٨) من
 م ومد، وفي الأصل و ظ: لو (٩) من ظ وم ومد، وفي
 الأصل: للواصلين.

الوصول والاختلاس للتوسطين والإسكان لمن في الدرجة الأولى منه .
ولما كان في سياق الحكم والفهر ، وكانت عادة القهارين أن
يكلفوا بعض الناس ببعض و يأخذونهم بجرائمهم لينظم لهم العلو على الكل
لعدم إحاطة عليهم بكل مخالف لأمرهم . بين أنه سبحانه على غير ذلك
فقال : ﴿ ولا تزر وازرة ﴾ أى وازرة كانت ﴿ وزر أخرى ﴾ بل ٥
وزر كل نفس عليها لا يتعدها . يحفظ عليها مدة كونها في دار العمل ،
والإثم الذى يكتب على الإنسان بترك الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر ليس وزر غيره . وإنما هو وزر نفسه . فوزر الفاعل على الفعل ،
وزر الساكت على الترك لما لزمه من الأمر والنهي ﴿ ثم الى ربكم ﴾
أى وحده لا إلى احد من أشركتموه به ﴿ مرجعكم ﴾ أى بالبعث بعد ١٠
الموت إلى دار الجزاء . ولما كان الجزاء تابعا للعلم ، قال معبرا عنه به :
﴿ فينبئكم ﴾ أى فيتسبب عن البعث انه يخبركم إخبارا عظيما
﴿ بما كنتم تعملون ﴾ أى بما كان في طبعكم تعمل به سواء عملتموه
بالفعل أم لا ثم يجازيكم عليه إن شاء .

ولما كان المراد - كما أشار إليه بكان - الإخبار بجميع الأعمال ١٥
الكائنة بالفعل أو القوة . حسن التعليل بقوله : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم
﴿ بذات الصدوره ﴾ أى بصاحبتهما من الخواطر والعزوم . وذلك بما دلت
عليه الصحة - كل ما لم يبرز إلى الخارج . فهو بما برز أعلم .

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : اسكان (٢) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : بل (٣) من م و مد ، وفي الأصل و ظ : العدوم .

ولما ذكر سبحانه أنه المختص بالملك وحده. وأتبعه بما يرضيه
وما يسخطه، أقام الدليل على ذلك الاختصاص مع أنه أوضح من
الشمس بدليل وجداني لكل أحد على وجه ذمهم فيه بالتناقض الذي
هم أعظم / البأس ذم له ونقرة منه وذمًا به فقال: (واذا) وهي -
ه والله أعلم - حالة من إله "تصرفون" وكان الأصل: مسكم، ولكنه
عمم^١ ودل بلفت القول عن الخطاب على الوصف الموجب للنسيان فقال:
(مس الإنسان) أي هذا النوع الآنس بنفسه مؤمنه وكافره (ضر)
أي ضر كان^٢ من جهة يتوقعها - بما أشار إليه الطرف بمطابقة لمقصود
السورة مع تهديد آخر أتى قبله^٣ (دعا ربه) أي المحسن إليه الذي
١. تقدم تبيهم من غفلتكم عليه بقوله: ذلكم الله ربكم، إذا كرا صفة إحسانه^٤
(منيا) أي راجعا رجوعا عظيما^٥ إليه (يباطنه مخلصا في ذلك عالما
أنه لا يكفيه أمره غيره ضرورة مجدها في نفسه لأن الضر أزال عنه
الأموية والحظوظ، معرضا عما كان يزعم من الشركاء، معرفا لسان
حاله أنه لا شريك له سبحانه كما هو الحق فتطابق في حال الضراء الحق
١٥ والاعتقاد.

ولما كان الإنسان لما جبل عليه من الجزع والبأس إذا كان في

- (١) من م و مد، وفي الأصل و ظ : وحداني (٢) من ظ و مد، وفي
الأصل وم : غم (٣ - ٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل : غير مكين -
(٤ - ٤) سقط ما بين الهمزة من م (٥) البشارة من هنا إلى : الحق والاعتقاد
ساقطة من مد (٦) و ظ : الضر.

ضر استبعد كل البعد أن يكشف عنه ، لتقيده بالجزئيات وقصوره على
 التعلق بالأسباب ، أشار إلى ذلك مع الإشارة إلى الوعد بتحقيق الفرج
 فقال : ﴿ ثم ﴾ أى بعد استبعادها جدا . ولما كان الرغاء محققا ، وهو
 أكثر من الشدة ، عبر بأداة التحقق ، فقال منبها بالتعبير به خول ، على أن
 عطاؤه ابتداء فضل منه لا يستحق أحد عليه شيئا ، لأن التخويل لا يكون ه
 جزاء بل ابتداء : ﴿ إذا خوله ﴾ أى أعطاه عطاء متمكنا ابتداء ، وجعله حسن
 القيام عليه قادرا على إجادته تعهده ﴿ نعمة منه ﴾ . ومكنه فيها ﴿ نسي ﴾
 أى مع ادعائه أنه يشكر على الإحسان ، فكانت مدة تخويله ظرف نسيائه ،
 فلم أن صلاحه بالضره ﴿ ما ﴾ أى الأمر الذى ﴿ كان يدعوا ﴾^١
 ربه على وجه الإخلاص ﴿ إليه ﴾ أى إلى كشفه من ذلك الضر الذى ١٠
 كان ، وأعلم بتقارب^٢ وقنى النسيان والإبابة باثبات الجار فقال :
 ﴿ من قبل ﴾ أى قبل حال التخويل ﴿ وجعل ﴾ زيادة على الكفران^٣
 بنسيان الإحسان ﴿ الله ﴾ أى الذى لا مسكافى له بشهادة الفطرة
 والعقل والسمع ﴿ اندادا ﴾ أى لكونه يتأهلهم ، فيزلهم بذلك منزلة
 من يكون قادرا على المعارضة والمحادثة ، فقد علم من التعبير بالنسيان ١٥
 أنه عالم بربه ، ولذلك دعاه فى كشف ضره وأنه جعل^٤ عليه عتد
 الإحسان إليه جهلا ، فهكان كمن لا يعلم من سائر الحيوانات المعجم .

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اجازة (٢) زيد فى م : أى عن (٣) و
 ظ : بتفاوت (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل و الكفر (٥ - ٥) فى م
 و مد : بالنسيان للإحسان (٦) من ط و م و مد ، وفى الأصل : على .

ولما كان ذلك في غاية الضلال ، لكونه - مع أنه خطأ - موجبا
لقطع الإحسان^١ وعدم الإجابة في كشف الضر مرة [أخرى -^٢]
وكانوا يدعون أنهم أعقل الناس ، وكان هذا الضلال في غاية الظهور ،
وكان العاقل لا يفعل شيئا إلا لعلته ، عظمهم تهكما بهم عن أن يكونوا
ه ضلوا ، هذا الضلال الظاهر من غير قصد إليه . فقال مشيرا إلى ذلك
كله : (ليضل) أى بنفسه عند من فتح الياء ، ويضل غيره عند من
ضمها ، (عن سبيله^٣) أى الطريق الموصل إلى رضوانه ، الموجب
للفوز بإحسانه .

ولما كان من المعلوم المحقق المقطوع به المركوز في الفطر الأولى
١٠ المستمر فيما بعدها أن الملك / لا يدع من^٤ يعصيه بغير عقاب ، وكان
٤٨٠ / قد ثبت بقضية الإجماع وقت الاضطراب أنه لا يلتفت إلى أحد سوى الله
وكان من التفت - بعد أن أنجاه الله من ضرره و أسبغ عليه من نعمه -
كافرا من غير شك عند ذى عقل ، و كان من كان بهذه المثابة في هذه
الدار [م -^٥] أهل النعم الكبار ، والتمتع الصافي عن الأكدار ،
١٥ كان من المعلوم انه لابد من^٦ عقوبته في دار القرار ، فقال تعالى مينا

(١) من ظ و م و مد . وفي الأصل : الأسباب (٢) زيد من م و مد (٣) زيد
في الأصل : عن ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد لخلفائها (٤) راجع
نثر المرجان ٦ / ١٢٥ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل :
حساب (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، وفي
الأصل : عن .

لأن هذا التمتع إنما هو سبب [هذا - ١] الكفران استدراجاً مع الإعراض المؤذن! بالغضب. (قل) [أى - ١] يا أحب خلقنا إلينا المستحق للقبال عليه بالخطاب، لهذا الذى قد حكم بكفره مهدداً له بما يقوته بلذيق عيشه فى الدنيا من الفيض من الجنب الاقدس و يؤل إليه أمره من العذاب الأكبر: (تمتع) أى فى هذه الدنيا التى هى و كل ما فيها - مع ٥ كونه زائلاً - يفيض إلى الله، فهو من جملة المقت إلا لمن صرفه فى طاعة الله .

ولما ذكر تمتعه بالحسيس، ذكر سببه الحسيس تعظيماً لأجور المؤمنين لانصرافهم عن الكفر^٢ مع علمهم بأنه من أسباب التمتع وبياناً لذوى المهم العوال من غيرهم فقال: (بكفرك) ثم أشار إلى قلة زمن ١٠ الدنيا و ما فيها فى جنب الآخرة فقال: (قليلاً مئ) ثم علل ذلك بما إذا غمس فى عذابه أنعم أهل الدنيا غمسة واحدة قال: ما رأيت نعباً قط، فقال مؤكداً لأجل تكذيبهم بالنار، ودفعاً لما استقر فى نفوسهم أن تنعيمهم فى الدنيا^٣ إنما هو لقربهم من الله ومحبة لهم، وأن ذلك يتصل بنعيم الآخرة على تقدير كونها: (انك) وهذا الأمر هنا يراد ١٥ به الزجر، تقديره: إن تمتعت هكذا كنت (من اصحب النار) أى الذين لم يخلقوا* إلا لها" ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن و الانس

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بالمؤذن (٣) من ظ و مد، وفى الأصل و م: الفكر (٤ - ٥) سقط ما بين الرقین من ظ . (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل لم يمتلقوا .

لهم قلوب لا يفقهون بها " - الآية .

و لما أرشدت " أم " قطعاً في قراءة من شدد ' إدغاماً لإحدى الميمين في الأخرى أن التقدير شرحاً لأحوال المؤمنين بعد أحوال المشركين : اهـ - الذي يدعو الله مرة ، و غيره بمن يجعله له ندا أخرى ٢ -
 هـ أسد طريقة و أقوم قِيلاً : (آمن هو) و التقدير في قراءة نافع و ابن كثير و حمزة بالتخفيف : آمن هو بهذه الصفة خير أم ذلك الكافر الناسي لمن أحسن إليه ، و يرجع التقدير بالاستفهام دون النداء إنكار التسوية ٣ بين العالم الذي هداه عليه على القنوت و الذي لا يعلم حقيقة أو مجازاً لعدم الانتفاع بعبه (فانت) أي مخلص في عبادته الله تعالى دائماً (أنا . ليل) أي جميع ساعاته .

و لما كان المقام للإخلاص ، و كان الإخلاص أقرب مقرب إلى الله لأنه التجرد عن جميع الأغيار ، و كان السجود أقرب الأشياء بهذا الحال ، و لذلك كان أقرب مقرب للعبد من ربه ، لأنه خاص بالله تعالى ، قال :
 (ساجداً) أي و راكعاً ، و دل على تمكنه من الوصفين بالعطف فقال :
 ١٥ (و قائماً) أي و قاعداً ، و عبر بالاسم تنبيهاً على دوام إخلاصه في حال سجوده ، قيامه ، و الآية من الاحتباك : ذكر السجود دليلاً على الركوع و القيام دليلاً على القعود ، و السر في ذكر ما ذكر و ترك ما ترك أن

(١) راجع شر المرجان ٦ / ١٢٥ (٢) زيدت الواو في ظ (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تسوية (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تجرد .

السجود يدل على العبادة. و قرن القيام به دال على أنه قيام منه فهو عبادة، و ذلك مع الإيذان بأنها أعظم الأركان، فهو ندب إلى تطويلها على الركنين الآخرين لأن القعود إنما هو للرفق بالاستراحة، و الركوع إنما أريد به إخلاص الأركان للعبادة، لأنه لا يمكن عادة أن يكون لغيرها، و أما السجود فيطره احتمال السقوط و القيام و القعود مما جرت به العوائد، فلما ضم إليهما الركوع تمحضا / للخضوع بين يدي الملك العظيم / ٤٨١ / العزيز الرحيم .

ولما كان الإنسان محل الفتور و الغفلة و النسيان، و كان ذلك في محل الغفران، و كان لا يمكن صلاحه إلا بالخوف من الملك الديان، قال معللا أو مستأنفا جوابا لمن كأنه يقول: ما له يتعب نفسه هذا ١٠ التعب ويكدها هذا الكد: ﴿يحذر الآخرة﴾ أى عذاب الله فيها، فهو دائم التجدد لذلك كلما غفل عنه . ولما ذكر الخوف، أتبعه قرينه الذى لا يصح بدونه فقال: ﴿يرجو رحمة ربه﴾ [أى ١] الذى لم يزل يتقلب فى إنعامه .

ولما كان الحامل على الخوف و الرجاء و العمل إنما هو العلم النافع، ١٥ و كان العلم الذى لا ينفع كالجهل أو الجهل خير، كان جواب ما تقدم من الاستفهام: لا يستويان، لأن المخلص عالم و المشرك جاهل . فأمره بالجواب بقوله: ﴿قل﴾ أى لا يستويان، لأن الحامل على الإخلاص العلم و على الإشراك الجهل و قلة العقل، ثم أنكره على من يشك فى ذلك فقل

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٣) من ظ و م و مد . وفى الأصل: فقال قل .

له: ﴿هل يستوى﴾ أى فى الرتبة ﴿الذين يعملون﴾ أى يفعلون على مقتضى العلم، فأدام عليهم إلى التوحيد والإخلاص فى الدين ﴿والذين لا يعملون﴾ فليست أعمالهم على مقتضى العلم إما للجهل وإما لإعراض عن مقتضى العلم، فصاروا لا علم لهم [لأنه -] لا انتفاع لهم به. لأنهم لو تأملوا أدنى تأمل مع تجريد الأنفس من الهوى لرجعوا إليه من أنه لا يرضى أحد أصلا لعبه أن يخالف أمره، وإلى أنه لا يطلق العلم إلا على العامل أرشد قول ابن هشام فى السيرة "ويعجبون أن يحمدا بما لم يفعلوا" أن يقول الناس: علماء، وليسوا^١ بأهل علم، لم^٢ يحملهم على هدى^٣ ولا حق.

١٠ ولما كان مدار السداد التذكر. وكان مدار التذكر الذى به الإصلاح والفساد هو القلب لأنه مركز العقل الذى هو آلة العلم، وكان القلب الذى لا يحمل على الإصلاح عدما، بل العدم خير منه، قال: ﴿انما يتذكر﴾ أى تذكر^٤ عظيم بما أفهمه إظهار التاء فيعلم^٥ أن المحسن لا يرضى بالإحسان إلى من يأكل خيره ويعد غيره - (اولوا الالباب ع) ١٥ أى العقول الصافية والقلوب النيرة وهم الموصوفون آخر آل عمران بقوله تعالى "الذين يذكرون الله [قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم]" - [١] - إلى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد والسيرة ٢٠٣، وفى الأصل و ظ: ليس (٣) من ظ و م و مد والسيرة، وفى الأصل: بل (٤) من ظ و م و مد والسيرة وفى الأصل: هدد (٥) - قط من م و مد (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: تذكيرا (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ: فعل.

آخرها ، و ما أحسن التعبير هنا باللب الذى هو خلاصة الشيء لأن السياق للاخلاص ، قال الرازى ' فى اللوامع ' : قال الإمام محمد بن على الترمذى : خلق الله تعالى الأشياء مسخرة للآدمى ، و خلق الآدمى للخدمة ، و وضع فيه أنواره ليخرج الخدمة لله تعالى من باطنه بالحاجة ، فالآدمى مندوب إلى العلم بالله تعالى و بأوامره حسب ما خلق له ، و الخدمة و القنوت ه بقلبك بين يديه مائلا منتصبا محققا مبادرا مسارعا سائقا مركبك فى جميع أمورك بالحب له ، و علم الخدمة علم البساطين : بساط القدرة و بساط العبادة^٢ فإذا طالعت بساط القدرة بعقل وافر و هو أن تعرف نفسك و تركيبك من روحاني^٣ و جسماني ، و طالعت بساط العبادة بكياسة تامة أدركت تديره فى العبادة و باطن أمره و نفيه و علل التحريم و التحليل^٤ ، و بسط ١٠ الله بساط الربوبية من باب القدرة ، و بسط بساط العبادة من باب العظمة ، ثم كان آخر خلقه سبحانه هذا الإنسان الذى بسط له هذين البساطين ، و جمع فيه العالمين ، و زاد على ما فيهما من قبول الأمر اختيارا و طوعا ، و كل شيء أعطاك إنما أعطاك لتبرزه إلى جوارحك ، و تستعمله فيما خلق له ، فلو لم يعطك لم يطلب منك ، فلا تطلب الزكاة / من لآمال ١٥ / ٤٨٢ له ، و لا الصلاة قياما من لارجل له .

و لما ثبت أن القانت خير ، و كان المخالف له كثيرا ، و كان أعظم

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ :

العبودية (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رحمانى (٤) من م و مد ، و فى

الأصل و ظ : التحلل (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : « او » .

حامل له على القنوت التقوى، و كانت كثرة^١ المخالف اعظم مزلزل،
 وكان الإنسان - لما له من النقصان - أحوج شيء إلى الثبوت، و كان
 الثبوت من 'المجانس، والتأنيس'^٢ من المشاكل أسكن^٣ للقلب و أشرح
 للصدر، أمر أكل الخلق و أحسنهم ملاطفة بتثبيتهم فقال: ﴿ قل ﴾
 هـ و لما كان الثبات لا يرسخ مع كثرة المخالف، و توالى الزلزال و المتالف،
 [إلا - °] إذا كان عن الملك، جعل ذلك عنه سبحانه ليجتمع عليه الخالق
 و الأقرب إليه من الخلائق، فقال: ﴿ يُعباد ﴾ دون ان يقول:
 يا عباد الله، مثلاً تذكيراً لهم^٤ تسكيناً لقلوبهم بما علم من أن التقدير:
 قال [الله - °]، و تشریفاً لهم بالإضافة إليه بالضمير الدال على اللطف
 ١٠. و شدة الخصوصية، و إعلاما لهم بأنه حاضر لا يغيب عنهم بوجه:
 ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أرجدوا هذه الحقيقة و لو على أدنى حالاتها .
 و لما كان الإحسان ربما جراً^٥ على المحسن، اشار سبحانه إلى سداد
 قول العارفين هـ اجلس على البساط و إياك و الانبساط، و به لفت
 القول عن مظهر التكلم إلى^٦ الوصف بما يدل على أن العاقل [من - °]
 (١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: كثيرة (٢ - ٣) من م و مد، و فى
 الأصل و ظ: المجانس و التأييس (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ:
 أشكل (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الثابت (٥) زيد من م و مد .
 (٦) ريدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فخذناها .
 (٧) من م و مد . و فى الأصل و ظ: جرى (٨) من م و مد، و فى الأصل
 و ظ: على .

أوجب له الإحسان إجلالا وإكبارا، وأمر له العطف والتقريب
 ذلا في نفسه وصغارا، وخوفا وانكسارا. مما أفله قطع الإحسان فقال:
 ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أى اجعلوا بينكم وبين غضب المحسن إليكم وقاية بأن
 تترقوا في درجات طاعته مخلصين له كما خلقكم لكم لا لغرض [له - ٢]
 ليرسخ إيمانكم ويقوى إحسانكم، وهذا أدل دليل على أن الإيمان يكون هـ
 مع عدم التقوى .

ولما أرشدكم بالاسم الناظر إلى الإحسان إلى أن يقولوا: فإنا
 إن فعلنا؟ قال مجيبا معللا: ﴿ للذين احسنوا ﴾ أى لكم، ولكنه أظهر
 الوصف الدال على سبب جزائهم تشويقا إلى الازدياد منه، ولما كان
 العمل لا ينفع إلا في دار التكليف قال: ﴿ في هذه ﴾ باسم الإشارة ١٠
 زيادة في التعيين ﴿ الدنيا ﴾ أى الدنية الوضرة التى لا تطهر الحياة فيها
 إلا بالتقديس بعبادة الخالق والتخاق بأوصافه ﴿ حسنة ﴾ أى عظيمة
 في الدنيا بالنصر والمعونة مع كثرة المخالف وفي الآخرة بالثواب، ويجوز
 أن يكون معنى « احسنوا » أوقعوا الإحسان، ومعلوم أنه في هذه الدنيا،
 فيكون ما بعده مبتدأ وخبرا، لكنه يصير خاصا بثواب الدنيا، فالأول ١٥
 حسن .

ولما كان ربما عرض للانسان في أرض من يمنعه الإحسان،
 ويحمّله على العصيان، حث سبحانه على الهجرة إلى حيث يزول عنه

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من م و مد .

نظم الدرر (سورة الزمر ٣٩ : ١٠ و ١٢) ج - ١٦

ذلك المانع، تنبيها على أن مثل هذا ليس عذرا في التقصير كما قيل :
وإذا 'نبا بك' منزل فتحول

فقال : ﴿ وارض الله ﴾ أى الذى له الملك كله والعظمة الشاملة ﴿ واسعة ﴾
وجوده بعلمه وقدرته فى كل أرض على حد سواء، فالمتقيد بإمكان منها
هـ ضعيف العزم واهن اليقين، فلا عذر للفرط فى الإحسان بعدم الهجرة .
ولما كان الصبر على هجرة الوطن ولاسيما إن كان ثم أهل وعشيرة
شديدا جدا، ذكر ما للصابر على ذلك لمن تشوف إلى السؤال عنه فقال :
﴿ انما يوفى ﴾ أى التوفية العظيمة ﴿ الصبرون ﴾ أى على ما تكرمه
النفوس فى مخالفة الهوى واتباع أوامر الملك الاعلى من الهجرة وغيرها
١٠ ﴿ اجرم بغير حساب ه ﴾ أى على وجه من الكثرة لا يمكن فى العادة
حسابه، وذلك لأن الجزء من جنس العمل، وكل عمل يمكن عده
وحصره إلا الصبر فانه دائم مع الأناض، / وهو معنى من المعانى الباطنة
لا يطلع خلق على مقداره فى قوته وضعفه وشدة ولينه [لانه - °]
مع خفائه يتفاوت مقداره، وتعاظم آثاره، بحسب المهم فى علوها
١٥ وسفولها، وسموها ونزولها. ويجوز أن يسكون المعنى أن من كمل
صبره - بما أشارت إليه لام الكمال - لم يكن عليه حساب، لما رواه البزار
وابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاءت امرأة
١ - ١ (من م ومد، وفى الأصل وظ : ساءك (٢) من م ومد، وفى
الأصل وظ : بعد (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ : إن (٤) من ظ وم
ومد، وفى الأصل : بالصبر (هـ) زيد من م ومد . !

/ ٤٨٣

بها لم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ،
ادع الله لى ، قال : إن شئت دعوت الله فشفاك ، وإن شئت صبرت
ولا حساب عليك ، قالت : بل أصبر ولا حساب على ،
ولما كانت الأعين ناظرة إلى الأمر هل يفعل 'ما يأمر به' ومقيدة
بالرئيس لتأتسى به ، وكان أعظم الصابرين من جاهد نفسه حتى خلس
أعمالها من الشوائب وحامها من الحظوظ والعوائق ، وصانها من الفتور
والشواغل ، أمر ، بما يرغبهم في المجاهدة ، ويكشف لهم عن حلاوة الصبر ،
بقوله : ﴿ قل ﴾ ولما كان الرئيس لقربه من الملك بحيث يظن أنه
يساعده في كثير مما يكلف به غيره أكد قوله : ﴿ انى امرت ﴾ وبنى
الفعل لما لم يسم فاعله تعظيما للأمر بانه قطع ومضى بحيث لم يبق ١٠
فيه مشوية ، وأقام مقام الفاعل دليلا على أنه العمدة للحث على لزومه
قوله : ﴿ ان اعبد الله ﴾ أى الذى الخلق كلهم سواء بالنسبة إلى قبضته
وعلو ، وعظمته لأنه غفى عن كل شيء ﴿ مخلصا له الدين لا ﴾ أى العبادة
التي^٢ يرجى منه الجزاء عليها .

ولما كان الرئيس إذا سابق إلى شيء شوق النفوس إليه . وأوجب ١٥
عليها العكوف عليه قال : ﴿ وامرت ﴾ أى : وقع الأمر لى وانبرم
بأوامر عظيمة وراه ما أمرتم^٣ به لاتطبقونها ﴿ لان ﴾ أى لاجل

(١ - ١) سقط ما بين الرقيين من ظ (٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ :
الذى (٣) زبدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى م ومد فخذناها .

أن ﴿ اكون ﴾ في وقى وفي شرعى ﴿ اول ﴾ أى أعظم ﴿ المسلمين ﴾
 أى المتقادين في الرتبة الحائزين قصب السبق بكل اعتبار لأوامر الإله
 الذى لا فوز إلا بامثال أوامره أو أسبق الكائنين منهم في زمانى، فجبهة
 [هذا - ٢] الفعل غير جهة الأول، فلذلك عطف عليه لأنه لإحراز
 ه قصب السبق، و الأول لمطلق الإخلاص في العبادة .

ولما كان ما أمر به مفهوما لأن يكون مع ترغيب و مع ترهيب،
 وكان ربما ظن أن الرئيس لا يهرب الملك لأمور ترجى منه أو تخشى،
 وكان تكرير الأمر بإبلاغ المأمورين أرفع في قلوبهم وأشد إقبالا
 بنفسهم قال تعالى: ﴿ قل ﴾ أى لامتك، و أكد - لما في الأوامر
 ١٠ أن الرئيس لا يخاف - قوله: ﴿ ائى اخاف ﴾ أى مع تأمينه لى بفران
 ما تقدم و ما تأخر إخلاصا في إجلاله وإعظامه^٢ و فعلا لما على العبد لمولاه
 الذى له جميع الكبرياء أو العظمة -^٣، و لما كان وصف الإحسان ربما
 جرا على العصيان، بين أنه لا يكون ذلك إلا لعدم العرفان فقال:
 ﴿ ان عصيت ربى ﴾ أى المحسن إلى الرب لى بكل جميل فتركت الإخلاص
 ١٥ له ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ و إذا كان يوم عظيما، فكيف يكون عذابه .
 و لما بين ما أمر به . و أعلم أنه يخاف من مخالفة الأمر له بذلك
 فأفهم أنه يمثل لما أمر به . أمره سبحانه بأن يصرح بذلك لأن للتصرح

(١) من م و مد . وفي الأصل و ظ : ه و ه (٢) زيد من م و مد (٣) من
 م و مد، وفي الأصل و ظ : عظاما (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ :
 قل (ه) من م و مد، وفي الأصل و ظ : ان .

من المزية ما لا يخفى فقال: ﴿ قل الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال وحده
 ﴿ اعبد ﴾ تخصيصاً له بذلك، لا أحوا أصلاً بالعبادة نحو غيره أبداً ﴿ مخلصاً له ﴾
 وحده ﴿ ديني لا ﴾ أى امثالاً لما أمرت به فلا أشيئه بشائبة أصلاً لا طلباً
 لجنة ولا خوفاً من نار فانه قد غفر لي ما تقدم^١ وما تأخر، فصارت
 عبادتي لأجل وجهه و كونه مستحقاً للعبادة خاصة شوقاً إليه و حباً له
 و حياءً منه، و أما الرغبة فيما عنده سبحانه و الخوف من سطواته التي
 جماعها / قطع الإحسان لذى هو عند الأغيا. أدنى ما يخاف فانما خوفي
 ٤٨٤ / لأجل إعطاء المقام حقه من ذل العبودية و عز الربوبية .

؛ لما علم من هذا غاية الامثال بقاية الرغبة و الرغبة و هم يعلمون
 أنه صلى الله عليه و سلم أقوام قلباً و أصفاء لباً، و أجراًهم نفساً و أصدقهم
 إقداماً و أشجعهم عشيرة و حزبا. كان خوف غيره من باب الأولى،
 فسبب عنه تهديدهم أعظم تهديد بقوله: ﴿ فاعبدوا ﴾ أى أتم أيها الداعون
 له فى وقت الضراء المعرضون عنه فى وقت الرخاء ﴿ ما شتم ﴾ أى من
 جماد أو غيره. و نبه على سفول رتبة كل شئ بالنسبة إليه سبحانه
 تسفيها لمن يلتفت إلى سواء بقوله: ﴿ من دونه^٢ ﴾ فان عبادة ما دونه ١٥
 تؤدي إلى قطع إحسانه. و لا إحسان إلا إحسانه، فاذا انقطع حصل
 كل سوء، و فى ذلك جميع الخسارة .

و لما كانوا يدعون الذكاء، و يفعلون ما لا يفعله عاقل، امره ان
 يقول لهم ما ينبههم على غياوتهم بما يصيرون إليه من شقاوتهم فقال:

(١) زيدنى الأصم و ظ : من ذنبى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحدفتها .

(قل ان الخسرين) اى الذين خسارتهم هى الخسارة لكونها النهاية
 فى العطب (الذين خسروا انفسهم) اى بدخولهم النار التى هى معدن
 الهلاك لعبادتهم غير الله من كل ما يوجب الطغيان . ولما كان أعز
 ما على الإنسان بعد نفسه أهله الذين عزه بهم قال : (و اهلهم) اى
 لانهم إن كانوا مثلهم فخالهم فى الخسارة كخالهم ، ولا يمكن أحدا منهم
 أن يواسى صاحبه بوجه فانه لكل منهم شأن يغنيه ، وإن كانوا ناجين
 فلا اجتماع بينهم .

ولما كانت العاقبة هى المقصودة بالذات ، قال : (يوم القيمة)
 لأن ذلك اليوم هو الفصل لا يمكن لما فات فيه تدارك أصلا . ولما
 ١٠ كان فى ذلك غاية الهول . كرر التعريف بعبادتهم تنبيها على رسوخهم
 فى ذلك الوصف على طريق النتيجة لما أفهمه ما قبله . فقال مناديا لآله
 أهول مبالغا بالاستئناف و حرف التنبيه و ضمير الفصل و تعريف الخبر
 و وصفه : (الا ذلك) اى الأمر العظيم البعيد الرتبة فى الخسارة جدا
 (هو) اى وحده (الخسران) اى بصيغة القفلان المقهم مطلقا
 ١٥ للبالغة فكيف اذا بنيت على الضم الذى هو أثقل الحركات . وزاد فى
 تريحهم بالعبارة بقوله : (المبين) .

وما علم بهذا أنه البين فى نفسه المنادى بما فيه من القباحة بأنه
 لاخسران غيره ، فصله بقوله على طريق التهكم بهم : (لهم) فان عادة

(١) اى م : بكونها (٢) من ظ . م و مد ، وفى الأصل : كانوا (٣) من ظ
 وم و مد ، وفى الأصل : اى .

اللام عند مصاحبة المجرور ولا سيما الضمير إضمار المحبوس للضمير^١
 لاسيما مع ذكر الظل، وأشار إلى قريبها^٢ منهم بآيات الجار فقال:
 ﴿من فوقهم ظلل﴾ ولما أروهمهم^٣ ذلك الراحة، أزال ذلك بقوله:
 ﴿من النار﴾ وذلك أنكما مالمو أفهمهم الشر من أول الأمر. ولما
 كان في القرار - كما بنا ما كان على أي حال [كان -^٤] - نوع من الراحة
 بالسكون، بين أنهم معلقون في غمرات الاضطراب، يصعدهم الالهيب
 تارة، ويهبطهم انعكاسه^٥ عليهم برجوعة إليهم أخرى، فلا قرار لهم أصلا
 كما يكون الحب في الماء على النار، يغلي به صاعداً وسافلا، لا يقر في
 أسفل القدرة أصلا بقوله: ﴿ومن تحتهم﴾.

[ولما كان كون الظلة المأخوذة من الظل من تحت في غاية الغرابة، ١٠
 أعادها ولم يكتف بالأولى، ولم يعد ذكر النار لفهمها في التحت من
 باب الأولى فقال -^٤]: ﴿ظلل^٦﴾ وما يدل على ما فهمته من عدم
 القرار ما رواه البخاري في صحيحه^٧ عن سمرة بن جندب رضي الله عنه
 قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه
 فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا، فسألنا يوما قلنا: لا، قال: لكى رأيت ١٥

(١) بين سطرى م: أى الشبه الخفى (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل:
 قره (٣) من م و مد، وفي الأصل وظ: أوهم (٤) زيد من م و مد.
 (٥) من ظ و مد، وفي الأصل وم: العكسة (٦) من مد، وفي الأصل
 وظ وم: الدست (٧) ليس في الأصل وظ (٨) راجع ١ / ١٨٥ -
 كتاب الجنائز.

الليلة رجلين آتاني فأخذا يدي وأخرجاني إلى الأرض المقدسة - فذكره
بطوله حتى قال : فانطلقنا إلى قبة مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع ،
توقد تحته نار ، فإذا فيه رجال و نساء عراة^١ فيأتيهم اللهب من تحتهم ،
فاذا / اقرب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون فإذا خمدت رجعوا فذكره
٥ . وهو طويل عظيم ، ثم فسرهم بالزناة .

ولما كان هذا أمرا مهولا ، وهم لا يربوهونه ولا يرجعون عن غيهم
به ، ذكر قائده مع الزيادة في تعظيمه فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم
الشأن ﴿ يخوف الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى صفاته الجبروت والكبر
﴿ به عبادة ﴾ أى الذين لهم أهلية الإقبال عليه ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم
١٠ فيعبدونهم منه . ولما أهلهم للاضافة إليه وخوفهم سطواته ، أقبل عليهم
عند تهيبهم للاستماع منها على أنه يخوف استعطف فقال :
﴿ يعباد فاتقون ﴾ أى سيؤا عن ذلك أن تجعلوا بينكم وبين ما يسخطنى
وقاية مما يرضى لارضى عنكم .

ولما ذكر ما لمن عبد الطاغوت ، عطف عليه أضدادهم ليقترن الوعد
بالوعيد ، فيحصل كمال الترغيب والترهيب فقال : ﴿ والذين اجتنبوا ﴾
أى كفوا أنفسهم ذلك لما^٢ لها فى الانسياق إليه من الهوى مع تزيين
الشیطان وحفت النار بالشهوات ، ولما كان للاجمال ثم البيان موقع
عظيم^٣ ، قال : ﴿ الطاغوت ﴾ وهو كل ما عبد من دین الله ، فلموت من

(١) من م ومد و الصحيح ، وفى الأصل و ظ : عادة (٢) العبارة من هنا
إلى ما سنبه عليه ساقطة من مد (٣-٣) فى الأصل و ظ و م : موقعا عظيما .

الطفیان، و هو صیفة مبالغة، و فيه مبالغة أخرى يجعل الذات عين المعنى، و دل على عکس من تبعها بتعکيس حروفها، و لما ذکر اجتنابها مطلقا ترغيا فيه، بین خلاصة ما یجتنب لأجله مع التفسیر منها بتأنيثها الذى أبصره المنیرون بتقوية الله لهم علیها حتى كانوا ذکرانا و هم إناثا عکس ما تقدم للکفار فی البقرة. فقال مبدلا منها بدل اشتمال: هـ (ان یعبدوها).

و لما ذکر اجتناب الشرك، أتبعه التزام التوحید فقال: ﴿وانابوا﴾ أى رجعوا رجوعا عظیما أزالوا فيه النوبة و جعلوها إقالة واحدة لا صرف فیها ﴿الى الله﴾ أى المحیط بصفات الکمال فلا معدل عنه ﴿لهم البشرى﴾ فی الدنیا على السنة الرسل و عند الموت تتلقاهم الملائكة ١٠ فقد رجحوا رجحا لا خسارة معه لأنهم انتفعوا بكلام الله فأخلصوا دینهم له فبشرهم - مکذا كان الاصل، ولكنه أظهر تعمیما و تعلیقا بالوصف فقال مسیاعن عملهم، صارفا القول إلى التکلم بالإفراد تشریفا للبشرین الموصوفین: ﴿فبشر عباد﴾ [أى - ٢] الذین اهلوا أنفسهم بقصرهمهم علیّ للاضافة إلى ﴿الذین یستمعون﴾ أى بجمع قلوبهم ﴿القول﴾ ١٥ ای هذا الجنس من کل قاتل لیسوا جفاة عساء* إذا أقبلوا علیّ

(١) من م، و فی الاصل و ظ: لتقوية (٢) من ظ و م، و فی الاصل: انتفعوا (٣) زید من ظ و م (٤) من ظ و م و القرآن الکریم، و فی الاصل: یستمعون (هـ) من ظ و م، و فی الاصل: عشاء (٦) زید فی الاصل و ظ: کل، و لم تکن الزیادة فی م لحذفناها.

شئ، أمرضوا عن غيره بغير دليل ﴿فَتَبِعُونَ﴾ أى بكل عزائمهم بعد
انتقاده: ﴿أحسنه^١﴾ بما دلتهم عليه عقولهم من غير عدول إلى أدنى
هوى، ويدخل في هذه الآية دخولا بينا حث أهل الكتاب على اتباع
هذا القرآن العظيم، فإن كتب الله كلها حسنة، وهذا القرآن أحسنها
كلاما، ومعاني ونظاما، لا يشك في هذا أحده له أدنى ذوق .

ولما بين عملهم، أنتج ذلك مدحهم فقال، مظهرًا زيادة المحبة لهم
والاهتمام بشأنهم بالتأكيد: ﴿أولئك﴾ أى العالو الهمة والرتبة خاصة
﴿الذين﴾ ولما كان في هؤلاء المجتئين العالو الرتبة جدا وغيره، أبرز
المفعول فقال محولا الأسلوب إلى الاسم الأعظم إشارة إلى عظيم هدايتهم،
١٠ ﴿هدىهم الله﴾ بما له من صفات الكمال فينبى سبحانه أن لا وصول إليه
إلا به، وهذا بخلاف آية الأنعام حيث ذكر الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام فقال "أولئك الذين هدى الله" فحذف المفعول لتصير هدايتهم
مكرمة بوجوب تسليط^٢ "عامل على الموصول" الذى [أعاد -^٣] عليه
الضمير في هذه الآية، وكرر الإشارة زيادة / في تعظيمهم فقال:
١١ ﴿أولئك هم﴾ أى خاصة ﴿أولوا الألباب^٤﴾ أى العقول الصافية
عن شوب كدر .

ولما خص سبحانه البشارة بالمحسنين، علم أن غيرهم قد حكم بشقاوته ،

(١) زيد في الأصل: فقال ، ولم تكن الزيادة في ظ و م لحذفها (٢) من م ،
وفي الأصل و ظ : تسلط (٣) من م ، وفي الأصل و ظ : الوصول (٤) زيد
من ظ و م .

وكان صلى الله عليه وسلم لما جبل عليه من عظيم الرحمة ومزید الشفقة
جديراً بالأسف على من أعرض، سبب عن أسفه عليهم قوله: ﴿افن حق﴾
وأسقط تاء التأنيث الدالة على اللين تأكيداً للنهي عن الأسف عليهم
﴿عليه كلمة العذاب﴾ بابائه وتولييه، فكان لذلك منغمساً في النار التي
أبرمنا [القضاء - ١] بأنها جزاء الفجار لا يمكن إقاده منها، أفانت تنقذه
من إعراضه الذي غمسه في النار؟ ثم دل على هذا الذي قدرته بقوله
مؤكداً باعادة حرف الاستفهام لأجل طول الكلام ولتهويل الأمر وتفخيمه
للهي عن تعليق الهم بهم لما عنده صلى الله عليه وسلم من جبلة العطف
والرقة على عباد الله: ﴿أفانت تنقذ﴾ أي تخلص وتمنع وتنجي، ووضع
موضع ضميره قوله شهادة عليه بما هو مستحقه ولا يمكن غير الله فكه ١٠
منه ﴿من في النار﴾ متمكناً فيها شديداً الانغماس في طبقاتها، والرسوخ
بحيث أنها قد أحاطت به من كل جانب، وكان الأصل: أنت تنقذ
من حق عليه العذاب، فقدم المفعول وجعله عمدة الكلام ليقرع السمع
أو يترقب الخبر عنه. ثم حذف خبره ليكون أهول فتذهب النفس فيه
كل مذهب، ثم أنكروا أن يكون أعلى الخلق ينقذه، فغيره من باب الأولى ١٥
فصار الكلام بذلك من الروق والبهجة والهلل والإرهاب ما لا يقدر
البشر على مثله.

ولما بين أن من عبد الانداد هالك لخروجه عن دائرة العقل بمرآة

- (١) زيد من م (٢) من م، وفي الأصل و ظ: فيه (٣ - ٣) في م: فيترقب؛
(٤) من ظ و م، وفي الأصل: اهل.

و عدم تدبير، بين ما لاضدادهم، فقال صارفا القول عن الاسم الأعظم إلى وصف الإحسان إشارة إلى كرم المتقين بما لهم من إصالة الرأي التي أوجبت خوفهم مع تذكر الإحسان ليدل على أن خوفهم عند تذكر الانتقام أولى: ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم ﴾ أى جعلوا بينهم وبين محض المحسن إليهم وقاية في كل حركة وسكنة، فلم يفعلوا شيئا من ذلك إلا بنظر يدلهم على رضاه ﴿ لهم غرف ﴾ أى علالي من الجنة يسكنونها في نظير ظلل الكفار. ولما كانت الغرف في قرار تقربه العيون لم يقل « من فوقهم » كما قال في أهل النار وقال: ﴿ من فوقها غرف ﴾ أى شديدة العلو. ولما كان ربما ظن أن الطبقة الثانية السماء، لأن الغرفة أصلها العالى، ولذلك سميت السماء السابعة غرفة، وأن تكون الغرفة مثل ظلل النار ليس لها قرار. قال تحقيقا للحقيقة مفردا كما هو المطرد في وصف جمع الكثرة لما لا يعقل: ﴿ مبية لا ﴾. ولما كانت المنازل لا تطيب إلا بالماء، وكان الجارى « اشرف وأحسن » قال: ﴿ تجري من تحتها ﴾ أى الغرف من « الطبقة السفلى والطبقة العليا من غير تفاوت بين العلو ١٥ و السفلى، لأن القدرة صالحة لأكثر من ذلك ﴿ الانهره ﴾.

ولما ذكر يوم القيامة وما يكون فيه، بين أنه أمر لا بد منه بقوله، رادا السياق إلى الاسم الأعظم الذى لا يتصور مع استحضار ما له من الجلال إخلاف: ﴿ وعد الله ﴾ مؤكدا لمضمون الجملة بصيغة المصدر

(١) من م. وفى الأصل وظ: شديد (٢) زيد فى م: فى (٣-٢) فى م: أحسن وأشرف (٤) ومن هذا تصانف نسخة مد.

الدال على الفعل الناصب له ، وهو واجب الإضمار والإضافة إلى الاسم
الاعظم الجامع لجميع الصفات ، ثم أتبع ذلك بيان ما يلزم من كونه
وعده بقوله على سبيل النتيجة : ﴿ لا يخلف الله ﴾ أى الملك الذى لا شريك
له يمنحه من شئ يريد . ولما كان الرعى لزمان الوعد ومكانه إنما
يكون للحافظة عليه فهو أبلغ / من رعيه نفسه ، عبر بالمفعول فقال : هـ / ٤٨٧
﴿ المعادة ﴾ لأنه لا سبب أصلا يحمله على الإخلاف .

ولما أخبر سبحانه بقدرته على البعث ، دل عليها بما يتكرر مشاهدته
من مثلها ، وخص المصطفى صلى الله عليه وسلم بالخطاب حثا على
[تأمل - ٢] هذا الدليل تنبيها على عظمتها فقال مقدرا : ﴿ الم تر ﴾
[أى - ٢] بما يدل على قدرته سبحانه على إعادة ما اضمحل وتمزق ، ١٠
وارفت وتفرق : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له ' كل صفة ' كمال
﴿ انزل من السماء ﴾ أى التى لا يستمسك الماء فيها إلا بقدرته باهرة فقهره
على ذلك ﴿ ماء ﴾ كما تشهدونه فى كل عام ﴿ فسلكه ﴾ أى فى خلال
التراب حال كونه ﴿ ينابيع ﴾ أى عيوننا فائرة ﴿ فى الارض ﴾ فقهره
على الصعود بعد أن غيبه فى أعماقها بالفيض والصبوب بعد أن كان ١٥
قصره على الانضباط فى العلو ثم أكرمه على النزول على مقدار معلوم
وكيفية مدبرة وأمر مقسوم ، قال الشعبي والضحاك : كل ماء فى

- (١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : المود (٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ :
للحافظ (٣) زيد من م ومد (٤-٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : صفة كل .
(٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : علم (٦) ذكره فى معالم التنزيل مختصرا
عن الشعبي - راجع هامش الباب ٦ / ٦٠ .

نظم الدرر (سورة الزمر ٣٩ : ٢١ و ٢٢) ج - ١٦

الارض من السماء ينزل إلى الصخرة ثم يقسم منها العيون و الركايا .
 و لما كان إخراج النبات متراخيا عن نزول المطر، عبر بهم،
 و فيها أيضا تنبيه على تعظيم الامر فيما تلاها بأنه محل الشاهد فقال :
 ﴿ ثم يخرج ﴾ أى الله ﴿ به ﴾ أى الماء ﴿ زرعاً ﴾ و لما كان اختلاف
 المسبب مع اتحاد السبب أعجب فى الصنعة و أدل على بديع القدرة ،
 قال : ﴿ مختلفا الوانه ﴾ أى فى الاصناف و الكيفيات و الطبائع و الطعوم
 و غير ذلك مع اتحاد الماء الذى جمعه من أعماق الارض بعد أن تفتت
 فيها و صار تراباً . و لما كان الإيقاف بعد قوة الإشراف دالا على التفهر
 و نفوذ الامر ، قال إشارة إلى أن الخروج عن الحد غير محمود فى شيء
 ١٠ من الاشياء فانه يعود عليه بالنقص ﴿ ثم يهيج ﴾ و زاد فى تعظيم هذا
 المعنى للحث على تدبره باسنادة إلى خير الخلق صلى الله عليه وسلم فقال :
 ﴿ قتره ﴾ أى فيتسبب عن هيجه و هو شدة ثورانه فى نموه بعد التام
 بتوقيع الانصرام أنك تراه ﴿ مصفرا ﴾ أخذا فى الجفاف بعد تلك
 الزهرة و البهجة و النضرة . و لما كان السياق لإظهار القدرة التامة ، عبر
 ١٥ بالجعل مسندا إليه سبحانه بخلاف آية الحديد التى عبر فيها بالكون
 لأن السياق ثم لأن الدنيا عدم فقال : ﴿ ثم يجعله حطاما ﴾ أى مكسرا
 مفتتا باليا .

و لما تم هذا على هذا المتوال البديع الدال بلا شك لكل من رآه
 على أن فاعله قادر على الإعادة لما يريد بعد الإبادة ، كما قدر على الإيجاد
 (١) من ظ و م ومد، وفى الأصل : غده (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : عنها .

من العدم والإفادة لكل ما لم يكن، قال على سيد التأكيد للتنبيه على
[أن - '] إنكارهم غاية في الحق والجود: (أن في ذلك) أى التدمير
على هذا الوجه (لذكرى) أى تذكيرا عظيما واضحا على البعث وما
يكون بعده، فإن النبات كالإنسان سواء، يكون ماء ثم ينعقد بشرا،
ثم يخرج طفلا، ثم يكون شابا، ثم يكون كهلا، ثم شيخا، ثم هرما. هـ
ثم ترابا مفتتا في الأرض، ثم يجمعه فيخرجه كما أخرج الماء النبات:
(لاوى الالباب ج) أى العقول الصافية جدا كما نبه عليه بخصوص الخطاب
في أول هذا الباب للنزل عليه هذا الكتاب، و أما غيره و غير من
تبعه باحسان فهم كبهائم الحيوان .

ولما كان الذى قرر به أمرا فيما يظنه السامع ظاهرا كما كان ١٠
جديرا بأن ينكر بعض الواقفين مع الظواهر تخصيص الالباء به، سبب
عن ذلك الإنكار فى قوله: (افن شرح الله) أى الذى له القدرة
الكاملة و العلم الشامل (صدره للإسلام) أى للانقياد للدليل، فكان
قلبه لنا فاقاد للإيمان فاهدى لباطن هذا الدليل (فهو) أى فيتسبب عن
إسلام ظاهره / و باطنه للداعى أن كان (على نور) أى يان عظيم بكتاب، ١٥ / ٤٨٨
به يأخذ، و به يعطى، وإليه فى [كل - '] أمر ينتهى قد استعلى عليه
فهو كأنه راكبه، بصرفه حيث يشاء، و زاد فى يان عظيم هدايته بلفت
(١) زيد من ظ و م ومد (٢) سقط من م ومد (٣) من م ومد، وفى الأصل
و ظ : قلبا (٤) زيد من م و مد .

القول إلى مظهر^١ الإحسان فقال : ﴿ من ربه ﴾ أى المحسن إليه بأحسانه
 فى انقياده ، فبشرى له فهو على صراط مستقيم ، كن جعل صدره ضيقا
 [حرجا - ^٢] فكان قلبه قاسيا . فكان فى الظلام خابطا ، فويل له -
 هكذا كان الأصل و لكن قيل : ﴿ فويل للفسية قلوبهم ﴾ أى لضيق
 صدورهم ، وزاد فى بيان ما بلام به من عظيم القسوة بلغت القول ^٣
 إلى الاسم الدال على جميع الاسماء الحسنى و الصفات العلى فقال :
 ﴿ من ذكر الله ^٤ ﴾ فان من تبدى قسوته عما تطمئن به القلوب و تلين
 له الجلود ، من مدح الجامع لصفات الكمال فهو أقى من الجلود .

و لما كان من رسم بهذا الخزى أخسر الناس صفقة . أنتج وصفه
 ١٠ قوله تعالى : ﴿ أولئك ﴾ أى الأباعد الأباغض ﴿ فى ضلل ميين ﴾
 أى واضح فى نفسه موضع امره لكل أحد ، فالآية من الاحتباك : ذكر
 أولا الشرح و النور دليلا على حذف ضده ثانيا . و ثانيا الويل للقاسى
 و الضلال دليلا على حذف ضده أولا - روى^٥ البيهقى فى الشعب و البغوى^٦
 من طريق الثعلبى و الحكيم^٧ الترمذى من وجه آخر عن ابن مسعود
 ١٥ رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قرأ هذه الآية ، قال : فقلنا :
 يا رسول الله ! كيف انشرح صدورهم ؟ قال : إذا دخل النور القلب

(١) زيد فى الأصل : العظمة و ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
 (٢) زيد من م (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : الخطاب (٤) من م و مد ،
 وفى الأصل و ظ : و روى (٥) فى معالم التنزيل - راجع الباب ٦٠/٦ (٦) من
 ظ و م و مد ، وفى الأصل : الحاكم و .

انشرح وانفتح ، قلنا : يا رسول الله ؟ فما علامة ذلك ؟ قال : الإجابة
إلى دار الخلود والتجاء عن دار الغرور والتأهب للموت قبل رول
الموت . وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري : والنور الذي من قبله
سبحانه نور اللوائح بنجوم العلم . ثم نور اللوامع ببيان الفهم ، ثم نور
المحاضرة بزوائد اليقين . ثم نور المكاشفة بتجلى الصفات ، ثم نور المشاهدة
بظهور الذات ، ثم أنوار الصمدية بحقائق التوحيد ، فعند ذلك لا وجد
[و - ٢] لا قصد ، ولا قرب ولا بعد . كلا بل هو الله الواحد القهار ،
وذلك كما قيل : المؤمن بقوة عقله يوجب استقلاله بعبه إلى أن يبدو
ومنه كمال نمكته من وقادة نصيرته . ثم إذا بدا له لائحة من سلطان
المعارف تصير تلك الأنوار مقمرة ، فإذا بدت أنوار التوحيد استهلكت
تلك الجملة ، فلما امتدان الصبح أدرج ضوؤه بأنواره أنوار تلك
الكواكب .

ولما كان من المستبعد جدا أن يقسو قلب من ذكر الله ، بينه الله
وصوره في أعظم الذكر فانه كان للذين آمنوا هدى وشفاء ، وللذين
لا يؤمنون في آذانهم وقر وفي أبصارهم عمى . فقال مصححا للنزل ١٥
بجعل الاسم الأعظم مبتدا وبناء الكلام عليه : (الله) أى الفعال

(١) من م ومد ، وفي الأصل وظ : نور (٢) من م ومد ، وفي الأصل
وظ : بزائد (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفي الأصل وظ :
ممكته (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ط (٦) من م ومد ، وفي الأصل وظ :
لستر ٧-٧ من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بامتبتدا .

لما يريد الذى له مجامع العظمة والإحاطة بصفات الكمال ﴿نزل﴾
 أى بالتدرج للتدريب وللجواب عن كل شبهة ﴿احسن الحديث﴾
 وأعظم الذكر، ولولا أنه هو الذى نزل لما كان الأحسن، ولقدر -
 ولو يوما واحدا - على الإتيان بشيء من مثله، وأبدل من "احسن"
 ه قوله: ﴿كتبنا﴾ أى جامعا لكل خير ﴿متشابه﴾ أى فى البلاغة
 [المعجزة - ١] والموعظة الحسنة، لا تفاوت فيه أصلا فى لفظ ولا معنى،
 مع كونه نزل مفرقا فى نيف وعشرين سنة، وأما كلام الناس فلا بد
 فيه من التفاوت وإن طال الزمان فى التهذيب سواء اتحد زمانه أو لا،
 والاختلاف فى "المختلف فى" الزمان أكثر، ولم يقل: مشتبها، لثلا
 ١٠ يظن أنه [كله - ٢] غير واضح الدلالة^١ وذلك لا يمدح به .

ولما كان مفصلا إلى سور وآيات وجمل، وصفه بالجمع فى
 قوله: ﴿مثنى مثنى﴾ جمع مثنى مفعول [من التثنية بمعنى التكرير - ١] أى
 تنفى فيه القصص والمواعظ والأحكام والحكم، مختلفة البيان فى وجوه
 من الحكم، متفاوتة الطرق فى وضوح الدلالات، من غير اختلاف أصلا
 ١٥ فى أصل المعنى، ولا يمل من تكراره، وترداد قراءته وتأمله واعتباره،
 مع أن جميع ما فيه أزواج من الشيء وضده: المؤمن والكافر، والمطيع
 والعاصى، والرحمة العامة والرحمة الخاصة، والجنة والنار، والنعيم
 (١) زيد من م ومد (٢ - ٢) من م ومد، وفى الأصل: المحل، وفى ظ
 بياض (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ وم
 ومد (هـ) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الطائغ .

٤٨٩/

و الشقاء، والضلال والهدى، والسراء والضراء، والبشارة والندارة،
فلا ترتب على شيء من ذلك جزاء صريحا إلا تبنى بفهام ما لضده تلويحا،
فكان مذكورا مرتين، ومرغبا فيه أو مرهبا منه كرتين، ويجوز أن
يكون التقدير: متشابهة مثنائه، فيكون نصبه على التمييز، وفائدة التكرير
أن النفوس أقهر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها ه
عودا^١ على بدء لم يرسخ عندها ولم يعمل عمله، ومن ثم كان النبي صلى الله
عليه وسلم يكرر قوله ثلاث مرات فأكثر^٢.

ولما كان التكرار يمل، ذكر أن من خصائص هذا الكتاب أنه
يطرب مع التكرار، ويزداد حلالة ولو تبنى آفاه الليل وأطراف
النهار، فقال: (تقشعر) أى تهتز [وتتجمع -^١] وتقبض تقبضا ١٠
شديدا، من التقشع وهو الأديم اليابس، وزيد^٢ حرفا لزيادة^٣ المعنى،
واختير حرف التكرير إشارة إلى المبالغة فيه، وكونه حرف التطوير أشد
للمناسبة (منه جلود) أى [ظواهر -^٤] أجسام (الذين يخشون) أى
يخافون خوفا شديدا^٥، يلتذون لذة توجب إجلالا وهبة، فيكون ذلك
سبب ذلك، وزاد في مدحهم بأنهم يخافون المحسن، فهم عند ذكر أرصاف ١٥
الجلال أشد خوفا، فلذلك لفت القول إلى وصف الإحسان فقال:

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الوعد (٢) من م و مد، وفي الأصل
و ظ: عود (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فاكد (٤) زيد من مد.
(٥-٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: حرف الزيادة (٦) زيد من ظ و م
و مد (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: شديد.

(رَبِّهِمْ ج) أى الربى لهم المحسن إليهم لاهتزاز قلوبهم ، روى الطبرانى عن العباس^١ رضى الله عنه^٢ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحات خطاياها^٣ ، و روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه مر برجل من أهل العراق ساقط ، قال : فما بال هذا ؟ قال : إنه إذا قرئ عليه القرآن و سمع ذكر الله سقط ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : إنا لنخشى الله و ما نسقط و إن الشيطان ليدخل في جوف أحدهم ، ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . (ثم تالين)
أى تمتد و تنعم ، و قدم ما صرح فيه بالاقشعرار الذى يلزمه اليأس ، و آخر القلوب لإبعادها عما قد يفهم يباسا فيوم قسوة [فقال - ٢] :
١٠ (جلودهم) لتراجدهم بعد برهة إلى الرجاء و إن اشتدت صلابتها (و قلوبهم) و ذكره لتجدد لين القلوب مع الجلود دال على تقدير اقشعرارها^٤ معها من شدة الخشية ، فان الخشية لا تكون إلا فى القلب ، و كان سر حذف التصريح بذلك تنزيها عن ذكر ما [قد - ١] يفهم القسوة .

١٢ و لما كان القلب شديد الاضطراب و التقلب ، دل على حفظه له بنافذ أمره و بامر عظمتة بالتعديّة بـ ٥ إلى ، ليكون المعنى : سائلة مطمئنة

- (١) من مد و مجمع الزوائد ١٠ / ٣١٠ ، و فى الأصل و ظ و م : ابن عباس .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقيين من م (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشتد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقشعرار .
(٦) زيد من ظ و م و مد .

(إلى ذكر الله) أى ذى الجلال والإكرام، فإن الأصل فى ذكره 'الرجاء' لأن رحمته سبقت غضبه، وأظهر موضع الإضمار لأحسن الحديث لثلاث يوم أن الضمير للرب، فيكون شبهة لأهل الاتحاد أو غيرهم من أرباب البدع، ولم يقل: إلى الحديث أو الكتاب - مثلاً، بل عدل إلى ما عرف / أنه ذكره سبحانه ليكون أنعم لشأنه، وزاده فخامة بصرف القول عن ٥ / ٤٩٠ الوصف المقتضى للأحسان إلى الاسم الجامع للجلال والإكرام.

ولما كان ما ذكر من الآثار عجباً، دل على عظمته بقوله على طريق الاستنتاج: (ذلك) أى الأمر العظيم الغريب من الحديث المنزل والقبض والبسط (هدى الله) [أى - '] الذى لا يمتنع عليه شيء (يهدى به من يشاء) ومن هداه الله فإله من مفضل. ويضل به من ١٠ يشاء فلا تتأثر جلودهم لقساوة قلوبهم، فيكون هدى لناس ضلالاً لآخرين (ومن يضل الله) أى الملك الأعظم المحيط بكل شيء. إضلالاً راححاً في قلبه بما أشعر به الفلك يخرج الضلال العارض (فإله من هاد) لأنه لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، لأنه الواحد فى ملكه. فلا شريك له، فالآية من الاحتباك: ذكر أولاً إطلاق أمره فى الهداية دليلاً على ١٥ حذف مثله [فى الضلال، وثانياً إسداد باب الهداية على من أضله دليلاً على وحذف مثله - '] فيمن هداه وهى دأمة للقدرية.

(١) من وم ومد. وفى الأصل وظ: ذكرها (٢) فى ظ: للجلال (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: الأوصاف (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) زيد من م ومد (٦) من مد، وفى الأصل وظ وم: هدا.

ولما أتم الإنكار على من سوى، بين من شرح صدره ومن ضيق،
وما تبعه [و-١] ختم بأن الأول مهتد، والثاني ضال، شرع في بيان
ما لكل منهما نشرًا^٢ مشوشًا في أسلوب الإنكار أيضًا، فقال مشيرًا إلى
أن الضلال سبب العذاب. والهدى سبب النعيم، وحذف هنا المنعم
الذي سبب له النعيم لين قلبه كما حذف القاسي القلب في آية الشرح
الذي سببت له قسوته العذاب، لتقابل الآيتان، وتعاادل العبارتان:
(افن) وأفرد على لفظ "من" ثلاثا يظن أن الوجه^٣ الأكار
فقال: (يتقى) ودل على أن يده التي جرت العادة بأنه يتقى بها المخاوف
منغولة بقوله: (بوجهه) الذي كان يقيه المخاوف ويحميه منها يجعله
١٠ وهو أشرف أعضائه وقاية يتقى به غيره من بدنه^٤ (سوء العذاب)
أي شدته ومكروهه لأنه تابع نفسه على هواها حتى قسى قلبه وفسد
له (يوم القيمة^٥) لأنه يرمى به في النار منكوسا وهو مكبل، لاشيء
له من أعضائه مطلق يرد به عن وجهه. في عنقه صخرة من الكبريت
مثل الجبل العظيم. ويسحب في النار على وجهه، كمن امن العذاب فهو
١٥ يتلقى النعيم بقلبه وقالبه.

ولما كان مطلق التوبيخ والتقريع منكثا، نبى للفعل قوله:
(وقيل) له - هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر الوصف تعميما
وتعليقا للحكم به وجمع تنبيها على أن كثرتهم لم تغن عنهم شيئا فقال:

(١) زيد من ظ و مد (٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ: قسرا (٣) في
مد: الوجود (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: المكارة.

(للظالمين) أى الذين تركوا طريق الهدى و اتبعوا الحوى فضلوا و أضلوا :
 (ذوقوا ما) أى جزاء ما (كنتم تكسبون) [أى - ١] تعدونه
 فائدة و ثمرة لأعمالكم و تصرفاتكم ، و قيل لأهل النعيم : طيبوا نفسا
 و قروا عينا جزاء بما كنتم تعملون ، فالآية من الاحتباك : ذكر الاستفهام
 أولا دليلا على حذف متعلقه ثانيا . و ما يقال للظالم ثانيا دليلا على ما ه
 يقال للعدل أولا .

و لما ذكر ما أعد لهم فى الآخرة ، و كانوا فى مدة كفرهم كالحیوانات
 العجم لا ينظرون إلا الجزئيات الحاضرة ، خوفهم بما يعملونه^١ فى الدنيا ،
 فقال على طريق الاستدفاف فى جواب من يقول : فهل يعذبون فى الدنيا :
 (كذب الذين) وأشار إلى قرب زمان المعذبين من زمانهم بادخال ١٠
 الجار فقال : (من قبلهم) أى مثل ساء و قوم تبع و أنظارهم :
 (فاتنهم العذاب) و كان أمرهم علينا يسيرا ، وأشار إلى أنه لم يغتهم
 حذرهم بقوله : (من حيث) أى من جهة (لا يشعرون) أنه يأتى
 منها عذاب ، جعل إتيانه من مآمنهم ليكون ذلك أرجع للعذب ، و أدل
 على القدرة / بأنه سواء عنده تعالى الإتيان بالعذاب من جهة يتوقع منها ه
 و من جهة لا يتوقع أبدا ان يأتى منها شر ما ، فضلا عما اخذوا به ، بل
 لا يتوقع منها^٢ إلا الخير .

- (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : يعملونه .
 (٣) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفها (٤) من
 م و مد ، وفى الأصل و ظ : انهم (ه) من م و مد . وفى الأصل و ظ : منهم .

ولما بين سفههم و شدة حقهم باستعجالهم بالعذاب استهزاء ، سبب
 عنه تبكيت من لم يتعظ بمجالهم فقال : ﴿ فاذا هم الله ﴾ [أى - ١]
 الذى لا راد لأمره ﴿ الحزى ﴾ أى الذل الناشئ عن الفضيحة و العذاب
 الكبير بما زاده من إخزاء الرسل بتكذيبهم ﴿ فى الحياة الدنيا ﴾ أى
 العاجلة الدنية . ولما كان انتظار الفرج مما يسلى ، قال معلما أن عذابهم
 دائم على سبيل الترقى إلى ما هو أشد ، وأكدده لإبكارهم إياه :
 ﴿ لعذاب الآخرة ﴾ أى الذى انتقلوا إليه بالموت و يصيرون إليه بالبعث :
 ﴿ اكبر ﴾ من العذاب الذى أهلكهم فى الدنيا ، و أشد من إخزاء ، فالآية
 من الاحتباك : ذكر الحزى أولا دليلا على إرادته ثانيا ، و الأكبر ثانيا
 ١٠ دليلا على الكبير أولا ، و سره تغليظ الأمر عليهم بالجمع بين الحزى
 و العذاب بما فعلوا برسله عليهم الصلاة و السلام بخلاف ما يأتى فى
 فصلت . فان سياقه للطعن فى الوحدانية ، و هى لكثرة أدلتها و بعدها
 عن الشكوك و عظيم المتصف بها و عدم تأثيره بشيء يكتفى فى نكال
 الكافر به مطلق العذاب .

١٥ ولما كان من علم أن فعله يورث نكالا كف عنه . و لا يكفون
 و لا يتعظون قال : ﴿ لو كانوا يعلمونه ﴾ أى لو كان لهم علم ما فعلوا
 أنه أذبر فاتمظوا و آمنوا . و لكنه لا علم لهم أصلا ، بل هم كالأنعام بل
 هم أضل سبيلا ، لأن الجزئيات لا تنفعهم كما تنفع سائر الحيوانات ،
 فان الشاة ترى الذئب فتفر منه إدراكا لان بينها وبينه عدوة بما خلق

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لشيء .

الله في طبعه من أكل أمثاله، وهؤلاء يرون ما حل بأمثالهم من العذاب لتكذيبهم الرسل فلا يفرون منه إلى التصديق .

ولما ذكر سبحانه حال الأولين موعظة للعرب ، فكان ' كأنه قيل صرفا للقول إلى مظهر العظمة تذكيرا بما في الآثاة معها [من المنة -^١] لأن حالها يقتضى المعالجة بالأخذ والمبادرة باحلال السطوة، ضربنا لكم حالهم مثلا لحالك لتعبروا به ، فإن الأمثال يفهم بها المعاني الغائبة ، وتصير كأنها محسوسة مشاهدة ، عطف عليه قوله مؤكدا لإنكارهم أن يكون في القرآن بيان شاف وادعائهم أنه إنما هو شعر وكهانة وسحر : (ولقد ضربنا) على ما لنا من العظمة . ولما كان في سياق المفاضلة بين المتقى وغيره من أوائل السورة حين قال ' آمن هو قانت ، إلى أن ١٠ ختم [بقوله -^٢] " أفن يتقى بوجهه " وأسس ذلك كله على ابتداء الخلق من نفس واحدة ، كانت العناية في هذا السياق بالمخاطبين أكثر ، فقدم قوله : (للناس) أى عامة لأن رسالة رسولكم عامة .

ولما كان المتعنت كثيرا ، عين المحدث عنه بالإشارة التي هي أعرف المعارف ، وجعلها ما يعبر به عن القرب ، إشارة إلى أنه لما ١٥ أتى به الرسول صلى الله عليه وسلم خلع ألقوب وملائها ، فلا حاضر فيها سواه وإن كان المعاند يقول غير ذلك فقوله زور وبهتان وإثم وعدوان ، فقال : (في هذا القرآن) أى الجامع لكل علم . ولما كانت كلماته سبحانه لا تنفذ . عجزته لا تعد ولا تحدد . وكان في

(١) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : فكأنه (٢) زيد من م و مد .

سياق التعجيب من توقّعهم قال: ﴿ من كل مثل ﴾ أى يكفى ضربه
 فى البيان لإقامة الحجة البالغة، ثم بين علة الضرب بقوله:
 ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى ليكون حالهم بعد ضربه حال من يرجى تذكره
 بما ضرب له ما يعرفه فى الكون فى نفسه أو فى الآفاق^١ تذكرها واضحا
 مكشوفاً - بما أرشد إليه الإظهار، فيتخط / لما فى تلك الأمثال المسوقة^٢
 فى أحسن المقال المنسوقة بما يلائمها^٣ من الأوضاع والأشكال من البيان
 وأوضح البرهان .

ولما كان ذلك غاية فى الشرف، دل على زيادة شرفه بحال مؤكدة
 دالة على شدة عنادهم وتسمى موطنه لأن الحال فى الحقيقة ما بعدها
 ١. بقوله: ﴿ قرأنا ﴾ [أى - '] حال كون ذلك المضروب^٤ جامعا لكل
 ما^٥ يحتاج إليه، ويجوز أن يكون النصب على المدح ﴿ عريا ﴾ جاريا
 على قوانين لسانهم فى جمعه باتساع^٦ ووضوحه واحتمال اللفظ الواحد
 منه لمعان كثيرة، فكيف إذا انضم إلى غيره فصار كلاما . ولما كان
 الشيء قد يكون مستقيما بالفعل وهو معوج^٧ بالقوة، قال تعالى:
 ١٥ ﴿ غير ذى عوج ﴾ أى ليس بمنسوب إلى شيء من العوج ولا من

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: الاوقات (٢) من م ومد، وفى
 الأصل وظ: المشوقة (٣) من ظ ومد، وفى الأصل وم: لا يلائمها .
 (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) من م ومد . وفى الأصل وظ: الضرب .
 (٦-٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: لما (٧) من م ومد، وفى الأصل
 وظ: واتساعه (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل عوج .

شأنه العوج، فلا [يصح أن - '] يكون معوجاً أصلاً في شيء من نظمه ولا معناه باختلاف ولا غيره كما في آية الكهف سواء، وفي الإتيان بعوج الذى هو مختص بالمعانى يبان أن الوصف له حقيقة، فهو أبلغ من غير معوج، لأنه يحتمل إرادة أهله على المجاز .

ولما كان التذكّر بالتذكير لكونه أبلغ للوعظ حاملاً، ولا بد للعاقل هـ على الخوف المسبب للنجاة قال: ﴿ لعلهم يتقون هـ ﴾ أى ليكون حالهم بعد التذكير الناشئ عن التذكير حال من يرجى له أن يجعل بينه وبين غضب الله وقاية .

ولما أقام سبحانه الدليل المنير على التفاوت العظيم، بين من هو قانت آناه الليل ساجداً وقائماً يدعو الله مخلصاً له الدين وبين من يدعو الله ١٠ أنداداً، وختم بضرب الأمثال، وكان الأمثال أبين فيما يراد من الأحوال، قال منها على عظمتها بلغت القول عن مظهر العظمة إلى الاسم [الأعظم - '] الجامع لجميع صفات الكمال: ﴿ ضرب الله ﴾ أى الملك الأعظم المنفرد بصفات الكمال ﴿ مثلاً ﴾ لهذين الرجلين مع أنه لا يشك ذو عقل أن المشرك لا يمانى المخلص فضلاً عن أن يقول: إن المشرك أعظم كما يقوله ١٥ المشركون . ولما كان الذكر أقوى من الأنثى، وأعرف بمواقع النفع والضرر، وكان كونه بالغا أعظم لقوته وأشد لشكيمته، فيكون أنقى للعارف عن نفسه وأدفع للظلم عن جانبه وأذب عن حماه، قال مينا للثل مشيراً إلى تبكيت الكفار ورضاهم لأنفسهم [بما لا يرضاه لنفسه - ']

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: المعار .

أدنى الأرقاء (رجلا فيه) أى خاصة . ولما كانت معبوداتهم - لكونها من جملة المخلوقات - كثيرة الأشباه والنظائر، عبر عنها بجمع الكثرة فقال: (شركاء) فى الظاهر من الأصنام . وفى الباطن من الحظوظ والشهوات، ووصف الشركاء بقوله: (متشكسون) أى مختلفون عسرون يتجاذبون مع سوء الأخلاق وضيقتها وقباحة الشركاء، فليس أحد منهم يرضى بالانصاف، فهو لا يقدر أن يرضيهم أصلا (ورجلا سالما) أى من نزاع (لرجل) فليس فيه لغيره شركة ولا علاقة أصلا، فهو أجدر بأن يقدر على رضاه مع راحته من تجاذب الشركاء - هذا على قراءة المكي والبصرى، وعلى قراءة الباقيين بحذف الألف وفتح اللام ١٠ هو وصف بالمصدر على المبالغة .

ولما انكشف الحال فيها جدا قال: (هل يستويان) أى الرجلان يكون أحدهما مساويا للآخر بوجه من الوجوه / ولو بغاية الجهد والعناية . / ٤٩٣
ولما كان الاستواء مبهما قال: (مثلا) أى من جهة المثل، أى هل يستوى مثلها أى يجمعها مثل واحد حتى أن يكونا هما متساويين فهو ١٥ تمييز محول فى الأصل عن الفاعل، والجواب فى هذا الاستفهام الإنكارى قطعا: لا سواء، بل مثل الرجل السالم فى غاية الحسن فكذا ممثوله وهو القانت المخلص، ومثل الرجل الذى وقع فيه التشاكس فى غاية القبح فكذا ممثوله وهو الداعى للأنداد .

(١) من ظ ومه . وفى الأصل وم: الاشتباه (٢) راجع نثر المرجان ١٤٥/٦ .

و لما علم بهذا المثل المضروب للرجلين سفول المشترك و هو الداعى
 للانداد، و علو السالم و هو القانت، ظهر بذلك بلا ريب حقارة المتشاركين
 و جلالة المنفرد و هو الله، فأتيج قطعاً قوله: ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة
 بأوصاف الكمال ﴿ لله 'ج' ﴾ الذى لا مكافئ له، يعلم ذلك كل أحد لما له
 من الظهور لما عليه من الدلائل، فلا يصح أن يكون له شريك ه
 ﴿ بل أكثرهم ﴾ أى الناس ﴿ لا يعلمون ه ﴾ لأنهم يعملون بما لا يليق
 بهذا العلم فيشركون به إما جلياً و إما خفياً، و يجوز أن يقال: له الكمال
 كله، فليس المتفتون^٢ إلى غيره أدنى التفات علماء، بل لا علم لهم أصلاً،
 و هم المشركون شركاً [جلياً -^٤]، و أما أصحاب الشرك الخفى^٥ بهم، و إن
 كان لهم علم - فليس بكامل .

١٠

و لما كان السالم مثلاً له صلى الله عليه و سلم و لاتباعه، و الآخر
 للمخالفين، و كان سبحانه قد أثبت جهلهم، و كان الجاهل ذا حجة
 و إباء^٦ لما يدعى إليه من الحق و عصيته :

و الجاهلون لأهل العلم أعداء

فكان لذلك التفكر^٦ فى أمرهم و ما يؤدى [إليه -^٤] من التقاعد عن ١٥
 الاتباع و التصويب بالأذى و لاسيما و هم أكثر من أهل العلم مؤديا

- (١) وقع فى الأصل و ظ بعد « الحمد » و الترتيب من م و مد (٢) من م
 و مد، و فى الأصل و ظ : يعلمون (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ :
 المتفتون (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : إباء .
 (٦) زيد فى الأصل : فى أصابهم و ، و لم تكن فى ظ و م و مد فخذناها .

إلى الأسف وشديد القلق فكان موضع أن يقال : فما يعمل ؟ وكان لا ينبغي في الحقيقة أن يقلق إلا من ظن دوام النكد ، قال تعالى مسلما ومعزيا وموسيا في سياق التأكيد^١ ، تنديها على أن من قلق كان حاله مقتضيا لإنكار انقطاع التأكيد : (انك) فخصه صلى الله عليه وسلم .
 ٥ لان الخطاب إذا كان للرأس كان اصدع^٢ لاتباعه ، فكل موضع كان للاتباع وخص فيه صلى الله عليه وسلم بالخطاب دونهم فهم المخاطبون في الحقيقة على وجه أبلغ .

ولما لم يكن لممكن من نفسه إلا العدم قال : (ميت) أى الآن لان هذه صفة لازمة بخلاف مايت^٣ [يعنى -^٢] : فكان كالميت بين ١٠ يدى الغاسل فانك مستريح قريبا عما^٤ تقاسى من أنكادهم^٥ ، وراجع إلى ربك ليجازيك على^٦ طاعتك له (وانهم) أى العباد كلهم أتباعك وغيرهم (ميتون ذ) فنقطع ما هم فيه من اللدد^٧ والعيش والرغد .
 ولما كان الشفاء الكامل إنما يكون بأخذ اثار ، وإذلال الظالم . قال مشيرا بأداة التراخي إلى مدة البرزخ مؤكدا لأجل إنكارهم البعث ١٥ فضلا عن القصاص صادعا [لهم -^٢] بالخطاب بعد الغيبة : (ثم انكم) [أى^٢] أبها العباد كلكم ، فان كل أحد مسئول عن نفسه وعن غيره

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل وم : التنكيد (٢) من م و مد ، وفى الأصل وظ : اصرح (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل وم : ما (٥) من م و مد ، وفى الأصل وظ : انكارهم (٦) من م و مد ، وفى الأصل وظ : عند (٧) من م و مد ، وفى الأصل وظ : اللدود .

هل راعى^١ حق الله فيه ، أو أنت و هم من باب تغليب^٢ المخاطب و إن كان واحدا^٣ لعظمته على^٤ الغائبين ، وزاد في إثبات المعنى بقوله : (يوم القيمة) فساقه مساق ما لا خلاف فيه ، و بين أن ذلك الحال مخالف لهذا الحال لانقطاع الأسباب بقوله ، صارفا القول إلى وصف التربة الذى يحق له الفضل على الطائع و العادل فى العاصى (عند ربكم) ه

أى الربى لكم بالخلق و الرزق ، فلا / يجوز فى الحكمة أن يدعى^٥ بى ٤٩٤ / بعضكم على بعض كما هو مشاهد من غير حساب كما أن أفلكم عقلا لا يرضى بذلك فى عبيده الذين ملكه الله إياهم ملكا ضعيفا ، أو ولاء عليهم ولاية منزلة ، فكيف بمن فوفه فكيف بالحكام (تختصون) أى تبالغون فى الخصومة لياخذ بيد المظلوم و ينتقم له من الظالم ، و يجازى ١٠ كلا بما عمل ، أما فى الشر فسوءا بسوء ، لا يظلم مثقال ذرة و لا مادونه ، و أما فى الخير فالخسنة بعشرة^٦ أمثالها - إلى ما فوق ذلك مما لا يعلمه غيره ، فلا ينبغي أبدا للمظلوم أن يتوهم دوام نكده . عدم الأخذ بيده فيقتصر فى العمل و ينجح إلى شئ من الخوف و الوجمل ، بل عليه أن يفرح بما يحزل ثوابه ، و يسر بما يسر حسابه ، و يشتغل بما يخلص به ١٥ نفسه فى يوم التلاق الذى الناس فيه فريقان ، و لا يشتغل بما لا يكون

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : رعى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تغليب (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : واحد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٥) فى ظ و م و مد : بعشر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بما .

من تصفية دار الكدر عن الاكدار، وقرارة الدنس عن الاقذار
 و' الاقدار . فان الدرام فيها محال على حال من الاحوال ، قال القشيري :
 نعاه صلى الله عليه وسلم إليه ونعى المسلمين إليهم فقرغوا بأنفسهم عن
 مآثمهم^١ . ولا تعزية في العادة بعد ثلاث ، ومن لم يتفرغ عن^٢ مآثم
 نفسه وأنواع اغموه^٣ وهوميه^٤ ، فليس له من هذا الحديث شمة ، وإذا
 فرغ [قلب - °] عن^٥ حديث نفسه وعن الكون بحملته ، فحيث يجد
 الخير من ربه : وليس هذا الحديث إلا بعد فائهم عنهم ، وانشد بعضهم
 -^٦ يعني في لسان الحال بما قدمنا :

كتبت إليكم بعد موتى بليلة ولم أدرانى بعد موتى أكتب

١٠ انتهى . ومن المعلوم [أنهم -^٧] إذا أمانوا نفوسهم حيث أرواحهم ،
 فانفسحت صدورهم ، واتعشت قوى قلوبهم فانسعت علومهم ،
 واستنارت فهمهم ، ونجحت لهم حقائق الأمور ، فحدثوا عن مشاهدة
 "الناس نيام" فاذا ماتوا انتبهوا .

ولما أخبر سبحانه بأنهم جعلوا لله أندادا ، وأعلم بأنهم كذبه في

١٥ ذلك كافرون ساترون للحق . وأنه لا يهدي من هو كاذب كفار ،

وأخبر أنه لا بد من خصام الداعي لهم بين يديه سبحانه ، لأنه لا يجوز

(-) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) في الاصل وظ بياض ، ملأناه
 من م و مد (٣) من مد ، وفي الأصل وظ و م : من (٤ - ٤) سقط ما بين
 الرقین من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، وفي الأصل
 وظ : من (٧) زيد من ظ و م و مد .

في الحكمة تركهم هملا كما هو مقرر في العقول و موجود في الفطر
الاولى، و معلوم بالمشاهدة من أحوالهم فينعم على المظلوم، و ينتقم من
الظالم، و كان الكاذب في أقل الأشياء ظالما، و أظلم منه الكاذب على
الأكابر، و أظلم الظالمين الكاذب على الله، قال تعالى مسيا عما مضى :
(فن اظلم) أي منهم - هكذا كان الأصل ولكنه قال : (ومن كذب) هـ
تعميما و تعليقا بالوصف، فكفر بستر الصدق الثابت و إظهار ما
لاحقيقة له .

و لما كان الكذب عظيم القباحة في نفسه فكيف إذا كان [كما
مضى على الأكابر فكيف إذا كانوا ملوكا، فكيف إذا كان - ']
على ملك الملوك، لفت القول إلى مظهر الاسم الأعظم تنبيها على ذلك ١٠
فقال : (على الله) أي الذي الكبرياء رداؤه و العظمة إزاره، فن
نازعه واحدة منهما قصمه . فزعم في كذبه أن "له سبحانه" أندادا،
و شركاء و أولادا .

و لما كان وقوع الحساب يوم القيامة حقا لكونه واقعا لا محالة
وقوعا يطابق الخبر عنه، لما علم من أنه لا يلبق في الحكمة غيره . لما علم ١٥
من أن أقل الخلق لا يرضى أن يترك عبيده سدى، فكيف بالخالق ؟ فكان
الخبر به صدقا لو وقع العلم القطعي بأنه يطابق ذلك الواقع قال :
(و كذب) / أي لوقع التكذيب لكل من أخبره (بالصدق)
[أي - '] الإخبار بأن الله واحد، و أنه يبعث الخلائق للجزاء المطابق

(١) زيد من م و مد (r-r) من م و مد . وفي الأصل و ظ : هـ .

كل منهما للواقع لما دل على ذلك من الدلائل المشاهدة^١ (اذ جاءه^٢)
 أى من غير توقف ولا نظر فى دليل، كما هو دأب المعاندين، أولئك
 هم الكافرون لهم ما يضرهم من عذاب جهنم، ذلك جزاء المسيئين .
 و لما كان قد تقرر كالشمس أنه لا يسوغ فى عقل عاقل ترك
 ٥ الخلق سدى، فكان يوم الدين معلوماً قطعاً، و كان معنى هذا الاستفهام
 الإنكارى نفى مدخوله فترجمته: ليس أحد أكذب منهم، و كان عرف
 اللغة فى تسليط هذا النفي على صيغة أفعل [إثبات مدلول أفعل -^٣]
 ليكون المعنى أنهم أكذب الخلق، فكان التقدير: أليس هذا الكاذب
 المكذب عاقلاً يخشى أن يحاسبه الله الذى خلقه؟ أليس الله المتصف
 ١٠ بجميع صفات الكمال يحاسب عباده كما يحاسب كل من الخلائق من
 تحت يده؟ أليس يحبس الظالم منهم فى دار انتقامه كما يفعل أدنى
 الحكام؟ أليس دار انتقامه جهنم التى تلقى داخلها بعبوسة وتجهم؟
 نسق به قوله: (ليس فى جهنم) أى النار التى تلقى داخلها بالتجهم
 والعبوسة كما [كان^٤] يلقى الحق وأهله (مثنوى) أى منزل مهياً
 ١٥ للإقامة فيه على وجه اللزوم لهم . هكذا كان الأصل، ولكنه قال
 تعميلاً تعليلاً بالوصف مينا أن الكذب كفر أى سر للصدق وإظهار
 لما لا حقيقة له، والتكذيب بالصدق كذلك (للكافرين) أى الذين
 سترُوا كذبهم فالبسوه ملابس^٥ الصدق و سترُوا الصدق الذى كذبوا به،

(١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: الشاهدة (٢) من ظ و م و مد، وفى
 الأصل: معلوم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م و مد (٥) من م
 و مد، وفى الأصل و ظ: ما لا بس .

ذلك جزاء المسيئين لأنهم ليسوا بمتقين ، فأقام سبحانه هذه المقدمة دليلا على تلك المقدمات كلها .

ولما ذكر [سبحانه الظالمين بالكذب ذكر - ١] أضدادهم الذين يخاصمونهم عند ربهم وهم المحسنون بالصدق [فقال - ١] : ﴿ والذى ﴾ أى الفريق الذى ﴿ جاء بالصدق ﴾ أى الخبر المطابق للواقع ، فصدق هـ على الله ، و تعريفه يدل على كماله . فيشير إلى أن الإتيان به ديدنه لا يعتمد كذبا ﴿ وصدق به - ١ ﴾ أى بكل صدق سمعه وقام عليه الدليل ، وليس هو بمحموده عدو ما لم يعلم ، فهو يكذب بكل ما لم يسمع ، فنأعدل منه^١ ليكون صدق على الله وصدق بالصدق إذا ما استمر عليه ، ولعله أفرد الضمير إشارة إلى قلة الموصوف بهذا الوصف من ١٠ الصدق ، وهذا الفريق هو الرسل وأتباعهم ، ولذلك حصر التقوى فيهم ، فقال مشيرا بالجمع إلى عظمتهم وإن كانوا قليلا : ﴿ أولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ هم ﴾ أى خاصة^٢ ﴿ المتقون هـ ﴾ الذين جانبوا الظلم ، فليس لجهم عليهم سبيل ، ولا لهم فيها منزل ولا مقيل . بل الجنة منزلهم ، اليس فى الجنة منزل للمتقين ؟ فالآية من الاحتباك : ذكر أولا المثوى فى ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) من م و مد ، وفى الأصل وظ : عدوا (٥ - ٥) من مد ، وفى الأصل وظ و م : عدل عنه - كذا . (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : هم (٧) زيد فى الأصل : هم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها .

جهنم دليلاً على حذف ضده [ثانياً . و الالتقاء ثانياً دليلاً على حذف ضده -١] أولاً . و سره أنه ذكر [أنكأ -١] ما للجرم من الكفر و سوء الجزاء . و أسر ما للسلم من قصر التقوى عليه ، و ذكر أحب جزائه إليه . و الإشارة إلى عرافته في الإحسان ، و في الآيات احتباك [آخر -١] هـ . و هو أنه ذكر الكذب و التكذيب أولاً دليلاً على الصدق و التصديق ثانياً ، و الالتقاء و جزاءه و ما يتبعه ثانياً دليلاً على ضده أولاً ، و سره أنه ذكر في شق المسئء أنكأ ما يكون من الكذب و التكذيب في أقبج مواضعه ، و لاسيما عند العرب ، و أسر ما يكون في شق المحسن من استقامة الطبع و حسن الجزاء .

١٠ / ٤٩٦

و لما مدحهم على تقوأم . قال في جواب / من سأل عن ثوابهم :

فقال [لافنا القول إلى صفة الإحسان تعريفاً بمزيد إكرامهم -٢] :

(لهم ما يشآون) أى يتجدد لهم إرادته متى أردوه (عند ربهم) أى المحسن إليهم اللطيف بهم في الدنيا و الآخرة لأنهم سلبوا له في الأولى ما يشاء ، فلم لهم في الأخرى ما يشاؤون . و لما كان هذا أعظم

١٥ الجزاء . مدحه على وجه بين علته و أوجب عمومته فقال : (ذلك) أى

الثواب الكبير (جزأوا المحسنين) أى كل من اتصف بالإحسان كما تصفوا به بالتقوى . فأحبه الله سبحانه كما أحبه . فكان سمعته الذى يسمع به . و بصره الذى يبصر به . و يده التى يبطش بها . و رجله التى

١١ زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد . و في الاصل : ثواب

هؤلاء المطيعين و ما أعد لهم (-) زيد من م و مد .

بمشی بها .

و لما كان العاقل من قدم في كل أمر الام فالام فيز^١ بين خير
 الخيرين فأتبعه . و شر الشرين فاجتنبه . كان المحسن من جعل اكبر ذنوبه
 نصب عينيه^٢ و عمل على هدمه ، فلذلك علل الإحسان بقوله : ﴿ ليكفر ﴾
 أى يستر سترًا عظيمًا كأنه قال : المحسنين الذين أحسنوا لهذا الغرض . ه
 و يجوز أن يكون التعليل للجزاء ، و عبر بالاسم^٣ الأعظم لفتا عن صفة
 الإحسان [إشارة -^٤] إلى عظيم الاجتهاد في العمل [و -^٥] الإيذان
 بأنه لا يقدر على الغفران لمن يريد إلا مطلق التصرف فقال : ﴿ الله ﴾
 أى الذى نصب المحسن جلاله و جماله بين عينيه . فاستغفرو في صفاته
 ابتغاء مرضاته ، فعبدته كأنه يراه ، و حقق الامر باعترافهم بالخطأ^٦ ١٠
 و قصدتم التكفير لما أهمهم فعلهم له بقوله : ﴿ عنهم اسوأ ﴾ العمل
 ﴿ الذى عملوا ﴾ و تابوا عنه بالندم و الإقلاع و العزم على عدم
 [العود -^٧] و قد علم أنه إذا عصى الأكبر انمحي الأصغر لأن الحسنات
 يذهبن السيئات ، فله در أهل البصائر [و الإحلاص -^٨] في الإعلان
 [و السرائر -^٩] . و لما أخبر بالطهیر من^{١٠} أضرار السيء^{١١} ، أتبعه ١٥
 [الإخبار -^{١٢}] بالتبوير بأنوار الحسن فقال : ﴿ و يحزيمهم اجرهم ﴾

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ . فيزه (٢) فى م و مد : عينه (٣-٢) من
 م و مد ، و فى الأصل و ظ : عظم عن لاسم (٤) زيد من م و مد (٥) زيد
 من م و مد (٦) من م و مد . و فى الأصل و ظ : بالخطاب (٧-٦) من
 م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوصاف السيء .

أى الذى تفضل عليهم بالوعد به .

ولما كان تعالى مفضلاً يزيد العمل الصالح ويريه، زاد الجار فى
الجزء إعلاما 'بأنه يحصل' الأعمال الصالحة كلها مثل أعلاما فقال :
(باحسن) . ولما كان مقصود هذه السورة أخص من مقصود سورة
النحل، وكانت «الذى» [و-٢] «من» أقل إيهاما من «ما» قال :
(الذى) أى العمل الذى، وهو كالأول من إضافة الشيء إلى ما هو
بعضه كحاتم فضة، وأشار إلى مداومتهم على الخير بالتعبير بالكون
والمضارع فقال : (كانوا يعملون) مجددين له وقتا بعد وقت لأنه^٢
فى طبائعهم . فهم عريقون فى تعاطيه، فمن كان فى هذه الدار محسنا فى
١٠ وقت ما يعبد الله كأنه يراه فهو فى الآخرة كل حين يراه، قال القشيري،
ثم يجب أن يكون على أحسن الأعمال أحسن اثواب، وأحسن الثواب
الرؤية، فيجب أن يكون على الدرهم . وهذا استدلال قوى .

ولما فهم من قوله "وكذب بالصدق اذ جاءه" أن المشركين
يكذبونه، وكان من طبع الآدمى الاهتمام بمثل ذلك ولا سيما إذا
١٥ كان المكذب كثيرا وقويا، وتقرر أنه سبحانه الحكم العدل بين المتخاصمين
وغيرهم فى الدنيا والآخرة . ولزم كل سامع الإقرار بالآخرة، وبشر
المحسنين وحذر المسيئين . وكان من المعلوم أنهم يحذرونه آلهتهم كما
يحذرون إلهه، حسن كل الحسن قوله مقرا للكفاية غاية الإقرار، ومنكرا

(١-١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بجمل (٢) زيد من ظ و م و مد .

(٢) من مد، وفى الأصل و ظ و م : كأنه (٤) فى ظ : أحسن .

لنفها كل الإنكار: ﴿ليس الله﴾ أى الجامع لصفات العظمة كلها
 المنعوت بنعوت الكمال من الجلال [والجمال -] ، و أكد المراد بزيادة
 الجار لما عندهم من الجزم بأنهم غالبون فقال: ﴿بكاف﴾ وحق المناط
 بالإضافة فى قوله: ﴿عبد﴾ أى الخالص له الذى لم يشرك به أصلا كما
 تقدم فى المثل ممن كذبه وقصد مساوته . فينصره عليهم حتى يظهر دينه ٥
 ويعلى أمره ويغنيه عن أن يحتاج إلى غيره أو يمنح إلى سواه ،
 باعتقاد أن فى يده شيئا يستقل به ، وهذا لا ينافى السعى فى الأسباب
 مع اعتقاد أنها بيد الله ، فإن شاء ربط بها المصيات ، وإن شاء اعظمها ،
 بل السعى أكمل^٢ ، لأن ترتيب الأسباب بوضع الحكيم فالسعى فى
 طرحها ينافى وضع الحكمة ، وقرأ حمزة والكسائي و أبو جعفر: عباده - ١٠
 بالجمع بمعنى الرسول و أتباعه .

و لما كان الجواب قطعاً: بلى ، إنه ليكنى من يشاء ، و الأصنام الممثلون
 بالشركاء المتشاكسين لا يكفون من تولايم ، بنى على ذلك حالا عجيبا من
 أحوالهم ، فقال معجبا منهم و متهمكا بهم: ﴿و يخوفونك﴾ أى عباد
 الأصنام يعلمون أن الله يكنى من أراد^١ أن الأصنام لا كفاية عندها ١٥
 بوجه و الحال أنهم يخوفونك . ولما كان الخوف ممن له اختيار ، فإن
 كان عاقلا كان أقوى لمخالفته ، وكان من المعلوم بديهة أنه لا اختيار لهم
 (١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : اعظمها .
 (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بالاكمل (٤) راجع ثر المرجان ١٠٥١/٦ .
 (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كالا (٦) سقط من ظ .

فضلا عن العقل ، قال تهكما بهم بالتعبير بما يعبر به عن الذكور [العقلاء -^١]
 لكونهم ينزلونهم بالعبادة وغيرها منزلة العقلاء مع اعترافهم بأنهم لا عقل
 لهم ، فصاروا بذلك ضحكة وشهرة بين الناس : ﴿ بالذين ﴾ وبين
 حقارتهم بقوله : ﴿ من دونه ﴾ وهم معبوداتهم ضلالا عن المحجة فيقولون :
 ه إنا نخشى عليك أن يخبلك آلهتنا كما قالت عاد لهُود عليه السلام " أن
 نقول إلا اعترمك بعض 'التهتا بسوء' " و سياتى التعبير عنهم بالتأنيث
 زيادة في توبيخهم .

ولما كان من الحق الواضح كالشمس أن ما قالوه لا يقوله عاقل ،
 وكان التقدير : فقد أضلهم الله إهانة لهم وهداك إكراما لك ، بين أنه
 ١٠ سبحانه قسرم على ذلك ليكون إضلاله لهم آية كما أن هداه لمن هداه
 آية . فقال مخففاً عنه صلى الله عليه وسلم في إذهاب نفسه عليهم حسرات
 دامغا لتفدرية : ﴿ ومن يضل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا يرد
 أمره ﴿ فإله ﴾ لأجل أنه [هو -^٢] الذى أضله ﴿ من هاد ﴾ أى
 تخفض من حزنك عليهم ﴿ ومن يهد الله ﴾ أى الذى لا يعجزه شيء
 ١٥ أبداً ﴿ فإله من مضل ﴾ فهو سبحانه يهدى من شاء منهم إن أراد .
 ولما لم تبق شبهة ولا شيء من شك أن الهادى المضل إنما هو
 الله وحده وأنه جعل شيئا واحدا سببا لضلالات قوم ليكون ضلالهم

- (١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م ومد ، وفي الأصل و ظ : محققا .
 (٣) من ط و م ومد ، وفي الأصل : ولا يراد (٤) زيد من م ومد .
 (٥) سقط من ظ و م ومد (٦) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : يشاء .

في الظاهر علة للنقمة . و هدى لآخرين فيكون هدام سببا للنقمة . بلغ
النهاية في الحسن [قوله - '] : ﴿ اليس الله ﴾ أى الذى بيده كل شئ .
﴿ يعزبز ﴾ أى غالب لما يريد في إضلاله قوما يدعون أنهم النهاية في
كمال العقول لما هدى به غيرهم ﴿ ذى انتقامه ﴾ أى له هذا الوصف ،
فمن أراد النقمة منه سلط عليه ما يريد مما يحزنه و يذله كما [انه - '] ٥
إذا أراد يعصيه عن نور^٢ النور و بضله .

١ . لما علم بهذه البراهين أنه سبحانه المتصرف في المعاني بتصرفه في
القلوب بالهداية و الإضلال . و كان التقدير : فلئن قررتهم بهذا الاستفهام
الإنكارى ليقول : بلى ! عطف عليه بيان أنه الخالق للذات كما أنه المالك
للمعاني و الصفات . فقال مقصدا لدينهم باعترافهم بأصليين : القدرة التامة ١٠
[له - '] و العجز الكامل لمعوداتهم : ﴿ ولئن سألتهم ﴾ أى فقلت لمن
شئت منهم فردى أو مجتمعين : ﴿ من خلق السموات ﴾ أى على ما لها من
الاتساع و العظمة و الارتفاع ﴿ و الارض ﴾ على ما لها من العجائب
و فيها من الاتساع ﴿ ليقولن ﴾ بعد تخويفهم لك بشركانهم الذين هم من
٤٩٨ / جملة خلق من أرسلك بما أنت فيه : الذى خلقها بـ الله^٣ أى بوحده ١٥
الذى لاسمى له و لا للناس يوجه في أمره . و لا يصدم عن ذلك الحياة
من التناقض و [لا - '] الخوف من الله فت بالتعارض *

١١ زيد من م و مد م من م و مد م وى الأصل و ظ م م م م
م و مد م وى الأصل و ظ م م م م م م م م م م م م م م م م
م و مد م وى الأصل و ظ م م م م م م م م م م م م م م م م

و لما كان هذا مخبراً لآله بين و لابد أنهم لا يقبلون ولا يعرضون،
كان كأنه قيل : فاذا أصنع ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ مسبا عن اعترافهم له
سبحانه بجميع الامر قوله مقررا بالفرع بعد إقرارهم بالأصل ، و مقررا
بتخويفهم عن ليس له أمر بعقد ولا حل : ﴿ افرءيتم ﴾ .

و لما كان السائل النصوح ينبغي [له -^٢] أن ينبه الخصم على محل
النكته^٣ لينتبه من غفلته فيرجع عن غلطته ، عبر بأداة ما لا يعقل عن
معبوداتهم بعد التعبير عنها سابقا بأداة الذكور العقلاء ياناً لغلطهم ،
فقال معبرا عن مفعول " رايت " الأول و الثاني جملة الاستفهام ،
﴿ ما تدعون ﴾ اى دعاء عبادة ، [و -^٤] قرر بعدم عن التخويف
بهم بادعاء إلهيتهم بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ اى الذى هو ذو الجلال
١٠ و الإكرام فلا شيء إلا و هو من دونه و تحت قهره ، [و لما كانت العافية
اكثر من البلوى ، أشار إليها بأداة الشك و نبه على مزيد عظمته سبحانه
بإعادته الاسم الأعظم فقال -^٥] : ﴿ ان ارادى الله ﴾ اى الذى لا راد
لامره . و لما كان درأ المفسد مقدما قال : ﴿ بضر ﴾ اى إن أظعكم^٦
١٥ فى الجنوح إليها خوفا منها . و بالغ فى تنبيههم بصحاح لهم ليرجعوا عن
ظاهر غيهم بما ذكر من دناءتها و سقوطها بانيألت بعد سقوطها بعدم العقل
مع دناءتها نالجز و بعد اتهمهم بالتعبير عنها بأداة الذكور العقلاء فقال :

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مخبرا (٢) زيد م ر ط و م و مد .
(٣) من ط و م و مد ، و فى الأصل : النكته (٤) زيد م م و مد (٥) زيد
من مد (٦) من ط و م و مد ، و فى الأصل : المهكم (٧) من ط و م و مد ،
و فى الأصل : نصا .

(هل من) أى هذه الأوثان التى تعبدونها (كشفت) أى غنى مع
اعترافكم بأنه لا خلق لها وأنها مخلوقة لله تعالى (ضرة) أى الذى أصابنى
به نوعا من الكشف، لأرجوها فى وقت شدتى (أو ارادنى برحمة)
لطاقتى إياه فى توحيده، وخلق ما سواه من عبيده (هل من ممسكت)
أى غنى (رحمة) أى لأجل عصياني لمن نوع إمساك، لأطيعكم فى هـ
الخوف منهم - هذه قراءة أبى عمرو بالتوين وإعمال اسم الفاعل بنصب
ما بعده، وهو الأصل فى اسم الفاعل، والباقون بالإضافة، و "لا فائدة"
غير التخفيف، وقد يتخيل منها أن الأوثان محصنة بهذا المعنى معروفة .
ولما كان من المعلوم أنهم يسكتون عند هذا السؤال لما يعلمون

من لزوم التناقض إن أجابوا بالباطل، ومن بطلان دينهم إن أجابوا ١٠
بالحق، وكان الجواب قطعاً عن هذا: لا أسواء نطقوا أو سكتوا، تحرر
أنه لا متصرف بوجه إلا الله، فكانت النتيجة قوله: (قل) إذا ألقمتمهم
الحجر: (حسى) أى كافى (الله) الذى أفردته بالمعبادة لأن له
الأمر كله مما يخوفون به ومن غيره (عليه) وحده لأن له الكمال
كله (يتوكل المتوكلون) أى الذين يريدون أن يعلو أمرهم كل أمر، ١٥
وأمره بالقول إعلاما بأن حالهم عند هذا السؤال التناقض

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: لأرجوها (٢) من م ومد، وفى
الأصل و ظ: سرتى (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: توحيد (٤) راجع
نثر المرجان ٦ / ١٥٤ (٥ - ٥) من مد، وفى الأصل و ظ: لا فائدة، وفى
م: لا فائدة .

الظاهر جدا .

ولما كانوا مع هذه الحجج لقاطعة ، و الأدلة القامعة والبراهين
الساطة ، التي لا دافع لها بوجه ، كالبهايم لا يصرون إلا الجزئيات حال
وقوعها . قال مهددا مع الاستعطاف : ﴿ قل ينقوم ﴾ أي [يا - ']
ه أقاربي الذين أرجوهم ^١ عند الملأ ، وفيهم كيفية في القيام بما
يحارونہ ﴿ اعملوا ﴾ أي اعملوا أفعالا مبنية على العلم ﴿ على مكاتكم ﴾
أي حالتكم التي ترتبتم فيها و جدم عليها لأنه جلة لكم من الكون
، الممكنة لتبصروا حقائق الأمور ، فتستقلوا عن أحوالكم السائلة إلى المنازل
العالية . فكأنه يشير / إلى أنهم كالحیوانات المعجم ، لا اختيار لهم ويعرض
٤٩٩ /
١٠ بالعمل الذي مبناه العلم ، والمكانة التي محطها الجود بأن أفعالهم ليس
فيها ما ينفي على العلم ، وإنما هي جزاف لا اعتبار لها ولا وزن لها .
ثم اجاب من عساه أن يقول له منهم : فماذا تعمل أنت ؟ بقوله :
﴿ اني عامل ج ﴾ على كفاية الله لي ، ليس لي نظر إلى سواه ، ولا أخشى
غيره . وليس لي مكانة ألزم الجود عليها ، بل انا واقف مع ما يرد
١٥ من عند الله ، إن تقلني انتقلت ، وإن أمرني بغير ذلك امتثلت ، وأما
مرتقب كل وقت [للزيادة ، ثم سبب عن قول من لعله يقول منهم :
وماذا تساه يكون قوله ؟ أي بما بانه - *] على ثقته من أمره . لأن الخبر
له [به - '] الله : ﴿ فسوف تعلمون لا ﴾ أي بوعده لاخلف فيه
(١) زيد من م ومد (٢) في ظ وم ومد : ارجوهم (٣) في ظ وم : بما .
(٤) من ظ وم ومد . وفي الأصل : حبلا (٥) زيد من ظ وم : بمد .
من

(من ياتيه) أى منا ومنكم (عذاب يخزيه) بأن يزيل عنه كل شيء يمكنه أن يستعذبه (ويجلى عليه) أى يجب فى وقته، من حل عليه الحق يجلى باليكر أى وجب، والدين: صار حالاً بحضور أجله (عذاب مقيم) لإقامته على حاله وجوده على ضلأته، ومن يؤتبه الله تتصاراً عليه وينقله إلى نعم عظيم، لانتقاله بارتقائه فى مدارج الكمال، بأوامر ذى الجلال والجمال، ولقد علموا ذلك فى قصة المستهزئين ثم فى وقعة بدر فإن من أهلكه الله منهم جعل إهلاكه أول عذابه ونقله به إلى عذاب البرزخ ثم عذاب النار، فلا انفكاك له من العذاب، ولا رجاء لحسن المآب.

ولما تجلت عرائس هذه المعاني آخذة بالآلآب، ولعت سيوف ١٠ تلك المباني من^١ المثاني قاطعة للرقاب، وختمها بما ختم من صاعد^٢ الإرهاب، أمتجت ولا بد قوله معلا لإتيان ما توعدهم به مؤكدا لما لهم من الإنكار لضمون هذا الإخبار: (نأنا أنزلنا) أى بما لنا من باهر العظمة وناقد الكلمة. ولما كان توسط الملك خفياً، لم يعده فأسقط حرف

الغاية لفهاما لأنه فى الحقيقة بلا واسطة بعد أن أثبت وساطته أول السورة ٥ [فقال -] [مقرونا بالأمر بالعبادة، إشارة إلى بداية الحال، فلما حصل ألتمكن فصار الكتاب خلقاً له صلى الله عليه وسلم و صار ظهوره فيه هادياً لغيره، به على ذلك بأداة الاستعلاء فقال: (عليك) أى خاصة

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: جعله (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: عن (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: صار (٤) ريد من م و مد.

لا على غيرك من أهل هذا الزمان ، لأنك عندنا الخالص لنا دون أهل
 القريتين و دون أهل الأرض كلهم ، لم يكن [لشيء - ١] دوننا فيك
 حظ (الكتب) الجامع لكل خير لكونه في غاية الكمال بما دل عليه
 (الناس) عامة لأن رسالتك عامة (بالحق ج) مصاحبا له ، لا يقدر
 الخلق كلهم على أن يزيجوا معنى من معانيه عن قصده ، ولا لفظا من
 ألفاظه عن سيده و حده . بل هو معجز في معانيه - حاضرة كانت أو غائبة -
 و نظومه ، و ألفاظه و أسماء سورته و آياته و جميع رسومه ، فلا بد من
 إتيان ما فيه من وعد و وعيد .

ولما تسبب عن علم ذلك وجوب المبادرة إلى الإذعان له لفوز
 ١٠ الدارين ، حسن جدا قوله تعالى تسلية له صلى الله عليه وسلم لعظيم ما
 له من الشفقة عليهم و تهديدا لهم : (فن اهتدي) أى طاروع الهادي
 (فلفسه ع) أى فاهتدأوه خاص نفعه بها ليس لك فيه إلا أجر التسبب
 (و من ضل) أى وقع منه ضلال بمخالفته لداعى الفطرة ثم داعى
 الرسالة عن علم و تعمد ، أو إهمال للنظر و تهاون . ولما كان ربما وقع
 ١٠ فى وهم أنه يلحق الداعى بعد البيان من إثم الضال ، وكان السياق لتهديد
 الضالين ، زاد فى التأكيد فقال : (فانما يضل عليها ع) أى ليس عليك
 شيء من ضلاله ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

ولما هدى السياق إلى أن التقدير : فما أنت عليهم بجبار لتقهرهم

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : أى ، ولم تكن الزيادة فى م
 و مد لحذفها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بمخالفة .

على الهدى ، عطف عليه قوله : ﴿ وما أنت ﴾ أى فى هذا الحال ، ولمزيد
 العناية / بنى القهر قدم أداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم بوكيل ﴾ لتحفظهم
 عن الضلال ، فان الرسالة إليهم لإقامة الحجة لا لقدرة الرسول على هدايتهم
 ولا لعجز المرسل عن ذلك .

ولما كان الوكيل فى الشيء لا يصلح وكالته فيه إلا إن كان قادرا ه
 عليه بطريق من الطرق ، وكان حفظهم على الهدى وعن الضلال لا يكون
 إلا الحاضر لا يغيب ولا يعتره نوم ولا يطرقه موت ، لم تصح وكالة أحد
 من الخلق فيه ، وكان كأنه قيل : لانه ' لو وكل إليك أمرهم لضاعوا
 عند نومك وموتك ، فدل عليه بما أدى معناه وزاد عليه من الفوائد
 ما يعرف بالتأمل من تشبيه الهداية بالحياة واليقظة والضلال بالموت ١٠
 والنوم ، فكما أنه لا يقدر على الإمامة والإمامة إلا الله فكذلك
 لا يقدر على الهداية والإضلال إلا الله ، فمن عرف هذه الدقيقة عرف
 سر الله فى القدرة ، ومن عرف السر فيه هات عليه المصائب ، فهى
 تسلية له صلى الله عليه وسلم ، ' لفت القول إلى التعبير بالاسم الأعظم
 لاقتضاء الحال له ، وأسند التوفى إليه سبحانه لأنه فى بيان أنه لا يصلح ١٥
 للوكالة غيره أصلا ، فقال : ﴿ الله ﴾ أى الذى له مجامع الكمال ، وليس
 لشائبة نقص إليه سبيل ﴿ يتوفى الانفس ﴾ التى ماتت عند انقضاء
 (١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لأن (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین
 من م .

نظم الدرر (سورة الزمر ٣٩ : ٤٢) ج ١٦ -

آجالها، أى يفعل فى وفاتها فعل من يجتهد فى ذلك بأن يقبضها وافية
لا يدع شيئا منها فى شيء من الجسد، أو عبر عن جمع الكثرة بجمع
القلة إشارة إلى أنها وإن تجاوزت الحصر فهى كنفس واحدة، ولعله
لم يوحد لثلاث يظن أن الوحدة على حقيقتها (حين موتها) أى منعها
من التصرف فى أجسادها فى هذه الحياة الدنيا كائنه فى مماتها محبوسة
فيه مظلومة له، وعطف على الأنفس قوله: (والتي) أى وبتوفى
الأنفس التى (لم تمت) لأنها لم تنقض آجالها حين نومها كائنه
(فى منامها) بمنعها من التصرف بالحس والإدراك [مادام النوم موجودا
مظلومة له لا شيء منها فى الجسد على حال اليقظة، فالجامع بينهما عدم
١٠ الإدراك -] والشعور والتصرف، ولوقيل: بموتها وبمنامها، لم يفد
أن كلا من الموت والوفاة آية مغايرة للأخرى.

ولما كان النوم منقضيا، دلنا بقرانه بالموت على أن الموت أيضا
منقضى، ولا بد لأن الفاعل لكل منهما واحد، فسبب عن ذلك قوله:
(فيمسك) أى فيسبب عن الوفاة أنه يمسك عنده (التي قضى)
١١ أى ختم وحكم وبت بتا مقدرا مفروغا منه، وقراءة البناء للمفعول
موضحة لهذا المعنى بزيادة اليسر والسهولة (عليها الموت) مظلومة
لمناتها، لا تقدر على تصريف جسدها مادام الموت محبطا بها كما أن
النائمة كذلك ما دام النوم محبطا بها (وبرسل لآخرى) أى
التي آخر موتها، وجعلها مظلومة للمنام لأنها لم ينقض أجلها الذى

(١-١) سقط ما بين الرقيين من م (٢) زيد من م ومد (٣) راحم ثر المرجان ١٥٧/٦.

ضربه

ضربه لها بأن يفنى المنام فيوقظها لتصرف أسنانها، ويجعل ذلك الإمساك للينة، والإرسال للنائمة (إلى أجل مسمى) لبعث الميتة ولحوت النائمة، لا يعلمه غيره، فإذا جاء ذلك الأجل أمات النائمة وبعث الميتة، وقد ظهر من التقدير الذي هدى إليه قطعا السياق أن النفس التي تنام هي التي تموت وهي الروح، قال ابن الصلاح في فتاويه: وهو الأشبه بظاهر الكتاب والسنة - انتهى. وروى الطبراني في الأوسط - قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: تلتقي أرواح الأحياء والأموات، فيسألون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها. وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا أوى أحدكم إلى فراشه فليقل "باسمك ربّي وضعت جنبي اللهم إن أمسكت نفسي فارحها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" وظهر أيضا أن الآية من الاحتباك: ذكر الحين أولا دليلا على تقدير مثله في النوم ثانيا، والمنام ثانيا دليلا على حذف الملمات أولا.

ولما تم هذا تلى هذا الأسلوب الرفيع، والنظم المنبع، به على ١٥ عظمتة وما فيه من الأسرار بقوله مؤكدا قرعا لمن يرميه بالأساطير وغيرها من الأاطيل: (ن في ذلك) أي لأمر العظيم من الوفاة

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: كبث (٢) ي مد - الموتى (٣) من ظ و م ومد - وفي الأصل: موت (٤) في مجمع الزوائد ٧ / ١٠٠ (٥) من مد وجمع الزوائد، وفي الأصل و ظ و م: تلتقى (٦) راجع صحيحه ٢٥٥/٢ (الدعوات).

و النوم على هذه الكيفية والعبارة عنه على هذا الوجه (لايت)
 أى على أنه لا يقدر على الإحياء والحفظ غيره ، وأنه قادر على البعث
 وغيره من كل ما يريده (لقوم) أى ذوى قوة فى مزاولة الأمور .
 ولما كان هذا الأمر لا يحتاج إلى غير تجريد النفس من الشواغل والتدبر
 ه قال : (يتفكرون ه) أى فى عظمة هذا التدبير ليعلم به عظمة الله ، وذلك
 أن النفس جوهر روحانى له فى التعلق بالبدن ثلاث حالات : إحداها
 أن يقع ضوء النفس على البدن كله ظاهرا و باطنا ، وذلك هو الحياة
 مع اليقظة ، وثانيها انقطاع ضوء النفس عن البدن ظاهرا لا باطنا ، وذلك
 بالنوم ، وثالثها انقطاع ذلك ظاهرا و باطنا وهو بالموت ، فالموت والنوم
 ١٠ من جنس واحد إلا أن الموت انقطاع تام ، والنوم انقطاع ناقص ،
 فلا يقدر على إيجاد شيء واحد على نوعين ، ثم يجعلهما فى شيء واحد
 على التعاقب ويفصل كلا منهما من الآخر إلا هو سبحانه ، وكما قدر
 على إنهاء الموتة الصغرى بحد جعله لها فهو قادر على إنهاء الكبرى
 بمثل ذلك .

١٥ ولما أنتج هذا ، لابد نحو أن يقال توعدا لهم : هل علموا أنه
 لا يقوم شيء مقامه ، ولا [يكون -] شيء إلا بأذنه ، ولا يقرب أحد
 من القدرة على شيء من فعله ، فحقيف بالقرب* من رتبته فضلا عن
 (١) فى م و مد : إلتعلم (٢) زيد فى مد : هو (٣-٣) من ظ و م و مد ، وفى
 الأصل : فالنوم والموت (٤) زيد من م و مد (ه) من ظ و م و مد ،
 وفى الأصل : بالعرب .

عائلته ، فرجعوا عن ضلالهم ، عادله بقوله : ﴿ ام اتخذوا ﴾ أى كفوا
 أنفسهم بعد وضوح الدلائل عندها ان أخذوا ﴿ من دون الله ﴾ أى
 الذى لا مكافئ له ولا مدائن ﴿ شفعاء ﴾ أى تقرهم إليه زلنى فى الدنيا
 وفى الآخرة على تقدير كونها مع قيام الأدلة الشهودية عندهم على أنه
 لا يشفع أحد إلا عند من يصح أن يكافئه بوجه من الوجوه ، ولذلك هـ
 نبه على المعنى بقوله معرضا عنهم إشارة إلى سقوطهم عن الفهم :
 ﴿ قل اولو ﴾ أى أيتخذونهم لذلك [ولو - ٢] ﴿ كانوا لا يملكون شيئا ﴾
 أى لا تتجدد لهم هذه الصفة ﴿ ولا يعقلون هـ ﴾ كما يشاهد من حال
 أصنامكم .

ولما نفي صلاحية أصنامهم لهذا الأمر ، أشار إلى نفيه عما سواه ١٠
 بقصر الأمر عليه فقال : ﴿ قل لله ﴾ أى المحتوى على صفات الكمال
 وحده ﴿ الشفاعة ﴾ أى هذا الجنس ﴿ جميعا ١ ﴾ فلا يملك أحد سواه منها
 شيئا لكنه يأذن إن شاء فيما يريد منها لمن يشاء من عباده . ولما
 كان كل ما سواه ملكا له . و كان من المقرر أن المملوك لا يصح
 أن يملك شيئا يملكه سيده ، لأن المملكين لا يتواردان على شئ واحد ١٥
 من جهة واحدة ، علل ذلك - ٢ [بقوله : ﴿ له ﴾ أى وحده
 ﴿ ملك السموات والارض ١ ﴾ أى التى لا تشاهدون من ملكه سواهما
 و الشفاعة من ملكهما .

(١) سقط من م و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : انهم (٣) زيد
 من ظ و م و مد (٤ - ٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : منها سواه .

ولما كان الملوك ملكا ضعيفا قد يتغلب على مالكة فيناظره فيتأهل
 للشفاعة عنده ، نفي مثل ذلك في حقه سبحانه بقوله دالا على عظمة القهر
 بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم إليه ﴾ أى لا إلى غيره / ﴿ ترجعون ﴾ معنى
 فى الدنيا بأن ينفذ فيكم جميع أمره وحسا ظاهرا ومعنى فى الآخرة .
 ٥ ولما دل على أن شفعا هم ليست بأهل للشفاعة ، وعلى أن الأمر
 كله مقصور عليه ، وختم بأنه لا بد من الرجوع إليه المقتضى لأن تصرف
 المهم كلها نحوه ، وتوجه العزائم جميعها لتلقاه ، ولأنه لا يخشى سواه
 ولا يرجى غيره ، ذكر حالا من أحوالهم فقال : ﴿ وإذا ﴾ أى الحال
 ما ذكرناه وإذا ﴿ ذكر ﴾ وأعاد الاسم الأعظم ولم يضره تعظيما
 ١٠ لآمره زيادة فى تقيح حالهم فقال : ﴿ الله ﴾ أى الذى لا عظيم غيره
 ولا أمر سواه ﴿ وحده ﴾ أى دون شفعا them التى قد وضع أنه لا شفاعة
 لهم : ﴿ أشمأزت ﴾ أى نفرت كراهية وذعرا واستكبارا مع تعمّر
 الوجه وتقبضه قلوبهم - هكذا كان الأصل ، ولكنه قال :
 ﴿ قلوب الذين لا يؤمنون ﴾ أى لا يجددون^١ إيماننا ﴿ بالآخرة ج ﴾ بيانا
 ١٥ لأن الحامل لهم على ذلك إضاعة اعتقاد ما ختم به الآية من الرجوع
 (١) زيد فى الأصل : إليه أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لحذفها .
 (٢) زيدت الواو فى الأصل وظ ولم تكن فى م ومد لحذفها (٣-٣) سقط ما
 بين الرقيين من م (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : انهم (٥) من ظ و م
 ومد ، وفى الأصل : نمجر (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل :
 لا يجددون .

إليه الذي أتته وأظهره رجوع الآخرة ﴿ وإذا ذكر الذين ﴾ وبكت
 بهم في رضام بالأدنى فقال: ﴿ من دونه ﴾ أى الآوثان، وأكد فرط
 جهلهم في اتباعهم الباطل وجودهم عليه دون تلبث لنظر في دليل،
 أو سماع لقال أو قيل، بقوله: ﴿ إذا هم ﴾ أى بضائرهم [المفيضة - ٢]
 على ظواهرهم ﴿ يستبشرون ﴾ أى فاجأوا طلب البشر وإيقاعه أو بجديده ٥
 على سبيل الثبات فى ذلك كله سواء ذكر معهم الله أو لا، فلاستبشار
 حيثند إنما هو بالانداد، والاشتمزاز والاستبشار متقابلان لأن
 الاشتمزاز: امتلاء القلب غما وغيظا فيظهر أثره، وهو الانقباض فى أديم
 الوجه، والاستبشار: امتلاء القلب سرورا حتى يظهر أثره، وهو
 الانبساط والتهلل فى الوجه - قاله الزمخشري. والعامل فى ١٠ إذا،
 الأولى هو العامل فى الفجائية، أى فاجأوا الاستبشار وقت هذا الذكر،
 وعبر بالفعل أولا وبالاسمية ثانيا، ليفيد ذمهم على مطلق الاشتمزاز ولو
 كان على أدنى الأحوال، وعلى ثبات الاستبشار تقييحا لمطلق الكفر،
 ثم الثبات عليه فتحا لباب التوبة.

ولما نفي صلاحية الوكالة على الناس فى الهدى والضلال لغيره ١٥

[و - ٢] دل على ذلك بملكه وملكه وأخبر بتعمدهم الباطل، أنتج
 ذلك وجوب اللجوء إليه والإعراض عما سواه وقصر العزم عليه فقال

- (١) من م ومد، وفى الأصل وظ: اتباع (٢) زيد من ظ وم ومد.
 (٣-٣) سقط ما بين الرقين من م (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ:
 بالانذار (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: قال (٦) زيد من م ومد.

معلمًا بذلك ومعلمًا لما يقال عند مخالفة الداعي باتباع الهوى : ﴿ قل ﴾
 أى يا من نزل عليه الكتاب فلا يفهم عنا حق الفهم غيره راغبًا إلى
 ربك فى أن ينصرك عليهم فى الدنيا والآخرة : ﴿ اللهم ﴾ أى يا الله ،
 وهذا نداء محض ويستعمل أيضًا على نحو آخرين - ذكرهما ابن الحشاش
 ه الموصلى فى كتابه النهاية شرح الكفاية - أحدهما أن تذكر لتمكين
 الجواب فى نفس السائل كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لضمام بن ثعلبة
 رضى الله عنه حيث قال : الله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس ، فقال :
 اللهم نعم - إلى آخر ما قال له ، وسره أن المسئول إذا ذكر الله فى
 جوابه . كان ذكره إياه^١ أبعد للسائل على^٢ تصديقه^٣ لأنه أوفر فى
 ١. صدره إن لم يتصد لذكر الله ولم يكن بصدده ، وهو ممن يدين باستعمال
 الكذب ، والثانى أن^٤ يدل به على الندرة^٥ وقلة وقوع المذكور
 كقول المصنفين : لا يكون كذا [اللهم -^٦] إلا إذا كان كذا - كأنه
 استغفر الله من جزمه أو [لا -^٧] يسد الباب فى أنه لا يكون غير ما ذكره
 فقال : اللهم اغفر لى ، فانه يمكن أن يكون كذا - انتهى . ثم أبدل عند
 ١٥ / ٥٠٣ سيويه ووصف عند / غيره [فقال -^٨] : ﴿ فاطر ﴾ أى مبدع من العدم
 ﴿ السموات ﴾ أى كلهم ﴿ والارض ﴾ أى جنسها . ولما كانت القدرة

(١) سقط من م (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : عن (٣) من م
 ومد ، وفى الأصل وظ : انه (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الندارة .
 (٥) زيد من م ومد (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ان (٧) زيد
 من م وظ وم ومد .

لا تَم إلا بتمام العلم قال : ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ﴾ أى ما لا يصح عليه للخلق و ما يصح .

و لما كان غيره سبحانه لا يمكن له ذلك ، حسن التخصيص فى قوله :
 ﴿ انت ﴾ أى وحدك ﴿ تحم بين عبادك ﴾ أى أنا و هم و غيرنا فى الدنيا و الآخرة لا يحصى عن ذلك و لا يصح فى الحكمة سواء كما أن هـ كل أحد يحكم بين عبيده و من تحت أمره لا يسوغ فى رأيه غير ذلك
 ﴿ فى ما كانوا ﴾ أى دائماً بما اقتضته جلالتهم التى جبلتهم عليها
 ﴿ فيه يختلفون هـ ﴾ و أما غيرك فانه لا يعلم جميع ما يفعلون ، فلا يقدر على الحكم بينهم ، و أما غير ما هم عريقون فى الاختلاف فيه فلا يحكم بينهم فيه لأنه أما ما هيوا بفطرم السليمة و عقولهم القويمة للاتفاق عليه ١٠ فهو الحق ، و أما ما يعرض لهم الاختلاف فيه لأعلى سبيل القصد أو بقصد غير ثابت فهو بما تذهب الحسنات فعرف أن تقديم الظرف إنما هو للاختصاص لا للفاصلة .

و لما كان التقدير : فيعذب الظالمين فلو علموا ذلك لما ظنوا بادعائهم له سبحانه ولدا و شركاء يقربونهم إليه زلفى جهلا منهم بجلاله و نزاهته ١٥ عما ادعوه له و كماله ، عطف عليه تهويلا للأمر قوله : ﴿ و لو ان ﴾ و كان الأصل : لهم - ولكنه قال تعميما و تعليقاً بالوصف : ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى وقعوا
 (١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : يصلح (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كابتا (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من م .

في 'الظلم في شيء من الأشياء و لو قل (ما في الارض) و لما كان الامر عظيما أكد ذلك بقوله : (جميعا) و زاد في تعظيمه بقوله : (و مثله) و قال : (معه) ليفهم بدل الكل [جملة - ٢] لا على سبيل التقطيع (لا اقتدوا) أى لا اجتهدوا في طلب أن يفتدوا (به) أنفسهم (من سوء العذاب) ه و بين الوقت تعظيما له و زيادة في هوله فقال : (يوم القيمة) و روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله عز و جل لأهل النار عذابا : لو أن لك ما على الأرض من شيء أكنت مفتديا به ؟ فيقول : نعم ، فيقول : قد أردت منك أهون من هذا و أنت في صلب آدم عليه السلام أن لا تشرك بى شيئا فأبيت ١٠ إلا أن تشرك بى . قوله : أردت أى فعلت معك بالامر فعل المريد و هو معنى قوله في رواية : قد سألتك .

و لما كان التقدير : و لو كان لهم ذلك و اقتدوا به ما قبل منهم و لا تقعهم ، لأن ذلك الوقت وقت الجزاء لا وقت العمل ، و اليوم وقت العمل لا وقت الجزاء ، فلو أنفقوا فيه أيسر شيء على وجهه قبل منهم ، ١٥ عطف عليه من أصله لا على جزائه قوله : 'معظما الامر بصرف القول إلى الاسم الأعظم : (و بدا) أى ظهر ظهورا تاما (لهم) فى ذلك اليوم (من الله) أى الملك الأعظم ، و هول أمره بابهامه ليكون ضد " فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة عين " فقال : (ما لم يكونوا) بحسب

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٢) زيد من ظ م و مد (٣) راجع من صحيح البخارى أبواب الرقاق و من صحيح مسلم أبواب المنافقين (٤-٥) سقط ما بين الرقين من م .

جبلاتهم وما فطروا عليه من الإهمال و التهاون (يحتسبون هـ) أى
لم يكن فى طبائعهم أن يعتمدوا^١ أن يحسبوه و تجوز هـ^٢ عقولهم من العذاب ،
و ما كان كذلك كان أشق على النفس وأروع للقلب (وبدا لهم)
أى ظهر ظهورا تاما كأنه فى البادية لآمانع منه (سيات ما^٣) و لما
كان فى سياق الاقتداء ، و كان الإنسان يئذل عند الاقتداء فى فكاك نفسه هـ
الغائب و النفائس ، عبر هنا بالكسب الذى من مدلوله الخلاصة و العصاره
التي هى سر الشئ فهو / أخص من العمل ، و لذا جعله الاشعرى مناط
الجزاء ، فقال مينا^٤ أن خالص عملهم ساقط فكيف بغيره ، وهذا بخلاف
ما فى الجائيه (كسبوا) أى "الشئ الذى" عمله برغبة مجتهدين فيه
لظنهم تقعه و أنه خاص أعمالهم و أجلها "و أضعها" (و حاق) أى أحاط ١٠
على جهة اللزوم و الاذى (بهم ما) أى جزاء الشئ الذى (كانوا به)
أى دائما كأنهم^٥ جبلوا عليه (يستهنون هـ) أى يطلبون و يوجدون
الجزء و السخرية به^٦ من النار و جميع ما كانوا يتوعدون به .

و لما أخبر عن ظهور هذا لهم ، علله بأنهم كانوا يفعلون ما لم يكن
فى العادة يتوقع منهم ، و هو مجازاة الإحسان بالإساءة و قد كانوا جديرين ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يعتمدوا ، و زيد بمد فى الأصل : إلى ،
و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذلتها (٢) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : يجوز (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) زيد فى الأصل و م : اء ، و لم
تكن الزيادة فى ظ و م و مد لخذلتها (هـ-هـ) سقط ما بين الرقین من م (٦) من
ظ و م و مد ، و فى الأصل و م : كانوا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بهم .

بضده فقال : ﴿ فاذا ﴾ أى وقع لهم ذلك بسبب أنهم إذا مسهم ،
ولكنه أخبر عن النوع الذى هم منه بما هو مطبوع عليه فقال :
﴿ مس الانسان ضر ﴾ أى ضر كان من جهة يتوقعها كما تقدم فى
التى [فى - ٢] أول السورة ، ويجوز أن يكون مسيا عن الإخبار
ه بافتدائهم بما يقدرّون عليه و أن يكون مسيا عن اشمزازهم من توحيد الله
تنجيا من حالهم فى تمكيسهم و ضلالهم ، و تقدم فى الآية التى فى
أول السورة سر كونها بالواو ، ولقت القول إلى مظهر العظمة دالا
عل أن أغلب الناس لا يرجى اعترافه بالحق و إذعانه لاهل الإحسان
إلا إذا مس باضرار فقال : ﴿ دعانا ﴾ علما بعظمتنا دون آلهته مع
١٠ اشمزازة من ذكرنا و استبشاره بذكرها .

ولما كان ذلك الضر عظيما يبعد الخلاص عنه من جهة أنه
لا حيلة لمخلوق فى دفعه ، أشار إلى عظمته و طول زمنه بأداة التراخي
فقال 'مقبحا عليه نسيانه للضر مع عظمه فى نفسه و مع طول زمنه':
'(ثم اذا خولته) أى أعطيناه على عظمتنا متفضلين' [عليه - ٨]
١٥ 'محسنين القيام بأمره و جعلناه خليقا بحاله جديرا بتديره' على غير عمل
عمله محققين لظنه الخير فينا و أحسنا تريتنا له و القيام عليه مع ما فرط
(١) فى م : الذين (٢) العبارة من هنا إلى « أول سورة » ساقطة من م (٣) زيد
من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقيين من م (٥) زيد فى الأصل و ظ : فى حال
ضرورة ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فخذناها (٦) زيد قبله فى الأصل :
قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فخذناها (٧) من مد ، و فى الأصل
و ظ و م : مفضلين (٨) زيد من ظ و م و مد .

في حقنا ﴿نعمة منا لا﴾ ليس 'لاحد غيرنا' فيها شائبة من^١ أو لولا عظمتنا ما كانت ﴿قال﴾ 'ناسيا لما كان فيه من الضر وإن^٢ كان قد^٣ طال أمده، قاصرا لما على نفسه غير متخلق بما نهناه على التخلق به من إحساننا إليه وإقبالنا عليه عند إذعانه^٤، مذكرا^٥ لضميرها تفخيا لما، وبنى الفعل للجهول إشارة إلى أنه لا نظره في تعرف المعطى من هو ه يشكره، وإنما نظره في عظمة النعمة وعظمة نفسه، وأنها على مقدار ما^٦: ﴿انما آتيته﴾ أى هذا المنعم به على الذى هو كبير وعظيم [لأن عظيم -^٦] فانا أعطى على مقدارى، ودماء^٧ هى الزائدة الكفاة لأن للدلالة على الحصر، ويجوز أن تكون موصولة هى اسم إن وخبرها قوله: ﴿على﴾ أى إتياء مستعليا متمكنا على ﴿علم^٨﴾ أى ١٠ عظيم، وجد منى بطريق الكسب والاجتهاد وجوه الطلب والاحتيا، فكان ذلك سببا لمجيئه إلى^٩ أو علم من الله باستحقاقه له.

ولما كان التقدير: ليس كذلك و [لا -^١] هى نعمة، قال 'دالا على شؤم ذلك المعطى وحقارته' [لأنه من أسباب إضلاله بالتأنيث -^٩]

(١-١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لاحدنا (٢) زيد فى الأصل: أى هذا القائل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها، والعبارة من بعدها إلى «قد طال أمده» ساقطة من م (٣-٢) سقط ما بين الرقين من ظ و مد. (٤-٤) سقط ما بين الرقين من م (٥) من م و مد، وفى الأصل وظ: تذكر (٦) زيد من م و مد (٧) العبارة من هنا إلى «مستعليا متمكنا على» ساقطة من م (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: الزيادة (٩) زيد من ظ و مد.

(بل هي) أى العطية والنعمة (قته) لاختباره هل يشكر أم يكفر
لنقام عليه الحجة ، فان أدت إلى النار كانت استدراجا ، وأنت الضمير تحقيرا
لها بالنسبة إلى قدرته سبحانه و تعالى و لأنها أدت إلى الفرور بعد أن
ذكر ضميرها أولا تعظيما لها لإيجاب شكرها .

٥ / ٥٠٥

ولما كان من المفتونين "من ينتبه" وهم الأقل ، [قال جامعا
تنبيها على إرادة الجنس و ان تعبيره أولا بافراد الضمير إشارة إلى أن
أكثر الناس كأهمهم في ذلك الخلق النحس نفس واحدة - ٢] :
' (ولكن أكثرهم) أى أكثر هؤلاء القائلين لهذا الكلام (لا يعلمون) ،
أى لا يتجدد لهم علم أصلا لأنهم طبعوا على الجلافة والجهل والغباوة ،
١٠ فلو أنهم إذا دعونا وهم في جهنم اجتنابناهم وأنعمنا عليهم لكفروا نعمتنا
و نسبوا إلى غيرنا كما كانوا يفعلون في الدنيا سواء .

ولما كان كفار قريش مقصودين بهذا قصدا عظيما و إن كان
شاملا بطلافه غيرهم من الأولين و الآخرين قال موضحا لذلك : (قد قالها)
أى مقالته "انما أوتيته على علم" (الذين من قبلهم) أى من
١٥ هو أشد منهم قوة و أكثر جمعا كما قال قارون و من رضى حاله فتمنى
ماله (فما اغنى عنهم) أى أولئك الماضين (ما كانوا) بما اقتضته

(١) من ظ و م و مد و فى الأصل : او (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل
و ظ : لينتبه (٣) زيد من مد (٤) زيد قبله فى الأصل و ظ : لأنه من أسباب
اضلاله بالتأنيث ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ،
و فى الأصل و ظ : فى (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهذا .

جلالته

جبلاتهم ﴿ يكسبون ﴾ أى يحددون على الاستمرار كسبه من ائمال
و الجاه وإن كان على السهل و الجبل : ﴿ فاصبهم ﴾ أى إصابة شديدة
بما دل عليه تذكير الفعل - أى ' تسبب عن عدم الإغناء أنه أصابهم
﴿ سيأت ما كسبوا ﴾ أى وبال ذلك و ما يسوء من آثاره
﴿ و الذين ظلموا ﴾ أى أوقعوا الأشياء فى غير محالها ﴿ من أهولاء ﴾ ٥
أى قومك الذين لا يتدبرون القرآن فانهم لو تدبروا آياته عرفوا ولكن
سبق عليهم العمى ﴿ سيصيبهم ﴾ أى إصابة شديدة جدا بوعد لا خلف
فيه كما أصاب من أصاب من قبلهم ﴿ سيأت ما كسبوا ﴾ أى عملوا
برغبة و سرور يظنون أنه نافع لهم ﴿ و ما هم بمعجزين ﴾ و إن ظنوا
أن ما لهم حصن لهم و عملوا من الأثر و البطر فيه أعمال من يظن ١٠
أنه لا تناله مصيبة فى الدنيا و أنه لا يبعث إلى ما أعددنا له من الأهوال
فى الآخرة ، و لقد أصابهم ذلك ، فأول ما أصابهم ما كشف عنه الزمان
من وقعة بدر ثم ما تبعه إلى ما لا آخر له .

ولما ثبت أن الضار النافع إنما هو الله ، من شاء أعطاه ، و من
شاء منعه ، و من شاء استلبه و وضعه بعد ما رفعه ، و كان التقدير : ألم ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقین من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل :
اقوامك (٣-٣) فى م و مد : بوعد لا خلف فيه إصابة شديدة جدا (٤-٤) سقط
ما بين الرقین من م (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م
و مد لحذفنا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حصنا (٧) من م و مد ،
و فى الأصل و ظ : لأنه .

يعلموا أن ما جمعه من قبلهم لم يدفع عنهم امر الله، عطف عليه قوله :
 ﴿ اءلم ﴾ ولما كان السياق لنفي العلم عن الأكثر، و كان مقصود
 السورة بيان أنه صادق الوعد و مطلق العلم كافٍ فيه، عبر بالعلم بخلاف
 ما مضى في الروم فقال : ﴿ يعلموا ﴾ [أى - '] بما رأوا في أعمارهم
 ٥ من التجارب. ' ولقت الكلام إلى الاسم الأعظم تعظيماً لل مقام و دفعا
 للبس و التعت ب غاية الإفهام^٢ : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الجلال و الجمال
 ﴿ يبسط ﴾ أى هو^٣ وحده ﴿ الرزق ﴾ غاية البسط ﴿ لمن يشاء ﴾ وإن
 كان لاحيلة له و لا قوة ﴿ و يقدر ﴾ أى يضيق مع النكد بأمر قاهر
 على من هو أوسع الناس باعا فى الخيل و أمكنهم فى الدول، و من المعلوم
 ١٠ أنه لولا أن ذلك كله منه وحده لما كان أحد بمن له قوة فى الجسم
 و تمكن فى العلم فقيرا أصلا .

ولما كان هذا أمرا لا ينكره أحد، عده مسلما و قال :
 ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الامر العظيم، و أكدته لأن أفعالهم أفعال من
 ينكر أن يكون فيه عبرة ﴿ لايت لقوم ﴾ ذوى قوة و همم عليه^٤
 ١٥ ﴿ يؤمنون ﴾ أى هيئوا لأن يوجد منهم الإيمان فيجددوا التصديق فى
 كل وقت تجديدًا مستمرا بأن الأمور كلها من الله فيخافوه و يرجوه
 و يشكروه و لا يكفروه، و أما غيرهم فقد حقت عليه الكلمة بما هيى له
 من عمل النار، فلا يمكنه الإيمان فليس له فى ذلك آيات لأنها لا تنفعه .

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقین من م (٣) سقط من م .
 (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : عالية .

ولما حذر سبحانه في هذه السورة ولا سيما في هذه الآيات فقال التحذير، وأودعها / من التهديد و صاعد الإنذار و الوعيد العظيم الكثير، و ختم بالحث على الإيمان، و النظر السديد في العرفان، و كانت كثرة الوعيد ربما أياست و نفرت و أوحشت، و صدت عن العطف و أبعدت، قال تعالى مستعطفا مترقا بالشاردين عن بابه متلطفا جامعا بين العاطفين، ه كلام ذوى النعمة على لسان نبي الرحمة 'صارفا القول إلى خطابه بعد أسلوب الغيبة: ﴿ قل ﴾ أى يا أكرم الخلق و أرحمهم بالعباد، و لفت عما تقتضيه " قل " من الغيبة إلى معنى الخطاب زيادة في الاستعطاف، و زاد في الترفق بذكر العبودية و الإضافة إلى ضميره عريا عن التعظيم فقال: ﴿ يا ﴾ أى ربكم المحسن إليكم يقول: يا ﴿ عبادى ﴾ فلذدم بعد تلك ١٠ المرات بحلاوة الإضافة إلى جنبه تقريبا من بابه . و لما أضاف، طمع المطيعون أن يكونوا هم المقصودين، فرفضوا رؤسهم، و فكس العاصون و قالوا: من نحن حتى يصبوب نحونا هذا المقال ؟ فقال تعالى جابرا لهم: ﴿ الذين اسرفوا ﴾ أى تجاوزوا الحد في وضع الاشياء [في غير - '] مواضعها حتى صارت لهم أحمال ثقالة ﴿ على أنفسهم ﴾ فأبعدوها عن ١٥ الحضرات الربانية، و أركسوها في الدبابا الشيطانية، فانقلب الحال، فهؤلاء الذين نكسوا رؤسهم اتعشوا و زالت ذلتهم و الذين رفعوا

(١-١) وقع ما بين الرقين في الأصل و ظ بعد « عن التعظيم فقال » مع تقدم « قل أى يا أكرم الخلق و أرحمهم بالعباد » و الترتيب من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقين من ظ .

'رؤسهم أطرقوا و زالت صولتهم' - قاله القشيري، و أنهم تقييد الإسراف
 أن الإسراف [على الغير - ٢] لا يغفر إلا بالخروج عن عهدة ذلك الغير
 (لا تقنطوا) أى ينقطع رجاؤكم و تياسوا و تمتعوا - ٣ و عظم الترجية بصرف
 القول عن التكلم و إضافة الرحمة إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع صفات
 ٥ الجلال و الإكرام فقال: (من رحمة الله) أى إكرام المحيط بكل
 صفات الكمال، فيمنعكم ذلك القنوط من التوبة التى هى باب الرحمة،
 و لعظم المقام أضاف إلى الاسم الأعظم، ثم علل ذلك بقوله على سبيل
 التأكيد لظنهم أن كثرة الوعيد منعت الغفران، و حتمت الجزاء بالانتقام،
 و كرر الاسم الأعظم تعظيماً للحال، و تأكيداً بما فيه من معنى الإحاطة
 ١٠ و الجمع لإرادة العموم: (ان الله) أى الجامع لجميع نعوت الجلال
 و الجلال و الإكرام، فكما أنه متصف بالانتقام هو متصف بالعفو
 و الغفران (يغفر) إن شاء (الذنوب) و لما أفهمت اللام الاستغراق
 أكدته فقال: (جميعاً) و لا يبالى، لكنه سبق منه القول أنه إنما يغفر
 الشرك بالتوبة عنه، و أما غيره فيغفره إن شاء بتوبة ٦ و إن شاء بلا
 ١٥ توبة، لا يقدر أحد أن يمنعه من شيء من ذلك .

و لما كان لا يعهد فى الناس مثل هذا بل لو أراد ملك من ملوك
 الدنيا العفو عن أهل الجرائم، قام عليه جنده 'فانحل عقده و انثلم حده'،

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من
 م و مد، و فى الأصل و ظ : تمتعوا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقین من م .
 (٥ - ٥) سقط ما بين الرقین من م و مد (٦ - ٦) فى ظ و م
 و مد : و غیر .

علل هذه العلة بما يخصه^١، فقال مؤكدا لاستبعاد ذلك بالقياس على ما يهودون: ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿الغفور﴾ أى البليغ المغفرة بحيث يمحو الذنوب مهما شاء عينا وأثرا، فلا يعاقب ولا يعاتب ﴿الرحيم﴾ أى المكرم بعد المغفرة ولا يقدر أحد^٢ أصلا على نوع اعتراض عليه، ولا توجيه طعن إليه .

و لما كان التقدير: فأقلعوا عن ذنوبكم، فإنها قاطعة عن الخير، مبعدة عن الكمال، عطف عليه استعطافا قوله دالا على أن الغفران المتقدم إنما هو إذا شاء التفضل سبحانه بتوبة و بغير توبة: / ﴿واذنبوا﴾ ٥٠٧ /
أى ارجعوا بكلياتكم و كلوا حوائجكم و أسندوا أموركم و اجعلوا طريقكم ﴿الى﴾ ١٠ / و لفت الكلام إلى صفة الإحسان زيادة في الاستعطاف فقال: ١٠ /
﴿ربكم﴾ أى الذى لم تروا إحسانا إلا و هو منه ﴿واسلبوا له﴾ أى أوجدوا إسلام جميع ما ملكه لكم من الأعيان و المعاني متبرئين عنه لأجله فإنه لو شاء سلبكموه. فإذا لم تكونوا مالكيه. ملكا تاما فعندنا أنفسكم عارية عنه غير مالكة له ولا قادرة. و كان الذى لكم بالإصالة ما كان .

١٥

و لما كان ذلك شديدا^٣ لأن الكف عما أشرفت النفس على بلوغ الوطر منه فى غاية المرارة^٤. قال مهددا لهم دالا بحرف الابتداء على

(١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: لا يخصه (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: احدا (٣-٤) سقط ما بين الرقيين من م (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: شديد (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: للار .

رضاه منهم بإيقاع ما أمر به في اليسير^١ من الزمان لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره باستغراق الزمان في الطاعة وإن كان إيهام الأجل يحدو العاقل على استغراقه فيها: ﴿من قبل ان ياتيكم﴾ أي واثم صاغرون ﴿العذاب﴾ أي القاطع لكل العذوبة المجرع لكل مرارة وصعوبة. ولما كان الإنسان ربما توقع ضررا في إقدامه على ما له فيه لذة، وحاول دفعه^٢، قال معظما لهذا العذاب مشيرا بأداة التراخي إلى أنه لا يمكن دفعه ولو طال المدى: ﴿ثم لاتنصرونه﴾ أي لا يتجدد لكم نوع نصر أبدا.

ولما أمر بروية الأمور كلها من الله وإسلام القياد كله إليه، ١٠ [أمر - ٢] بما هو أعلى من ذلك، وهو المجاهدة بقتل النفس فقال: ﴿واتبعوا﴾ أي عالجوا أنفسكم وكلفوها أن تتبع ﴿أحسن ما أنزل﴾ واسلا^٣ ﴿اليكم﴾ على سبيل العدل كالإحسان الذي هو أعلى من الغفو الذي هو فوق الانتقام باتباع هذا القرآن الذي هو أحسن ما نزل من كتب الله واتباع أحسن ما فيه، فتصل من قطعك وتعطي ١٥ من حرمك وتحسن إلى من ظلمك، هذا في حق الخلائق ومثله في عبادة الخالق بأن تكون وكأنك تراه، الذي هو أعلى من استحضاره أنه يراك، الذي هو أعلى من أدائها مع الغفلة عن ذلك.

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: السير (٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: رفعه (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) سقط من م (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: أنزل.

ولما كان هذا شديدا على النفس ، رغب فيه بقوله 'مظهرا صفة
الإحسان موضع الإضمار ' : (من ربكم) أى الذى لم يزل يحسن
إليكم وأنتم تبارزون به بالعظام . ولما كان من النفوس ما هو كالبهائم
لا يتفاد إلا بالضرب ، قال منها أيضا على رفقته باثبات الجار :
(من قبل ان ياتكم) [أى - '] على ما بكم من العجز عن الدفاع ٥
(العذاب) أى الامر الذى يزيل ما يعذب ويحلو لكم فى الدنيا أو فى
الآخرة . ولما كان الأخذ على غرة أصعب على النفوس قال : (بقتة)
ولما كان الإنسان قد يشعر بالشيء مرة ثم ينساه فيباعته ، نفي ذلك بقوله :
(وأنتم لا تشعرون) أى ليس عندكم شعور بآتيانه لآلى حال إتيانه
ولا قبله بوجه من الوجوه لفرط غفلتكم ، ليكون أذطح ما يكون على ١٠
النفس أشدة مخالفتها لما هو مستقر فيها وهى متوطنة عليه من ضده .
ولما كان للإنسان عند وقوع الخسران أقوال وأحوال لو تخيلها
قبل هجومه لحسب حسابه فباعده أسبابه . علل الإقبال [على الاتباع - ']
بغاية الجهد والنزاع فقال : (ان) أى كراهة ان (تقول) ولما كان
الموقع للإنسان فى نقصان إمته هو حظوظه وشهواته المخلفة لعقله . ١٥
عبر بقوله : (نفس) أى عند وقوع العذاب لها ، وإفرادها وتنكيرها
كاف / فى الوعيد لأن كل أحد يجوز أن يكون هو المراد (ينحسرنى)
والتحسر : الاغتمام على ما فات ، التندم عليه ، وألحق الألف بدلا من الياء
(١-١) سقط ما بين الرقین من م (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، وفى
الأصل و ظ : موطنه (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الندم .

تعظيماً له ، أى ياتول غمّه لانكشاف ما فيه صلاحى عني وبعده منى
فلا وصول لى إليه لاستدراك^١ ما فات منه^٢ ، وذلك عند انكشاف
أحوالها ، و حلول أوجالها و أهوالها ،^٣ و دل على تجاوز هذا التحسر
الحد قراءة^٤ أبى جعفر^٥ « حسرتانى » بالجمع بين العوض وهو الآلف
والمعوض عنه وهو الياء ، و حل المصدر لأن ما حل إليه أصرح فى
الإستاد و أنعم ، و أدل على المراد و أعظم ، فقال : (على ما فرطت)
أى بما ضيعت^٦ فاقترط منى نظامه ، و تعذر انضمامه و التثامه .

ولما كان حق [كل - ٧] أحد قريباً منه حساً أو معنى حتى
كأنه إلى جنبه ،^٨ و كان بالجنب قوام الشيء ولكنه قد يفرط فيه
١٠ لكونه^٩ منحرفاً عن الوجه و العيان ، فيدل التفريط فيه على^{١٠} نسبة
المفرط لصاحبه إلى الغفلة عنه ، و ذلك أمر لا يغفر ، قال : (فى جنب)
'' و صرف القول إلى الاسم الأعظم لزيادة التهويل بقوله '' : (الله)
أى حق الملك الأعظم الذى هو غير مفعول عنه و لامتھاون به .
ولما كان المضرور المعضب المقهور يبالغ فى الاعتراف ، رجاء

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لاستدراكات (٢) من م و مد . وفى
الأصل و ظ : فيه (٣) العبارة من هنا إلى « وأعظم فقال » ساقطة من م (٤) من
مد ، وفى الأصل و ظ : قرا (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ١٧٢ (٦) من م و مد ،
وفى الأصل و ظ : ضيقت (٧) ريد من م و مد (٨) العبارة من هنا إلى
« أمر لا يغفر » ساقطة من م (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : لكنه (١٠) من
ظ و مد . وفى الأصل : الى (١١ - ١٢) سقط ما بين الرقيين من م .

القبول والانصراف، قال مؤكداً مبالغة في الإعلام بالإقلاع^١ عما
 [كان -^٢] يقتضيه حاله، وصرح به مقاله، من^٣ أنه على الحق واجد
 الجذ: ﴿ وان ﴾ أى والحال أنى ﴿ كنت ﴾ أى كان ذلك فى طبعى
 ﴿ لمن السخرين ؟ ﴾ أى المستهزئين المتكبرين المنزلين أنفسهم فى غير
 منزلتها، وذلك أنه ما كفانى المعصية حتى كنت أسخر من أهل الطاعة، هـ
 أى تقول: هذا لعله يهين منها ويعنى عنها على عادة المترفين فى وقت
 الشدائد، لعلهم يعادون إلى أجل العوائد.

ولما كانت النفس إذا وقعت فى ورطة لاتدع وجهها محتملاً
 حتى تتعلق بأذياله، وتمت بحاله وتفتربمحاله، قال - أيا كذبتها
 حيث لاينبغى إلا الصدق: ﴿ او تقول ﴾ [أى -^٤] عند نزول ما لا ١٠
 قبل لها به ﴿ لو ان ﴾^٥ وأظهر ولم يضمر إظهاراً للتعظيم وتلذاً بذكر
 الاسم الشريف فقال: ﴿ الله ﴾ أى الذى له القدرة الكاملة والعلم
 الشامل ﴿ هذينى ﴾ أى بيان الطريق ﴿ لكنت ﴾ أى ملازماً ملازمة
 المطبوع على كونه ﴿ من المتقين ؟ ﴾ أى الذى لا يقدمون على فعل
 ما لم يدلهم عليه دليل .

١٥

ولما ذكر حالها فى الاعتراف بالبطلان، ثم الفرع إلى الزور

(١) زيد فى الأصل وظ: قال، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٢) زيد
 من ظ ومد (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: فى (٤) زيد من م ومد.
 (٥-٥) سقط ما بين الهمين من م (٦) زيد فى الأصل وظ: له،
 ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها.

و البهتان، اتبعه التمنى الذى لا يفيد غير الخسران، فقال: ﴿أو تقول﴾
 أى تلك النفس المفرطة ﴿حين ترى العذاب﴾ أى [الذى - ١] هاجمها^٢
 للرحمة أو النعمة: ﴿لو ان﴾ أى ياليت ﴿لى كرة﴾ أى رجعة إلى
 دار العمل لا تمكن منه ﴿فاكون﴾ أى فيتسبب عن رجوعى إليها أن
 ٥ أكون ﴿من المحسنين﴾ أى العاملين بالإحسان الذى دعا إليه القرآن،
 "هذا الإعراب - وهو عطفه على الجواب - أوفق لبقية الآيات التى من
 سلكه".

ولما حذر سبحانه بما يكون للأخوذ من سوء الأحوال و فظيع
 الأحوال، و كان معنى ما تقدم من كذبه و تمنيه أنه ما جانى بيان
 ١٠ و لا كان لى وقت آتمكن فيه من العمل، قال تعالى مكذبا له: ﴿بلى﴾
 أى قد كان لك الأمران كلاهما ﴿قد جاءتك﴾ و لفت القول إلى التكلم
 مع تجريد الضمير عن مظهر العظمة لما تقدم من / موجبات استحضارها
 ١٥ / ٥٠٩ إعلاما بقتناهى الغضب بعد لفته إلى تذكير النفس المخاطبة المشير إلى
 أنها فعلت فى العصيان فعل الاقوياء الشداد من التكذيب و الكبر مع
 ١٥ القدرة فى الظاهر على تأمل الآيات، و استيضاح الدلالات، و المشى
 على طرق الهدايات، بعد ما أشار تأييدها إلى ضعفها عن حمل العذاب
 و غلبة القائص لها فقال: ﴿أبلى﴾ على عظمتها فى البيان الذى ليس
 مثله يان فى وقت كنت فيه متكئا من العمل بالجنان و اللسان و الاركان
 (١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هاجمها.
 (٣-٢) -قط ما بين الرقین من م .
 ٤٤٠ (١٣٥) فكذبت

{ فكذبت بها } جراءة على الله وقلة مبالاة بالعواقب { واستكبرت }
 أى عدت نفسك كبيرا عن قبولها { وكنت } أى كونا كأنه جلة
 لك لشدة توغلك فيه وحرصك عليه { من الكافرين } أى المريقين
 فى ستر ما ظهر من انوار الهداية للتكذيب تكبرا لم يكن لك مانع من
 الإحسان إلا ذلك لا عدم اليان^١ ولا عدم الزمان القابل للعمل . ٥

ولما كان قد تعدد الكذب عند مس العذاب فى عدم اليان^١
 والوقت القابل، قال تعالى محذرا من حاله وحال أمثاله،^٢ ولقت القول
 إلى من لا يفهمه حق فهمه غيره تسلية له وزيادة فى التخويف لغيره^٣ :
 { ويوم القيمة } أى الذى لا يصح فى الحكمة تركه { ترى } أى
 يا محسن { الذين كذبوا }^٤ وزاد فى تقييح حالهم فى اجترائهم بلغت ١٠
 القول إلى الاسم الأعظم فقال^٥ : { على الله } أى الحائز لجميع صفات
 الكمال بأن وصفوه بما لا يليق [به - ٢] وهو منزّه عنه من أنه فعل
 ما لا يليق بالحكمة من التكليف مع عدم اليان، ومن خلق الخلق يعدو
 بعضهم على بعض من غير حساب يقع فيه الإنصاف بين الظالم والمظلوم،
 أو ادعوا له شريكا أو نحو ذلك، قال ابن الجوزى : وقال الحسن : هم ١٥
 الذين يقولون : إن شئنا فعلنا، وإن شئنا لم نفعل - انتهى . وكأنه
 عنى المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم : إنهم يخلقون أفعالهم،
 ويدخل فيه كل من تكلم فى الدين بجهل، وكل من كذب وهو

(١-١) سقط ما بين الرقنين من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من م (م) زيد

من ظ و م .

يعلم أنه كاذب في أى شيء كان، فانه من حيث أن فعله فعل من يظن أن الله لا يعلم كذبه أو لا يقدر على جزائه كأنه كذب على الله - تراه بالعين حال كونهم ﴿وجوههم مسودة﴾^١ مبتدا وخبر، وهو حال الموصول^٢ أى ثابت سوادها زائد البشاعة والمعظم في الشناعة يجعل ذلك أمانة عليهم ليعرفهم من يراه بما كذبوا في الدنيا فانهم [لم-^٣] يستحيوا من الكذب المخزى، أليس ذلك زاجرا عن مطلق الكذب فكيف بالكذب على الله الذى جهنم سجنه فكيف بالمتكبرين عليه ﴿اليس في جهنم﴾ أى التى تلقى من تلقى فيها بالنجم^٤ والعبوسة ﴿مثوى﴾ أى منزل ﴿للمتكبرين﴾ الذى تكبروا على اتباع أمر الله .

١٠ ولما ذكر حال الذين أشقام، أتبعهم حال الذين أسعدهم، فقال عاطفا لجملة على جملة لا على «ترى، المظروف ليوم القيامة، إشارة إلى أن هذا فعله معهم في الدارين وإشارة إلى كثرة التنجية لكثرة الأحوال كثرة نفوت الحصر: ﴿وينجى﴾^٥ أى مطلق إنجاء لبعض من اتقى بما أشارت إليه قراءة يعقوب بالتخفيف^٦، وتنجية عظمية لبعضهم بما أفادته قراءة الباقيين بالتشديد،

١٥ وأظهر ولم يضمم زيادة على تعظيم حالهم وتسكين قلوبهم ﴿الله﴾ أى يفعل بما له من صفات الكمال في نجاحهم فعل المبالغ في ذلك ﴿الذين اتقوا﴾

(١) من م ومد . وفي الأصل وظ : «و» (٢-٢) سقط ما بين الرقيين من م .
(٣) زيد من ظ وم ومد (٤) سقط من م (٥) من ظ ومد، وفي الأصل وم :
في النجم (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل : هملة (٧) العبارة من هنا إلى
« تسكين قلوبهم » ساقطة من م (٨) راجع نثر المرجان ١٧٥/١ .

أى' / بالغوا في وقاية أنفسهم من غضبه فكما وقام في الدنيا من
 المخالفات حامم هناك من العقوبات (بمفازتهم د) أى بسبب أنهم عدوا
 أنفسهم في مفازة بعيدة^١ نحوثة فوققوا^٢ فيها عن كل عمل إلا بدليل
 لتلا يمشوا بغير دليل فيهلكوا، فأدتهم تقوأم إلى الفوز، وهو الظفر بالمراد
 'و زمانه و مكانه' الذى سميت المفازة به تفاؤلا، ولذلك فسر ابن عباس ه
 رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة لأنها سبب الفوز، 'و قرئ بالجمع
 باعتبار أنواع المصدر، وذلك كله بعناية الله بهم في الدارين، ففازة
 كل أحد في الأخرى على قدر مفازته بالطاعات^٥ في الدنيا .

و لما كان كأنه قيل : ما فعل في تنجيتهم ؟ قال ذاكرنا^٦ نتيجة التنجية^٦

(لا يمسهم السوء) أى 'هذا النوع' فلا يخافون (ولا هم يحزنون ه) ١٠

أى و لا يطرق بواطنهم حزن على فائت لانهم لا يفوت لهم شىء أصلا .

و لما كان المخوف منه و المحزون عليه جامعين لكل ما في الكون

فكان لا يقدر على دفعهما إلا المبدع القيوم، قال مستأنفا أو معللا 'مظهرها

الاسم الأعظم تعظيما للقام': (الله) أى المحيط بكل شىء قدرة و علما

(١) زيد في الأصل : الذين ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .

(٢) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : باعده (٣) من ظ و م و مد ، وفي

الأصل : فوفوا (٤ - ٥) سقط ما بين الرقين من م (٥) من م و مد ، وفي

الأصل وظ : بانها (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : بعناية (٧) من ظ و م

و مد ، وفي الأصل : بالطاعة (٨-٨) من م و مد ، وفي الأصل وظ : تنجية

النتيجة - كذا .

الذى نجاهم ﴿خالق كل شيء﴾ فلا يكون شيء أصلاً إلا بخلقه، وهو لا يخلق ما يتوقعون منه خوفاً. ولا يقع لهم عليه حزن. ولما دل هذا على القدرة الشاملة. كان ولا بد معها من العلم الكامل قال: ﴿وهو﴾ 'وغير بأداة الاستعلاء لأنه من أحسن مجزأتها' ﴿على كل شيء﴾ هـ أى مع القهر والعلية ﴿وكيل هـ﴾ أى حفيظ لجميع ما يريد منه، قيوم لا يعجز يلم^٢ بساحته ولا غفلة.

ولما كان الحافظان خزان الكائنات، وكان لا يتصرف فى الخزان إلا ذو المفاتيح، قال دالاً على وكالته: ﴿له﴾ أى وحده ﴿مقابلد﴾ واحداً مقلاد مثل مفتاح، ومقلد مثل قنديل، وهى المفاتيح والامور ١٠ الجامعة القوية وهى استعارة لشدة التمكن من ﴿السنوات﴾ أى جميع أعدادها ﴿والارض﴾ أى جنسها. خزائنها وأمورها ومفاتيحها الجامعة لكل ما فيها، فلا يمكن أن يكون فيها شيء ولا أن يتصرف فى شيء منها ولا فيها أحد إلا بأذنه 'فلا بدع فى تيجته الذين اتقوا'.

ولما كان التقدير: فالذين آمنوا بالله وقبلوا آياته أولئك هم ١٥ الفائزون، عطف عليه قوله الذى اقتضاه سياق التهديد: ﴿والذين كفروا﴾ أى لبسوا ما اتضح لهم من الدلالات، وجددوا أن تكون الامور كلها يده ﴿بأيت الله﴾ [أى - °] الذى لا ظاهر غيرها، فانه

(١) العبارة من هنا إلى هـ أحسن مجزأتها هـ ساقطة من م (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: مجزأتها (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يسلم. (٤-٥) سقط ما بين الرقيين من م (٥) زيد من م و مد (٦) من مد، وفى الأصل و م: التى، وفى ظ: الذين.

نظم الدرر (الجزء الرابع والعشرون) ج - ١٦

ليس في الوجود إلا ذاته سبحانه وهي غيب لا يمكن المخلوق دركها،
وأفعاله وهي أظهر الأشياء. وصفاته وهي غيب من جهة شهادة من
جهة أخرى ﴿ أولئك ﴾ البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ خاصة ﴿ الخسرون ٤ ﴾
فانهم خسروا نفوسهم^٢ وكل شيء يتصل بها على وجه النفع. لأن كفرهم
أقبح الكفر من حيث أنه متعلق بأظهر الأشياء. ٥

ولما قامت هذه الدلائل كما ترى قيام الأعلام، فانجابت دياجير
الظلام، وكان الجهلة قد دعوه صلى الله عليه وسلم - كما قال المفسرون
في أول سورة ص - إلى أن يكف عن آلهتهم، وكان الإقرار عليها
عبادة لها، تسبب عن ذلك أمره صلى الله عليه وسلم بما يصدعهم به
بقوله: ﴿ قل ﴾ ولما كان مقام الغيرة يقتضي نحو الأغيار، وكان ١٠
الغير إذا انمحي تبعه جميع أعراضه، قدم الغير^٣ المفعول [لأعبد المفعول -^٤
على تقدير « أن » - لتامر / فقال: ﴿ افغير الله ﴾ أي الملك الأعظم الذي
لا يقر على فساد أصلا. ٥١١ /

ولما كان تقديم^٥ الإنكار على فعلهم لهم أرجع، وتأخير ما سبق
من الكلام لإنكاره أروع. وكان مد الصوت أوكد في معنى الكلام ١٥
وأفزع وأهول وأفضح، قال صارفا الكلام إلى خطيئهم، لأنه^٦

(١) من م ومد، وفي الأصل و ظ : هو (٢) من م ومد، وفي الأصل
و ظ : أنفسهم (٣) سقط من م ومد (٤) سقط من ظ وم ومد (٥) العبارة
من هنا إلى « أن لتامر » ساقطة من م (٦) زيد من ظ ومد (٧) سقط من
ظ (٨) في م : تقدم (٩-٩) سقط ما بين الرقيين من م .

أقعد في إرهابهم وأشد في اكتسابهم: ﴿تأمرؤن﴾ بالإدغام المقتضى
للد في قراءة أكثر القراء . 'و لعل الإدغام إشارة إلى أنهم حاولوه صلى
الله عليه وسلم في أمر آلهتهم على سبيل المكر والخذاع' . ولما قرر
الإنكار لإثبات الأغيار ، أتم تقرير ذكر العامل في "غير" فقال [حاذفا-']
هـ . « أن ، المصدرية لتصير صلتها في حيز الإنكار : ﴿اعبد^٢﴾ وهو
مرفوع لأن « أن ، لما حذفت بطل عملها ، ولم يراع أيضا حكمها ليقول :
إنه يمتنع نصب « غير ، بها لأن معمول الصلة لا يتقدم على الموصول .
ولما كانت عبادة غير الله أجهل الجهل ، وكان الجهل محط كل
سمول ، قال : ﴿ايها الجهلون :﴾ أى العريقون في الجهل ، وهو التقديم
١٠ في الأمور المنبهة بغير علم - قاله الحرالي في سورة البقرة .

ولما كان التقديم يدل على الاختصاص ، وكانوا لم يدعوه
للتخصيص ، بل للكف المقتضى للشرك ، بين أنه تخصيص من حيث
[أن - °] الإله غنى عن كل شئ . فهو لا يقبل عملا فيه شرك ، ومتى
حصل أدنى شرك كان ذلك العمل كله للذى أشرك ، فكان التفسير
١٥ بيانا لسبب أمره بأن يقول لهم ما تقدم منكرا عليهم : قل كذا ، فقد
أوحى إليك وإلى الذين من قبلك وجوب التوحيد ، فعطف عليه قوله
مؤكددا لأجل ما استقر في النفوس من أن من عمل لأحد شيئا فـ

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من م (م) زيد من مد (م) وقع في الأصل و ط
وم بعد « غير فقال » و ترتيب من مد (م) العبارة من « أن المصدرية » إلى
هنا ساقطة من م (ه) زيد من ظ وم و مد .

سواء كان على وجه الشركة أولا: ﴿وَنَقْدَ﴾ ولما كان الموحى معلوما له صلى الله عليه وسلم، بنى للفعول قوله: ﴿اوحى اليك﴾ ولما كان التعميم ادعى إلى التقبل قال: ﴿والى الذين﴾ ولما كان الإرسال إنما هو فى بعض الزمان لبعض الناس قال: ﴿من قبلك ج﴾ ولما كان الحكم على قوم ربما كان حكما على المجموع [مع قيد الجمع خص بيانا لأنه مع كونه حكما على المجموع - '] حكم على [كل - '] فرد، ولأن خطاب الرئيس خطاب لاتباعه لأنه مقدم.

ولما كان الموحى إليهم أنه من أشرك حبط عمله سواء كان هو أو غيره، صح قوله بالإفراد 'موضع نحو أن الإشراك محبط للعمل 'أو قائم' مقام الفاعل، وعدل عنه إلى ما ذكر لأنه أعظم فى النهى وأقعد ١٠ فى الزجر لمن يتأهل له من الأمة، وأكد لأن المشركين ينكرون معناه غاية الإنكار: ﴿لئن﴾ أى اوحى إلى كل منكم هذا اللفظ وهو وعزى لئن ﴿اشركت﴾ [اى - '] شيئا من الأشياء فى شيء من عملك [بالله - '] - وهو من فرض الحال، ذكره هكذا ليكون أروع للاتباع، والفعل بعد إن الشرطية للاستقبال، فعدل هنا عن التعبير ١١ بالمضارع للطابقة بين اللفظ والمعنى لأن الآية سبقت للتعريض بالكفار فكان التعبير بالماضى أنسب ليدل بلفظه على أن من وقع منه شرك

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من هنا إلى «غاية الإنكار» ساقطة من م (٣-٣) فى مد: القائم (٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: لكان.

قد خسر، و بمعناه على أن الذي يقع منه ذلك فهو كذلك .
ولما تقرر الترهيب أجاب الشرط والقسم بقوله : ﴿ ليحبطن ﴾
أى ليفسدن فيطلن عملك فلا يبقى له اثر ما من جهة القادر فلائه
أشرك به فيه وهو غنى لا يقبل إلا الخالص ، لانه [لا - '] حاجة
ه به إلى شيء ، وأما من جهة غيره فلائه لا يقدر على شيء . ولما كان
السياق للتهديد ، وكانت العبادة شاملة لما تقدم على الشرك من الأعمال
وما تأخر عنه ، لم يقيده / بالاتصال بالموت اكتفاء بتقييده في آية
/ ٥١٢ البقرة وقال : ﴿ ولنكون ﴾ [اى - '] لأجل حبوته ﴿ من الحسرين ه ﴾
فان من ذهب جميع عمله لاشك في خسارته ، والخطاب للرؤساء على
١٠ هذا النحو - وإن كان المراد به في الحقيقة أتباعهم - أجزر للاتباع .
وأهز للقلوب منهم و الاسماع .

ولما كان التقدير قضا : فلا تشرك ، بنى عليه قوله : ﴿ بل الله ﴾
[اى - '] المتصف بجميع صفات الكمال وحده ^٢ بسبب هذا النهى
العظم و التهديد "لفظيع" مهما وقعت منك عادة ما ﴿ فاعبد ﴾ أى
د مخلصا له العبادة ، فحذف الشرط ، عوض عنه بتقديم المفعول . ولما
كانت عبادته لا يمكن أن تقع إلا شكرا لما له من عموم النعم سابق
ولاحقا ، وشكر المنعم واجب ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ وكن من الشكرين ه ﴾
أى العريقين في هذا الوصف لأنه جعلك خير الخلائق .
ولما كان التقدير : فما أحسن هؤلاء ولا أجملوا حين دعوك

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقین من م

للاشراك بالله، وما عبده حق عبادته إذ أشركوا به، عطف عليه قوله: ﴿وما قدروا﴾ وأظهر الاسم الأعظم في أحسن مواضعه فقال: ﴿الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿حق قدره﴾ أى [ما - ٢] عظموه كما يجب له فإنه لو استغرق الزمان في عبادته وخالص طاعته بحيث لم يخل شيء منه عنها لما كان ذلك حق قدره فكيف ه إذا خلا بعضه عنها فكيف إذا عدل به غيره.

ولما ذكرنا تعظيم كل شيء ينسب إليه، دل على بامر قدرته الذى هو لازم القبض والطي بما يكون من الحال في طي هذا الكون، فقال كناية عن العظمة بذلك: ﴿والارض﴾ أى والحال أنها، وقدمها لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها. ولما كان ما يدركون ١٠ منها من السعة والكبر كافيا في العظمة وإن لم يدركوا أنها سبع، أكد بما يصلح لجميع طبقاتها تنبيها للبصراء على أنها سبع من غير تصريح به فقال: ﴿جميعا﴾ ولما كان أحقر ما عند الإنسان وأخفه عليه ما يحويه في قبضته، مثل بذلك^١ في قوله 'نخبنا عن المبتدأ'^٢ مفردا ففتح القاف لأنه أقعد في تحقير الأشياء العظيمة بالنسبة إليه ٥ جليل عظمتها: ﴿قبضته﴾

(١ - ١) سقط ما بين الرقین من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من مد، وفي الأصل و ظ و م: كان (٤) من م و مد، وفي الأصل و ظ: البر. (٥) زيد في الأصل: قال، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد، وفي الأصل و ظ و م: ذلك (٧ - ٧) سقط ما بين الرقین من م و مد.

ولما كان في هذه الدنيا من يدعى الملك والقهر والعظمة والقدرة،
 وكان الأمر في الآخرة بخلاف هذا لانقطاع الأسباب قال: ﴿يوم القيمة﴾
 ولا قبضة هناك حقيقة ولا مجازاً، وكذا الطي واليمين، وإنما تمثيل
 وتخيل^١ لتمام القدرة. ولما كانوا يعلون أن السماوات سبع متطابقة بما
 ه يشاهدون من سير النجوم، جمع ليكون مع "جميعاً" كالتصریح في
 جميع الأرض أيضاً [في قوله -^٢]: ﴿والسّموات مطوَّيت﴾ ولما كان
 العالم العلوى أشرف، شرفه عند التمثيل باليمين فقال: ﴿يمينه^٣﴾ ولما
 كان هذا إنما هو تمثيل بما نعهد والمراد به الغاية في القدرة، نزه نفسه
 المقدس عما ربما تشبث به المجسم^٤ والمشبّه فقال: ﴿سبحنه﴾ أى
 ١٠ تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص وما يؤدى إلى النقص
 من الشرك والتجسيم وما شاكله ﴿وتعلّی﴾ علواً لا يحاط به
 ﴿عما يشركونه﴾ أى إن علوه عن ذلك علو من يبالغ فيه، فهو في
 غاية من العلو لا يكون وراءها غاية لأنه لو كان له شريك لنازعه هذه
 القدرة أو بعضها ففنه شيئاً منها. وهذه معبوداتهم لا قدرة لها على شيء،
 ١٥ / ٥١٣ روى البخارى في صحيحه في التوحيد^٥ وغيره عن / عبد الله رضى الله
 عنه قال: جاء خبر من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إذا

(١-٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تخييل وتمثيل (٣) زيد من م ومد.
 (٣) من مد، وفي الأصل وظ: المتجسم، وفي م: المجتسم (٤) زيد في
 الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد لحدوثها (٥) من ظ وم
 ومد، وفي الأصل: بعضه (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: شيء.
 (٧) راجع ٢ / ١١٠٣ و ١١١٩.

كان يوم القيامة جعل الله السموات على إصبع ، و الأرضين على إصبع ،
و الماء و الثرى على إصبع ، و الخلائق على إصبع ، ثم يميزهن ثم يقول : أنا
المملك ، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه و سلم^١ يضحك حتى بدت فواجذه -
تعجبا [و تصديقا -^٢] لقوله - ثم قال النبي صلى الله عليه و سلم " وما
قدروا الله حق قدره - إلى : يشركون " و روى الشيخان^٣ عن ابن عمر ^ع
رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يطوى الله
السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين
الجبارون أين المتكبرون [ثم يطوى الأرضين ثم ياخذهن بشماله ثم
يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون -^٤] ، و للبخارى^٥ عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : يقبض الله ^{١٠}
الأرض يوم القيامة ، و يطوى السماء يمينه . ثم يقول : أنا الملك أين
ملوك الأرض .

و لما دل على عظيم قدره^١ بعض ما يكون يوم القيامة ، أتبعه
ما لا يحتمله القوى من أحوال ذلك اليوم دليلا آخر ، فقال دالا على
عظيم قدرته و عزه [و -^٢] عظمته بالبناء للفعول : ﴿ و نفخ في الصور ﴾ أى ^{١٥}
^٢ القرن العاظم للآشياء المقبل بها نحو صوته المميل لها عن أحوالها العالى عليها^٣

- (١) زيد فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فلفظها .
(٢) زيد من م و مد (٣) راجع من صحيح مسلم ٣٠٧/٢ ، و لم نفز بهذا اللفظ
فى صحيح البخارى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع من صحيحه ١٠٩٨/٢ .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل وظ : قدرته (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م .

في ذلك اليوم بعد بعث الخلائق وهي النفخة الأولى بعد البعث^١ التي هي بعد نفختي الموت والبعث المذكورتين في سورة يس، والمراد بها - والله أعلم - إلقاء الرعب والخافة والهول في القلوب إظهاراً للعظمة وتردياً بالكبرياء والعز في عزة يوم المحشر ليكون أول ما يفجأهم^٢ "يوم الدين" ما لا يحتمله القوى، ولا تطبيقه الأحلام والنهي، كما كان آخر ما فجأهم في يوم الدنيا وأن افترقا في التأثير، فإن تلك أثرت^٣ الموت، وهذه أثرت^٤ الغشي لأنه لا موت بعد البعث^٥، وهي الثالثة من النفخات ﴿فصعق﴾ أي مغشياً عليه ﴿من في السموات﴾ ولما كان المقام التهويل، وكان التصريح أهول، أعاد الفاعل بلفظه فقال:

١٠ ﴿ومن في الأرض﴾ .

ولما كان منهم من لا يصعق ليعرف دائماً أنه في كل فعل من أفعاله مختار قادر جبار. استثناءه فقال: ﴿إلا من شاء الله﴾^٦ [أي -^١] الذي له مجامع العظمة ومعاهد العز، فيجعل الشيء الواحد هلاكاً لقوم دون قوم، وصعقاً لقوم دون قوم، يجعل ذلك الذي كان به الهلاك به الحياة. وذلك الذي كان به الغشي به الإفاقة وإن كان بلذبة اليقظة على حد سواء، إعلالاً بأن الفاعل المؤثر الفعال لما يريد لا الأمر، قيل: المستنون الشهيد. وقيل: غيرهم ﴿ثم نفخ فيه أخرى﴾

(١) من ظ و م ومد، وفي الأصل: البعثة (٢-٣) سقط ما بين الرقنين من م.
(٢) من مد، وفي الأصل و ظ: اكثرت (٤) العبارة من "كما كان آخره" إلى هنا ساقطة من م (٥) من م ومد، وفي الأصل و ظ: بنفسه (٦) زيد من م ومد.

أى نفخة ثانية من هذه، وهى رابعة من النفخة الميئة، ودل على سرعة تأثيرها بالفجاءة فى قوله: «فاذا هم قيام» أى قائمون كلهم (ينظرون) أى يقلبون أبصارهم أو ينتظرون ما يأتى بعد ذلك من أمثاله من دلائل العظمة، وهاتان النفختان هما المرادتان فى حديث تخاضم اليهود مع المسلم الذى لطم وجهه، وفى آخره: يصعق الناس يوم القيامة فأكون أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور^١ - وقد رواه البخارى فى الخصومات فى

موضعين^٢، وفى أحاديث الأنبياء فى موضعين^٣، وفى الرقاق^٤، وفى التوحيد^٥ ومسلم فى الفضائل وأبو داود فى السنة، والنسائى فى التفسير والنوعت، وبتفصيل رواياته وجمع ألفاظها يعلم أن ما ذكرته هو المراد، ١٠ روى البخارى ومسلم فى أحاديث الأنبياء عن أبى هريرة رضى الله عنه [قال -^٦]: بينما يهودى يعرض سلعة له - وقال البخارى: سلعته - أعطى بها شيئاً كرهه أو لم يرضه. قال: لا والذى اصطفى موسى على البشر! فسمعه رجل من الأنصار فلطم -^٧ وقال البخارى: فقام فلطم - وجهه.

(١) سقط من م (٢) من م و مد، وفى الأصل وظ: الصور (٣) تحت باب ما يذكر فى الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودى ٣٢٥/١ (٤) تحت باب قول الله عز وجل «وواعدنا موسى» ٤٨١/١ وتحت «باب وفاة موسى عليه السلام وذكره بعد» ٤٨٤/١ (٥) تحت باب نفخ الصور ٩٦٥/٢. (٦) تحت باب قوله «وكان عرشه على الماء» ١١٠٤/٢ (٧) زيد من م و مد. (٨-٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: وجهه وفى.

قال: تقول: والذي اصطفى موسى على البشر ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، فذهب اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهدا، وقال: فلان لطم وجهي، - وقال البخاري: فما بال فلان لطم وجهي؟ - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم لطمت وجهه؟ قال: قال يا رسول الله، والذي اصطفى موسى على البشر، وأنت بين أظهرنا، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عرف الغضب في وجهه، ثم قال: لا تفضلوا بين أنبياء الله فانه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث - وفي رواية ١٠ لمسلم: أو في أول من بعث - فاذا موسى أخذ بالعرش فلا أدري أحسب بصعقة يوم الطور أو بعث قبلي ولا أقول: إن أحدا أفضل من يونس بن متى، وفي رواية للبخاري في تفسير الزمر^٢: إني من أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا أنا بموسى متعلق بالعرش فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة، وفي رواية للبخاري في ١٥ الخصومات والرقاق وأحاديث الأنبياء وهي لمسلم أيضا قال^١: استب رجلان: رجل من المسلمين ورجل من اليهود - وفي رواية لمسلم: رجل من اليهود ورجل من المسلمين - فقال المسلم: والذي اصطفى محمدا

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: رسول الله (٢) راجع ٢ / ٧١١ .
(٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: موسى (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: قال .

صلى الله عليه وسلم على العالمين ، قال البخارى فى كتاب التوحيد و أحاديث
الانبياء : فى قسم يقسم به ، فقال اليهودى : و الذى اصطفى موسى على العالمين ،
قال البخارى : فعضب المسلم عند ذلك فاطم وجه اليهودى ، وقال
مسلم و كذلك البخارى فى التوحيد و الخصومات و أحاديث الانبياء :
فرفع المسلم يده عند ذلك فاطم وجه اليهودى ، فذهب اليهودى إلى ٥
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان من امره و أمر المسلم ، قال
البخارى فى الخصومات : فدعا النبي صلى الله عليه وسلم المسلم فسأله عن ذلك
فأخبره - ثم اتفقا : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخيرونى
على موسى فإن الناس يصعقون - قال البخارى فى الرقاق و الخصومات
و أحاديث الانبياء و نسخة فى التوحيد : يوم القيامة فأكون فى ١٠
من يفيق ، و فى رواية له فى الخصومات : فأصعق معهم ، و فى رواية
له فى الرقاق و فى رواية فى التوحيد و هى رواية لمسلم و أبى داود :
فأكون أول من يفيق ، فإذا موسى باطش بجانب العرش ، و قال أبو داود :
فى جانب العرش ، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبل أم كان ممن
استثنى الله ، و فى رواية : فلا أدري أكان ممن ٢ صعق فأفاق قبل أم اكتفى ١٥
بصعقة الطور ، و فى رواية للبخارى فى أحاديث الانبياء : فلا أدري
أكان فيمن صعق فأفاق أم كان ممن استثنى الله - و لم يذكر قبل ، ،
و روى الحديث الترمذى فى تفسير سورة الزمر و ابن ماجه فى الزهد :

٥١٥/

(١) فى م و مده : كذا (٢) سقط من م (٣) من م و مده ، وفى الأصل وظ :
فيمن (٤) راجع ١٥٦/٢ (٥) راجع ٣٢٦/٢ .

قال : قال اليهودى ، و قال ابن ماجه : رجل من اليهود بسوق المدينة :
والذى اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يدا فصلك
بها وجهه - و قال ابن ماجه : فلفطه - قال : تقول هذا و فينا نبى الله
صلى الله عليه و سلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و ففخ في
ه الصور - و قال ابن ماجه : تقول هذا و فينا رسول الله صلى الله عليه

و سلم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : قال الله تعالى :
و ففخ في الصور - فصعق من في السموات و من في الارض إلا من
شاء الله ثم ففخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ، فأكون أول من
رفع رأسه فاذا موسى أخذ - و قال ابن ماجه : فاذا أنا بموسى أخذ -
١٠ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أرفع رأسه قبل أم كان ممن
استثنى الله ، و من قال : أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ، و قال

الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . و فى رواية للبخارى فى الرقاق :
يصعق الناس حين يصعقون ، فأكون أول من قام . فاذا موسى أخذ
بالعرش ، فما أدري أكان فيمن صعق . قال : و رواه أبو سعيد رضى الله
١١ عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم ، و للبخارى فى الخصومات عن

أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه و سلم
جالس جاء يهودى فقال : يا أبا القاسم ! ضرب وجهى رجل من أصحابك ،
قال : من ؟ قال : رجل من الانصار ، قال : ادعوه ، قال : ضربته ؟ قال :
سمته بالسوق بخلف ، و الذى اصطفى موسى على البشر ، قلت : أى

خيث^١ على محمد، فأخذتني غصبة ضربت وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تخيروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق [عنه -^٢] الأرض - وفي رواية في أحاديث الأنبياء: فأكون أول من يفيق - فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن^٣ صعق أم حوسب بصعقته الأولى، وفي رواية في أحاديث الأنبياء: فلا أدري أفاق قبلي أم حوسب بصعقة الطور، والله أعلم^٤ - هذا ما رأيته من ألفاظ الحديث في الكتب الستة، وأما معنى صعق فانه صاح ومات لجماعة أو غشي عليه. قال في القاموس^٥: الصاعقة الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب، [وصعق -^٦] كسمع صعقا وبحرك^٧ وصعقة و تصعاقا^٨: غشي عليه. والصعق محركة: شدة الصوت، وككتف: الشديد الصوت. وقال عبد الحق في الواعى: الأزهرى: الصاعقة صوت الرعد الشديد الذى يصعق منه الإنسان، أى يفتى عليه يقال: صعقتهم الصاعقة - يعنى بالفتح - وأصعقتهم - إذا أصابتهم^٩ فصعقوا وصعقوا، ومنه حديث الحسن: ينتظر بالمصعوق ثلاثا ما لم يخافوا عليه تقنا - يعنى الذى مات لجماعة. قال: والصاعقة مصدر جاء على فاعلة، تقول: سمعت صاعقة الرعد وثاغية^{١٠} الشاء. وقوله

- (١) من م ومد، وفي الأصل وظ: حبيب (٢) زيد من ظ وم ومد.
(٣) في م: ممن (٤-٤) سقط ما بين الرفين من ظ وم ومد (٥) ٢ / ٢٤٩.
(٦) من مد والقاموس، وفي الأصل وظ وم: تحرك (٧) من ظ وم ومد والقاموس، وفي الأصل: تصعاقا (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: اجابتهم (٩) من م ومد، وفي الأصل وظ: باغية.

”وخر موسى صعقا“ أى مغشيا عليه، دل على ذلك قوله سبحانه
 ”فلما أفاق“ إنما يقال: أفاق من العلة والغشية وبعث من الموت. قال:
 وجملة الصاعقة الصوت / مع النار، و قال أبو عبد الله - [يعنى - ']
 القراز -: الصعق هو أن يسمع الإنسان صوت الهدية الشديدة فيصعق
 لذلك عقله، واشتقاق الصاعقة من هذا، سميت صاعقة لشدة صوتها
 و تقول: إنه لصعق، أى شديد الصوت، وكذا هو صعاق - انتهى -
 فتحرر من هذا أن الصعق يطلق على الموت فجأة، وعلى الغشى كذلك،
 وأن الإفاقة لا تكون إلا عن غشى لا عن موت، فلم أن الصعقة في
 هذه الآية إنما هي غشى. لأن الثانية عنها إفاقة، وأيضا فمن الأمر
 ١٠ المحقق أنه لا يموت أحد من أهل البرزخ فكيف بالأنبياء عليهم السلام،
 فالصواب حمل الصعقة المذكورة في الحديث على الغشى أو ما يشبهه،
 ويؤيده التجويز لأن تكون صعقة الطور جزءا عنها، وعلى تقدير أن
 تكون غشيا إن قلنا أنه يكون بنفخة الإمامة يلزم عليه أن لا يكون للغشى
 ولا لعدم مدخل في الشك في أن موسى عليه السلام أفاق قبل أولم
 ١٥ يحصل له غشى أصلا. لأن الذى يكون به بطشه بالعرش - وهو بروحه
 وجسده - إنما هو البعث من الموت لا الإفاقة من الغشى ولا عدم
 الغشى قبل البعث. فالذى يوضح الأمر ولا يدع فيه لبسا أن يكون ذلك
 بعد البعث. وتكون حيثذ النفحات أربعا: الأولى لإماتة الأحياء،
 الثانية لإحياء جميع الموتى، وهاتان هما المذكورتان في سورة يس،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، وفي الأصل و ظ: من .

ولذلك

ولذلك لما ذكرهما صرح في أمرهما بما لا يحتمل غيره " ما ينظرون
 الاصبحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم
 يرجعون ونفخ في الصور فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون"
 الثالثة لابتدائهم بعد البعث بالهول الشديد، والحال يقتضيه لأن ذلك
 اليوم يوم الأهوال والأرعب والأرهاب، وإظهار العظمة والجلال ه
 لتقطع الأسباب، والذي يدل عليه في هذا الحديث قوله صلى الله عليه
 وسلم في كثير من رواياته "فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فإن
 يوم القيامة اسم للوقت الذي أوله البعث وآخره تكامل دخول [كل - ١]
 فريق إلى داره ومحل استقراره، وأما صعقة الموت فأنها في دار الدنيا
 وهي الانامة لا للقامة^١، ويضعف حمله على ما قبل البعث الروايات ١٠
 الصحيحة الجازمة بأن النبي صلى الله عليه وسلم أول من تنشق عنه الأرض،
 وما حكاه الكرمانى من الإجماع على ذلك ولا غفر فيه إلا بحصول
 البعث [لا - ٢] بإظهار الجسد من غير بعث، فهذا الجزم يناقض ذلك
 الشك، فإذا كان المراد بما في الحديث الغشى كانت نفخة أخرى
 للإيقاظ منه، وهاتان المرادتان بما في هذه السورة كما في رواية الترمذى ١٥
 وما في التل، ولذلك عبر عنها بالفرع، ويؤيد ذلك التعبير في رواية
 البخارى في التفسير بالنفخة الآخرة^٢، والنبي صلى الله عليه وسلم قد أوتى

(١) زيد من م ومد (٢) في م: اللاقة (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل ه
 لأن (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) من م ومد، وفي الأصل
 وظ: الأخرى.

جوامع الكلم، واختصر له الكلام اختصاراً، ولو انها نفختان فقط
 كان التعبير بالآخرة قاصراً عما تفيد الثانية مع المساواة في عدة
 الحروف، وهو مما لا يظن يبلغ، فكيف بأبلغ الخلق المؤيد بروح
 القدس صلى الله عليه وسلم، فكان العدول عن الثانية إلى الآخرة مفيداً
 ٥ أنها أربع، ولعل ذلك معنى "امتنا اثنتين و احييتنا اثنتين" وسميت
 إماتة لشدة الغشى بها اعظم أمرها ومعنى زلزلة الساعة / التي تسكر،
 / ٥١٧
 ويؤيده التعبير عن القيام منها بالإفاقة لا بالبعث، ولا يعكر على هذا
 شيء إلا زواية البخارى في الخصومات: فأكون أول من تنشق عنه
 الأرض فاذا أنا بموسى - إلى آخره، فالظاهر أن راويها وهم، أو روى
 ١٥ بالمعنى فما وفى بالغرض، وراجع روايات من قالوا: فأكون أول من
 يفيق - بالكثرة و بزوال الإشكال، هذا ما كان ظهر لى فى النظر فى
 المعنى و تطبيق الآيات و الأحاديث عليه، ثم رأيت شيخنا حافظ عصره
 أحمد بن على بن حجر الكنانى العسقلانى المصرى رحمه الله نقل ما جمعت به
 بين الروايات فى كتاب الانبياء من شرحه للبخارى عن القاضى عياض
 ١٥ فقال: وقال عياض: يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث
 حين تنشق السماء و الأرض . وأقره على ذلك ثم نقل عن ابن حزم
 عين ما قلته فى النفخات فقال ما نصه: تكميل: زعم ابن حزم أن
 النفخات يوم القيامة أربع: الأولى نفخة إماتة يموت فيها من بقى فى الأرض،

(١) من م و مد، وفى الأصل و ظ: بالإمامة (٢) راجع فتح البارى
 ٢٥٨/١٣ من ظ و م و مد، وفى الأصل: عنى (٤) راجع فتح البارى
 ٢٥٩/١٣ (٥) من الفتح، وفى الأصول: الإماتة .

حيا، ثانيها نفخة إحياء فيقوم كل ميت، والثالثة نفخة فزع وصبغ
 'يفيقون منها' كالغشي عليهم، لا يموت منها أحد، والرابعة إفاقة من
 [ذلك - ٢] الغشي، ثم رده شيخنا بأن الصعقات أربع، ولا يستلزم
 كون النفخات أكثر من اثنتين، وذلك أنه ينفخ في الصور النفخة الأولى
 فيموت من كان حيا و يغشى على من كان ميتا، فهاتان صعقتان^٥ في
 النفخة الأولى، و ينفخ النفخة الثانية فيفيق من كان مغشيا عليه و يحيى
 من كان ميتا، فهاتان اثنتان في النفخة الثانية، وهذا الرد مردود لمن
 حقق ما قلته بأدنى تأمل، و يلزم عليه أن يكون أصفاء الله أشد حالا
 وفزعا ممن تقوم عليهم الساعة وهم شر عباد الله، والعجب أن الذي
 رده على ابن حزم سلمه لعياض - والله الموفق .

١٠

ولما ذكر إقامتهم بالحياة التي هي نور البدن، أتبعه إقامتهم بنور
 جميع الكون ظاهرا بالضياء الحسى، و باطنا بالحكم على طريق العدل الذي
 هو نور الوجود الظاهري و الباطني على الحقيقة كما أن الظلم ظلامه
 كذلك فقال: ﴿واشرق﴾ أي أضاءت إضاءة عظيمة مالت بها إلى
 الحمرة ﴿الارض﴾ أي التي أوجدت لحشرهم. و عدل الكلام عن ١٥
 الاسم الأعظم إلى صفة الإحسان لغلبة الرحمة لاسيما في ذلك اليوم فانه
 لا يدخل أحد الجنة إلا بها فقال: ﴿بنور ربها﴾ أي الذي رباها بالإحسان
 إليها يجعلها محلا للعدل و الفضل، لا يكون فيها شيء غير ذلك أصلا،

(١-١) من الفتح، و في الأصول: ييقون فيها (٢) زيد من الفتح -
 (٣-٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: فهذان الصفتان (٤-٤) سقط ما بين
 الرقيين من م .

نظم الدرر (سورة الزمر ٣٩ : ٦٩ و ٧٠) ج - ١٦

وذلك النور الذي هو شيء واحد يبصر به قوم دون آخرين كما كانت
الفخة نارة للهلاك و نارة للحياة .

ولما كان العلم هو النور في الحقيقة، وكان الكتاب أساس العلم
وكان لذلك اليوم من العظمة ما يفوت الوصف ولذلك كذب به الكفار
هـ أنى فيما يكون فيه باذنه بصيغة المجهول على طريقة كلام القادرين
إشارة إلى هوانه وأنه طوع أمره لا كلفة عليه في شيء من ذلك،
وكذا ما بعده من الأفعال زيادة في تصوير عظمة اليوم بعظمة
الأمر فيه فقال : (و وضع الكتب) أى الذى أنزل إلى كل أمة
تعمل به .

١٠. ولما كان الأنبياء أعم من المرسلين، وكان للنبي وهو المبعوث

يعمل من أمره أن يأمر بالمعروف، وقد يتبعه من أراد الله به الخير،

وكان عدتهم مائة ألف وأربعة وعشرين ألفا، وهي قليلة جدا / بالنسبة

/ ٥١٨

إلى جميع الناس، عبر بهم دون المرسلين وجمع القلة فقال :

(و جآئى بالنبيين) للشهادة على أممهم بالبلاغ . ولما كان أقل ما

١٥ يكون الشهود ضعف المكلمين، عبر بجمع الكثرة فقال : (و الشهداء)

أى الذين وكلوا بالمكلمين فشاهدوا أعمالهم فشهدوا بها وضبطوها

فاضلت الأصول و صورت الدعاوى وأقيمت اليينات على حسبها من

(١ - ٢) سقط ما بين الرقین من م (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ :

كذلك (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : بما (٤) فى م : عنه (٥) فى م

و مد : هما .

طاعة أو منصبة، ووقع الجزاء على حسب ذلك، فظهر العدل 'رحمة للكفار'، وبأن الفضل 'رحمة للسلين' (وقضى بينهم) أى بين العباد الذين قتل ذلك كله لأجلهم. 'ولما كان السياق ظاهرا فى عموم الفضل عدلا وفضلا كما يأتى التيه عليه قال: (بالحق) بأن يطابق الواقع من الثوبات والعقوبات ما وقع الخبر به فى الكتب على السنة الرسل.

ولما كان المراد كمال الحق باعتبار عمومه لجميع الأشخاص والأعمال. كان ربما طريقه احتمال تخصيص ما، أزال ذلك بقوله: (وهم) 'أى باطنا وظاهرا' (لا يظلمون) أى لا يتجدد لهم ظلم فى وقت أصلا، فلا يزدون فى جزاء السيئة على المثل شيئا ولا ينقصون فى جزاء الحسنة ١٠ عن العشر شيئا.

ولما كان ذلك ربما كان بالنسبة إلى ما وقع فيه الحكم، وليس نصا فى شمول الحكم لكل عمل، نص عليه بقوله، [ذاكرا الوفاء والعمل لاقتضاء السياق ذلك بذكر الكتاب وما فى حيزه من النيين والشهداء والقضاء الحق، وذلك كله أليق بذكر العمل المؤسس على العلم، والوفاء ١٥ الذى هو الركن الأعظم فى الحق ومساق العلم، والعلم والوفاء أوفق لجعل العمل نفسه هو الجزاء بأن يصور بما يستحقه من الصور الملية إن كان ثوابا، والتمية إن كان عقابا، والفرق بينه وبين العقل المؤسس (١-١) سقط ما بين الرقين من م (٢) زيد فى ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد.

على الشهوة وقوة الداعية [: ﴿ ووفيت كل نفس ﴾] وبما كانت
التوفية في الجزاء على غاية التحرير والمبالغة في الوفاء والمساكلة في
الصورة والمعنى، جعل الموفى نفس العمل فقال : ﴿ ما عملت ﴾ أى من
الحسنات، ولذلك عبر بالعمل الذى لا يكون إلا مع العلم [وأفهم الختام
تقدير : « والله أعلم بما يعملون » - ١] .

ولما كان المراد بالشهداء إقامة الحقوق على ما يتعارفه العباد وكان
ذلك ربما أومر نقصا في العلم قال : ﴿ وهو اعلم ﴾ أى من العاملين
و الشهداء عليهم ﴿ بما يفعلون ﴾ أى بما عمل [به - ١] بداعية من النفس
سواء كان مع مراعاة العلم أولا . [فالآية من الاحتباك : ذكر ما عملت
١٠ أولا يدل على ما فعلت ثانيا، وذكر ما يفعلون ثانيا يدل عليه ما يفعلون
أولا، وسره أن ما ذكر أرفق للراد من نفي الظلم على حكم الوعد
بالعدل والفضل لأن فيه الجزاء على كل ما بنى على علم، وأما المشتبه
فما ذكر أنه يجازى عليه بل الله يعلمه - ١] .

ولما كان الأغلب على هذه المقامات التحذير . قدم في هذه
١٥ التوفية حال اهل الغضب فقال : ﴿ وسيق ﴾ [أى - ٢] بأمر يسير
من قبلنا بعد إقامة الحساب سوقا عنيفا ﴿ الذين كفروا ﴾ أى غطوا
أنوار عقولهم، فالتبست عليهم الأمور فضلوا ﴿ الى جهنم ﴾ أى الدركة
التي تلقاهم بالعبوسة كما تلقوا الأوامر والنواهي والقائمين بها بمثل
ذلك، فان ذلك لازم لتغطية العقل ﴿ زمرا ﴾ أى جماعات في تفرقة

(١) زيد ما بين الحازرين من مد (٢) زيد من ظ و م و مد .

بعضهم على^١ إثر بعض^٢ - قاله أبو عبيد - أصنافا مصنفين، كل شخص مع من^٣ يلائمه في الطريقة و الزمرة، مأخوذة من الزمر و هو صوت فيه التباس كالزمر المعروف لأن ذلك الصوت من لازم الجمع .

ولما كان إغلاق الباب المقصود عن قاصده^٤ دالا على صفاره،

دل على أن أمرهم كذلك بقوله ذاكر اغاية السوق : (حتى^٥ إذا جاءوها) .

أى على صفة الذل و الصغار ، و أجاب : إذا ، بقوله : (فتحت ابوابها)

أى بولغ كما يفعل فى أبواب السجن لأهل الجرائم بعد تكاملهم عندها

فى الإسراع فى فتحها ليخرج إليهم ما كان محبوسا باغلاقها من الحرارة

التي يلقيهم ذكاؤها و شرارها على حالة هى أمر من لقاء السهام التي

اختاروها فى الدنيا على تقبل ما خاف أهويتهم من حسن الكلام . ١٠

ولما كان المصاب ربما رجا الرحمة ، فاذا وجد من يبيته كان

تبكيته أشد عليه مما هو فيه قال : (وقال لهم خزنتها) إنكارا عليهم

و تقريرا و تويخا : (ألم ياتكم رسل) ولما كان قيام الحجبة بالمجانس

أقوى قال : واصفا لرسل : (منكم) أى لتسهيل عليكم مراجعتهم .

ولما كانت / المتابعة بالتذكير أوقع فى النفس قال : آتيا بصفة أخرى ١٥ / ٥١٩

معبرا بالثلاوة التي هى أنسب لما يدور عليه مقصد السورة من العبادة

لما للنفوس من النقائص الفقيرة إلى متابعة التذكير : (يتلون) أى

يوالون (عليكم آيت) ولما كان أمر المحسن أخف على النفس

(١) سقط من م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعضه (٣) فى م : ما .

(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قاصد (٥ - هـ) سقط ما بين الرقين من م .

'فيكون أدعى إلى القبول' قالوا: ﴿ربكم﴾ أى بالبشارة إن تابعتم .
 ولما كان الإنذار أبلغ في الزجر قالوا: ﴿وينذرونكم لقاء يومكم﴾
 ولما كانت الإشارة أعلى في التشخيص قالوا: ﴿هذا﴾ إشارة إلى يوم
 البعث كله، أى من الملك الجبار إن نازعتم، فالآية من الاحتباك: ذكر
 الرب أولا دلالة على حذف الجبروت ثانياً والإنذار ثانياً دليلاً على
 البشارة أولا ﴿قالوا بلى﴾ أى قد أتونا وتلوا علينا وحذرونا .

ولما كان عدم إقبالهم على الخلاص مما وقعوا فيه مع كونه يسيراً
 من أعجب العجب، بينوا موجه بقولهم: ﴿ولكن حقت﴾ أى وجبت
 وجوباً يطابقه الواقع، لا يقدر معه على الانكسار عنه ﴿كلمة العذاب﴾
 ١٠ أى التى سبقت فى الأزل علينا - هكذا كان الأصل، ولكنهم قالوا:
 ﴿على الكافرين﴾ تخصيصاً بأهل هذا الوصف وبياناً لأنه موجب
 دخولهم وهو تغطيتهم للأنوار التى أنتهم بها الرسل .

ولما فرغوا من إهاتهم بتبكيتهن، أنكروهم بالأمر بالدخول، وعبر
 بالبنو للفعل إشارة إلى أنهم وصلوا إلى أقصى ما يكون من الذل بحيث
 ١٥ أنهم يمتثلون قول كل قائل جل أرقل، فقيل فى جواب من كأنه قال:
 ماذا وقع بعد هذا التفرع؟: ﴿قيل﴾ أى لهم جواباً لكلامهم:
 ﴿ادخلوا أبواب جهنم﴾ أى طبقاتها المتجهة لداخلها . ولما كان
 الإخبار بالخلود حين الدخول أوجع لهم قالوا: ﴿تخلدين﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرئتين من م (ر) من ظ و م و مد، وفى الأصل:
 الاقبال (ر) العبارة من هنا إلى «الخلود» ساقطة من م .

مقدين' الخلود (فيها) و لما كان سبب كفرهم بالادلة هو التكبر،
سبب عن الامر بالدخول قوله 'معرى عن التأكيد' لأنه يقال في الآخرة
ولا تكذيب فيها يقتضى التأكيد و لم يتقدم منهم هنا كذب كالتحل
بل اعتراف و تقدم (فئس مشى) أى منزل و مقام (المتكبرين)
أى الذين أوجب تكبرهم حقوق كلمة العذاب عليهم، فلذلك تعاطوا ه
أسبابها .

و لما ذكر أحوال الكافرين، أتبعه أحوال أضدادهم فقال: (و سبق)
و سوقهم إلى المكان الطيب يدل على أن موقفهم كان طيبا لأن من
كان فى أدنى نكد فهبى له مكان هنىء لاحتاج فى الذهاب إليه إلى سوق،
فستان ما بين السوقين! هذا سوق لإكرام، و ذاك سوق إهانة و انتقام، ١٠
و هذا لعمرى من بدائع أنواع البديع، و هو أن يأتى سبحانه بكلمة
فى حق الكفار فتدل على هوانهم بعقابهم، و يأتى بتلك الكلمة بينها
و على هيئتها فى حق الأبرار فتدل على إكرامهم بحسن ثوابهم، فسبحان
من أنزله معجز المباني، متمكن المعاني، عذب الموارد و المثاني .

و لما كان هذا ليس لجميع السعداء بل للخاص منهم، دل على ذلك ١٥
بقوله: (الذين اتقوا) أى لا جميع المؤمنين (ربهم) أى الذين كلما
زادهم إحسانا زادوا له هبة، روى أحمد و أبو يعلى و ابن حبان فى صحيحه
(١) من مد، و فى الأصل و ظ: مقدورين (٢) العبارة من هنا إلى و تقدم
ساقطة من م (٣-٢) سقط ما بين الرقيين من ظ (٤) أورده الهيثمى فى مجمع
الزوائد ١٠ / ٣٧٧ من رواية أحمد و أبى يعلى .

عن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 يوما كان مقداره خمسين ألف سنة ، فقيل : ما أطول هذا اليوم ؟ قال :
 النبي صلى الله عليه وسلم : و الذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن
 حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة . و روى الطبرانى^١ و ابن
 حبان فى صحيحه^٢ عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال : تجتمعون^٣ يوم القيامة - فذكر الحديث حتى قال : قالوا :
 فأين المؤمنون يومئذ ؟ قال : توضع لهم كراسى^٤ من نور و يظل عليهم
 الغمام^٥ يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار .
^٦ و يمكن أن يكون السوق إشارة إلى قسر المقادير للفريقين على الأفعال
 ١٠ التى هى أسباب الدارين^٧ (إلى الجنة زمرا^٨) أهل الصلاة المنقطعين
 إليها المستكثرين منها على حدة ، و أهل الصوم كذلك - إلى غير ذلك
 من الأعمال التى تظهر آثارها على الوجوه .

ولما ذكر السوق ، ذكر غاية بقوله : (حتى^٩ اذا جاءوها) و لما كان
 إغلاق الباب عن الآتى يدل على تهاون به ، و فى وقوفه إلى أن يفتح
 ١٥ له نوع هوان قال : (و فتحت) أى و الحال أنها قد فتحت (ابوابها)
 أى إكراما [لهم -^{١٠}] قبل وصولهم إليها بنفس الفتح و بما يخرج إليهم

(١) تكرر فى الأصل و ظ فقط (١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد
 ١٠/٣٣٧ من رواية الطبرانى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صحيحهما .
 (٣) من م و مد و المجمع ، و فى الأصل و ظ : تجتمعون (٤) فى المجمع : منابر .
 (٥) زيد فى الأصل : حتى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و المجمع
 لحذفها (٧-٧) - سقط ما بين الرقین من م (٨) زيد من م و مد .

من راحمتها، ويرون من زهرتها وبهجتها، ليكون ذلك لهم سائقا ثانيا
إلى ما لم يروا مثله ولا رأوا عنه ثانيا .

ولما ذكر إكرامهم بأحوال الدار، ذكر إكرامهم بالخزنة الأبرار،
فقال عطفاً على جواب "إذا" بما قدره^١: تلقتهم خزنتها بكل ما يسرم:

(و قال لهم خزنتها) أي حين الوصول: (سلم عليكم) تعجيلاً .
للسرة لهم بالبشارة بالسلامة التي لا عطب فيها . ولما كانت داراً لا تصلح
إلا للطهرين قالوا: (طبتهم) أي صلحتم لسكنائها، فلا تحول لكم عنها
أصلاً . ثم سبوا عن ذلك تنبيهاً على أنها دار الطيب، فلا يدخلها إلا
مناسب لها، قولهم: (فادخلوها) فأتج ذلك (خلدينه) ولعل فائدة
الحذف لجواب "إذا" أن تذهب النفس فيه من الإكرام كل مذهب .
و تعلم أنه لا يحيط به الوصف،^٢ ومن أنسب الأشياء أن يكون دخولهم
من غير مانع من إغلاق باب أو منع بواب، بل مأذونا لهم مرجحاً بهم
إلى ملك الأبد .

ولما كان التقدير: فدخلوها^٣، عطف عليه قوله: (وقالوا) أي
جميع الداخلين: (الحد) أي الإحاطة بأوصاف الكمال،^٤ وعدلوا إلى ١٥
الاسم الأعظم حثاً لأنفسهم على استحضار جميع ما تمكنهم معرفته من
الصفات فقالوا: (لله) أي الملك الأعظم (الذي صدقنا وعده) في قوله
"تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقياً" فطابق قوله الواقع

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تقديراً (٢-٢) سقط ما بين الرقنين من

م (م) من م و مد، وفي الأصل وظ: فدخلوه .

الذى وجدناه^١ فى هذه الساعة ﴿ واورثنا ﴾ كما وعدنا ﴿ الارض ﴾
الى لا ارض فى الحقيقة غيرها و هى ارض الجنة التى لا كد^٢ فيها بوجدها
وفىها ﴿ كل ﴾^٣ ما تشتهى النفس وتلك الاعين ، بأن جعل حالنا
فيها فى تمام الملك وعدم التسبب فى الحقيقة فيه حال الوارث الذى هو
بعد موته و لا شيء بعده و لا منازع له ^٥ حال كوننا ﴿ تبوا ﴾ أى
تتخذ منازل هى اهل لمن خرج منها أن يشتهى العود إليها ، و يتبوا
الارض بقولهم فى موضع الضمير : ﴿ من الجنة ﴾ أى كلها
﴿ حيث نشاء ﴾ لا تساعها فلا حاجة لاحد فيها أن ينازع احدا فى
مكان أصلا ، و لا يشتهى إلا مكانه . ولما كانت بهذا الوصف الجليل ،
١٠ تسبب عنه مدحها بقوله : ﴿ فنعم ﴾ أجرتنا - هكذا كان الاصل ، و لكن
قال : ﴿ اجر العاملين ﴾ ترغيبا فى الاعمال و حثا على عدم الاتكال .
ولما ذكر سبحانه الذين ركب فيهم الشهوات ، و ما وصلوا إليه
من المقامات ، أتبعهم اهل الكرامات الذين لا شاغل لهم عن العبادات .
فقال صارفا الخطاب لعلو الخبر إلى اعلى الخلق لأنه لا يقوم بحق هذه
١٥ الرؤية غيره : ﴿ و ترى ﴾ تعبيرا بأخص من الإبصار الاخص من النظر
كما بين فى البقرة فى قوله تعالى " و ان القوة لله جميعا " ﴿ الملتصكة ﴾
القائمين بجميع ما عليهم من الحقوق ﴿ حافين ﴾ أى محذرين ومستديرين
وطائفين فى جموع لا يحصيها إلا الله . من الحف وهو الجمع ، و الحفة
(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : وجدنا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣-٤) سقط ما بين الرقين من م (٤) فى م : للذين .

١٢١ / وهو جماعة الناس، والأعداد الكثيرة، وهو جمع حاف، وهو الواحد من الجماعة المحددة.

ولما كان عظم الشيء من عظم صاحبه، وكان لا يحيط بعظمة العرش حق الإحاطة إلا الله تعالى، أشار إلى ذلك بادخال الجار فقال: ﴿من حول العرش﴾ أى الموضع الذى يدار فيه به ويحاط به منه، من الحول وهو الإحاطة والانقطاع والإدارة. محدقين يعص أخفته أى جوانبه التى يمكن الخوف بها بالقرب منها يسمع لخفوفهم صوت بالتسريح والتحميد والتقديس والاهتزاز خوفا من ربهم، فادخال "من" يفهم أنهم مع كثرتهم إلى حد لا يحصى إلا الله، لا يملأون ما حوله، 'حال كونهم' (يسبحون بحمد) 'و صرف القول إلى وصف الإحسان ١٠ مدحا لهم بالتشهير لشكر المنعم وتدريباً لغيرهم فقال: ﴿ربهم ج﴾ أى يبالغون فى التنزيه عن النقص ^١ بأن يتوهم متوهم ^٢ أنه محتاج إلى عرش أو غيره، وأن يحويه مكان. متلبسين^٣ بآيات الكمال للحسن إليهم بالزامهم بالعبادة من غير شاغل يشغلهم، ولا منازع من شهوة أو حظ يغفلهم، تلذذاً بذكره وتشرفاً بتقديسه، ولأن حقه إظهار تعظيمه على الدوام ١٥ كما أنه متصل الإنعام.

ولما تقدم ذكر الحكم بين أهل الشهوات بما برز عليهم من الشهادات،

(١-١) سقط ما بين الرقنين من م (٢) العبارة من هنا إلى «يحويه مكان» ساقطة من م (٢) زيد فى لأصل: إلى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى م و مد: متلبسين.

ذكر هنا الحكم بينهم وبين الملائكة الذين^١ فارضوا في أصل خلقهم بقولهم
 "انجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء" الآية فقال : (وقضى بينهم)
 أى بين أهل الشهوات وأهل العصمة والثبات .^٢ ولما كان السياق
 عاما في الترغيب والترهيب عدلا وفضلا ، بخلاف سياق سورة يونس
 ه عليه السلام ، قال : (بالحق) بأن طوبى بما أنزلنا فيهم في الكتب
 التي وضعناها لحسابهم الواقع ، فمن طغى منهم أسكتناه لظى بعدنا ،
 ومن اتقى نعمناه في جنة المأوى بفضلنا ، لجهدهم ما فيهم من الشهوات
 حتى ثبتوا على الطاعات ، منع ما ينزعهم من الطبائع إلى الجهالات ،
 وأما الملائكة فأبقيناهم على حالهم في العبادات : (وقيل)
 ١٠ [أى من - ٢] كل قائل : آخر الأمور كلها (الحمد) أى الإحاطة
 بجميع ، أوصاف الكمال ،^٣ وعدل بالقول إلى ما هو حق بهذا المقام
 فقال : (لله) ذى الجلال والإكرام ، علمنا ذلك في هذا اليوم عين^٤
 اليقين كما كنا في الدنيا نعلمه علم اليقين .

ولما كان ذلك اليوم أحق الأيام بمعرفة شمول الربوبية لاجتماع
 ١٥ الخلائق وانفتاح البصائر وسعة الضمائر ،^٥ قال واصفاه له سبحانه
 بأقرب الصفات إلى الاسم الأعظم : (رب العالمين) أى الذى ابتدأهم ،

(١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الذى (٢-٢) سقط ما بين الرقين من
 م (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لجميع (ه) زيد
 فى الأصل : لله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد لخذفناها (٦-٦) سقط ما
 بين الرقين من م (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : هسه (٨) من ظ و م
 ومد ، وفى الأصل : الضمير .

أولا من العدم و اقامهم ثانيا بما رباهم به من التدبير، و أعادهم ثالثا بعد
إفنائهم بأكل قضاء و تقدير، و أبقاهم رابعا لا إلى خير، فقد حقق وعده
كما أنزل في كتابه و صدق وعيده لأعدائه كما قال في كتابه، فتحقق
أنه تنزيهه، فقد ختم الأمر بآيات الكمال باسم الحمد عند دخول الجنان
و النيران كما ابتداء به عند ابتداء الخلق في أول الإنعام، فله الإحاطة
بالكمال في أن الأمر كما قال كتابه على كل حال، فقد انطبق آخرها
على أولها بأن الكتاب تنزيهه لمطابقة كل ما فيه للواقع عند ما يأتي تأويله،
و بأن الكتاب الحامل على التقوى المسبية للجنة أنزل للابقاء الأول، فمن
أتبعه كان [له -^١] سببا للابقاء الثاني، وهذا الآخر هو عين "أول سورة"
غافر فسبحان من أنزله معجزا^٢ نظامه، فاتما^٣ القوى أول كل شيء منه ١٠
و ختامه،^٤ و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و أهل بيته الطيبين
الطاهرين و صحابته أجمعين^٥.

- (١) زيد من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الأول سورة.
(٢) زيد في الأصل: محور اوله و ختامه، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد
لأنها (٤) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فاتما (٥-٥) سقط ما بين
الرقمين من ظ و م و مد.

• • • • •

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء السادس عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة سلخ ذى القعدة سنة ١٤٠٠ هـ = العاشر من أكتوبر سنة ١٩٨٠ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده - و ضاعف له أجوره .
و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندى القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظها الله .
و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادما العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء السابع عشر باذن الله و مشيئة مستهلا بسورة غافر .
و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن يتفطنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه . و هو المسئول لحسن الخاتمة ، و فصلى و سلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و اخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية